محمد سعيد الطريحي

الشيعة والشيوعية

مساجلات في الدين والماركسية

القسم الأول



أكاديمية الكوفة



موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي



أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

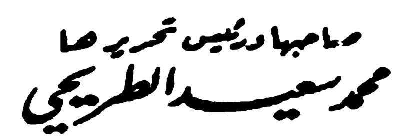


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

المكتبة الملكية - لاهاي ISSN 13842773

الموسم

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث



الموسم تكرّم حرية الفكر. وتحترم رأي كل مجتهد اتفقت معه في الرأي أم اختلفت.

الموسم غير مسؤولة عما ينشر فيها من مقالات وبحوث وآراء.

الموسم ترحب بكل رد يصلها على أي مقال يُنشر فيها، عندما يكون صاحب هذا الرد صادراً في كتاباته عن معرفة وملتزماً بآداب المناظرة.



KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND
http://www.almawsem.net
http://www.yafatim.com
e-mail: almawsem@almawsem.net



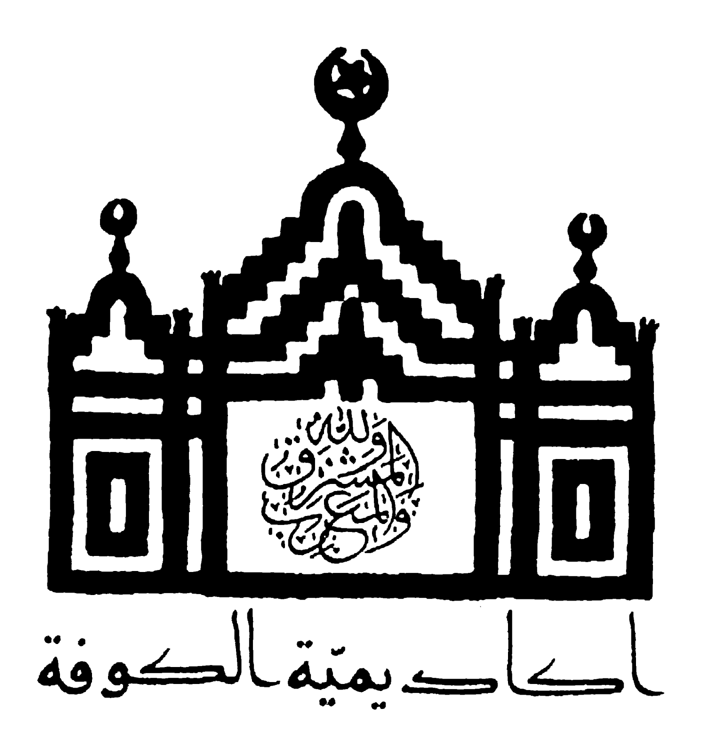
ملفات موسوعة الموسم العالمية



تحتوي ملفات الموسم الحالية حول الشيعة والشيوعية على مجلدين، الأول يحمل الرقم (٨٩) والثاني يحمل الرقم (٩٠)، أُنجزا عام ٢٠٠٨م وصدرا في مفتتح العام الميلادي ٢٠١١م وفيما يلي فهرس جميع المواد المنشورة في المجلد الأول:



هولندا



www.almawsem.net
E.mail: almawsem@.almawsem.net

فهرس المجلد الأول (العدد ٨٩ من الموسم)

أول الموسم

نصف قرن على تكفير الشيوعية (١٩٦٠-٢٠١٠)

انتشرت الافكار الشيوعية في المجتمع العراقي منذ عهد مبكر من القرن العشرين وتمتعت بشعبية واسعة لدى فئات متعددة من الشعب، وكان مفهوم الشيوعية الطاغي آنذاك هو مجتمع الكفاية والعدل بل انها كانت تعني السند لقضايا الشعوب المضطهدة وعلامة على التقدم والتحرر، قال الرصافي:

للانجليز مطامع ببلادنا لاتنتهي إلا بأن تتبلشفوا

ولما كان الشيعة والاكراد وبعض الاقليات الدينية الاخرى ممن يشعرون بالحيف والاحباط لتدني حقوقهم الدينية والقومية فقد ساهمت جماعات منهم في تأييد تلك الأفكار وانتشارها، وكان بعضهم في طليعة المتنمين للحزب الشيوعي العراقي بعد الاعلان عن تأسيسه عام١٩٣٤[1]، وقد تعرضوا لأنواع القمع والاضطهاد والظلم وحوربت كوادره وأعدم بعضهم وطيلة سنين الاربعينات والخمسينات لم يكن لفقهاء الشيعة موقف عدائي معهم إذ كانوا حينذاك يعيشون اجواء المواجهة الشرسة مع المستعمر الاجنبي ويعملون بالبُعدين الوطني والإسلامي العام، وكان الحركة الشيوعية هي الأخرى في مواجهة الاستعمار الغربي في العراق وكان افرادها يعملون ليل نهار لتحقيق أحلامهم

(١) كانت الشيوعية أشد جاذبية للشباب الشيعة نظراً لتأكيدها على المساواة بين الطبقات في البلاد وفئاتها العرقية والطائفية المختلفة وكذلك لصواب حلولها المطلوبة لتغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العراق وكان للشيوعيين في مدن العراق حضور كبير جدا وفيهم الكوادر والقيادات والشهداء وكلهم ينحدرون من مدن وقرى شيعية لاسيما النجف وكربلاء (اسحق نقاش: شيعة العراق).

الديمقراطية «وطن حر وشعب سعيد» ولم تزدهم ضغط الحكومات في العهد الملكي إلا اصراراً وعناداً فأسسوا النقابات العمالية والاتحادات الطلابية والشبابية والمنظمات النسائية والمهنية والجمعيات الفلاحية، واثروا الذهنية العراقية بالدراسات السياسية وأساليب العمل التنظيمية.

رفع الحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه شعار ماركس الاممي «ياعمال العالم اتحدوا» في جريدته المركزية «كفاح الشعب» عام١٩٣٥ إلى جانب الشعار الطبقي «ياعمال العراق اتحدوا» وحدد هوية الحزب الاممية في أول نظام داخلي أقرّه المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي العراقي عام١٩٤٥ حيث نص في المادة الخامسة منه «ان الحزب الشيوعي العراقي حزب يدين بالتعاليم الماركسية اللينينية وأهدافه البعيدة هي عين أهداف الاحزاب الشيوعية العالمية كما بينها معلموا الاشتراكية العلمية.. وان نظرته إلى الكون وإلى جميع القضايا الاجتماعية مادية ديالكتيكية مستقاة من تلك التعاليم الثورية التي برهنت الحياة على صوابها وهذه التعاليم هي التي أعانتنا اليوم على تفهم مرحلتنا..»

ولم تكن الحوزات العلمية في النجف الأشرف بمعزل عن فهم الماركسية وفلسفتها وخاصة ما يتصل بموضوع علاقتها السلبية مع الاديان، وقد كان رجال الدين يقرأون ما تصل إليهم أيديهم من الأدبيات الماركسية الفلسفية المستمدة من النظرية المادية التي يرون فيها خطراً على التدين، ويدركون بأنها جزء من النظام الغربي الاقتصادي والسياسي وانها ردة فعل لتجاوزات المجتمع الرأسمالي ولم يكن لتلك الافكار نصيب من القبول وان كان قد تأثر بها بعض الشباب الذين ينتمون للاسر الدينية، ولم تكن ردة الفعل لدى عموم رجال الدين من انتشار تلك الأفكار إلا الرفض والمجادلة الفكرية البحتة، ونظروا إلى الشيوعية لا لأنها ملحدة بل لانها توغل في المادية وتنكر الروح نكراناً تاماً، وتنظر إلى الأنسان على أنه مجرد آلة يجب أن يعمل ليعيش، وتجعل الانتاج الاقتصادي هو الأصل للاديان والاخلاق، وتمنح السلطة لفئة خاصة من الأعضاء الحزبيين على حياة الناس بشتى جوانبها، ولاتسمح لأي مواطن أن يقول (لا) وان كان محقاً.

هكذا رأى علماء النجف الشيوعية ومما انكروا عليها مناداتها بأن الناس شركاء في الملك والعلم والانتاج على كل انسان أن يكيف حياته مع المجتمع، لأن جميع أفراد الانسان هي كلٌّ مُوَحّد.

وردّوا على ذلك بأن الاسلام يُنكر الاستغلال والاحتكار، وينكر تذويب الفرد في الجماعة وكبت حريته، والقضاء على كرامته، ويترك أمر الإنسان لنفسه، ولايسيغ لأحد ان يفرض عليه نوع العمل، ولكن يوجب عليه السعي لسدّ الخلّة والحاجة ويحمله تبعة

عمله،هذا بالاضافة إلى موقف الشيوعية من الشيعة وحقوقهم الدينية في بلاد القوقاز والماضي الحربي للروس بمحاولاتهم المتكررة لاحتلال خراسان بما في ذلك مدينة (مشهد) المقدسة[١].

وخاض أحد علماء النجف وهو الإمام محمد باقر الصدر غمار الرد على الفكر الماركسي، وتفرغ لتأليف كتابيه الشهيرين «فلسفتنا» و«اقتصادنا» وحتى ذلك الوقت لم تصل تلك المواقف المتباينة إلى حد القطيعة أو المواجهة الساخنة إذ كان العلماء يلتقون مع الماركسين في بيوتهم فيتحاورون ويتجادلون دونما احساس يشعر بالعنف والغلبة وكان الجميع يخرجون مطمئنين لما كان عليه نقاشهم من السخط أو الرضا أو الرفض أو الاقتناع، بل لم يخلو الامر من أنَّ الماركسية قد وجدت لها اتباعاً في صفوف الطلبة الدارسين في حوزتها العلمية، وهم على قِلَّتهم يمثلون رقماً مهماً ضمن التيار الديني التقدمي يومذاك كأمثال المفكر الماركسي والفقيه الشيعي في آن، الاستاذ حسين مروه، وكان وجود امثاله داخل النجف وفي أوساط الحوزة مؤشراً على استيعاب تلك الحوزات العلمية وانفتاحها على كافة التيارات الفكرية حتى إذا كانت توصم بالالحاد، فالأساس العلمي المكين الذي تنطلق منه تلك المؤسسات الدينية التعلمية هي قوله(ع): «العلم دين يدان به» ومن هنا كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يحاور أصحاب الاديان والمقالات المختلفة عن الإسلام حواراً منفتحاً فيه روح من التسامح لكي يصل الجميع إلى الحقيقة، بل كان الإمام(ع) يدعوهم للحوار في داخل المساجد الكبرى كالمسجد الجامع بالكوفة وبحضور الجماهير التي كانت ترى وتسمع تلك الحوارات والمجادلات ثم يمضي كل واحد إلى ما اقتنع به من رأي.

وعلى كل حال لقد تطورت الفكرة الشيوعية في العراق ولاسيما في عقد الخمسينات من القرن المنصرم ولم تكن لقياداتهم على اختلافها وخلافاتها من تقدير صحيح للظاهرة الدينية التي طبع عليها الشعب العراقي، ولم يولوا هذا الموضوع أهمية تذكر وكانت الكتب أو النشرات التي تترجم من اللغة الروسية وغيرها تدعو إلى الالحاد أو تتستر عليه، مما جعل وصمة الالحاد لصيقة بالشيوعيين بحق أو بغير حق، ولما كانت مدن العراق وقراه وقصباته تغلي بالدم الشيوعي الذي استفحل أمره على سادة البلاد الحقيقين من البريطانيين وعملائهم الذين كانوا يتخفون من وراء الحكم في العراق، فاهتبلوا الفرصة واوقعوا الفرقة

(١) اضطهد ستالين الشيعة ودعا صراحة في كتابه (المسألة القومية) إلى محاربة الشعائر الحسينية التي كان يمارسها المؤمنون في أسيا الوسطى وأسماها ستالين في كتابه المذكور (شخصي فخسي) وهي اختصار لغوي تتري لكلمات «شاه حسين واحسين» التي كان يرددها الشيعة في طقوسهم المذكورة وقد ترجمت تلك الكلمات إلى الألف باء الروسي ثم الألف باء الانجليزي حتى غدت «شخصي فخسي».

بين ابناء الشعب فاستغلت (وصمة الالحاد) لتكون مقبرة للشيوعيين في العراق، فاستثمرت العواطف وظهرت الفتن وبرزت العداوات والاحقاد من مكامنها، وتفجر الاحتقان بظهور فتاوى العلماء لمحاربة الشيوعية، وكانت المجابهة العسيرة التي آلت إلى تحطيم المارد الشيوعي في العراق، فأنحسر دوره الجماهيري إلى مستوى النخبة التي انكفأت إلى بيوتها ومنافيها مجبرة كسيرة الخاطر منشغلة بالعلم والأدب والفن مع أن مسيرة الحزب الشيوعي العراقي قد استمرت بعد ذلك وقد ابتليت بالجوانب السلبية من صيغة العمل السري وكان اقصى ما واجهته بعد ذلك حملة التصفيات المنظمة التي قادها النظام العراقي بعد انقلاب عام١٩٦٨.

لقد مضى نصف قرن على صدور فتوى الإمام محسن الحكيم بتكفير الشيوعية (شباط ــ فبروري ١٩٦٠) والتي أيدها جَمعٌ من العلماء الشيعة والسنة من العرب والأكراد في حينه، وقد كان لمجموع هذه الفتاوى أثر كبير في انحسار المدّ الشيوعي في العراق، وكان لهذا جملة من الآثار السياسية والاجتماعية في المجتمع العراقي، ولم أجد فيما اعلم من كتب في هذا الجانب دراسة تستوعب هذا الحدث الهام من تاريخ العراق الحديث، وقد كان بوِدَّي أن أقوم بذلك ولأجله جمعت عشرات المقالات والبحوث والتقطت الآراء والوثائق مَن شتى المصادر والمراجع، ومن بين ما قمت به استكتابي لجمهرة من الكتاب الذين ساهموا مشكورين في تدوين افكارهم وأفصحوا عن رؤاهم عن تلك الحقبة الماضية من تاريخنا، وهكذا بقيت هذه المجموعة المنتخبة كمادة خام بين يديَّ لعدة سنين، ولم أجرؤ على الخوض فيها لانشغالي بأمور واصدارات دائرة المعارف الهندية التي شغلتني كما شغلتني اسفاري المستمرة عن القيام بدراستها، وهكذا انصرفتُ عنها على انني اقدمها لمن يعنيه هذا الأمر بطباعتها وتصحيحها والاضافة لها أو التعليق عليها مالزم الأمر ذلك بالإضافة إلى نشر ما يتوفر لدي من الوثائق والصور الموضحة لأبحاث هذه (المجموعة المنتخبة) وهي تقع في عدة اجزاء وهذا هو الجزء الأول الذي فرغت من ترتيبه واخراجه آمل أن يتاح لي الوقت مستقبلاً لأخراج المجموعة باجزائها الكاملة وارجو أن يمنحني القراء فرصة حقيقية لتدوين افكارهم وملاحظاتهم واضافاتهم لتكون تحت متناول المطالعين في الفترة اللاحقة، عسى أن نأخذ من تلك الوقائع العبرة وخاصة في أيامنا العصيبة التي يشهدها عراقنا المعاصر، وربما تكون مادة خصبة لمن أراد دراستها وتحليلها والاضافة لها في مستقبلِ الأيام، ذلك المستقبل الذي نراه بعيداً، يوم يتعافى العراق، ويكون فيه العراقيٍ حراً شريفاً مرفوع الرأس، تتساوى فيه حقوقه وواجباته يخدم الوطن ويتمتع بخيراته بعيداً عن المزايدات في الدين والسياسة والقومية.

الحزبوية والسلطوية في حكم الإسلام

منذ ان بدأ التوسع الأوربي يلقي بظلاله على الدول العربية والإسلامية، ظهرت التيارات المناوئة له أيام السلطان عبد الحميد في الامبراطورية العثمانية التي كانت في طور الانحطاط كما ظهرت في مصر والسودان والقوقاز وايران وآسيا الوسطى كردة فعل لذلك التوسع والاستعمار المباشر الذي قام بتقسيم العالم الإسلامي لدويلات خاضعة لسيطرة الدولة الاستعمارية القوية في ذلك الفترة وقد رافق هذا ظهور الحركات المقاومة وبروز اسماء العديد من القادة الكبار الذين تصدوا للغزو الاجنبي الذي أخذ يطال بلدانهم ومن الأسماء اللامعة التي قادت المقاومة في بلدانها: الامير عبد القادر الجزائري، والشيخ شامل زعيم القوقاز، وبطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، والسيد محمد سعيد الحبوبي وغيرهم.

وبعد أن نجح الاستعمار في توُّسعِه واخضع بعض الدول العربية الإسلامية إلى سيطرته المباشرة وخاصه خلال الحرب العالمية الأولى ومابعدها تطورت ردود الفعل عند بعض المفكرين المسلمين وأدت إلى ظهور تيارات كحركة «الإخوان المسلمين» بقيادة حسن البنا وسيد قطب في مصر التي كانت مستعمرة في الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩١٨ و١٩٣٩-١٩٤٥). انتشر هذا التيار وغيره من التيارات الشبيهة بين الاربعينات والستينات من القرن العشرين في بعض البلدان العربية. (سورية، الاردن، فلسطين، لبنان، العراق، وبعض بلدان الجزيرة العربية والمغرب).

اصطدم هذا التيار بصعود الحركات والانظمة القومية الشعبوية في مصر وسورية واليمن وفلسطين والسودان والعراق ثم الجزائر وليبيا.

كما أن الحركات التي نشأت في الهند متأثرة بأفكار المودودي خلال السيطرة الانكليزية عليها، نشأت كالتيارات السابقة في وسط المسلمين السنة. لكن، ومنذ نهاية الخمسينيات من القرن العشرينٍ نشأت في أوساط الشيعة في العراق حركات اصولية مماثلة: انشئ حزب الدعوة مثلاً من جانب رجال دين شيعة في العراق تخوفاً من تغلغل التيارات الشيوعية في الأوساط الشيعية الفقيرة والمهمشة. انتشر هذا النوع من الحركات في ايران خلال الخمسينيات والستينات والسبعينات تحت الانظار العطوفة للسلطة وحاميها الاميركي في ذلك الوقت. كان الاثنان يريان في هذه الحركات افضل نقيض للجبهة الوطنية التي كان يقودها محمد مصدق (الذي أمم البترول عام١٩٥١) والحزب الشيوعي الايراني، «توده». هذه الحركات التي كانت من الدوافع الرئيسية لتطور المقاومة ضد

النظام الشاهنشاهي هي في ايران، والذي ادى في النهاية إلى قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة١٩٧٩.

استوحت حركات اصولية سنية عدة في الشرق العربي وباكستان وأفغانستان وآسيا الوسطى وآسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية، أفكارها في الأصل، من تجربة الاخوان المسلمين في مصر ومن تعاليمهم اضافة إلى تعاليم (المودودي). كانت هذه الحركات خلال الحرب الباردة متوجهة بشكل خاص ضد الانظمة والحركات القومية العلمانية الشعبوية والاشتراكية أو الشيوعية. وكانت ايضاً تنعم برضى الدول الانكلوسكسونية وبعض الدول العربية والإسلامية وبدعمها إلى أن غيرت اهدافها بعد انهيار الكتلة السوفياتية. ساهمت هذه الحركات في نشوء صراعات واندلاعها في عدد من البلدان امثال اندونيسيا والفليبين وأفغانستان ولبنان وسورية ومصر والجزائر ونيجيريا والسودان وجمهوريات يوغوسلافيا السابقة والشيشان وغيرها.

بعض هذه الصراعات كانت أهلية وكانت حدتها متفاوتة كما ساهمت هذه الحركات في حروب ضد الغزوات الخارجية في أفغانستان ولبنان وفلسطين وايران وغيرها.

وقد تبنت حركات الاسلام السياسي بشكل عام نظريات متشابهة مؤداها استلام السلطة وتطبيق الإسلام أخذاً من أنه لاحاكم إلا الله مستندين إلى تفسيرات تؤيد نظرياتهم للآيات الواردة في التنزيل الكريم «ومن لايحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون» «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون». على اعتبار وجوب اتباع الوحي وتنفيذ هذا الحكم الالهي بما لايختلف فيه أحد من العلماء، وانما الخلاف في أمور أقل شأناً من هذا، مثل أن القياس حجة لأن النصوص لم تشتمل على حكم جميع الأشياء أو غير حجة لأن النصوص تشتمل جميع الأشياء. ومثل جواز تأويل ظاهر النصوص وعدم جوازه. وليس الظاهرية وحدهم هم المشدودون في اتباع النصوص، وعدم التأويل، بل لهم اسلاف في ذلك من العلماء فليس مذهبهم جديداً، وتأثراً بالاحزاب السنية، ظهر ونشط حزب الدعوة الإسلامية في العراق في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي. كما نشأت جماعة العلماء في النجف الأشرف متزامنة مع وجود حزب الدعوة، وكانت جهود الجميع معبئة ضد الشيوعية، وبعد أن هدأت موجة العداء ضدها انحسرت جماعة العلماء وتوقف نشاطها، واستمر نشاط حزب الدعوة لكنه لاقى انقسامات عديدة خلال مسيرته الطويلة بالاضافة إلى موقف الحذر الذي تميزت به المرجعيات الشيعية التقليدية في النجف الاشرف آنذاك من الاحزاب الدينية والتدخل بالامور السياسية بشكل عام، ومنذ اوائل السبعينيات من القرن المنصرم انشغلت الحركة الإسلامية الشيعية بمفاهيم الولاية الشرعية

والارتباط بالحكومة الإسلامية ووحدة الأمة الاسلامية من دون الاتفاق على صيغة معينة للسلطة التي تنشدهاوفي كل الاحوال فان العقود الثلاثة الماضية من القرن السابق كانت عقوداً حافلات بالاحداث المتسارعة وفي الطليعة منها الثورة الإيرانية عام١٩٧٩، التي كانت تحولاً في الذهنية والتفكير لعموم الحركات الإسلامية في العالم، مثلما كانت العقود الماضية حافلة هي الاخرى بالتحولات التي مرّ بها العالم على المستويات الاستراتيجية والسياسية والفكرية، وما أصاب الدول والاحزاب والحركات أصاب الاسلاميين بطبيعة الحال على مستوى تجربتهم أو على مستوى تفاعل الآخرين من هذه التجربة وقد كان على الذروة منها ظهور التلازم بين الاسلام والسياسة بالتنظير لولاية الفقيه التي طبقتها الجمهورية الإسلامية في إيران، والتي ابتدأت كنظرية في العراق، وقد اقترحها الامام روح الله الموسوي الخميني لدى وجوده في النجف الأشرف (١٩٦٣-١٩٧٩م) فأعوام النفي الستة عشر بلورت نتيجتين هامتين احداهما تفرغ الامام لتوطيد زعامته الروحية وصياغة نظريته حول ولاية الفقيه حيث زادها وضوحاً وصرامة بالنسبة إلى آراء فقهاء آخرين من الشيعة حول الموضوع الذين لايصرون على تحقيقها حتماً، بل هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقف سلبياً من تسلم السلطة معتمداً على ما هو منسوب للإمام الصادق(ع) في قوله: «ماخرجَ ولايخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحدٌ ليدفعَ ظلماً أو ينعشَ حقاً الا اصطلمَتُهُ البلية وكان قيامُهُ زيادةً في مكروهنا وشيعتنا».

وقد عمد الإمام الخميني إلى تأييد نظرية ولاية الفقيه بالبراهين العقلية والنقلية، ونشر كتابه المتضمن لسلسلة محاضراته عن هذه النظرية أيام اقامته في النجف الاشرف تحت اسم «الحكومة الإسلامية». والنتيجة الثانية الهامة التي انتجتها اقامته في النجف الاشرف تطور حركة معارضته لنظام الشاه وبروز شخصيته القوية واتساع قاعدته الشعبية التي ضمت خصوم الشاه من الايرانيين من أقصى اليمن إلى اقصى اليسار وفيها عناصر غير مسلمة من المسيحيين والزراد شتيين فضلاً عن الشيوعيين وعموم اليسار.

وفي قضية الديمقراطية، يسجل الإمام الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» أن «الإسلام استبدل بالمجلس التشريعي مجلساً آخر للتخطيط، يعمل على تنظيم سير الوزارات في أعمالها، وفي تقديم خدماتها في جميع المجالات». ورغم أنه لا يشير إلى الدليل الفقهي الذي بنى عليه هذا الرأي، إلا أنه مفهوم من سياق كلامه، قبل وبعد هذه الفقرة، أنه لا حاجة لمجلس تشريعي في التطبيق الإسلامي، على اعتبار أن التشريع قائم بالفعل في كتاب الله وسنة رسوله، وهو رأي يتبناه آخرون في عالمنا العربي، أما باقتناع حقيقي، أو مسايرة لأوضاع قائمة، هذا الرأي يخلط بين الشريعة التي هي من صنع الله ــ وهي الأساس ــ

والتشريع الذي هو من صنع البشر، ولا غنى عنه. ثم انه يفترض أن مهمة المجالس النيابية هي التشريع فقط، في حين أن هذه المهمة تظل استثناء في ظل أوضاع قانونية مستقرة، وتصبح المهمة الأولى (والقاعدة) هي الرقابة على مؤسسات الدولة السياسية والتنفيذية.

وفي حين يطرح الإمام الخميني هذا الرأي، نقرأ رأيا آخر في الديمقراطية لآية الله شريعتمدارى، الذي كان أحد أبرز فقهاء الشيعة آنذاك، يقول فيه أن الصيغة المطروحة للديمقراطية الغربية لاتصطدم مع تعاليم الإسلام، ويمكن العمل بها «مع تعديلات طفيفة».

ومثلما كانت للشيعة رؤاهم وحركاتهم السياسية الإسلامية، فان للسنة حركاتهم واحزابهم ورؤاهم المختلفة، إلا أنه رغم ما طرحه الجميع من رؤى ونظريات فان فقه النظرية السياسية في الإسلام لم يحسم بعد وبقيت صيغة الممارسة الديمقراطية معلقة، واسئلتها حائرة بين من يقولون بالجمهورية الإسلامية، وبين من يقولون بالجمهورية على النظام الغربي، وحين تغير الوضع في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ واستلم الإسلاميون موقع الصدارة لادارة البلاد تجدد الاهتمام بالظاهرة الإسلامية، واتضح انٍ مشروٍع الإسلام السياسي في تجربة الثمان سنين الاخيرة على الاقل لم يحمل معه وضعاً بديلاً عما كانت تقوم به الحركات والمنظمات غير الإسلامية لو اتيح استلام الحكم في الطريقة التي استلم فيها الإسلاميون الحكم الآن بل أتاح الوضع الطارئ الذي اصبحوا فيه لئن يطلق الآخرون فيه احكاماً قيمية تصفهم بالرجعيين والمتزمتين وبأعداء التقدم والحداثة وبأنهم استأثروا بالسلطة واستفادوا من الفرصة التي اتاحتها لهم الفترة التي حكموا ويحكمون فيها الآن والموصوفة بـــ «الديمقراطية».

ويبدو أن حيرة الاحزاب الإسلامية حول شكل الحكومة الإسلامية وكيفية التطبيق الإسلامي للسلطة أو الحاكمية ستبقى تدور في دائرة الجدل النظري الذي يحتمل الأخذ والرد والاختلاف والاتفاق. وفي بعض ما اخترناه فيٍ هذا المجموع صور مختلفة حول المشروع الإسلامي للحكم وتولي السلطة، وضعناه جنباً إلى جنب مع مشروعنا الأساسي الذي تضمنه هذا الجزء من (موسوعة الموسم) بتقديمنا لمجموعة مهمة من الدراسات والابحاث المتعلقة بعلاقة الفكر الشيوعي مع الدين واستعراض كافة الاراء من المؤيدين أو المعترضين حول الموضوع.

وسَيَلِي هذا الجزء أجزاء أخرى تهيئ لقارئها أن يقف على الحقيقة، كما أننا نرحب بالأبحاث الجديدة وبالتعليقات المفيدة التي تغُني مجموعات (الموسم) وتطور مايرد فيها من الأراء والأفكار.

محمد سعيد الطريحي

الحزب الشيوعي العراقي
نبذة تاريخية منذ تأسيسه حتى سنة ١٩٥٧

• الدكتور جعفر عباس حميدي[١]

بدأ الوعي الاشتراكي والأفكار الماركسية بالوصول إلى العراق في بداية العشرينات[٢]. فظهر عدد من المثقفين الذين شغفوا بالأفكار الماركسية وانكبوا على دراستها عن طريق ما يصلهم من الكتب الماركسية من طريق سوريا ولبنان. وكانوا يعيروها إلى بعض أصدقائهم ممن يميلون إلى قراءتها والإطلاع على مضمونها[٣]. فظهرت أول حلقة من الماركسيين العراقيين حاولت تأسيس أول منظمة شيوعية. ضمت كلاً من: حسين الرحال، عوني بكر صدقي، مصطفى علي، محمد سليم، محمد أحمد المدرس، عبد الله جدوع، فاض ل محمد. وأصدرت مجلة علنية نصف شهرية باسم (الصحيفة) صدر عددها الأول في (٢٨ كانون الأول ١٩٢٤) .

وعالجت الصحيفة مشاكل العراق الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ودعت إلى تحرير المرأة وتعليمها. وهاجمت الإقطاع والرجعية وأوضحت أن الرجعيين جراثيم سامة في كل بلد. وناقشت المشاكل الدولية ومنها التمييز العنصري الذي انتقدته بشدة[٤]. والواقع أن

---

(١) العنوان استحدثته (الموسم) والبحث مقتطف من كتاب (التطورات السياسية في العراق ١٩٤١- ١٩٥٣) وهو في الأصل رسالة ماجستير للكاتب الفاضل حازت على تقدير جيد جدا من جامعة بغداد.

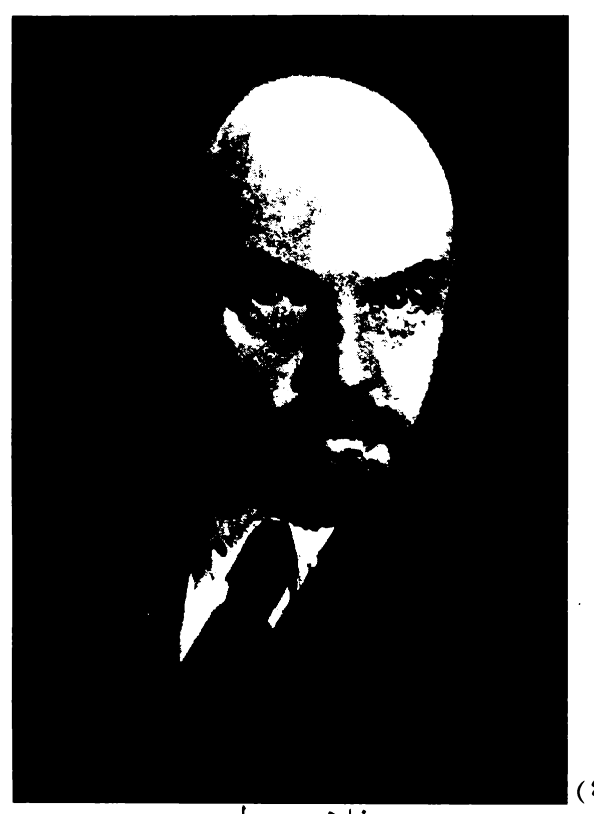
(٢) حذرت جريدة العالم العربي (العدد(٢٤٣، ٧ كانون الثاني ١٩٢٥ الحكومة من انتشار الشيوعية ودعت علماء الدين إلى محاربتها.

(٣) مديرية الشرطة العامة، شعبة مديرية التحقيقات الجنائية، موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج ٤، (بغداد ــ مطبعة الحكومة،١٩٨٤(ص ٧٦٨، ومالك سيف، كفاح الأحرار، (بغداد ــ حزيران ــ ١٩٥٧)، ط١، ص٦٢.

(٤) صحيفة الصحيفة، الأعداد من ١ــ٥، ٢٨ آذار ١٩٤٢ ــ ٢٠ آذار ١٩٢٥.

جهود جماعة الصحيفة باءت بالفشل فأغلقت المجلة وانفرط عقد الجماعة لعدم نضج الظروف الموضوعية لحركة كهذه[١].

استطاعت الحركة الماركسية إيجاد قاعدة لها بين صفوف العمال وكان يوسف سليمان من العاملين في هذا المجال، ويوسف سلمان يوسف(فهد) من مواليد بغداد عام ١٩٠١ وانتقل إلى البصرة ودرس في مدرسة السريان الابتدائية ثم دخل مدرسة (الرجاء الصالح) الأمريكية ولكنه لم يتم دراسته فاشتغل عاملاً وتنقل بين البصرة والناصرية، وأصبح عضواً في (الحزب الوطني العراقي) وافتتح له مكتبة لبيع الكتب والمجلات والصحف أغلقت عام ١٩٣١، فأصبح مراسلاًلجريدة الأهالي في الناصرية يكتب باسم (مراسلكم) فقط دون أن يفصح عن حقيقة اسمه[٢].


فلاديمير لينين

إن عمل فهد وسط العمال دفعه للاشتراك في الإضرابات العمالية المختلفة ومن ثم اتجه إلى تثقيف نفسه فاعتنق الماركسية اللينينية حوالي عام ١٩٢٨. وبدأ التبشير بها في الناصرية والبصرة[٣].

وقام مع بعض أصحابه بجولات بين أبناء الريف كأساس لعمله في إيجاد (فلاحين ثوريين)[٤] وفي الناصرية عمل على تشكيل حلقات ماركسية.

ويذكر عبد الكريم حسون الجار الله في مذكراته أن فهد اتصل به عام ١٩٣٢ وعرض عليه آراء اشتراكية تحت اسم (الحزب الشيوعي العراقي)[٥] وذكر أيضاً بأنه أصدر منشورا موقعاً باسم الحزب الشيوعي العراقي وعنوانه البارز (يا عمال وفلاحي البلاد العربية اتحدوا)[٦].

(١) سعاد خيري، دراسة موجزة لتاريخ الحركة الثورية في العراق الحلقة الثانية، مجلة الثقافة الجدية، العدد ٤١، تشرين الأول ١٩٧٢، ص٣١

(٢) عبد الكريم حسون الجار الله، تصدع البشرية، من خلال ويلات الاستبداد والعبودية ، عرض مصور لأسرار الكفاح السياسي في العراق. (صيدا ـــ المكتبة العصرية ـــ ١٩٦٩)، ص٧٧.

(٣) فهد مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، مجلة الثقافة الجديدة، عدد ٤٥، شباط ١٩٧٣، ص ٥.

(٤) مالك يوسف، المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٥) عبد الكريم حسون الجار الله، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.

اعتقل فهد في الناصرية عام ١٩٣٣ واعترف أثناء التحقيق بأنه شيوعي (وكان أول من وقف أمام المحكمة يدافع عن المبدأ الشيوعي .. لم يكن أحد قبله يعتنق هذا المبدأ والدفاع عنه)[١]. وأطلق سراح فهد بعد توسط جعفر أبو التمن، زعيم الحزب الوطني العراقي، فانتقل بعد ذلك، إلى بغداد واتصل بالحلقات الماركسية الأخرى التي سعت إلى توحيد جهودها في تنظيم واحد.

انعقد في بغداد في ٣١ آذار ١٩٣٤ اجتماع تأسيسي للشيوعيين الذين جاءوا من بعض مناطق العراق وقرر المجتمعون توحيد منظماتهم في تنظيم مركزي واحد باسم (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار) وانتخبوا اللجنة المركزية[٢]، وكان عاصم فليح الرجل البارز في هذا المجال فأصبح أول سكرتير للحزب الشيوعي العراقي وأصبح فهد عضواً في اللجنة المركزية[٣]. وقد أصدرت اللجنة بيانا لخصت في الأهداف السياسية ونظام الحزب ووزع البيان على الجمهور[٤]. وفي آذار١٩٣٥ أصدرت اللجنة بياناً دافعت فيه عن (الانتفاضات المسلحة في أرياف الفرات وكردستان)[٥].

اتخذت اللجنة المركزية قرارا في (تموز ١٩٣٥) بإعلان اسم (الحزب الشيوعي بدلا من (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار) وأصدرت جريدة مركزية للحزب باسم (كفاح الشعب) لسان الحزب الشيوعي العراقي، كانت تطبع بالرونيو[٦] كما أصدر الحزب منشوراً مكتوباً باليد ومسحوباً بالرونيو على ورق من الحجم الكبير نوعاً ما موقعاً من قبل (الحزب الشيوعي العراقي ــ آب ١٩٣٥) لتأييد عمال السكك ويعتقد بأنه أول منشور مطبوع يصدره الحزب[٧].

ثم صدرت جريدة كفاح الشعب، وهي أول جريدة سرية في تاريخ الصحافة العربية، خمسة أعداد فقط، وتوقفت عن الصدور في أواخر سنة إصدارها، وأوضحت خلالها الشعارات الأساسية التي حددها الحزب وهي: إلغاء معاهدة ١٩٣٠ العراقية البريطانية، تصفية قاعدتي سن الذبان والشعيبة العسكريتين البريطانيتين، توزيع الأراضي على

---

(١) سعاد خيري، دراسة موجزة لتاريخ الحركة الثورية في العراق، الحلقة الثانية، ص٣٢.
(٢) زكي خيري، بذور الشيوعية كيف نبتت، خواطر وذكريات، جريدة اتحاد الشعب العدد ٢، ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٠
(٣) جريدة اتحاد الشعب، العدد ٢٢، ٢٠ شباط ١٩٥٩.
(٤) سعاد خيري، دراسة موجزة لتاريخ الحركة الثورية في العراق، الحلقة الثانية، ص ٣٤.
(٥) صفحات مشرقة من تاريخ الحزب، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٣٤، آذار ١٩٧٢، ص ٧
(٦) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج٤
(٧) م.د منشور مكتوب باليد بالرونيو موقع باسم الحزب الشيوعية العراقي ــ آب ١٩٣٥

الفلاحين، يوم عمل ٨ ساعات، الحريات الديمقراطية، الاعتراف بحق (استقلال كردستان، حل مجلس النواب وإجراء انتخابات عامة في ظل الحريات السياسية ..الخ[١].

وقفت السلطة موقفاً صارماً تجاه التنظيمات الشيوعية الجديدة واستطاعت في (تشرين الثاني ١٩٣٥) ضرب التنظيم باعتقال قسم من أعضاء الحزب ومصادرة المطبعة فتوقفت جريدة كفاح الشعب عن الصدور[٢]. واعتقل سكرتير اللجنة المركزية للحزب عاصم فليح وبقي موقوفاً لمدة ستة أشهر أطلق سراحه بعد أن أعطى تعهداً شفهياً بترك النشاط الشيوعي[٣].

وجد الحزب الشيوعي ظروفاً مناسبة للعمل بعد انقلاب بكر صدقي (١٩ تشرين الأول ١٩٣٦) فاستطاع قيادة مظاهرة كبيرة في (٣ تشرين الثاني ١٩٣٦) بدأت مسيرتها من الكرادة الشرقية حتى بلغت جامع الحيدر خانة،ألقيت فيها الخطب الحماسية، كما سمحت حكومة الانقلاب لبعض الكتب الممنوعة، التي تحمل الأفكار الشيوعية من دخول العراق وأطلقت بعض الحريات العامة لبضعة أشهر وأجازت جمعية الإصلاح الشعبي. إن هذه الظروف هيأت للحزب الشيوعي الاشتراك في الإضرابات العمالية والقيام بمظاهرة في (١٦ تموز ١٩٣٧) لنصرة القضية الفلسطينية احتجاجاً على مقررات اللجنة الملكية التي شكلتها بريطانيا للتحقيق في الإضرابات التي وقعت في فلسطين عام ١٩٣٦، وكان قرار اللجنة بتجزئة فلسطين إلى ثلاث دويلات موضع الاستنكار الشديد في معظم أرجاء الوطن العربي[٤].تغيرت الظروف في أواخر أيام الانقلاب فاضطهد اليساريون وعطلت جمعية الإصلاح الشعبي، وجرت اعتقالات متتالية بين الشيوعيين في بغداد، خاصة الجنود[٥]، وأسقطت الجنسية العراقية عن عبد القادر إسماعيل أحد أعضاء المؤسسين لجماعة الأهالي الذين تحولوا إلى الشيوعية وأخيه يوسف إسماعيل[٦].

---

(١) صفحات مشرقة من تاريخ الحزب، المصدر السابق، ص٨.
(٢) زكي خيري، المصدر السابق.
(٣) مالك سيف، المصدر الساب، ص٦٤.
(٤) سعاد خيري، دراسة موجزة لتاريخ الحركة الثورية في العراق، الحلقة الثالثة، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٤٢، تشرين الثاني ١٩٧٢، ص ٢٤.
(٥) اتهم ما يقارب الخمسمائة والخمسين من ضباط الصف والجنود بتهمة الشيوعية وكان قد عثر معهم على صور ستالين، إلا أن رئاسة المجلس العرفي العسكري أرسلت الأوراق التحقيقية برمتها إلى قائد القوات العسكرية لعدم وجود سند قانوني يمنع فكرة الشيوعية ويسمح بإجراء محاكمتهم، عبد العزيز مصطفى ياملكي، مذكراتي في العراق ١٩٢٤ — ١٩٥٨، (مطبوعة على الآلة الكاتبة)، ص١٠٧.
(٦) فاضل حسين المصدر السابق ، ص ١٤

ومهدت هذه الحملات الطريق للحكومة لإصدار(ذيل قانون العقوبات البغدادي الرقم ٥١ لسنة ١٩٣٨) الذي نص في مادته الأولى: (يعاقب بالأشغال الشاقة أو الحبس مدة لا تزيد على سبع سنين أو بالغرامة أو بهما كل من حبذ أو روج بإحدى وسائل النشر المنصوص عليها في المادة ٧٨ من هذا القانون أيا من المذاهب الاشتراكية البلشفية (الشيوعية) والفوضوية والإباحية وما يماثلها التي ترمي إلى تغيير نظام الحكم والمبادئ والأوضاع السياسية للهيئة الاجتماعية المصونة بالقانون الأساسي)[١].

بدأت عملية إعادة تنظيم الحزب في أواخر عام (١٩٣٨) على يد يوسف سليمان يوسف (فهد) وكان فهد قد غادر العراق في نهاية عام ١٩٣٤ إذ أرسلته اللجنة المركزية إلى موسكو لتكميل دراسة الماركسية اللينينية[٢]. فسافر عن طريق سوريا واتصل في سوريا بزعماء الحزب الشيوعي البارزين ثم غادر إلى إيطاليا وفرنسا واشتغل بعض الوقت مع الحزب الشيوعي الفرنسي (ككادر حزبي) ثم سافر إلى موسكو وتتلمذ هناك على يد (جورج ديمتروف)وزعماء الكومنترن (الأممية) الآخرين[٣].

وجد فهد بعد عودته من موسكو أن السلطة استطاعت تهشيم التنظيم واعتقال قادته ولذلك بذل جهوداً من أجل جمع الشيوعيين وإعادة التنظيم وكانت جهوده في الفترة ما بين (١٩٣٨ ــ ١٩٤٥) مكرسة لإعادة بناء الحزب[٤]. وقد بدأ الحزب في ١٩٤٠ نشاطاً ثقافياً ملحوظاً فترجم عدداً من الكتب والمؤلفات الماركسية منها على سبيل المثال (الدستور السوفيتي) الذي طبع على الرونيو وسلسلة من المحاضرات بعنوان (دروس في الماركسية اللينينية وغيرها[٥]. كما أصدر الحزب جريدة (الشرارة) (وهو نفس الاسم الذي أطلقه لينين على الجريدة الشيوعية التي أصدرها حينذاك) في عام ١٩٤٠ وبالتحديد صدر عددها الأول في كانون الأول ١٩٤٠[٦].

---

(١) جريدة الوقائع العراقية، العدد ١٦٣٣، ٩ مايس ١٩٣٨
(٢) فهد مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، المصدر السابق، ص٨ــ٩
(٣) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج ٤، ص٦٧٩.
(٤) صفحات مشرقة من تاريخ الحزب، المصدر السابق، ص٩.
(٥) م . أ . ع .، ملفة بعنوان (منشورات شيوعية عام ١٩٤٠).
(٦) بالرغم من أننا لم نعثر على العدد الأول إلا أننا عثرنا على العدد الثامن وما بعده السنة الأولى وبعملية حسابية نستطيع أن نتعرف على صدور أول عدد للجريدة.

- مطاليبنا اليومية -

أ- تحديد ساعات العمل الحد الأقصى ثماني ساعات و ٧ - ٦ للأعمال الشاقه ورفع مستوى الأجور

٢- منح حرية النشر والاجتماع وارجاع جميع الرخص لفتح نوادينا ونقاباتنا.

٣- سن قانون حماية العمل مثل: عدم فصل العامل من معمله، واعطاء تقاعد للعمال العجزه والمرغمين على العطل.

٤- عدم تشغيل الأطفال واستثمارهم الذين يبلغون دون الثالثه عشر.

٥- افساح المجال لنا لتمثيل طبقتنا وندافع عنها في المجالس النيابية والبلديه.

طبعت بمطبعة الحزب الشيوعي العراقي

البيان الذي أصدره فهد في بداية تأسيس الحزب الشيوعي

موقف الحزب من الحرب العالمية الثانية:

اتخذ الحزب موقفين متناقضين من الحرب العالمية إلا أنه استفاد من كلا الموقفين في توسيع وانتشار الشيوعية في العراق، وكان الموقفان مستمدين من موقف الاتحاد السوفيتي تجاه ألمانيا الهتلرية فعندما وقعت الاتفاقية الألمانية ـــ الروسية كان الحزب الشيوعي العراقي يدعو إلى الوقوف على الحياد. وأصدر بياناً في (٢٤ أيلول ١٩٤٠) جاء فيه: (لما كانت الحرب القائمة اليوم بين ألمانيا وإيطاليا من جهة وإنكلترا من جهة أخرى حرباً (استعمارية) حرب نهب وسلب لاقتسام العالم من جديد على حساب الأمم الضعيفة. ولما

كانت بلادنا العربية معرضة إلى خطر هذا التقسيم وقد تكون واقع في حدود خارطته فعلاً وجب علينا ــ كدولة ــ أن تقف من هذه الحرب موقفاً حيادياً تاماً[١]. وأيد الحزب حركة رشيد عالي الكيلاني باعتبارها حركة وطنية معادية للاستعمار البريطاني فأدى هذا الموقف إلى التسامح مع الشيوعيين مما ساعد على انتشار الشيوعية[٢].

تغير موقف الحزب تجاه الحرب بعد مهاجمة الجيوش الهتلرية لروسيا في (حزيران ١٩١٤). فوصف الحرب بأنها (حرب الإنسانية) ودعا شعوب العالم إلى تحمل نصيبها في هذه الحرب[٣]. وأدى هذا الموقف إلى التخفيف من شدة الإجراءات التي تتخذ عادة ضد الشيوعيين لأن أعمالهم كانت في حينها ضرورية لمقاومة النازية والفاشية في البلاد[٤].

الانشقاقات الأولى للحزب:

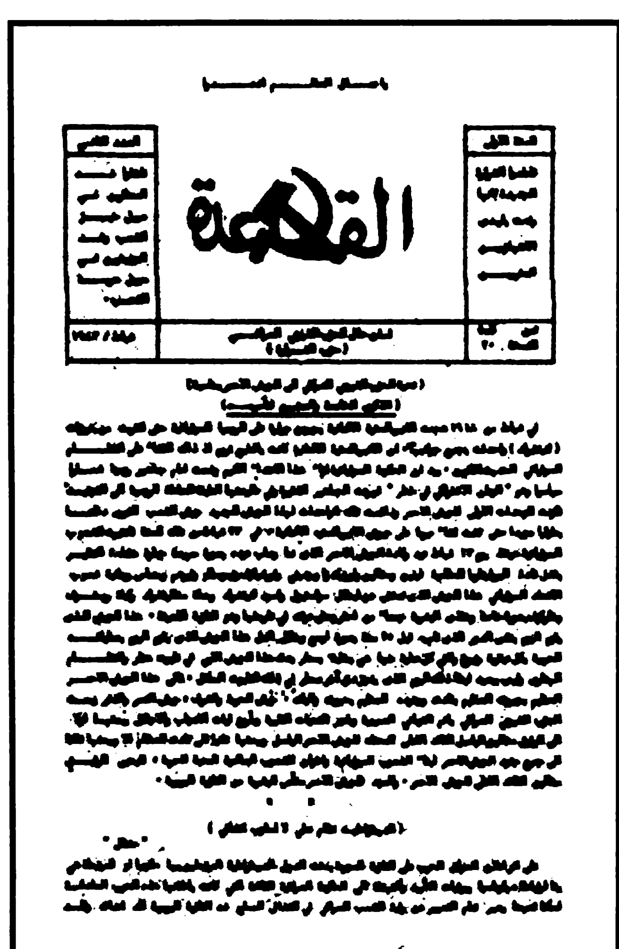
تعرض الحزب لأول حركة انشقاقية في تموز ١٩٤٢، كان على رأس هذه الجماعة المنشقة ذنون أيوب، الذي اصدر جريدة (إلى الأمام)، وطالب بعقد مؤتمر حزبي لإقرار النظام الداخلي وانتخاب السكرتير واللجنة المركزية والمكتب السياسي، ولكن اللجنة المركزية للحزب أصدرت قرارها بإجماع الآراء في (١٦ آب ١٩٤٢) بطرد الأعضاء قادر وفاضل ومحمود (أسماؤهم الحزبية) من الحزب باعتبارهم (خونة مارقين) وجاء في هذا القرار (إن الرجعية العراقية والأجنبية ساءها نمو الحزب وأطراد تقدمه فخشيت مغبة الأمر وتمكنت مغرياتها وأساليبها الجاسوسية بالتعاون مع العناصر الانتهازية المنشفكية أن تستدرج قادر وفاضل إلى خدمتها للقضاء على الحزب وتحطيمه.. ومما لا شك فيه أن هذه الجريمة خطرة لأنها انبعثت من الداخل. والواقع أن المنشقين قادر وفاضل ومحمود حاولوا إتيان عمل لم تستطيع الرجعية في مختلف مراحل نضال الحزب إتياته. أما الانشقاق الثاني فقد حدث بعد حوالي ستة أشهر من الانشقاق الأول ــ أواخر ١٩٤٢ ــ وكان بقيادة المحامي عبد الله مسعود القريني الذي سيطر على جريدة الشرارة واستولى على أجهزة الطباعة والتثقيف[٥] وعقد المنشقون مؤتمراً حزبياً انتخبوا فيه عبد الله مسعود القريني سكرتيراً للحزب واعتبروا فهد وجميع الذين ينضموا إليهم مطرودين من الحزب، وكان

(١) م . أ . ع . منشور مطبوع بالرونيو موقع عليه باسم (الهيئة التنفيذية للحزب الشيوعي العراقي).
(٢) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري ، ج ٤ ص ٧٧٠.
(٣) جريدة الشرارة، العدد ٥، السنة الثانية، شباط ١٩٤٢.
(٤) موسوعة سرية خاصة بالحزب العراقي الشيوعي. ج ٤، ص ٧٧٠.
(٥) مالك سيف، المصدر السابق، ص ٦٨.

فهد عند حدوث الانشقاق الثاني في طريقه إلى موسكو لحضور الاجتماع الذي دعت إليه منظمة (الكومنترون) لتقرير حل هذه المنظمة، وبعد عودته من موسكو أصدر كراس (حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية) أطلق على جماعة عبد الله مسعود القريني فيه اسم (الشراريون الجدد) وأوضح أن الشراريين الجدد عقدوا المؤتمر الذي أرادوه فجأة في (غياب السكرتير ومعارضة أكثرية اللجنة المركزية) للاستيلاء على الحزب لكنهم فشلوا فذاقت قاعدتهم مرارة ذلك المؤتمر وكشف قادتهم عن انتهازيتهم[1].

جريدة القاعـــدة وانشـــقاق داود الصايغ:

بعد أن سيطر عبد الله مسعود القريني على جريدة الشرارة وأجهزة الطباعة، قام الحزب الشيوعي بإصدار جريدة باسم (القاعدة) صدر العدد الأول منها في كانون الثاني ١٩٤٣، وساهم في هذا المضمار داود الصايغ مساهمة جدية حاز فيها على شكر فهد وتقديره[2].


القاعدة

نشرة القاعدة الصادرة عن الحزب الشيوعي

وبعد عودة فهد من مؤتمر الأممية الشيوعية في موسكو كتب مقالاً موسعاً بعنوان (حل الأممية الشيوعية والواجبات المترتبة على حزبنا) أوضح فيه أن سبب حل هذه المنظمة يرجع إلى أن شكل هذه المؤسسة نفسه أصبح عائقاً في طريق تقوية أحزاب العمال الوطنية في المستقبل، ولخص المقال واجبات الحزب في المرحلة الجديدة وهي:

١ـــ تعزيز جبهة الأمم المتحدة

٢ـــ مكافحة الفاشستية ومكافحة رتلها الخامس.

---

(١) م . أ . ع . فهد ـــ حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية (مطبوع على الآلة الكاتبة) اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم ٢٧ ، ص ١٦.

(٢) مالك سيف، المصدر السابق، ص ٦٩.

٣ــ تعزيز النظام الديمقراطي في العراق وذلك بالنضال في سبيل تطبيق الدستور العراقي واحترامه من قبل السلطات الحاكمة.
٤ــ تأمين الخبز للناس وحاجاتهم الضرورية ومكافحة الغلاء.
٥ــ رفع مستوى العراق اقتصادياً وثقافياً وصحياً واجتماعياً وتحسين مستوى الشعب عموماً.
٦ــ الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة.
٧ــ تحسين حالة الفلاح والدفاع عن مصالحه.
٨ــ تأييد تصريح الأطلسي والتمسك بما تضمنه من حق الشعوب في تقرير مصيرها.
٩ــ تقوية الحزب الشيوعي وذلك بتقوية صلاته أكثر بالجماهير الشعبية بزيادة عضويته بين البروليتاريا[١].

حدث انشقاق جديد في الحزب في (أوائل ١٩٤٤) تزعمه المحامي داود الصايغ الذي أطلق على نفسه وجماعته اسم (رابطة الشيوعيين العراقيين) وأصدر جريدة العمل ــ صدر العدد الأول منها في (تشرين الثاني ١٩٤٤) وهاجمت جريدة العمل جماعة القاعدة واتهمتهم بأنهم قد ساروا في سياسة يسارية رغم الاعتراضات والانتقادات العملية والقوية... والتي أدت إلى انتفاضات وإنشقاقات)[٢] ودعت إلى عقد مؤتمر وطني لجميع الشيوعيين العراقيين بمختلف كتلهم وعلى شرط أن يكونوا قد تخلصوا من جميع الانحرافات، يسارية كانت أم يمينية. في التنظيم كانت أم في السياسة[٣]. وقد وضعت الرابطة منهاجاً ونظاماً داخلياً بها[٤]. ورفعت شعار (التفوا حول العمل لتكوين حزب شيوعي عراقي قوي موحد). واستمرت الرابطة في العمل السياسي حتى اعتقال داود الصايغ وجماعته في ١٩٤٧ فأنظمت باقي تنظيماتها إلى الحزب الشيوعي العراقي[٥].

والملاحظ أن المثقفين كانوا قادة هذه الانشقاقات التي يبدو أن أسبابها ترجع إلى الصراع على القيادة أكثر منه خلافاً عقائدياً أكثر منه خلافاً عقائدياً. أما موقف الاتحاد السوفيتي من هذه الانشقاقات فكان موقف المؤيد لقيادة فهد.

---

(١) جريدة القاعدة، العدد ٥، السنة الأولى، حزيران ١٩٤٣
(٢) جريدة العمل، العدد ٢ ، السنة الأولى، كانون الأول ١٩٤٤.
(٣) جريدة العمل، العدد ١، السنة الثانية، تشرين الثاني ١٩٤٥
(٤) المنهاج والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي (بغداد ــ ١٩٤٦)، كما نشر في جريدة العمل، العددان ٣و٤ السنة الأولى، كانون الثاني ، شباط ١٩٤٥
(٥) أطلعنا على جميع أعداد جريدة الرابطة تقريباً وعلى بعض وثائقها، وإن المجال هنا لا يتسع لنشر كل ذلك فآثرنا الاختصار الشديد.

الكونغرس الحزبي الأول ١٩٤٤:

عقد الحزب كونفرسه (مؤتمره) الأول في شباط ١٩٤٤ في دار أحد مستخدمي السكك المدعو (علي تركي) القريبة من الشيخ عمر[١]. وألقى فهد تقريراً أمام المؤتمر تناول فيه الوضع الداخلي والنفوذ الأجنبي في العراق وموقف الحكومة العدائي من القوى التقدمية وأوضح أن مطاليب الشعب العراقي هي إنهاء الحرب بالنصر على جيوش الشر، وتحقيق الاستقلال الوطني، والتخفيف من الضائقة الاقتصادية التي خلفتها ظروف الحرب وجشع المحتكرين[٢].

أقر المؤتمر الأول الميثاق الوطني، فدعي بـــ (مؤتمر الميثاق الوطني)[٣].

كما أصدر المؤتمر توصية دعا فيها إلى إيقاظ الجماهير العراقية والطبقة العاملة وتنظيمها والسير معها في نضالها من أجل تحقيق شعار(وطن حر وشعب سعيد) وذلك بالنضال من أجل الحقوق الديمقراطية بقوة وفعالية في الميدانين الوطني والعمالي[٤].

محاولات الوحدة مع جماعة الشرارة:

جرت محاولة للتوحيد مع جماعة الشرارة، فقدمت كتلة الشرارة رسالة إلى جماعة القاعدة شرحت فيها التطورات التي مرت بها الحركة الشيوعية وموقف السلطة منها إذ قامت الشرطة بالقبض (على شيوعي .. قاعدياً كان أو شرارياً أو أمامياً) ودعت الرسالة إلى الوحدة وذلك بتشكيل حزب واحد كبير بدلاً من كتل متفرقة وجماعات مبعثرة هنا وهناك. وتضمنت الرسالة جملة من الشروط لتحقيق الوحدة منها عقد مؤتمر عام ينتخب لجنة مركزية على أن لا تستغرق التمهيدات لعقده أكثر من ستة أشهر تتألف خلالها لجنة مركزية مؤقتة من كلا الطرفين المتحدين بالتساوي وتنتخب هذه اللجنة المؤقتة من بينها المكتب السياسي.

ويصدر الحزب جريدة واحدة تحمل اسماً جديداً، وتؤلف لجنة تحرير للإشراف عليها من كلا الطرفين، ويعد الحزب منهاجاً ونظاماً داخلياً لتحديد صلاحيات التشكيلات والتنظيمات والرتب الحزبية. يكونان نافذين حتى عقد المؤتمر[٥].

---

(١) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج ٤، ص ٧٧٠.
(٢) يوسف سلمان يوسف فهد ـــ قضيتنا الوطنية، (بغداد ـــ دار الفكر الحديث ـــ مطبعة الجامعة) ص ٢٥.
(٣) المصر نفسه.
(٤) الميثاق الوطني والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي (بغداد ١٩٤٥ ص٤).
(٥) م . أ .ع . رسالة مطبوعة من لجنة كتلة الشرارة إلى لجنة كتلة القاعدة، اللجنة المركزية السادسة، سجل رقم ٩٥.

ردت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ببيان موقع من قبل فهد وافقت مبدئياً على قبول طلب الوحدة أي قبول الذين كانوا قد انفصلوا عن الحزب نتيجة لانشقاق عبد الله القريني، لكنها أوضحت أن الشروط التي تقدمت بها كتلة الشرارة غير عملية وليست في مصلحة الحركة ومهددة لسلامة الحزب[١]. كما أصدر فهد ــ نشرة داخلية إلى المنظمين.. أوضح فيها بأن عقد مؤتمر عام ينتخب اللجنة المركزية طلب غير عملي لا يمكن الأخذ به لأسباب داخلية، وانتقد فكرة تأليف لجنة مركزية من كلا الطرفين لأنه يؤدي إلى وجود (منظمتين في حزب واحد، وقيادتين في حزب واحد، وسياستين في حزب واحد)[٢].

كان رد الفعل لدى كتلة الشرارة إزاء فشل مفاوضات الوحدة مع جماعة القاعدة مفاوضة الكتل الشيوعية الأخرى فجرى الاتفاق مع الأماميين وبعض الشيوعيين الآخرين في تشكيل منظمة شيوعية جديدة باسم (وحدة النضال) ــ أيلول ١٩٤٤ ــ أصدرت جريدة بنفس الاسم تصدر باللغتين العربية والكردية واستمرت وحدة النضال في العمل السياسي حتى عام ١٩٤٥[٣].

المؤتمر الوطني الأول ١٩٤٥:

عقد الحزب مؤتمره الوطني الأول في أوائل عام ١٩٤٥، في دار يهودا صديق في الصالحية حضره ممثلون من بعض مناطق القطر[٤]. ودعي هذا المؤتمر. (مؤتمر التنظيم) وعقد تحت شعار (قووا تنظيم حزبكم، قووا تنظيم الحركة الوطنية)[٥].

ألقى فهد في المؤتمر تقريراً حول الوضع العالمي والداخلي، ففي السياسة الخارجية أوضح التقرير أن الحزب الشيوعي يرى في تدخل بريطانيا بشؤون العراق المعترف باستقلاله من قبل بريطانيا نفسها تجاوزا على الاتفاقيات المعقودة بينهما، ويرى في كل تساهل بحقوق الشعب العراقي وسيادته الوطنية نقضاً للمعاهدة العراقية ــ البريطانية وللدستور العراقي، كما نبه التقرير إلى التنافس الاستعماري في البلاد بين الإنكليز والأمريكان. أما في الشؤون الداخلية فأوضح التقرير إن حكومة حمدي الباجه جي أجابت مطلبين من مطاليب المعارضة بإجازة بعض النقابات العمالية وإقامة علاقات دبلوماسية مع

(١) جريدة القاعدة، العدد ٦، السنة الثانية، نيسان ١٩٤٤.
(٢) م. أ . ع . نشرة داخلية إلى المنظمتين .. إلى جميع الرفاق. مطبوعة، اللجنة المركزية السادسة، سجل رقم ٥٩.
(٣) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج٣، ص ٦١٦٦.
(٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٧١.
(٥) يوسف سلمان يوسف ــ فهد ــ قضيتنا الوطنية ــ ص ٥.

الاتحاد السوفيتي، إلا إنها لم تعالج مشكلة التموين و لم تسمح بإجازة الأحزاب السياسية أو إلغاء القوانين الاستثنائية ورفع الرقابة عن الصحف[١].

أقرّ المؤتمر الوطني الأول النظام الداخلي للحزب، وصادق على الميثاق الوطني الذي أقره الكونغرس الأول للحزب عام ١٩٤٤ بعد إجراء بعض التعديلات عليه. وأجريت خلال المؤتمر انتخابات اللجنة المركزية والسكرتير العام حيث انتخب فهد سكرتيراً عاماً للحزب[٢].

ملخص الميثاق الوطني[٣]:

دعا الميثاق الوطني إلى النضال من أجل السيادة الوطنية، وإيجاد حكومة تعمل لمصلحة الشعب وجهاز حكومي ديمقراطي،وحل مشكلة التموين بتوفير المواد الضرورية للشعب وتنمية الاقتصاد الوطني ورفع الإنتاج الزراعي،وتخليص الشعب من شركات الاحتكار الأجنبية، وتوزيع الأراضي على الفلاحين، والدفاع عن مصالح العمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، وإيجاد مساواة حقيقية في الحقوق (للأقلية) الكردية.

أما في السياسة الخارجية فقد دعا الميثاق إلى الصداقة والتعاون مع الشعوب الديمقراطية، وإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي، والتعاون مع (الشعوب) العربية من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية لفلسطين والأقطار العربية المستعمرة والمحمية. وإيجاد علاقات بين منظمات العمال والمثقفين والطلاب في الأقطار العربية، وزيادة التعاون الاقتصادي بينها برفع الحواجز الكمركية وتسهيل وسائط النقل والتبادل التجاري.

التنظيمات الحزبية:

بالنظر لظروف العمل السري فقد اعتمد الحزب قاعدة المركزية الديمقراطية وطبقها بشكل لا يتعارض مع طبيعة العمل السري تخضع فيها البيئات الحزبية السفلى لقرارات الهيئات العليا وتخضع الأقلية لقرارات الأكثرية[٤]. أما الهيئات العليا للحزب فقد تألفت من:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨ ــ ٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ــ ٩ ــ ١٠.
(٣) الميثاق الوطني والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي (بغداد ١٩٤٥).
(٤) المصدر نفسه، ص١٥ أما منظمات الحزب في تلك الفترة فكانت تتكون من فرعي الحزب الكردي والأرمني، لجنة محلية بغداد وملحقاتها، لجنة المنظمة الجنوبية المؤلفة من ثلاث لجان محلية في ثلاثة ألوية، اللجان التابعة مباشرة للجنة المركزية، اللجان المحلية ومنظمات المدن الممثلة في مؤتمر الحزب الوطني الأول، الأعضاء الحزبيين في الأماكن التي لا توجد فيها منظمات حزبية.

١ــ المؤتمر الوطني للحزب.
٢ــ مؤتمر الحزب (كونغرس).
٣ــ اللجنة المركزية (ولجانها وملحقاتها).
٤ــ المكتب السياسي والسكرتير العام للحزب[١].

أخذ التنظيم الشيوعي السري في العراق يسير بشكل أوسع مما كان عليه من قبل. فانتهز الشيوعيون فرصة إجازة بعض النقابات العمالية والأحزاب السياسية فدفعوا قسماً من أعضائهم إلى طلب تأسيس جمعية باسم (عصبة مكافحة الصهيونية). ودفعوا قسماً آخر لتقديم طلب لتأسيس حزب علني باسم (حزب التحرر الوطني)، ووضعوا له منهاجاً مستعداً في أغلبه من الميثاق الوطني للحزب الشيوعي[٢] إلا أن السلطات لم توافق على إجازته . كما طلب الحزب من أعضائه العمال تقديم طلبات إلى الحكومة بتأليف نقابات لهم ، وقد أجيز عدد من هذه النقابات ، وأسس الحزب (شركة دار الحكمة) للطباعة والنشر فأصبحت هذه المؤسسات العلنية جميعها أوجها لنشاط الحزب الشيوعي السري[٣].

انضمام جماعة وحدة النضال للحزب:

اجتمعت اللجنة المركزية لوحدة النضال في (٢٠ نيسان ١٩٤٥) وقررت الانضمام دون قيد أو شرط إلى الحزب، وأصدرت بياناً حول وحدة الحركة الشيوعية في العراق أعلنت فيه أن مفاوضات جرت مع فهد وجماعة من رفاقه بحثت خلالها الوحدة بحثاً مفصلاً. وأرجعت أهمية الوحدة إلى أن الحركة الشيوعية في العراق مهددة تهديداً مباشراً من قبل الرجعية المحلية والاستعمار ودسائس الانتهازيين والمخربين[٤].

أصدر الحزب بياناً إلى الأعضاء والمرشحين لعضوية الحزب، بمناسبة حل وحدة النضال، أوضح فيه أهمية انضمام جماعة وحدة النضال إلى صفوف الحزب. ودعا أعضاءه إلى مضاعفة النشاط الجماهيري وتقوية الحزب بالعدد والنوع[٥]. والظاهر أن الأعضاء الأكراد في الوحدة اصدروا نشرة تطبع بالرونيو اسمها (شورش ــ الثورة) فسموا بهذا الاسم.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩
(٢) منهاج حزب التحرر الوطني، (بغداد ــ مطبعة الرشيد ــ ١٩٤٦).
(٣) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج ٤ ، ص ٧٧١.
(٤) جريدة القاعدة، العدد ٦، السنة الثالثة، نيسان ١٩٤٥ .
(٥) المصدر السابق.

الدعوة للجبهة الوطنية:

كان الحزب الشيوعي أول من دعا إلى تحقيق الجبهة الوطنية. وقام الحزب من جهة والهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني من جهة ثانية بتوجيه المذكرات إلى الجماعات والأحزاب الوطنية قبل إجازة الأحزاب وبعدها للعمل في سبيل تحقيق الجبهة الوطنية[١].

وأصدرت اللجنة المركزية للحزب بياناً في (أيلول ١٩٤٥) دعت فيه كافة الجماعات الوطنية للاتحاد في جبهة وطنية تعمل من أجل:

١ـــ استكمال استقلال العراق وتعزيز السيادة الوطنية بالقضاء على النفوذ الاستعماري في البلاد، وتعديل المعاهدة العراقية البريطانية ورفع جميع البنود التي تنتقص من الاستقلال والسيادة الوطنية كوجود جيوش وقواعد عسكرية وفرض قبول المستشارين والبعثات الأجنبية.

٢ـــ تطبيق النظام الديمقراطي وضمان الحريات الشعبية وتوسيعها وذلك بالسماح بتأليف الأحزاب وإلغاء الرقابة على الصحف والقوانين الاستثنائية والأحكام العرفية

وقد اختتم بيان اللجنة المركزية بالتأكيد على الجبهة الوطنية باعتبارها سلاح الشعب الوحيد في النضال ضد التكتلات الرجعية، العالمية والداخلية[٢]، واستمر الحزب على التأكيد على أهمية الجبهة الوطنية حتى قيامها في عام (١٩٥٧).

موقف الحزب من الدعوة لإنشاء النقابات العمالية:

اهتم الحزب بالطبقة العاملة باعتباره (حزبها) ولهذا أخذ يدعو في أواخر الحرب العالمية الثانية إلى إنشاء النقابات العمالية، وأوضح أن نقابات العمال بحكم المرحلة التاريخية التي تجتازها الطبقة العاملة العراقية، منظمات وطنية مجاهدة وهي على هذا الاعتبار لابد أن تعتمد على قوى الطبقة العاملة فتعبئ العمال وتزجهم في المعركة ضد سيطرة الشركات الاحتكارية والتدخل الأجنبي الذي يعيق ويمنع الصناعة الوطنية من النمو والتقدم وضد البطالة وأساليب العمل الضارة[٣].

---

(١) حسين محمد الشبيبي، المصدر السابق. ص ٧٣ـــ٨٤.

(٢) جريدة القاعدة، العدد ١٧، السنة الثالثة، أيلول ١٩٤٥

(٣) م . أ . ع . أهمية التنظيم النقابي لطبقتنا العاملة العراقية، مخطوطة بالحبر الأزرق ٣ صفحات. اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم ٦٢.

أما الشروط الأساسية للتنظيم النقابي في نظر الحزب فهي أن يكون التنظيم النقابي لجميع المشاريع الصناعية وأن يعمل لتثبيت النقابات والدفاع عنها والحيلولة دون التفريق بين العمال، ومنع تسرب نفوذ أرباب الأعمال والطبقات المعادية بصورة عامة إلى قيادة الحركة النقابية(١). وعندما ماطلت حكومة حمدي باجه جي في إجازة النقابات دعا فهد العمال إلى تقديم العرائض وتأليف الوفود لمقابلة المسؤولين وتحديد يوم للإضراب يسمونه يوم النقابة(٢).

وضع الحزب خطة للعمل بين العمال تقوم على الأسس التالية:

١ـــ تدريس قانون العمال وملحقاته، ودرس شكوى العمال على أساس هذه الدراسة وعلى أساس ظروفهم المحلية ودفعهم للمطالبة برفع هذه الشكاوي بكتابة عرائض جماعية لهم، وبرسائل عن هذه الشكاوي إلى جريدة الحزب، وتقديم صور مما يقدمونه من عرائض إلى كافة الصحف المحلية، وتنظيم إضرابات لهم في حالة عدم استجابة مطاليبهم.

٢ـــ تدريس نظام النقابة، تهيئة أناس لتقديم طلب تأسيس نقابة، تأليف وفود للمطالبة، الانتباه إلى العناصر المخربة المثبطة وفضحها، معرفة الأشخاص الطيبين الأذكياء في تلك الحرفة وتكريس وقت لتثقيفهم تثقيفاً يؤهلهم أن يكونوا كادراً نقابياً.

٣ـــ التعرف والاتصال الدائمي مع العمال الذين قدموا طلبات لتأليف نقابة ومساعدتهم وإرشادهم.

٤ـــ العمل على تثقيف العمال الثقافية الثورية والوطنية بصورة مباشرة وغير مباشرة، نقل الأدبيات الثورية إليهم، تشكيل صفوف (لا حزبية) لتثقيفهم بالثقافة العامة وغيرها(٣).

كما أصدر الحزب نشرة بعنوان (صوت العمال ـــ نشرة عمالية داخلية) وقد دعت النشرة العمال إلى النضال ضد الإرهاب ومن أجل حرية التنظيم النقابي لكافة العمال(٤).

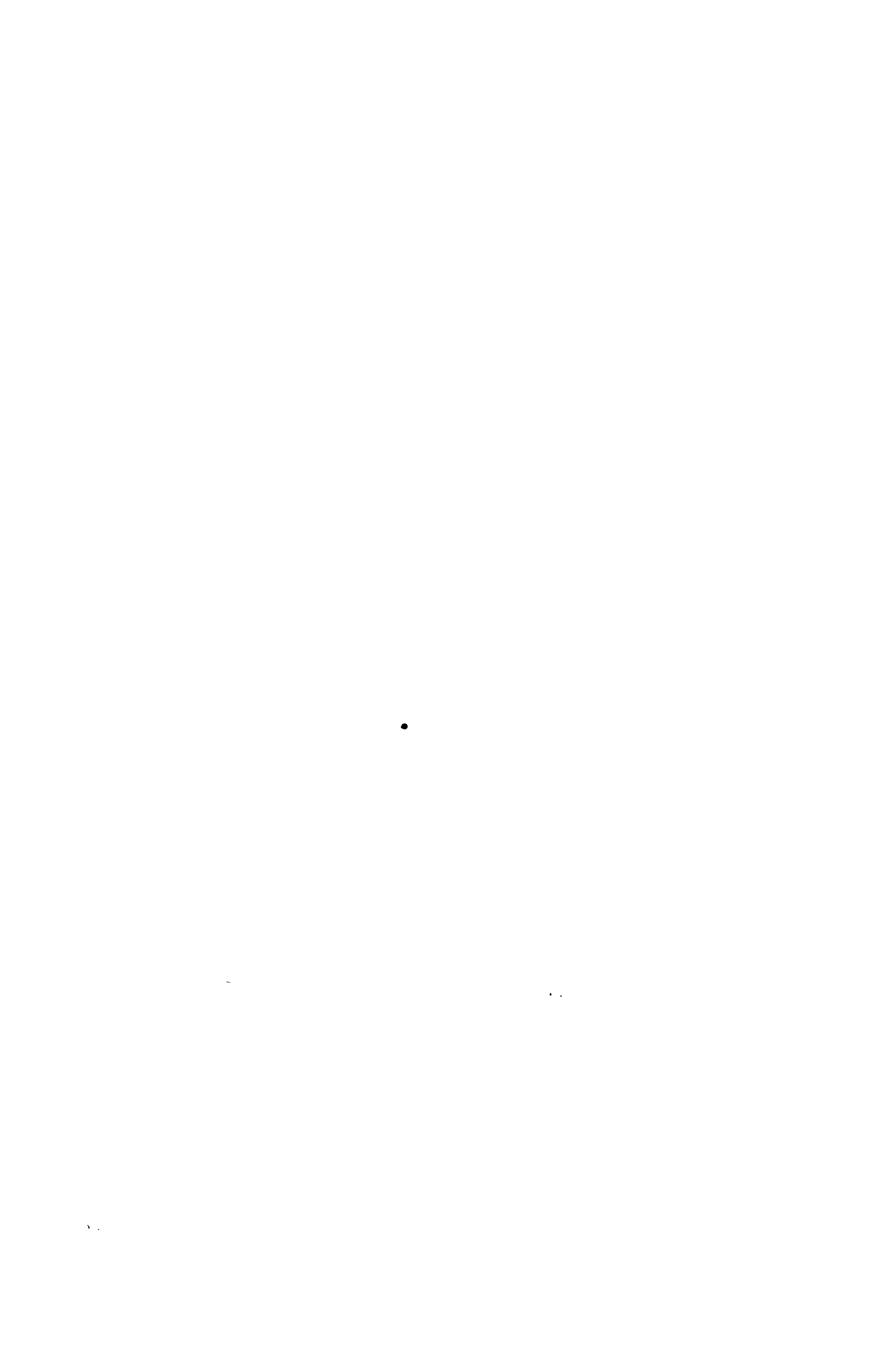
---

(١) جريدة القاعدة، العدد ١١، السنة الثانية، أيلول ١٩٤٤

(٢) جريدة القاعدة، العددان ٤ و ٥، السنة الثانية، آذار ١٩٤٤.

(٣) م . أ . ع . العمل بين العمال ـــ مخطوطة بقلم القوبيا، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢).

(٤) م . أ . ع . صوت العمال ، نشرة عمالية داخلية، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢٦) وقد تضمن العدد الأول الموضوعات التالية:
١ـــ أهمية التنظيم النقابي لطبقتا العاملة العراقية
٢ـــ الأجور ـــ مقال اقتصادي لماركس.
٣ـــ توم مان ـــ من قادة الحركة العمالية الأممية.
٤ـــ عمال العالم ـــ أخبار وتعليقات





العراقية ــ البريطانية، ووضع حد لمناورات بريطانيا الرامية إلى إيجاد تكتلات باسم (اتحاد العراق وشرق الأردن) و (سوريا الكبرى) وبعث (ميثاق سعد آباد)[١].

شهد الحزب نهوضاً كبيراً في عهد الوزارة السويدية فقد أجيزت عصبة مكافحة الصهيونية وقامت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني بنشاط سياسي وفكري واسع، وساند الحزب نقابات العمال والإضرابات العمالية فأصدر البيانات لتأييد إضراب عمال السكك الحديدية، واعتبر الحزب إضراب عمال السكك في (٢٨ شباط ١٩٤٦)، " معركة وطنية ضد إدارة بريطانية استعمارية عاتية تسيطر على أهم مشروع وطني عراقي وتسخر الجهاز الحكومي وخصوصاً الشرطة لضرب حركة العمال والحركة الوطنية "[٢] ودعا في بيان آخر الشعب العراقي إلى الوقوف بجانب عمال السكك " المشتبكين في معركة وطنية عمالية"[٣].

أما في مجال النشر العلني فنشطت دار الحكمة في إصدار جملة من الكراريس لتوضيح الماركسية ــ اللينينية، فنشرت سلسلة كراريس بعنوان رسائل التحرر والعصبة، وساهم فهد في كتابة المقالات الافتتاحية لجريدة العصبة التي جمعت في كراس "نحن نكافح في سبيل من؟ وضد من نكافح" (بغداد ــ مطبعة دار الحكمة ــ ١٩٤٦.

موقف الحزب من وزارة أرشد العمري:

بدأ أرشد العمري في أوائل أيام تشكيل الوزارة بشن حملة واسعة على الحزب الشيوعي العراقي ورابطة الشيوعيين العراقيين والمنظمات الشيوعية العلنية (العصبة والهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني) فعطل جريدة العصبة في (٦ حزيران) وأوقف أبرز قادتها. وطلبت وزارة الداخلية إلى رئاسة الادعاء العام في (٦ حزيران) إقامة الدعوى على مؤسسي حزب التحرر الوطني لممارسة العمل دون الحصول على إجازة وإخلاله بالأمن العام[٤]، وأوقف أعضاء الهيئة المؤسسة.

---

(١) جريدة القاعدة، العدد ٧، السنة الرابعة، ١ آذار ١٩٤٦.

(٢) م . د . بيان الحزب الشيوعي العراقي إلى عمال السكك الحديدية، مطبوع، موقع من قبل فهد عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ومؤرخ في ٢٨ شباط ١٩٤٦، ملفة " إضراب عمال السكك الحديدية " المرقمة ١٧ / بغداد/١٦.

(٣) م . د . بيان الحزب الشيوعية العراقي إلى عمال العراق ــ إلى الشعب العراقي، مطبوع، موقع من قبل فهد عن الحزب الشيوعي العراقي مؤرخ في ١ آذار ١٩٤٦، الملفة نفسها.

(٤) م . د . كتاب وزارة الداخلية الموجه إلى رئاسة الإدعاء العام المرقم ١٥٥٢ في ٦ حزيران ١٩٤٦، ملفة بعنوان " حزب التحرر الوطني" المرقمة ١٠٩/٤١.

قابل الشيوعيون مواقف وزارة أرشد العمري هذه بشن حملة عنيفة عليه فوصف بـ (فرانكو العراق) وقالت جريدة العمل ـ لسان رابطة الشيوعيون العراقيون: (إن فرانكو العراق منذ أن وضع أمين عاصمة لندن الطوق الاستعماري في عنقه باسم (قلادة لندن) تسجل كشرطي أول لحماية قلعة الاستعمار ومؤامراته في العراق خاصة وفي البلاد العربية عامة...)[١].

قام الشيوعيون بمظاهرات متعددة للمطالبة بإعادة جريدة العصبة المعطلة وبإطلاق الموقوفين من أعضاء العصبة والتحرر وكانت أعنف المظاهرات التي قادها الشيوعيون مظاهرة (٢٨ حزيران). وساند الحزب إضراب عمال النفط في كركوك واستنكر مذبحة كاورباغي التي اعتبرها انتصاراً رائعاً وأنها (منبع إلهام طبقتنا العاملة في العراق للسير بالنضال الدامي الثوري .. إنها أول أيار لطبقتنا العاملة في العراق وكفى)[٢]. وتظاهر الشيوعيون استنكاراً لإنزال قوات بريطانية جديدة في البصرة في (٩ أيلول ١٩٤٦) ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها العبارات التالية:

١ـ نزول قوات إنكليزية جديدة في البصرة اعتداء على سيادتنا وامتهان لكرامتنا، نريد الجلاء عاجلا.

٢ـ نطالب بتأسيس دولة عربية ديمقراطية مستقلة في فلسطين.

٣ـ نريد الاعتراف بعصبة مكافحة الصهيونية، نريد وقف الإرهاب ضد قادتها ومتنسبيها.

٤ـ ليسقط الإرهاب ضد النقابات، نريد الاعتراف بنقابة عمال السكك والبناء والنفط.

فقامت الشرطة بتفريق المتظاهرين واعتقال (٢٩) شخصاً من بينهم مكرم الطالباني ـ طالب حقوق ـ وفرات محمد مهدي الجواهري ـ طالب ثانوية الكرخ[٣].

اعتقال فهد ومحاكمته:

عندما شكل نوري السعيد وزارته التاسعة بعث حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي للحزب ـ وكان موقوفاً في الموقف العام، مذكرة في (٢١ كانون الأول ١٩٤٦) عن الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني أدان فيها الأساليب اللاديمقراطية

---

(١) جريدة العمل ، العددان ٩ و ١٠، آب و أيلول ١٩٤٦.

(٢) م . أ . ع . من رد نافع يونس عضو اللجنة المركزية والمسؤول الأول عن كركوك على أسئلة بعض الرفاق، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢٦).

(٣) م . د . كتاب شرطة بغداد المرقم س ٨٢٨ في ١٠ أيلول ١٩٤٦ ملفة بعنوان (المظاهرات والإضراب (، المرقمة ١٧ / بغداد /١ ق٤.

واللاوطنية التي تسير عليها الوزارة. وأوضح أن هذه الإجراءات ما هي إلا استمرار على الخطط المرسومة لمقاومة حركة الشعب الوطنية ومصادرة حرياته الديمقراطية لحمله على السكوت تجاه ما يراد به، ودعت المذكرة الجهات المسؤولة إلى الكف عن هذه الإجراءات وإطلاق الحريات[١].

كان رد حكومة نوري السعيد على هذه المذكرة القيام باعتقال فهد في (١٨ كانون الثاني ١٩٤٧) وعدد آخر من الشيوعيين فكتبت جريدة القاعدة مقالاً بعنوان (مغزى الهجوم الرجعي ضد العناصر الديمقراطية) جاء فيه (منذ خمسة أشهر تقريباً قامت الشرطة العراقية بغارات متكررة كان من نتائجها أن ألقت القبض على الرفيق فهد قائد الحزب الشيوعي العراقي وعلى عناصر وطنية بعضها من مؤسسي حزب التحرر الوطني ومن عصبة مكافحة الصهيونية ومن عمال نقابيين بينهم علي شكر رئيس نقابة عمال السكك وبعضها عناصر لا صبغة لها ومن بعض منتسبي الأحزاب المجازة) وأوضحت الجريدة أن السبب في حملة الحكومة هذه (إنها كانت تخشى عرقلة الحزب الشيوعي للمشاريع الاستعمارية ومنها معاهدة اتحاد العراق وشرق الأردن والمعاهدة التركية العراقية)[٢].

أجرت السلطات الحكومية محاكمة فهد والشيوعيين الآخرين، وأصدرت في (٢٤ حزيران ١٩٤٧) أحكامها بإعدام فهد وزكي بسيم وحكمت على آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة وبالحبس لمدد مختلفة. فبعث الحزب الشيوعي بمذكرة احتجاجية إلى الوصي ـــ أرسل نسخاً منها إلى رؤساء الدول الكبرى بواسطة سفرائهم في بغداد وإلى سكرتير منظمة الأمم المتحدة و رؤساء الحكومات العربية ورؤساء الأحزاب فيها وإلى رئيسي مجلس النواب والأعيان ـــ أوضح فيها أن الحزب الشيوعي في عمله لتحقيق أهدافه لم يتعد خوض الكفاح في سبيل الحريات الديمقراطية وفي سبيل تنفيذ الحقوق التي أقرها الدستور العراقي وفي جعل استقلال القطر حقيقة واقعة، كما أوضحت المذكرة أن الحزب الشيوعي لا يريد تغيير نظام الحكم والمبادئ والأوضاع السياسية للهيئة الاجتماعية، بل على العكس يريد تثبيت نظام الحكم الديمقراطي النيابي. وطالبت المذكرة رؤساء الدول التوسط لدى الحكومة العراقية لإلغاء حكم الإعدام على فهد والشيوعيين الآخرين الذين معه[٣].

---

(١) م . د . نص العريضة المقدمة من حسين محمد الشبيبي إلى وزير الداخلية ، والمؤرخة في ٢١كانون الأول ١٩٤٦، ملفة بعنوان (حزب التحرر الوطني (المرقمة ١٠٩/٤١.

(٢) جريدة القاعدة، العدد ٣ السنة ٥ ،حزيران ١٩٤٧.

(٣) م. أ . ع . مذكرة مطبوعة، مؤرخة في ٢٧ حزيران ١٩٤٧، اللجنة المركزية الثالثة سجل رقم (٤٤).

كما نظمت المنظمات الشيوعية في الوطن العربي والعالم حملة واسعة لاستنكار هذه الأحكام من قبل الرأي العام العربي والعالمي فقامت حكومة صالح جبر بتخفيض الأحكام في (٢٣ تموز ١٩٤٧) على فهد من الإعدام إلى السجن لمدة (٢٠) سنة وعلى زكي بسيم لمدة (١٥) سنة[1].



يوسف سلمان – فهد في الثامنة عشرة مع ابنة الياس حداد عام ١٩١٩

فهد في زنزانة الاعدام عام ١٩٤٧

موقف الحزب من معاهدة بورتسموث:

ساهم الحزب الشيوعي ومنظماته الطلابية بنشاط واسع في المظاهرات التي أدت إلى إسقاط وزارة صالح جبر، وكان الحزب قد دعا إلى إنشاء جبهة يسارية باسم (لجنة التعاون الوطني) ضمت بالإضافة إلى الحزب الشيوعي، حزب الشعب والجناح التقدمي للحزب الوطني الديمقراطي وبارتي ديمقراطي كورد عراق وقد شكلت هذه اللجنة في (تشرين الأول ١٩٤٧) واشتركت فعلياً في إحداث الوثبة وانتخبت كامل قزانجي لقيادة

---

(١) فيد جينكو، المصدر السابق، بالروسية ، ص ١١٩.

كافة المظاهرة في (كانون الثاني ١٩٤٨). وقد ضمت اللجنة بالإضافة إلى الرئيس كامل قزانجي كلا من عبد الستار الزبير، عبد الحسين جواد الغالب، عبد الرحيم شريف، عبد القادر رشيد.

استطاع الشيوعيون رفع شعارات ثورية وأممية ففي مظاهرة يوم ٢٣ كانون الثاني ألقى كامل قزانجي خطاباً قال فيه : (أعلنوها ثورة شعبية كبرى وناضلوا في سبيل إصلاح هذا الوضع حتى تؤلف حكومة شعبية تمثل هذه الطبقات)[١] مشيراً إلى العمال. وقد رفع الشيوعيون في هذه المظاهرة شعارات، حل المجلس النيابي، تشكيل وزارة شعبية جديدة تمثل الأحزاب، جلاء جميع القوات البريطانية عن العراق حالاً، إعادة فتح الأحزاب والنقابات في جميع أنحاء العراق، وكانوا يهتفون بالهتافات التالية: (نريد إطلاق سراح الزعيم " فهد " وأسود الكوت). نريد حكومة جماهيرية، نريد فهد ليكون لينين العراق، نريد حكومة جمهورية، يحيا رفيقنا الأول ستالين)[٢].

استمر الشيوعيون في مظاهراتهم وكانوا يعتبرون بيان الوصي عن المعاهدة وسيلة من وسائل تخدير الأعصاب وإسكات الناس لهذا فقد دعوا الجماهير إلى مواصلة التظاهر حتى تستقيل الوزارة أو تقال ويعلن عن إلغاء المعاهدة الجديدة والقديمة إلغاء تاماً[٣]. وقد استمروا في نشاطهم وفعالياتهم حتى بعد استقالة صالح جبر وتشكيل وزارة محمد الصدر كما استمرت الإضرابات العمالية المتعددة إلى بداية الحرب الفلسطينية وإعلان الأحكام العرفية.

الموقف من الحرب الفلسطينية:

تغير موقف الحزب من القضية الفلسطينية تغيراً جوهرياً فبعد أن كان الحزب ينادي بفلسطين عربية ديمقراطية مستقلة أيد مشروع التقسيم ودعا إلى تأليف دولة مستقلة في القسم العربي من فلسطين والاعتراف بدولة إسرائيل)[٤] فاتهم الحزب بأنه يتبع سياسة موسكو اتجاه فلسطين، وكان الاتحاد السوفيتي قد أيد مشروع التقسيم واعترف بإسرائيل، فرد الحزب على هذا بقوله: (وإذا كانت سياستنا هذه مطابقة لسياسة الاتحاد السوفيتي

(١) م . د . كتاب التحقيقات الجنائية المرقم س ٢٦٦ في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٨، ملفة بعنوان (المظاهرات والإضراب) المرقمة ١٧/بغداد/١ق ٤.

(٢) م . د . كتاب شرطة بغداد المرقم س ٦٨ في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨، الملفة السابقة.

(٣) م . د . كتاب التحقيقات الجنائية المرقم س ٢٦٦ في ٢٤ كانون الثاني، الملفة نفسها.

(٤) م . أ . ع . الرد على عزيز شريف ، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢٧(.

فالذنب ليس ذنبه أو ذنبنا أنه الواقع أو الاستراتيجية العلمية الماركسية ـــ اللينينية التي تنير الطريق لكل مناضل ضد الاستعمار فكل من سار عليها وجد نفسه في عين الموقف مع الآخرين السائرين عليها..)[١].

نظر الحزب إلى الحرب الفلسطينية على أنها (لعبة أطفال بالنسبة إلى الحرب الاستعمارية الكبرى .. وهي ميدان تدريب الجيوش العربية التي لم تمارس من قبل القتال مع جيش حديث التدريب والتسليح كالجيش اليهودي. ويريد الاستعماريون تجربة أبنائنا في القتال الدموي الحديث الطراز خارج أقطارهم ليعودهم على (الخدمة السفرية) كما يصطلح العسكريون، تمهيداً لزجهم في ميدان يفتحه الاستعمار فيما بعد)[٢].

كما أوضح الحزب (إن السكوت عن جريمة الحرب الفلسطينية أكبر خدمة يمكن تقديمها للاستعمار في هذا اليوم. وواجب كل وطني حقيقي اليوم هو المطالبة بوضع حد لهذه الجريمة الكبرى وإنهائها فوراً، على أساس استقلال العرب واليهود التام وتقرير مصير الشعبين بنفسهما كل في القسم الخاص به من فلسطين)[٣].

وكان موقف الحزب من اليهود في فلسطين يقوم على أساس (أن يهود فلسطين ليسوا أقلية طائفية بل إنهم قومية تختلف عن القومية العربية في اللغة والمركب النفسي التاريخي بثقافة خاصة وتؤلف أكثرية في قسم معين من فلسطين لها فيه حياة اقتصادية مشتركة زراعية صناعية تجارية .. الخ)[٤]. وأوضح (أن دولة إسرائيل ليست حكومة فقط، بل شعب وأرض، وقد تكون حكومتها رجعية شأنها شأن الحكومات العربية التي تحاربها (والحقيقة أنها أقل رجعية من هذه) ولكن هذا لا يعني أن دولة إسرائيل رجعية كدولة إسبانيا الفرانكية مثلاً، ففي إسرائيل أحزاب ونقابات عمال ومزارعين ومجلس تمثيلي نيابي (الوكالة اليهودية) وستنتخب مجلس تأسيسي، وفيها حزب شيوعي علني عربي يهودي يجاهر علناً بضرورة تأسيس دولة ثنائية عربية يهودية في عموم فلسطين الأمر الذي تعارضه الصهيونية والرجعية العربية على السواء)[٥].

---

(١) م . أ . ع . سياستنا وموقفنا تجاه القضية الفلسطينية في الوقت الحاضر ـــ محفوظة بقلم القوبيا ـــ اللجنة المركزية الرابعة، سجل رقم (٤٧).
(٢) م . أ . ع . حلقة جديدة في سلسلة قديمة ، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢٧).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) م . أ . ع . الرد على عزيز شريف، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثانية، سجل رقم (٢٧).
(٥) المصدر نفسه.

إن هذا الموقف من القضية الفلسطينية لم ينفرد به الحزب الشيوعي العراقي فقط وإنما وقفته الأحزاب الشيوعية الأخرى في الوطن العربي، فقد كتبت جريدة نضال الشعب ــ تصدرها هيئة مشتركة من الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني ــ تقول: (إن الحرب الفلسطينية كلها لم تكن سوى مؤامرة فظيعة ووسيلة مجرمة لتسليم فلسطين إلى الإنكليز والأمريكان والصهيونية والملك عبد الله يمزقونها ويتقاسمونها كما يشاؤون على أشلاء عرب فلسطين وألوف الشباب والجنود في كل قطر عربي)[١].

والواقع إن مواقف الأحزاب الشيوعية العربية اتجاه القضية الفلسطينية. أدت إلى تداعي هذه الأحزاب التي لم تصمد للقمع الشديد الذي أصابها في العراق ومصر وكذلك في سوريا ولبنان[٢]. وهيأت هذه المواقف الفرصة أمام السلطات الحاكمة للانفراد بالأحزاب الشيوعية بعد أن عزلتها مواقفها عن الرأي العام الذي كان متحمساً للقضية الفلسطينية.

الموقف الحكومي من الحزب عام ١٩٤٨:

توسعت تنظيمات الحزب في أوائل عام ١٩٤٨، وحاول إيجاد منظمة حزبية للعراقيين في الكويت. ولكن ذلك لم يتم بسبب الظروف الجديدة بعد إعلان الأحكام العرفية وبقيت العلاقة مقتصرة على إيصال النشرات فقط[٣] وتمكن الحزب من إصدار جريدة علنية باسم (الأساس) لصاحبها شريف الشيخ المحامي التي سرعان ما عطلت.

واجه الحزب ظروفاً جديدة نشأت من إعلان الحرب الفلسطينية وإعلان الأحكام العرفية، فبدأت السلطة بتصفية العناصر الشيوعية ساعدها على ذلك موقف الشيوعيين من الحرب الفلسطينية الذي أثار الرأي العام ضدهم. وبدأت حملة اعتقالات واسعة، ففي ليلة (١٦ ــ ١٧ أيلول ١٩٤٨) ألقت الشرطة القبض على (٤١) شخصاً من أصل (٥٩) شخصاً طلب قائد القوات العسكرية اعتقالهم وفي صباح اليوم التالي (١٧ أيلول) قامت مظاهرة في الكاظمية وكان المتظاهرون يهتفون بهتافات مختلفة منها لا معاهدات استعمارية ــ لا مؤامرات نطالب بالجلاء والحرية والاستقلال فقمعت الشرطة المظاهرة بالقوة واعتقلت (٩٠) شخصاً من المتظاهرين[٤]. وفي يوم (٢٦ تشرين الأول) خرجت مظاهرة

---

(١) جريدة نضال الشعب، تصدرها هيئة مشتركة من الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني، العدد ٣٦، أيلول ١٩٤٨

(٢) إلياس مرقص، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، (بيروت ــ دار الطليعة ــ ١٩٦٤ (، ص ٦٦.

(٣) م . أ . ع . تقرير بالحبر الأزرق عن عمل الحزب.

(٤) م . د . كتاب شرطة بغداد المرقم ١٤٨٦ في ١٨ أيلول ١٩٤٨، ملفة (المظاهرات والإضراب (مرقمة ١٧/بغداد/ ١ ق ٤.

أخرى فألقت الشرطة القبض فيها على (١٧) شخصاً وعلى صاحب فندق الفرح في الحيدر خانة وعماله بتهمة التستر على المتظاهرين[١]، وحدثت مظاهرة أخرى في (٥ تشرين الثاني) ألقت الشرطة فيها القبض على (٥٨) شخصاً[٢].

إن مواقف الحكومة التي أدت إلى اعتقال قيادة الحزب وأعضائه النشطين دفعت الحزب إلى اتخاذ خطة (التراجع المنظم) وأوضح الحزب أن المقصود بالتراجع المنظم (ليس (الهزيمة) أو (رفع الأيدي) كما فعلت الأحزاب البرجوازية الحرة، إذ حلت نفسها، بل المراد به تنظيم الهجوم وتركيزه في جهة أخرى تعتبر أساسية الآن، وهي الجبهة الداخلية، داخل الحزب، تحت شعار سيادة النظرية الماركسية ـــ اللينينية على كل نشاط وقرارات الحزب، وتثقيف أعضاء الحزب بعناية تامة، على ضوئها،وبالأدبيات الثورية اللازمة[٣]. (إن التراجع المنظم لا يعني أن ننفصل عن الجماهير وعن الطبقة العاملة. وعن تنظيمها طبقياً ونقابياً)[٤]. (إن التراجع المنظم يعني عملياً إيقاف جميع الأعمال الإيجابية ذات القياس الواسع ـــ العرائض الإجماعية، والوفود، والمظاهرات والإضرابات الخ. على أن هذا لا يعني لأننا لا نقوم بهجوم معين، في جهة معينة ولقضية معينة، إن خطة التراجع المنظم تتناول بالأساس توجيه قوى الحزب، على الأكثر، إلى البناء النظري والتنظيمي ..)[٥].

وأصدر الحزب تعليمات مشددة إلى أعضائه دعاهم فيها إلى التهيؤ لمواجهة هجمات وغارات عنيفة من قبل الاستعمار وطالبهم بالثبات والوقوف ضد التعذيب والإرهاب والإغراء[٦]. وأن لا يسلم أي عضو من الأعضاء نفسه إلا بعد أخذ موافقة الحزب، ومنع الحزب أعضاءه من السفر إلى خارج محل عملهم الحزبي إلا بعد إخبار الحزب وأخذ الموافقة[٧].

إن الظروف الجديدة التي مر بها القطر دفعت الحزب إلى تجديد الدعوة للجبهة الوطنية مع جميع الجماعات السياسية الأخرى من الديمقراطيين والقوميين وأوضح أن النقاط

---

(١) م . د . كتاب شرطة بغداد المرقم ١٨١٨ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٨، الملفة نفسها.
(٢) م . د . كتاب شرطة بغداد المرقم ١٨٩٩ في ٦ تشرين الثاني ١٩٤٨، الملفة نفسها.
(٣) م . أ . ع . خطة التراجع المنظم ، مؤرخة في ١٥ كانون الأول، مخطوطة بالحبر الأسود، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم ٢٣.
(٤) م . أ . ع . تقرير مخطوط بقلم القوبيا، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم ٢٢.
(٥) م . أ . ع . خطة التراجع المنظم ، المصدر السابق.
(٦) م . أ . ع . نشرة داخلية تنظيمية بعنوان ـــ واجبات وتوصيات إلى جميع الأعضاء والمنظمين، مؤرخة ٣ كانون الأول ١٩٤٨، مخطوطة بالكاربون الأسود، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم ٣٢.
(٧) م . أ . ع . تعليمات وتوصيات إلى كافة المسؤولين بمخطوطة بالقوبيا، اللجنة المركزية الثالثة سجل رقم ٣٢.

الأساسية التي تدعو وتعمل بها الجبهة هي: ١ــ إسقاط وزارة مزاحم الباجه جي وإقامة حكومة ديمقراطية شعبية.

٢ــ إجلاء القوات الاستعمارية مدنياً وعسكرياً، وإلغاء جميع المعاهدات والاتفاقيات والتكتلات الاستعمارية.

٣ــ إلغاء المجالس العرفية، وإطلاق سراح جميع المسجونين والمبعدين والموقوفين السياسيين والبرزانيين ، وإطلاق الحريات الديمقراطية بما فيها حرية القول والنشر والاجتماع والتنظيم والإضراب والتظاهر لجميع الطبقات الاجتماعية.

٤ــ محاربة النعرات والفتن العنصرية والطائفية وصيانة الأخوة بين مختلف القوميات والطوائف[١].

إعادة محاكمة فهد وإعدامه:

نقل فهد وجماعته من سجن الكوت إلى أبو غريب في كانون الأول ١٩٤٨، فأصدر الحزب نداء أوضح فيه أن نقل المسجونين إلى أبي غريب هو خطة لإعادة محاكمتهم وإعدامهم وطالب أعضاءه بالتفاني في سبيل إنقاذ حياة فهد والدفاع عن منظمات الحزب وفلسفته وشعاراته[٢]. وفي هذه الفترة تولى الحكم نوري السعيد (٦ كانون الثاني ١٩٤٩) فواصل العمل من أجل إعادة محاكمة فهد ورفاقه بتهمة إدارة التنظيمات الشيوعية من داخل سجن الكوت والدعوة إلى الثورة المسلحة.

إن إعادة محاكمة فهد دفعت الحزب إلى السير في سياسة يسارية متطرفة فدعا إلى تبديل (كيفي في الحكم والمجتمع) وإلى (وثبة تحررية ظافرة حاسمة)[٣] كما أصدر الحزب في (٢٣ كانون الثاني ١٩٤٩) تعليمات إلى جميع الألوية تضمنت ما يلي:

١ــ تشكيل خلايا عمالية (صرفة) مفصولة تنظيمياً عن بقية العناصر، وتوكل مهمة تنظيمهم إلى خير ة العناصر، على أن تكون خالية من النفسية البرجوازية.

٢ــ دفع جميع الأعضاء من الطلاب إلى بث الوعي السياسي الثوري بين جماهير الطلاب، بالخطابات وغيرها، بصورة إجماعية مكشوفة، ومحاسبتهم

---

(١) م . أ . ع . بيان مخطوط بالكاربون الأزرق، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم ٣٢.

(٢) م . أ . ع . نشرة داخلية ــ نداء خطير إلى الجميع ــ مؤرخة في ٢ كانون الأول ١٩٤٨،مخطوطة بقلم القوبيا، اللجنة المركزية الثالثة، سجل ٣٢.

(٣) م . أ . ع . تعليمات وتوصيات إلى كافة الأعضاء ــ مخطوطة.

٣ــ تشكيل (لجان فلاحية ثورية) من العناصر البروليتارية أو الفلاحين المعدمين، على أن يسند إليها أمر قيادة بقية الفلاحين.

٤ــ رفع شعار (أرادوها حرب إبادة، فلتكن حرب إبادة) وتطبيقه بكل صرامة وشدة[١].

رفع الحزب شعار الدعوة إلى تشكيل (جهة بروليتارية ثورية) تضم بعض الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي (العراقي، السوري، اللبناني، الفلسطيني الموحد) تكون نواة لجبهة واسعة تضم جميع أقطار الشرق الأوسط، وفي رسالة بعثها الحزب في (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٩) إلى اللجنة المركزية للحزبين الشيوعيين السوري واللبناني أوضح فيها أن هدف الجبهة إنجاز (الثورة الديمقراطية البرجوازية التي تمر بها جميع هذه الأقطار على وجه الإطلاق ، التي هي جزء أساسي وجوهري، وخطوة أولى لا بد منها، في سبيل الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا)[٢].

وبمناسبة الذكرى الأولى لوثبة كانون ١٩٤٨ أصدر الحزب بياناً دعا فيه إلى إسقاط وزارة نوري السعيد، وإقامة حكومة ديمقراطية شعبية تعمل على تحقيق أهداف الوثبة، وإلغاء المجالس العرفية، وإطلاق سراح كافة السجناء والموقوفين السياسيين، وإلغاء جميع المعاهدات والاتفاقات والتكتلات الاستعمارية والجلاء التام. ودعا الجماهير إلى (النضال الثوري الجماهيري بجميع وسائله وأشكاله إلى الإضرابات والمظاهرات الاجتماعية السياسية)[٣].

استمرت وزارة نوري السعيد في إعادة محاكمة فهد ورفاقه فأصدر الحزب بياناً جاء فيه (سيروا إلى نحو الأمام مناجزة الخصم واسحقوه، واسحقوا معه الطغاة وحكم الإرهاب الرازح تحت كابوسه شعبنا المجاهد، شقوا حجب النار أمام الجماهير الغفيرة، ردوا ضربات العدو إلى نحره... استبسلوا، اثبتوا للإرهاب .. تذكروا أن بأعناقكم تحرير رفاقنا من الكبير وبقية الرفاق من (حبل المشنقة) بأعناقكم تحرير رفاقنا السجون والتعذيب البربري،

---

(١) م . أ . ع . تعليمات عامة إلى جميع الألوية ، مؤرخة في ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٩. مخطوطة بالحبر السود، اللجنة المركزية الثالثة، سجل٢٣.

(٢) م . أ . ع . رسالة بعثت بها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي إلى اللجنة المركزية للحزبين الشيوعيين السوري واللبناني، مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ ــ مخطوطة بالكاربون الأسود، اللجنة المركزية الثالثة، سجل٣٩.

(٣) م . أ . ع . مخطوطة بقلم القوبيا، مؤرخ في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٩، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم (٣٠).

بأعناقكم تحرير جميع المجتمع من الإرهاب والاستعباد..)[١] كما قدم الحزب مذكرة إلى الوصي وكافة السفارات والمفوضيات العربية والأجنبية في العراق وإلى جميع الأحزاب والهيئات الشعبية في العالم ناشد فيها الضغط على الحكومة العراقية للإقلاع عن فكرتها وإطلاق سراح فهد وجميع المسجونين والموقوفين والمبعدين[٢].

حكم المجلس العرفي العسكري على فهد وزكي بسيم وحسين الشبيبي بالإعدام. وفي صباح يوم (١٤شباط ١٩٤٩) نفذ حكم الإعدام علناً في ساحة المتحف الجديد وبقيت جثثهم معلقة لعدة ساعات، فأصدر الحزب الشيوعي بياناً جاء فيه: (إن هذه المؤامرة السافلة التي فضحها حزبنا الشيوعي منذ بدئها لم تأت عفواً، إنما جاءت نتيجة حتمية للإرهاب الأسود الفاشستي الذي يسود العراق والشرق الأوسط منذ أعلنت الأحكام العرفية والحرب الفلسطينية الاستعمارية)[٣] كما أصدرت اللجنة المركزية حكمها بإعدام مالك سيف ــ مسؤول اللجنة المركزية الثانية الذي اعتقل واعترف اعترافاً كاملاً ــ وجاء في أسباب القرار (إن الخائن الجاسوس مالك سيف قد أباح بجميع ما يعلمه من أسرار الحزب.. اشترك شخصياً في تعذيب الشيوعيين .. قدم شهادة مختلقة.. مما عاون الاستعمار الأنكلو ــ أمريكي، والطبقة الحاكمة الخائنة المجرمة على إيجاد حجة (قانونية) لإصدار وتنفيذ حكم الإعدام بحق رفاقنا الثلاثة)[٤].


يوسف سلمان (فهد)

دى تنفيذ حكم الإعدام إلى ردود فعل في داخل والخارج. ففي الداخل طالب بعض أعضاء الحزب باغتيال نوري السعيد، وانتقد خرون موقف قيادة الحزب الحالية والسابقة لتقصيرها في إنقاذ حياة فهد إذ لم تحاول

) م . أ . ع . هيا إلى الكفاح، بيان مخطوط بقلم القوبيا، اللجنة المركزية اللجنة سجل رقم ٤٣.
) م . أ . ع . مذكرة الحزب الشيوعي العراقي، مخطوطة بقلم القوبيا.
) م . أ . ع . بيان مطبوع، مؤرخ في ١٤ شباط ١٩٤٩، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم (٤٤).
) م . أ . ع . بيان مخطوط بالحبر الأسود، مؤرخ في ١٤ شباط ١٩٤٩

تدبير خطة لهروبه أثناء أحداث الوثبة. كما لام آخرون فهد نفسه لعدم هروبه في الوثبة[١]. وقد أذاع راديو موسكو تعليقاً جاء فيه: (في بغداد عاصمة العراق اقترنت جريمة شنعاء ضد المناضلين من أجل صيانة استقلال العراق وهم قادة الحزب الشيوعي العراقي السياسيين[٢] ..

إعادة تنظيم الحزب:

أصيب الحزب في بداية عام ١٩٤٩ بأخطر انتكاسة تعرضت لها حركته، إذ فقد سكرتيره العام وعضوي المكتب السياسي وأعضاء اللجنة المركزية وعدداً من كادره وأعضائه النشطين من مختلف المستويات، ولم يبق من كادره القديم أحد إذ كانت هذه الفترة فترة تصفية الكادر وتصفية تنظيمات الحزب[٣]. ولكن بعض العناصر الحزبية استطاعت المحافظة على البقية الباقية وكانت بزعامة جاسم الطعان الذي أخذ يعمل باسم (المركز).

انشقت جماعة النجمة في (٢٨ آذار ١٩٤٩) وأصدرت بياناً داخلياً أوضحت فيه أن المركز معدوم وإن وجوده عمل خاطئ في هذه الظروف. وأعلن البيان عن تشكيل هيئة مؤقتة تدير الحزب واتخذت لواء السليمانية مركزاً لنشاطها. وقد ساعد إلقاء القبض على جاسم الطعان في (٥ نيسان ١٩٤٩) واعترافه ، جماعة النجمة في تثبيت مركزهم[٤]. وقد قامت جماعة النجمة بتقسيم المنظمات الشيوعية في العراق إلى ثلاث مناطق حزبية، المنطقة الجنوبية والوسطى والشمالية وقامت بإصدار النشرات الداخلية التي حملت فيها فهد والمكتب السياسي في السجن مسؤولية ظهور الانحرافات والأخطاء والاعترافات التي وقعت في الحزب[٥]. أما جماعة المركز فبعد أن اعتقل جاسم الطعان في (٥ نيسان) انتقلت القيادة إلى حميد عثمان الذي أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن فهد والمكتب السياسي وأصدر جريدة خطية باسم (الصراع) كتب عليها لسان حال العمال، وعليها

(١) م . أ . ع . تقرير مخطوط بالحبر الأزرق عن وقع تنفيذ حكم الإعدام عند الأعضاء. مؤرخ فر ١٦ ــ ١٧ شباط ١٩٤٩ وموقع من قبل سعيد الاسم المستعار لــ نشي يعقوب عبد الله مسؤول العمال. اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم (٤٠)

(٢) م . أ . ع . نشرة ثقافية، العددان ١ و ٢، مخطوطة بالكاربون الأزرق، اللجنة المركزية الثالثة، سجل رقم (٤١).

(٣) نشرة داخلية، توجهات حزبية، (مطبعة القاعدة ــ أوائل نيسان ١٩٥٤ ص ٢٣.

(٤) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، ج ٦، ص ١١٦١.

(٥) م . أ . ع . نشرة داخلية ، ما الذي يجب أن نعمله ــ مؤرخة في ١٩ نيسان ١٩٤٩، مخطوطة بقلم القوبيا ونشرة داخلية ــ لماذا ينبغي أن نبدأ من حديد ت مؤرخة في ٢ حزيران ١٩٤٩ مخطوطة بقلم القوبيا ــ اللجنة المركزية السادسة ، سجل رقم ٥٧.

شعار (أيها العمال اتحدوا). (الإنسان أثمن رأسمال في العالم) وطالبت الجريدة الطبقة العاملة العراقية بأن تلعب دورها في الحركة الوطنية بمقاومة التدخل الاستعماري[١]. ومما ساعد حميد عثمان على البدء في إعادة تنظيم الحزب أن المسجونين الشيوعيين البارزين في السجن المركزي ببغداد قرروا اعتبار جماعة النجمة خونة ومنحرفين عن النظرية الماركسية وجماعة المركز ـــ حميد عثمان ـــ تسير على خطة صحيحة ومخلصة في عملها[٢].

بدأ حميد عثمان العمل بفعالية ونشاط من أجل إعادة تنظيم الحزب، فأصدر المركز خطة عامة في التنظيم دعا فيها إلى وجوب تدريب الكادر وتعبئة القوى لحين توفر الظروف المناسبة وأوضح أن من شروط الكادر (أن يكون منصهراً في الحركة .. إن تتركز جميع صفات الحزب فيه .. أن يكون مثالاً للثورية والقدرة.. ولا يعرف المهادنة والمساومة[٣]. ووضع المركز ميثاقاً للعمل. من أجل إخراج الحزب من الوضعية التي يمر بها إلى وضعية جديدة يستطيع معها ممارسة نشاطه من جديد، تضمن ما يأتي:

١ـــ الاعتراف بجميع الأخطاء والانحرافات علناً، دون تردد أو خوف مع تبيان أسبابها وجذورها والعمل جاهداً الاستفادة منها في الحاضر والمستقبل.

٢ـــ تطهير الحزب من العناصر (المندسة من حمله الأفكار الغربية عن التورتسكيين بشتى إنحرافاتهم) ومن العناصر الاندحارية والذيلية والتوفيقية والثرثارة والخاملة وإبعاد المتأرجحين عن المراكز ذات المسؤولية وطردهم بالمفرد والجملة، ورفع شعار لا هوادة في إبادة العناصر الضعيفة التي لا تقاوم الإرهاب والزنزانات).

٣ـــ رفع نسبة العضوية من العمال وعدم فسح المجال للعناصر غير البروليتارية بإغراق الحزب.

٤ـــ تنمية الثقافة السياسة الثورية والوعي الطبقي ، عند المنظمات على أساس تفهم سياسة فهد وخططه التي وضعها للحزب وتربية كادر حزبي لمختلف الأعمال الحزبية، وجعل هذا الكادر كفوا لتحمل مسؤولية إعادة بناء الحزب وخلق تنظيمات شيوعية مستوفية شروط النظام الداخلي.

(١) م . أ . ع . جريدة الصراع، مخطوطة بالكاربون الأسود، العدد ١، السنة الأولى، حزيران ١٩٤٩.
(٢) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي ، ج ٦، ص ١١٦٤.
(٣) م . أ . ع . نشرة داخلية ـــ خطة عامة في التنظيم ـــ مخطوطة بالكاربون الأسود اللجنة المركزية الخامسة، سجل رقم (٥١).

٥ــ اتباع قاعدة الانتقاد الذاتي والالتفات إلى طلبات الأعضاء وتنمية قابلية المبادأة فيهم وتعويدهم على مراقبة سلوك القيادة ومناقشة سياسة الحزب ومواقفه تجاه الأمور المختلفة.

٦ــ العمل على إيجاد منظمات كفوءة لخلق تنظيمات خاصة بالعمال والفلاحين والشباب والنساء[١].

إعادة المركز تشكيل اللجان المحلية ووضع قواعد جديدة لها. تضمنت ما يأتي:

١ــ الاعتبارات الطبقية والنضوج في الوعي لتكون المادة الأولى التي يسند عليها المسؤول في اختيار أعضاء اللجنة.

٢ــ يجب أن يكون المرشحون ممثلين للمنظمات الحزبية، بعد أن تؤخذ نسبة معينة للتركيب الطبقي للمنظمات.

٣ــ تكون صلاحية مسؤول اللجنة المحلية صلاحية منظم اللجنة المحلية الواردة في النظام الداخلي (المادة ٤٠) التي تنص " يمثل منظم اللجنة المحلية سلطات الحزب العليا وسلطة اللجنة المحلية ضمن حدود منطقته..".

٤ــ منظمو لجان المدن (الأقضية والنواحي) هم أيضاً أعضاء في اللجنة المحلية ومرتبطون مباشرة بمنظم اللجنة المحلية في اللواء[٢].

وقد قرر المركز عدم قبول أعضاء جدد وذلك خوفاً من دخول (عناصر السوء إلى الحزب لأن الظرف الآن لا يمكن قبول أحد إلى الحركة لأنها في جزر وليست في مد)[٣]. وأصدر المركز تعليمات حول كيفية استنساخ النشرات أوضح فيه أن يكون حجم الورقة صغيراً بحيث يسهل قراءتها ضمن كتاب وفي مقهى وأن تكتب بخط واضح وتقابل مع النسخة الأصلية قبل توزيعها، ومن الأفضل استخدام الكاربون الفحمي الأسود) في الكتابة[٤].

وحدد المصادر الثقافية التي يقتصر الاعتماد عليها بما يلي:

أ ــ حزب شيوعي اشتراكية ديمقراطية ــ فهد.

ب ــ خطأ حل الحزب الشيوعي العراقي ــ فهد

(١) م . أ . ع . ميثاق عمل، مخطوط بقلم القوبيا، مؤرخ في ٢ حزيران ١٩٤٩، اللجنة المركزية الخامسة، سجل رقم(٥٢).

(٢) م . أ . ع . حول تشكيل اللجان المحلية، مخطوط بقلم القوبيا ــ اللجنة المركزية الخامسة ، سجل رقم ٥٢.

(٣) م . أ . ع . إلى أعضاء الحزب كافة، مخطوط بالقلم الجاف الوردي، السجل نفسه.

(٤) م . أ . ع . تعليمات حول كيفية استنساخ النشرات، مخطوطة بالكاربون الأسود اللجنة المركزية السادسة، سجل رقم (٥٧).

جـ ـ النظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي.

د ـ النشرات الداخلية التي تصدر باستمرار[١].

اعتقل حميد عثمان في (آب تنظيم ١٩٤٩) بعد أن وضع أسساً جديدة لإعادة تنظيم الحزب، وأعقب اعتقاله ظهور انشقاقات جديدة فظهرت جماعة أطلق عليها (الاتحاد) رفعت شعار (اتحاد الشيوعيين العراقيين تحت قيادة بروليتارية حكيمة، واجب تاريخي مقدس) وقد استطاعت الشرطة القضاء عليها في (١٦تشرين الأول ١٩٤٩)[٢]. كما ظهرت جماعة أخرى باسم (جماعة النضال الجديد) وأصدرت جريدة باسم (النضال) صدر العدد الأول منها في تموز١٩٤٩ وعليها عبارة (لسان الحزب الشيوعي)[٣].

نشاط الحزب ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢:

استطاع بهاء الدين نوري الذي أصبح يمثل المركز، أن يوحد الكتل الشيوعية المختلفة في تنظيم واحد بقيادته، فانحلت جماعة النجمة التي يرأسها أكرم عبد القادر نتيجة للانشقاق الذي حدث في صفوفها وانضمام البقية الباقية إلى المركز، أما جماعة الاتحاد فقد انحلت باعتقال رئيسها كريم الصوفي وانضمام أعضائها إلى المركز أيضاً[٤].

هيأت هذه الظروف أمام بهاء الدين نوري الفرصة للاتصال بالعناصر الشيوعية البارزة من أمثال محمد أمين بابلي الملقب كاكائي فلاح محمد شبر ورشيد حميد العزاوي وعبد القادر عياش وصادق جعفر الفلاح وسركيس بدروس وعطشان ضيول وسالم عطوان وهادي وشريف الشيخ وطالب عبد الجبار وشنور عودة ومحسن على أيوب واختاروا من بينهم لجنة مركزية[٥]. وقد اتبعت اللجنة المركزية السياسة التي سار عليها فهد فطبعت ووزعت النظام الداخلي والميثاق الوطني الذي طبع عام ١٩٤٥. وأصدر الحزب جريدة القاعدة مجدداً وكانت تواريخها وإعدادها تعتبر إمداداً لجريدة القاعدة السابقة[٦].

---

(١) م . أ . ع . نشرة خاصة بالأعضاء، مطبوعة على الآلة الكاتبة مؤرخة في ١٥ نيسان ١٩٤٩، السجل نفسه.

(٢) موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري ج، ٦، ص ١١٦٥.

(٣) جريدة القاعدة ، العدد ١١، السنة ٨، أواسط كانون الثاني ١٩٥١.

(٤) مديرية الشرطة العامة، التحقيقات الجنائية، الشعبة الجنائية، خلاصة التحقيق الجاري في القضية الشيوعية الخاصة بتنظيمات اللجنة السابعة للحزب الشيوعي العراقي السري، (مطبعة التحقيقات الجنائية ـ مايس ١٩٥١)، ص ٢.

(٥) مديرية الأمن العامة في الجمهورية العربية العراقية، الحركة الشيوعية في العراق ١٩٤٩ ـ ١٩٥٨، (بغداد ت أيار ١٩٦٦ (ج ١ص ٩.

(٦) خلاصة التحقيق الجاري في القضية الشيوعية الخاصة بتنظيمات اللجنة السابعة للحزب الشيوعى العراقى السري، ص٢.

العمال
آخرون
الحزب
الهيئة
ت عام
ضر مع
ين عام
ة أحمد
.(١)

مدرت
ستطاع
ن بدار
ب إلى
في آب
باسم

(٣٠)
شؤون
الانكلو
سوريا

المركزية

وعندما ظهرت المحاولات لتحقيق الاتحاد السوري ـــ العراقي في ١٩٥٠ أوضحت جريدة القاعدة أن مشاريع الاتحاد السوري ـــ العراقي وسوريا الكبرى والهلال الخصيب، تستهدف تعزيز كيان الاستعمار البريطاني في الأقطار العربية بإذلال (الشعوب) العربية واستقلال جهودها وثرواتها للشركات الاحتكارية ومحاربة حركاتها الوطنية التحررية بخلق قواعد عسكرية في هذه البلدان لمشعلي الحروب[١].

٢ ـــ أحداث مصر وثورة يوليو ١٩٥٢:

تطورت الأحداث في مصر عام ١٩٥٠ إلى حد التصادم مع الإنكليز في سبيل تحقيق الجلاء، فأصدر الحزب بياناً أيد فيه نال الشعب المصري في سبيل تحرره واستقلاله ودعا المواطنين في العراق والوطن العربي إلى النضال في سبيل جلاء الجيوش عن العراق والأقطار العربية الشقيقة وأوضح إن جلاء هذه الجيوش خطوة كبيرة نحو التحرر والاستقلال، وإن جلاء الجيوش البريطانية عن مصر هو نصر للشعب المصري و (للشعوب) العربية أجمع[٢].

وعندما قامت حركة يوليو ١٩٥٢ وقف الحزب ضد الحركة متهماً إياها بأنها حركة بريطانية أمريكية، فكتبت جريدة القاعدة تقول: (اضطرت الأوساط الإنكليزية ـــ الأمريكية إلى التفكير بخطة جديدة للتخلص من الأزمة التي أوقعها فيها الشعب المصري، فدبرت، بالتعاون مع بعض الخونة العسكريين والمدنيين المصريين الانقلاب العسكري الذي تزعمه محمد نجيب، بأمل أن يمهد هذا الانقلاب لفرض دكتاتورية سافرة سوداء على الشعب المصري ولزج مصر في مشروع (الدفاع عن الشرق الأوسط) الحربي العدواني، وليوطد أقدام المستعمرين في (وادي النيل)[٣]. وقد أظهرت الأحداث اللاحقة التي مرت بها الثورة المصرية خطأ هذا التقدير البعيد عن أهداف هذه الثورة.

موقف الحزب من أحداث إيران:

ساند الحزب الإيراني في نضاله من أجل الإطاحة بالنظام الإمبراطوري وتأييد حكومة مصدق وقرارها بتأميم النفط الإيراني. فأصدر الحزب بياناً أعلن يه وقوفه ضد كل محاولة

---

(١) جريدة القاعدة،مخطوط بالكاربون البنفسجي، العدد ٢.
(٢) جريدة القاعدة، العدد ١٠، السنة ٨، أول كانون الأول ١٩٥٠.
(٣) جريدة القاعدة، العدد ٢٧، السنة العاشرة، أواسط كانون الأول ١٩٥٢.

ترمي إلى استخدام العراق كقاعدة عسكرية لتهديد إيران ودعا جماهير الشعب إلى النضال لاسقاط حكومة السعيد، ولإلغاء امتيازات النفط والتنوير وتأميمها فوراً.

وأعلن الحزب في بيانه بأن قرار التأميم أصبح شعارا شعبياً تسرب إلى أعماق الجماهير العراقية والأقطار الأخرى، وأوضح البيان أن الشعب الإيراني رسم طريق النضال لجملة شعوب اغتصب المستعمرون نفطها، وبين أن نفط إيران ملك لشعبها اغتصبه الاستعمار ويضطهد إلى جانبه آلاف العمال والكادحين ويمص دمائهم،فانتفضت الجماهير الإيرانية وأرغمت بجبروت نضالها الرجعية من على كراسي البرلمان والحكم على النزول لأرادتها في استرجاع النفط من قبضة الغاصبين وتأميمه، فأقر تشريع تأميم النفط في إيران، رغم إرادة الاستعمار والعملاء[1].

الدعوة للجبهة الوطنية:

رحب الحزب باستئناف الحزب الوطني الديمقراطي لنشاطه السياسي وبين (أن الواجب يدعو الوطنيين الطيبين أن ينظموا أنفسهم ويواصلوا نضالهم في سبيل تحرير شعبنا من الاستعباد الاستعماري الإنكليزي)[2]. وعندما شكل نوري السعيد وزارته الحادية عشر (١٦ أيلول ١٩٥٠) بدأ الحزب يدعو إلى التقارب بين الكتل والهيئات الوطنية، فجدد الدعوة للجبهة الوطنية في سبيل إسقاط حكومة نوري السعيد وحل المجلس النيابي وتحسين الأوضاع الاقتصادية[3].

وضع الحزب برنامجاً للجبهة الوطنية المقترحة في (أيلول ١٩٥١) ودعا المنظمات والهيئات الوطنية إلى التعاون ضمن هذا البرنامج الذي تضمن تحقيق المطاليب التالية:

١ـــ إسقاط وزارة نوري السعيد.

٢ـــ توسيع وتعزيز جبهة أنصار السلام في العراق، وإبعاد العراق عن التكتلات والمواثيق العدوانية.

٣ـــ إلغاء امتياز شركات النفط والتنوير ومصادرة ممتلكاتها وتأميمها.

٤ـــ إحباط مشروع الاتحاد العراقي ـــ الأردني.

---

(١) جريدة القاعدة، العدد ١٣، السنة التاسعة، أوائل نيسان ١٩٥٢.

(٢) جريدة القاعدة، مخطوطة بالكاربون الأسود، العدد ٣، السنة الثامنة، نيسان ١٩٥٠

(٣) جريدة القاعدة،العدد ١٢، السنة التاسعة، أ،ائل آذار ١٩٥١.

٥ــ إطلاق بنود الدستور المحبوسة وإطلاق الحريات الديمقراطية بما فيها حرية تأليف الأحزاب والنقابات وإطلاق سراح السجناء والمبعدين السياسيين.

٦ــ إلغاء معاهدة ١٩٣٠ العراقية ـــ البريطانية وجميع المعاهدات والاتفاقات الاستعمارية.

٧ــ إسقاط المجلس النيابي وإجراء انتخابات حرة.

٨ــ مصادرة أراضي الإقطاعيين وتوزيعها هي والراضي الأميرية على الفلاحين.

٩ــ منع تصدير الحنطة والحبوب الأخرى التي لا تزيد عن حاجة الاستهلاك المحلي، وتشجيع الصناعة الوطنية.

١٠ــ حمل الحكومة العراقية على الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية[1].

والظاهر أن هذه الدعوات إلى الجبهة الوطنية لم تلق قبولاً من الأحزاب الأخرى في حينه، واستمرت الجهود حتى قيام الجبهة عام ١٩٥٧.

الحزب في انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢

طالب الحزب بالانتخابات المباشرة ودعا (الشيوعيين والوطنيين المخلصين أن يتعاونوا ويوحدوا صفوفهم للدفاع عن حق الشعب في الانتخابات) وذلك عن طريق:

١ــ إطلاق بنود الدستور والحريات الديمقراطية للشعب.

٢ــ تعديل قانون الانتخابات وجعل الانتخاب بدرجة واحدة وإلغاء دفع المائة دينار من قبل من يرشح نفسه للنيابة.

٣ــ إشراف حكومة وطنية مخلصة على الإنتخابات.

٤ــ منح المرأة حقها في الانتخاب[2].

أصدر الحزب بيانات دعا فيها إلى مقاطعة الانتخابات ورفع شعارات (قاطعوا الانتخابات المزيفة، لا انتخابات حرة في ظل الحكم البوليسي الدكتاتوري، لا انتخابات

---

(١) جريدة القاعدة، العدد ١٦، السنة التاسعة، أواخر أيلول ١٩٥١.

(٢) جريدة القاعدة، العدد ١٨، السنة العاشرة، أواخر آذار ١٩٥٢.

حرة تحت إشراف حكومة لإرهاب والمذابح، فلتسقط حكومة الخائن الجلاد مصطفى العمري، ولتسقط الانتخابات والبرلمانات المزيفة)[١].

ساهم الحزب في مظاهرات انتفاضة تشرين ورفع شعارات حزبية منها (نريد وطناً حراً وشعباً سعيد)، وطالب بإقالة وزارة مصطفى العمري وإطلاق سراح السجناء السياسيين، فاعتقل عدد كبير من أعضائه ومؤيديه[٢]. وفي تحليل الحزب للانتفاضة ارجع أسبابها إلى:(استمرار سياسة النهب والتجويع والإرهاب والمذابح الدموية، تجاهل الحكومات المتعاقبة الخائنة لمطالب الجماهير، استفحال مشكلة الخبز وارتفاع الأسعار، وتوسيع البطالة وخنق الحريات، تسليم بلادنا من قبل الحكام المحليين الخونة إلى المستعمرين الأنكلو ــ أمريكان ليتصرفوا بها كما لو كانوا أسيادها الحقيقيين لينهبوا خيراتها وجهود سكانها الكادحين وينشئوا فيها الثكنات والمطارات الحربية)[٣].



وعندما استقالت وزارة مصطفى العمري وشكل نور الدين محمود وزارته الجديدة في (٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢) التي أعلنت الأحكام العرفية وعطلت الأحزاب واعتقلت بعض قادتها هاجمت جريدة القاعدة الوزارة ووصفت نور الدين محمود بأنه (بطل مهزلة فلسطين) واتهمته بأنه (يريد إقامة دكتاتورية عسكرية بإعلان لأحكام العرفية وإطلاق جواسيس

(١) جريدة القاعدة، العدد ٢٢، السنة العاشرة، أواخر آب ١٩٥٢.

(٢) م . د . تقرير التحقيقات الجنائية المرقم ٦٠٥٦ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢، ملفة بعنوان (مظاهرات ١٩٥٢/١١/٢٢(المرقمة ١٧/بغداد/٣٦.

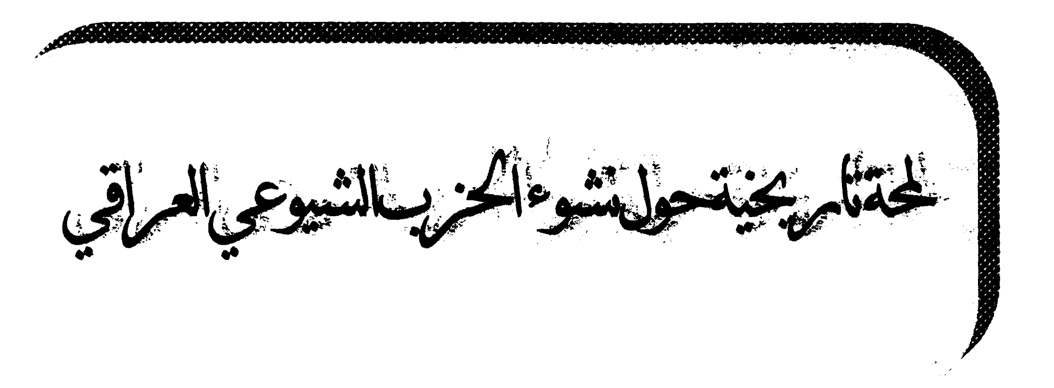
(٣) باسم (بهاء الدين نوري (، تطور الوضع السياسي بعد انتفاضة تشرين ومهمات حزبنا الشيوعي لتطوير النضال الشعبي ولتحقيق أهدافه، جريدة القاعدة، العدد ٢٧، السنة العاشرة، أواسط كانون الأول ١٩٥٢.

الغستابو ضد الجماهير ، واعتقال الألوف من أنصار السلم والشيوعيين والديمقراطيين، وذلك لقمع الحركة الشعبية ولتثبيت النظام الاستعماري الإقطاعي الدكتاتوري)(١).

بعد انتفاضة تشرين واجه الحزب مقاومة عنيفة فقد اعتقل عدد كبير من الشيوعيين وقادتهم، حيث اعتقل بهاء الدين نوري وبعض أعضاء اللجنة المركزية في (١٦ آذار ١٩٥٣)(٢). كما واجه الحزب حركة انشقاقية جديدة،فقد انشق بعض الشيوعيين البارزين في السجن من أمثال جمال الحيدري وعزيز محمد وتبعتهم عناصر خارج السجن وأصدروا جريدة (راية الشغيلة) وهاجموا ما أسموه (الانحراف اليساري) وتعديل ميثاق الحزب وأخذوا يدعون للنضال من أجل تطوير النظام الملكي إلى نظام ديمقراطي(٣). أما جماعة القاعدة التي رفعت شعار إسقاط النظام الملكي والدعوة إلى الجمهورية فقد أصدرت قراراً بطرد راية الشغيلة ووصفتهم بأنهم (وقفوا ضد شعار الجمهورية الذي تبناه الحزب والجماهير بذلك كشفوا عن أنفسهم كخدام للعائلة المالكة ومدافعين عن النظام الملكي الفاشستي..)(٤)، وأعلنت إن انشقاقهم (أكبر خدمة للمستعمرين دعاة الحرب والأمريكان والإنكليز)(٥). استطاع الحزب في عام ١٩٥٦ بقيادة حسين أحمد الرضي ــ سلام عادل ــ من تصفية الكتل الانشقاقية، وعقد الكونغرس الحزبي الثاني في شهر أيلول(٦). وقد ساهم الحزب بعد ذلك في جبهة الاتحاد الوطني التي شكلت في ربيع عام ١٩٥٧ والتي مهدت لقيام ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨).

---

(١) جريدة القاعدة، العدد ٢٦، السنة العاشرة، أواخر تشرين الثاني ١٩٥٢.
(٢) الحركة الشيوعية في العراق ١٩٤٩ ــ ١٩٥٨، ج١، ص ١٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٦.
(٤) جريدة القاعدة، العدد١ ، السنة الحادية عشر، أواخر شباط ١٩٥٣.
(٥) توجيهات حزبية ــ نشرة داخلية (مطبعة القاعدة ــ أوائل نيسان ١٩٥٤)(ص ٣١.
(٦) صفحات مشرقة من تاريخ الحزب، المصدر السابق ، ص ١٦.



• **مالك سيف**

كتب لينين عن أهمية «التضامن البروليتاري الأممي» مع الدولة السوفيتية، وانتقل إلى مرحلة تنفيذ خطته لإقامة تنظيم أممي لشيوعيي العالم عرف باسم «الأممية الثالثة ـــ الشيوعية» الكومنترن الذي عقد مؤتمره الأول في موسكو، في آذار ١٩١٩ بحضور (٥٢) مندوباً عن (٣٥) منظمة من إحدى وعشرين دولة أوربية والولايات المتحدة كما حضره ممثلون عن إيران والصين وكوريا وتركيا[١].

وفي العشرينات بدأ التوجه الشيوعي «الأممي» إلى أقطار الوطن العربي إذ عقد في (باكو) ـــ عاصمة اذربيجان السوفيتية ـــ في الفترة من ١ ـــ ٨ أيلول ١٩٢٠ مؤتمر شعوب الشرق بمبادرة من اللجنة التنفيذية للكومنترن حضره ثلاثة من العرب ـــ شيوعيين ـــ وواحد وأربعين من اليهود الشيوعيين[٢].

ووصلت إلى العراق أخبار «البلشفيك» والثورة البلشيفية» ولكنها كانت أخباراً ناقصة ومشوشة وفيها أحياناً تشويه للبلشفية وتطبيقاها في الدولة السوفيتية وما كان في العراق، والعشرينات، شيوعي «أممي» ـــ كما هو مطلوب منه. ولكن كان في فلسطين منذ عام ١٩٢٠ حزب شيوعي «أممي» سكرتيره العام حاييم أورباخ يضم يهوداً نازحين

---

(١) د. لازار سليبوف، الحزب الشيوعي السوفيتي.. حزب الأممية البروليتارية، دار التقدم موسكو، ١٩٧٤، ص١٩٠.
(٢) حيث أن قيادة مؤتمر «شعوب الشرق» كانت، كما قال الستالينيون قيادة ترتسكية، إذ كان رئيس اللجنة التنيذية للكومنترن آنذاك غريغوري زينويف الذي أعدم عام ١٩٣٦، فقد تجاهات الحركة الشيوعية العالمية أحداث هذا المؤتمر ولم يتحدث عنه منظرو «الأهمية الشيوعية».

إلى فلسطين، وفي مصر حزب شيوعي كذلك يقوده يهودي ثري اسمه جوزيف روزنتال منذ عام ١٩٢١، وقد قام الشيوعيون المصريون بترجمة كتاب لينين ـــ الدولة والثورة ـــ عن الفرنسية باسم آخر مذكرات لينين عن الحروب الأوربية.. ماضيها وحاضرها، وطبع عام ١٩٢٢، أطلعت عليه عام ١٩٣٨ ولم أفقه منه شيئاً آنذاك لأنني لم أكن شيوعياً وما كنت راغباً في قراءة كتاب شيوعي، أيعني هذا أن الكومنترن لم تكن متحمسة لتكوين حزب شيوعي في العراق، وفي إيران ـــ البلد المجاور ـــ حزب شيوعي تأسس عام ١٩٢٠ وشارك عدد من قادته في مؤتمرات الكومنترن وكان عشرات الإيرانيين يدرسون في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق؟ أما المستعمرون البريطانيون الذين أرسلوا قواتهم العسكرية بقيادة وزير الدفاع آنذاك ونستون تشرشل إلى القفقاس لمحاربة البلاشفة لا يستسيغون اسم البلشفية، فكيف يسمحون بوجود حزب شيوعي في العراق مرتبط بالكومنترن في موسكو، والعراق خاضع لانتدابهم؟ المعروف عن المستعمرين البريطانيين أن لهم «تكتيكاتهم» السياسية المرنة والماكرة، في آن واحد، يستخدمونها حيثما يجدون فيها مصلحة لهم، حتى وإن كانت نتائجها الأخيرة غير مرضية لهم أو مزعجة إلى حد الانفعال والخشية منها، إذ أن لديهم أساليب أخرى لتطويق الأخطار التي توجههم، فيما بعد، عن طريق عملائهم السائرين في ركابهم. ثم أن المستعمرين البريطانيين يعلمون جيداً أن التضييق على الفكر لا يجدي نفعاً، في المدى البعيد، كما أن حب الاستطلاع وأساليب تسريب الأفكار من الخارج إلى عقول المواطنين في العراق تساعد إلى دخول هذا الفكر أو ذاك، وفي بريطانيا حزب شيوعي معترف به، وهناك العراقيون يدرسون ويتدربون في كليات بريطانية، ومن الممكن أن تقام علاقات زمالة وصداقة بين أولئك العراقيين والشيوعيين البريطانيين. ورجال الحكم في العراق، رغم أنهم بعيدون عن البلشفية، إلا أن بعضهم كانوا يتعاطفون مع البلاشفة ويحاولون الاتصال بزعيم البلاشفة (لينين) وفق المعادلة الاجتماعية: (عدو عدوي، صديقي) أمام هذه المعطيات وضع المستعمرون البريطانيون خطة حول الحركة الشيوعية في العراق تتخلص، كما برهنت الوقائع والأحداث، بما يأتي:

ـــ رصد العناصر الشيوعية في العراق وتحركاتهم واتصالاتهم في الداخل والخارج.

ـــ كسب بعض الشيوعيين واستخدامهم في صفوف الحركة الشيوعية.

ـــ احتساب مقدار الربح والخسارة في وجود حزب شيوعي في العراق، فإن كان وجودهم (حتى وان عمل سراً) فيه فائدة وربح للمصالح البريطانية العليا في مواجهة المد القومي التحرري وفي أضعاف الروح الوطنية القومية لأبناء الشعب فلا بأس من غض

الطرف عنه ومساعدته، بصورة غير مباشرة، على مواصلة أعماله للحد الذي لا يعرض المصالح الاستعمارية لبريطانيا إلى الخطر. وفي حالة شعور المستعمرين البريطانيين بالخطر على مصالحهم بوجود الحزب الشيوعي، فلا بد من توجيه ضربة له لتحجيم دوره في خلخلة وضعه التنظيمي وعرقلة نشاطه.

في البداية دخل الفكر الاشتراكي، لا الشيوعي، العراق عن طريق طلبة أكملوا دراساتهم الجامعية في الخارج، وأصبح لبعض من هؤلاء علاقات، بشكل ما، بشيوعيي لبنان وسورية وأقطار أوربية، وفي وسط العشرينات تخرج عبد الحميد الخطيب في الجامعة الأمريكية في بيروت وكان لديه استعداد لتقبل الفكر الماركسي، فلما غادر البصرة في أواخر العشرينات حيث كان مدرساً في المدرسة الثانوية فيها ــ إلى إيران، وهو إيراني الأصل ويحمل جوازي سفر: عراقي وإيراني وله أقارب في إيران، التقى في المحمرة (خرمشهر) بالمعلم الإيراني محمد غلام وهو عضو في الحزب الشيوعي في إيران ــ توده، إذ كانت للخطيب معرفة سابقة به. وبواسطة هذا المعلم تعرف عبد الحميد الخطيب على مراسل الكومنترن في المحمرة، الطبيب توما نياتز. وقبل عام ١٩٢٧ أوجد عبد الحميد الخطيب كما قال في تقريره إلى السلطات العراقية المختصة حلقة ماركسية تتكون من: زكريا إلياس دوكا، يوسف سلمان، داود سلمان وغالي الزويد، قام بتثقيفهم وتنظيمهم وأرسل صورهم ومعلومات عنهم إلى القنصلية السوفيتية في الأحواز[١]. ومن المحتمل جداً أن توما نياتز آنف الذكر هو الذي رشح عبد الحميد الخطيب للدراسة في «الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق» فغادر الخطيب إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٠، ولكنه، خلال وجوده في موسكو وهو يدرس في الجامعة المذكورة، كان قلقاً على مصيره خشية اتهامه بعلاقات مشبوهة له بالدوائر الأجنبية (الامبريالية) فالتجأ إلى السفارة البريطانية في موسكو، وتولت وزارة الخارجية العراقية مهمة إعادته إلى العراق على حسابها، فعاد إلى بغداد في تشرين ثاني عام ١٩٣٣. وفي البصرة كان يوسف سلمان يوسف الذي عرف فيما بعد باسمه الحزبي ــ الشيوعي فهد يعمل في شركة الكهرباء البريطانية، وقد تعرف عليه ــ بواسطة عبد الحميد الخطيب ــ بيوتر فاسيلي[٢] ــ مرسل الكومنترن في الفترة من ١٩٢٢ ــ ١٩٢٦ باعتباره شيوعياً وعضواً في نادي الشباب في البصرة الذي ضم

(١) ملف الشرطة العامة، رقم ٤٨٨.

(٢) آثوري، هاجر أبوه وعائلته من العمادية إلى تفليس، في جورجيا، حيث تعلم في مدارسها، وأصبح يجيد اللغتين الروسية والجورجية، بالإضافة إلى الآثورية واللغتين التركية والفارسية اللتين تعلمهما في إيران، وتجول في العراق في العشرينات، في مدن البصرة والناصرية وبغداد وبعقوبة، وكان في الناصرية خياطاً يعلم الآخرين الخياطة.

عدداً من الماركسيين الذين كان ينظمهم الخطيب، فرغب يوسف سلمان في السفر إلى الاتحاد السوفيتي، ولأجل ذلك سافر إلى شيراز عام ١٩٢٩ وراجع القنصلية السوفيتية للغرض الذي جاء من أجله، لكنه لم يتمكن لعدم حصوله على تزكية شيوعية.

وفي عام ١٩٣٠ غادر العراق بصفة مراسل لجريدة البلاد البغدادية ويروم القيام بجولة في لبنان وسورية وفلسطين والكويت وأقطار الخليج الأخرى. فوزع بطاقة عليها صورته وفي ظهرها دعوة لأقاربه وأصدقائه لمساعدته مالياً لتغطية نفقات جولته «السياحية»، فذهب إلى فلسطين واتصل بعدد من الشيوعيين[١] لتسهيل أمر سفره إلى الاتحاد السوفيتي[٢]، قد أرسلت دائرة التحقيقات الجنائية في بغداد التي كان تحت إشراف البريطانيين مفادها أن يوسف سلمان، من أهالي المنتفك، شيوعي موثوق به، إلا أن يوسف سلمان لم يوفق للمرة الثانية، في السفر إلى الاتحاد السوفيتي، فعاد إلى الناصرية لينظم عدداً من طلبة الدراسة المتوسطة في حلقات ماركسية ولما يوجد حزب شيوعي ذو برنامج سياسي محدد ونظام داخلي، فكان يروج، في الاجتماعات التثقيفية للإلحاد، ويوفد أعضاء هذه الحلقات الماركسية إلى أرياف محافظة ذي قار (المنتفك آنذاك) للاتصال بالفلاحين ليبشروا بالإلحاد وليكفروا الفلاحين بدينهم ويحولوا دون زيارتهم العتبات المقدسة، إلى جانب تحريض الفلاحين على الإقطاعيين ورجال الحكم. هكذا فهم يوسف سلمان الشيوعية، كما قال لنا، فيما بعد، ليقارن بين ثقافته الماركسية ــ اللينينية التي استوعبها من خلال دراسته في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق وأساليب تطبيقها حسب الظروف الملموسة للمجتمع وبين فهمه الشيوعي المشوش، في ذلك الحين. وبهذه المناسبة أذكر أنني قبلت في دار المعلمين الابتدائية في بغداد في العام الدراسي ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ بعد تخرجي من الصف الثالث المتوسط، وقد قبل من لواء المنتفك (محافظة ذي قار)، في ذلك العام، أحد عشر طالباً كان من بينهم ممثلون كوميديون (هزليون) يحيون حفلات سمر في ليالي أيام الجمعة على مسرح دار المعلمين.. كانت الحفلات التي يقيمونها شيقة ومسلية، إلا أن الشيء الذي يلفت النظر أن فيها دعوة صريحة للإلحاد في الشعر الشعبي الذي كان ينظمه الطالب مصطفى موسى ويلقيه في التمثيلية التي يقوم بها، ضمن الفرقة التمثيلية، ولكن الغريب في الأمر أن أحداً من الهيئة التدريسية أو الطلبة لم يعترض على ذلك الشعر الإلحادي ليوقف أصحابه عند حدهم، والأغرب من كل هذا وذاك، أن

---

(١) من المحتمل كثيراً أن «فاسيلي» ــ مراسل الكومنترن ــ قد زود يوسف سلمان بعناوين شيوعيين في فلسطين حينما التقى به مرة أخرى في الناصرية.

(٢) من حديث لمحمود الأطرش ــ عضو اللجنة المركزية لحزب الطليعة الاشتراكية الجزائري (الحزب الشيوعي)، مراسل الكومنترن، نشر في صحيفة طريق الشعب، لسان الحزب الشيوعي العراقي في ٢/ كانون الأول/ ١٩٧٤.

مصطفى موسى إياه كان موضع عطف المدرسين فيساعدونه، في بعض الأحيان، على اجتياز الامتحانات إذ لم يكن مهتماً بالدراسة الاهتمام الكافي فرسب وترك الدراسة.

وبعد سنوات قليلة وخلال وجودي في الحزب الشيوعي العراقي، عرفت أن يوسف سلمان ـــ فهد. كان يقوم، في الناصرية، بتنظيم هؤلاء الطلبة وتثقيفهم بالشيوعية وبالإلحاد.

لانتقل في حديثي من الناصرية إلى بغداد، فقد سافر حسين جميل الذي كان طالباً في كلية الحقوق في دمشق إلى لبنان، فالتقى في آذار عام ١٩٢٨، فؤاد شمالي، مؤسس الحزب الشيوعي اللبناني، فعرض شمالي على حسين جميل السفر إلى الاتحاد السوفيتي لدخول الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق وحيث أن جميل لم يكن ميالاً إلى الماركسية، فقد اقترح علي شمالي إيفاد صديقه عاصم فليح ـــ الخياط البغدادي إلى الاتحاد السوفيتي لهذا الغرض[١] وفي عام ١٩٣١ دخل عاصم «الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق» في موسكو وأنهى دراسته فيها في أوائل عام ١٩٣٤ وعاد إلى بغداد فأخذ يعقد الاجتماعات مع عدد من الماركسيين آنذاك لتأسيس «جمعية مكافحة الاستعمار»[٢] ثم وجه دعوة لممثلي الحلقات الماركسية في بغداد والناصرية والبصرة لعقد اجتماع التأسيس. وقد تم عقد هذا الاجتماع بالإعلان عن تأسيس «لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار» واعتبر الشيوعيون، ذلك اليوم، تاريخ بدء تأسيس حزبهم. وفي تموز صدر العدد الأول لصحيفة كفاح الشعب ـــ لسان الحزب الشيوعي العراقي وواصلت صدورها حتى العدد الخامس الصادر في تشرين ثاني من العام ذاته، إذ توقفت عن الصدور بسبب اعتقال معظم قادة الحزب ومن بينهم سكرتير الحزب عاصم فليح وأكثر من ستين من أعضائه وكوادره كان لاندساس «أحدهم» في صفوف الحزب الدور الأكبر والأهم في عمليات الاعتقالات تلك[٣].

---

(١) عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي في العراق ١٩٢٠ ـــ ١٩٣٤. رسالة ماجستير غير مطبوعة، أوائل عام ١٩٧٨، ص٣٢٦.

(٢)كان أولئك الماركسيون: مهدي هاشم النجفي، قاسم حسن، حسن عباس الكرباسي، يوسف إسماعيل البستاني ونوري روفائيل.

(٣) اعترفت سعاد خيري، زوج زكي خيري، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ـــ الذي كان عضو اللجنة المركزية للحزب عام ١٩٣٥، بهذا الاندساس في كتابها «تاريخ الحركة الثورية في العراق»ص٦٦،٦٧ ولكنها لم تذكر اسم المندس، رغم أن عدداً من الشيوعيين في ذلك الحين ومن بينهم زكي خيري قد أكدوا تعاون عبد الحميد الخطيب، الذي حضر اجتماع التأسيس آنف الذكر مع المخابرات البريطانية والتحقيقات الجنائية حيث قدم تقارير وافية عن الاجتماع المذكور وأسماء الحاضرين وما دار فيه من مناقشات. وفي عام ١٩٣٦ أصدر عبد الحميد الخطيب كتاباً بإيعاز من السلطات العراقية الحاكمة آنذاك بعنوان «روسيا الدامية» في نطاق إعلامية تشهيرية معادية للشيوعية وللاتحاد السوفيتي. لقد أثرت عملية الاندساس هذه في الإجتماع السري للشيوعيين في العراق في نفس يوسف سلمان ـــ فهد، بعد إعادة تأسيس الحزب الشيوعي، تأثيراً كبيراً أفصح عنه في حديثه عن المطالبة بعقد مؤتمر للحزب، وفي توصياته للذين حضروا الكونفرنس والكونغرس عام ١٩٤٤ و ١٩٤٥، قبل بدء أعمال هذين المؤتمرين.

يوسف سلمان.. مؤهل لقيادة حزب شيوعي عراقي



يوسف سلمان (فهد)

لئن حضر يوسف سلمان اجتماع التأسيس آنف ذكر، إلا أنه لم يرض عما تمخض عن الاجتماع بشأن ختيار العناصر القيادية، إذ لم يكن يوسف سلمان من بين قياديين الخمسة الذين وزعت عليهم المسؤوليات لحزبية[1] وهو الذي حاول مرتين الدراسة في الجامعة لشيوعية لكادحي الشرق ليصبح قائد الحزب الشيوعي لعراقي، إلا أنه لم يوفق في تينك المحاولتين.

ماركسيان اثنان غادرا العراق إلى موسكو لدراسة لماركسية ــ اللينينية ليصبحا من قادة الحركة الشيوعية في لعراق، وهما عبد الحميد وعاصم فليح، إلا انهما لم يوفقا في أن يكونا عند حُسن ظن الكومنترن، إذ أصبح الأول عميلاً للمخابرات البريطانية والآخر تعهد، أثناء اعتقاله، بأن لا يمارس أي نشاط شيوعي وسياسي طوال أيام حياته، وقد التزم بعهده. غير أن، الشيوعيين العراقيين، في محاولة منهم لتغطية فشلهم في تلك الفترة وفي غياب يوسف سلمان ــ فهد قالوا:«أسدى الكومنترن مساعدة كبيرة في تكوين الأحزاب الشيوعية وإعداد الكوادر الجيدة»[2] وفهد لم يشأ التحدث عن ذهابه إلى موسكو ودراسته فيها إلا لأقرب المقربين إليه واعني بهما، حسين محمد الشبيبي ــ صارم وزكي محمد بسيم ــ حازم وحتى في المحكمة التي مثل أمامها عام ١٩٤٧ أنكر سفره إلى موسكو، رغم أنه اعترف صراحة أمام المحكمة أنه السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي وهو مسؤول عن جميع الفعاليات والأعمال التي قام بها حزبه، شتان بين يوسف سلمان ــ فهد وبين من جاء من بعده من قياديي الحزب الشيوعي العراقي، ففهد أراد أن

---

(١) كانت قيادة الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٣٥ تضم:
ــ عاصم فليح ــ سكرتيرا.
ــ يوسف متي ــ مسؤول التنظيم في بغداد.
ــ مهدي هاشم ــ مسؤول التنظيم في الديوانية والنجف.
ــ زكي خيري ــ مسؤول البصرة والناصرية.
ــ قاسم حسن ــ للعلاقات الأممية فأوفد لحضور المؤتمر السابع للكومنترن عام ١٩٣٥.

(٢) مجلة (الثقافة الجديدة) للحزب الشيوعي العراقي، العدد آب ــ أيلول ١٩٧٥، ص٢٨.

يسبغ على حزبه الشيوعي طابعاً وطنياً إلى الحد الذي لا يخل بارتباطاته الأممية بالحركة الشيوعية العالمية، فيما أعلن الآخرون من بعده بكثير من الاعتزاز والزهو أن حزبهم مدين للحركة الشيوعية العالمية إذ لولاها لما استطاع الحزب الشيوعي العراقي تضميد جراحه، وهذا يعني أن فهد أراد طوال الفترة من ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٩ أن يعطي للطابع الوطني لحزبه الشيوعي في الساحة السياسية وأمام جماهير الشعب العراقي، أكثر مما يعطيه للحركة الشيوعية العالمية ولأممية حزبه حيث أبقى هذه الحركة الأممية وارتباطاته الأممية طي الكتمان، في حدود إمكاناته، أما الذين جاءوا من بعده فقد أعطوا للحركة الشيوعية العالمية وأممية حزبهم الأهمية الكبرى وعولوا عليهما أكثر من محاولتهم إضفاء الطابع الوطني والقومي على حزبهم الشيوعي، لأن فهد كان أقدر من قادة الحزب الشيوعي العراقي الذين جاءوا من بعده على استيعاب المهام الشيوعية المطلوب منه تنفيذها من غير الرجوع إلى الكومنترن بخاصة وإلى الحركة الشيوعية بعامة، لأن فهد، والحق يقال، كان يستشرف آفاق الحركة الشيوعية ومهماتها، كأحد قادتها الأمميين، أما سلام عاد وعزيز محمد فإنهما ليسا كذلك، وإنما مثل طالبين ينتظران تعليمات أساتذتهما. وبهذه المناسبة أورد مثالاً واحداً بهذا الشأن: كان من تقاليد الحزب الشيوعي العراقي أن يصدر عدداً خاصاً لصحيفته المركزية القاعدة بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر في الاتحاد السوفيتي، وقد صدر العدد الخاص، قبل حلول الذكرى التاسعة والعشرين لثورة أكتوبر بأيام، وكان المقال الافتتاحي الذي كتبه فهد بعنوان «ثورة أكتوبر والسلم» حيث أكد في مقاله، أن المهمة الرئيسة أمام البشرية، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، صيانة السلام العالمي وتوطيده. وكان حمزة سلمان، الشيوعي الطالب في كلية الحقوق آنذاك، يزود المحامي حسين جميل بكل ما يصدره الحزب الشيوعي من مطبوعات من باب الإطلاع عليها. وفي مساء يوم ٧ تشرين ثاني ١٩٤٦ ألقى مولوتوف ـــ رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين، خطاباً بتلك المناسبة، فأكد، هو الآخر، على ضرورة صيانة السلم العالمي وتوطيده، سمعه حسين جميل فسأل حمزة سلمان قائلاً: هل أن فهد تسلم هذه التوصية من مولوتوف، أم أن مولوتوف استعارها من فهد؟ ولما التقى حمزة سلمان فهداً ذكر له سؤال حسين جميل فقال له فهد: «أن لغتنا واحدة، في كل مكان، فلا حاجة لأن يستشير أحدنا الآخر لطرح هذا الشعار أو ذاك». فهل برهن سلام عادل وعزيز محمد على قدرتهما على طرح الشعارات والمهام التي واجهت وتواجه حزبهما الشيوعي العراقي مثل فهد؟ بالتأكيد، لا..

«للتاريخ لسان ذكريات وقضايا خاصة بالحزب الشيوعي العراقي: ص ٢٨ ـــ ٣٧ دار الحرية بغداد ١٩٨٣».

سعادة مدير التحقيقات الجنائية المحترم
سعادة حاكم تحقيق المجلس العرفي بمديرية التحقيقات الجنائية المحترم

اني، اذ اكتب لكم، اطلاعكم على المصائب والجرائم التي ترتبت على مسؤوليتي وانا مستعد في كل لحظة للاعتراف بصراحة ووضوح بالجرائم الشريرة الصهيونية التي اقترفتها بحق بلادي وانني والسلطات الحكومية المركزية عن صيانة أمن الدولة من عبث المجرمين وإنزال العقاب الصارم بهم ولذلك، ومهما احاول اقناع نفسي، فانني لا استطيع التفكير بحياتي إلا بالجريمة، وهذا ما لا اعيده [illegible] بعد ان اتهمت من جهة بالاشتراك في اعمال العصابة الشيوعية الصهيونية واردت أخيرا، من الجهة الاخرى، التكفير عن هذه الاعمال بأن قدمت بعض المساعدات للتحقيق، وهي مساعدات لا تستحق التقدير في نظري، بينما جميع الدلائل والبراهين تدينني بالذات. لذلك ارجو منكم ان تسرعوا (إن اردتم الرأفة بي) بمحاكمتي او عرض قضيتي، باعتباري خائنا من وجهة العدالة، بإنزال العقاب الذي استحقه، وانا مرتاح الضمير، هادئ البال لمواجهة الباري لتطهير بدني [illegible] ونفسي تلوثت من كفر وإجرام.

اذا ما احتجتم، واعتقد انكم لستم بحاجة، الى مساعدات اخرى للتحقيق فانا مستعد لتقديم المساعدات حتى ولو كنت في غرفة الاعدام.

لذلك اكرر رجائي ان تنفذوا بي ما يتفق مع العدالة، فلست من الذين يطلبون الرحمة وهم مجرمون. ولا اريد النجاة لنفسي بينما الالوف من الناس قد تعرضوا للنكبات و[illegible] لانهم فقط اعضاء في الحزب بينما انا مسؤول عن قادة الحزب في فترة ليست بالقصيرة بل مليئة بالاجرام والاضطرابات.

لا اريد ان اطيل عليكم الكتابة، فقد سمعتم مني كثيرا، ولكني اردت ان اشرح حتى للصراع النفسي الذي ينتابني في كل لحظة: لذلك ارجو اعتبار هذا الكتاب وثيقة قد تستفيدون منها [illegible].

ولكم فائق التحيات والاحترام

مالك سيف
اللقب [illegible]
المعلم سابقا والساكن في
محلة بني سعيد - بغداد

يحفظ [illegible]
١٩/١/[illegible]

التكوين الفكري لشيوعي نجفي

•الدكتور رحيم عجينة
(النجف ١٩٢٥ - لندن
١٩٩٦/٥/٢٢)

أثر العائلة والبيئة

لم يقدني الفقر إلى الفكر الاشتراكي العلمي (الشيوعية) فقد ولدت في عائلة كثيرة العدد، في مدينة النجف أواخر عام ١٩٢٥. ولم تكن هذه العائلة متجانسة في وضعها الطبقي، ففيها البيوت الغنية، مالكة العقار، والنشطة، اقتصادياً وتجارياً، لكن علاقتها بالملكية الزراعية لم تكن قوية كما أن فيها بيوتاً معدمة، فقيرة، كادحة، تعيش من قوة عملها، أي أنها بيوت عمالية بكل معنى الكلمة.

أما بيتنا فيمكن القول أنه ينتمي إلى المراتب العليا من الفئات المتوسطة. الوالد، رب العائلة كان تاجر أقمشة بالمفرد. ولربما كان أكبر تاجر مفرد في هذا النشاط في مدينته، أي أننا لم نكن نعاني من شظف العيش في تلك الظروف. على العكس من ذلك كما موسري الحال بمقاييس الزمان والمكان. ووجد الأبناء والبنات (ثمانية أخوة وسبع أخوات) طريقهم إلى التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي داخل العراق وخارجه (لا سيما الأبناء).

انحيازي وتحولي إلى الشيوعية بدأ فكراً وتطور إلى موقف سياسي ومن ثم إلى ارتباط تنظيمي. وكانت هذه عملية متواصلة، متجددة مع الأعوام، ولم تنته بعد؛ فالفكر لم يكتمل ولن ينتهي.

وتلعب عوامل أخرى، غير النضال الاقتصادي والصراع الطبقي، دورها في تكوين وتوجيه قطاعات غير قليلة من الشباب وعياً ونشاطاً في قطر مثل العراق، حيث لم يصل التطور الاجتماعي والاقتصادي آنذاك درجة مناسبة، وانتشرت الأمية فيه، ولم تبرز، بعد معالم ومظاهر الحركة العمالية النقابية والسياسية، بخاصة الشباب الذين تتوفر لهم سبل التعليم والمعرفة، وان كانت بأشكال غير متقدمة. يضاف إلى ذلك التربية والتنشئة العائلية وتقاليدها بما تتركه من تأثيرات وما ترسخه من قيم وتؤسسه من تقاليد.



كان الوالد قارئاً جيداً ونشطاً في التعرف على كتب التاريخ والاجتماع والحصول عليها. كما كان مشتركاً في عدد من المجلات والصحف. ولم يكن يترك كتاباً حتى يستوعبه ويقرأه أكثر من مرة إذا احتاج الأمر إلى ذلك. ولم يهمل كتبنا المدرسية بما فيها كتب العلوم، كالكيمياء والفيزياء والحيوان، دون أن يبذل جهداً في تفهمها، مستفسراً عن صعوباتها من أبنائه المتعاقبين في سني الدراسة ومراحلها المختلفة. وكان، إلى جانب ذلك، متابعاً لما يجري في العالم ومساهماً إلى هذا أو ذاك في انتفاضات النجف المبكرة وعلى صلة ببعض رجال ثورة العشرين، مثل الشبيبي وسعد صالح ويوسف رجيب، ورؤساء عشائر الفرات الأوسط ورجال الدين.

وكان داعية لنشر التعليم وفتح المدارس في العقد الثاني والثالث من هذا القرن، وعضواً مؤسساً لمدرسة الغري الأهلية في النجف وفي هيئتها الإدارية.

كما لم يبخل على أبنائه بأحاديثه الشيقة عن تجاربه ومعلوماته الغزيرة في التاريخ والجغرافية والحرب العالمية الأولى والمعارضة للاحتلال البريطاني، وقبل ذلك، الاحتلال العثماني، والتمييز الطائفي وطبيعة الحكم الطائفية.

وفي فترة لاحقة تعمق فكره وتعاطف مع الأفكار التقدمية وأصبح متجره، في ساعات معينة، مكاناً يرجع إليه عدد من الكسبة والخياطين يسألون عن السياسة وحركتها

وأطرافها، وعن سير المعارك ونتائجها خلال الحرب العالمية الثانية. وعلمت، وفي وقت لاحق، أن شيوعيي النجف كانوا حريصين على أن تصل صحيفتنا (القاعدة) و(اتحاد الشعب) بعد ذلك إليه.

وعندما كان يتحدث عن رأي الشيوعيين ومواقفهم لا يذكرهم بالاسم وإنما يقول «يذكر الوطنيون المخلصون في هذه المسألة»... وربما ساهم ذلك في أن توصف عائلة الحاج محسن عجينة بالشيوعية إلى جانب دور أبنائه من بعد.

المدينة

لتعرفي على النضال السياسي والانغمار فيه جذور مبكرة ترجع إلى أيام الطفولة والمراهقة. وأقدّر أن جيل النجفيين هذا يتلقى أفكاره وتدريبه وتبدأ بذرة وعيه بالارتباط مع شعائر العزاء بالذكرى السنوية المتكررة لاستشهاد الحسين، إذ يستمع مواطنو المدينة، على مدى شهرين، إلى كلام المتحّدثين، القارئين، ويتأملون في التاريخ المفصل لملحمة الاستشهاد ضد الظلم السياسي والاجتماعي وضد الاستعباد، والثورة في سبيل نيل الحقوق والمطالب. وتعمق هذه الأحاديث وعي الرجال والنساء وتحرك عقول الأطفال والشباب بالسؤال عن العدالة. ورغم أن هذه السيرة كما يرويها القارئون لا تخلو من تشويهات ومبالغات، ولكن جوهرها ثابت في صحته.

وأكد لي ذلك الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي، في لقاء معه في دار الصديق عبد اللطيف الشواف في القاهرة في أوائل السبعينات، وكان ذلك في حوار شيّق حول مسرحيتيه الشعريتين «الحسين بطلاً» و«الحسين شهيداً». فعندما قرر الإقدام على العملين الإبداعيين سافر إلى كربلاء والنجف وأطلّع على مخطوطات ومؤلفات عديدة عن واقعة ألطف. وجزم أن ما وصلنا من تفاصيل موثق في تلك المخطوطات فيما خلا التشويه واللامعقول والقصص التافهة التي ما يزال البعض يرددها.

وتظهر أمام العين صور سريعة للحركة الطلابية في ثانوية النجف في الثلاثينات. كنت شاهداً لتجمع عدد من الطلاب في دارنا، وبينهم أخي الأكبر عزيز وأقرباء آخرون. ومن هذا الاجتماع حملت رسالة إلي بيت آخر في محلة البراق من المدينة التي نعيش فيها، ولا بد أن اجتماعاً آخر كان يعقد هناك. ورجعت برسالة أخرى إلى أخي. وفي مساء ذلك اليوم تظاهر الطلبة والمثقفين دور بارز في ذلك العمل.

كان لطلبة ثانوية النجف وهيئتها التدريسية موكب مهيب في مساء العاشر من محرم يرتلون فيه أبياتاً من الشعر تخليداً لكفاح الإمام الحسين. وكان سكان النجف ينظرون إلى هذا الموكب باحترام وإجلال، على عكس ما كانت تثيره المظاهر الأخرى، مثل الضرب بالسلاسل والسيوف، من إدانة دون أن يستطيع رجال الدين الذين يشاركون في هذه الإدانة، قول كلمة في تحريمها كما كانوا يسّرون مقلديهم وأتباعهم.

كانت الحركة الطلابية متفاعلة مع الحركات الفلاحية والعشائرية في الفرات الأوسط، ومع النشاط السياسي ضد التمييز الطائفي ضد الشيعة كما كانت تشخصه مدينة النجف بوجوهها الدينية والاجتماعية. وكان الطلبة يسارعون للتظاهر ويذهبون إلى مدارس بعض رجال الدين المهتمين بالنشاط السياسي، إذ كان البعض الآخر منهم عازفاً عن السياسة وعن الغوص في متاهاتها آنذاك. كاشف الغطاء كان الأكثر فعلاً في مثل هذه التجمعات الطلابية الدينية حيث تلقى الخطب والقصائد ويجري تبادل الآراء واستخلاص المواقف المطلوب اتخاذها. كنت شاهداً لمثل هذه التجمعات.

المدرسة

وتفاعلاً مع هذه الإسقاطات يأتي دور المدرسة والمعلمين. لم يخضع ملاك مدرسة الغري الأهلية الابتدائية، التي التحقت بها، لوزارة المعارف في ذلك الزمن وكذا بعض جوانب برامجها وموضوعاتها. فالمعلمون ينسّبون لها حسب عقد خاص بين المتقدمين للعمل والهيئة الإدارية. و لم يكن الحصول على شهادة من معهد تعليمي شرطاً للعمل، وإنما الكفاءة والقدرة والتربية والمعرفة الذاتية ومن ثم تقرره الفترة التجريبية. وتمتع المعلمون بحرية نسبية في تلقين تلاميذهم ما يؤمنون بفائدته وجدواه علمياً واجتماعياً، وما ينشر فكرهم وعقيدتهم. وفي السنتين الأخيرتين من المرحلة الابتدائية بدأت كلماتهم تطرق الوعي وتصوغه عند هذا التلميذ أو ذاك. وصرنا نتلقى ونلقي شعراً يشير الفكر والعاطفة:

رفقاً بنفسك أيها الفلاح ... تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
هذي الجراح براحتيك عميقة ... ونظيرها لك في الفؤاد جراح
ويخر كوخك إن همك عين السما ... ويطير كوخك إذ تهب رياح

أو يطلب المدرس أن نعرب البيت التالي:

يمشي الفقير وكل شيء ضده ......
حتى الكلاب إذا رأته عابراً نبحت عليه وكشرت أنيابها
وإذا رأت يوماً غنياً ماشياً هرعت إليه وحرّكت أذنابها

وصرنا يوماً بعد يوم نستعيد شعر الرصافي والزهاوي ونسمع عن الجواهري ونقرأه ونمارس المطارحات الشعرية ويلفت انتباهنا دور الأم، المدرسة، التي إذا أعددتها أعددت شعباً. وفي فترة لاحقة نشدو بقصيدة «أين حقي»... ومرة طلب معلم اللغة العربية السيد عبد الهادي العلوية من مجموعة من التلامذة كتابة موضوع كما يرتأون. وكنت من بين الذين وقع عليهم اختياره.

كان لقصيدة الصافي النجفي (الفلاح) تأثير خاص دفعني إلى اختيار حوار بين الفلاح الريفي والساكن الحضري المديني موضوعاً لمساهمتي. وانتهى موضوعي إلى أن يكون وصفاً لحال
الفلاح وظروف عيشته القاسية، كما كنت أتصورها من مشاهدتي المحدودة للمناطق الريفية القريبة
من النجف. وأذكر أن السيد علوية أدخل عليه تعديلات عديدة ووضع له عنواناً هو «أيّنا المحق؟»، وعرفت بعد ذلك أن هذه المساهمة بقيت محفوظة في أرشيف المدرسة لسنوات، وكانت تقرأ مع غيرها من المساهمات على المجموعات الطلابية التي التحقت بعدنا بمدرسة الغري الأهلية.

استمرت عملية التكوين الفكري وأخذت منحى آخر في السنة النهائية من مرحلة الدراسة الابتدائية وخلال مرحلتي الدراسة المتوسطة والثانوية التي أمضيتها في مدينة النجف.

يضاف إلى ذلك أن هذه الفترة التي امتدت من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٤، شهدت أحداثاً كبيرة وهامة جداً في العراق وفي العالم. تعهد رعايتي الفكرية، أولاً، أخواي الأكبر مني، عزيز ورضا، وكانا يتقدمان علي في المرحلة الدراسية. عزيز كان على صلة بالحركة السياسية والفكر التقدمي حرص على أن يزودني بكتب يسارية ونشرات سياسية وبعض القصص. هناك كتاب من بين ما زودني به لا ينسى وسَبَّبَ عندي انعطافاً واضحاً. اسم الكتاب «المقدس» بقلم نقولا حداد، على ما أتذكر. يتحدث المؤلف فيه عن يوتوبيا

اشتراكية، وعن جزيرة ربما كان اسمها عدن وكانت تلفها صراعات طبقية شديدة بين الرأسماليين والعمال. ويتطرق المؤلف في كتابه إلى جوانب عديدة من الاستغلال والحياة العائلية عند الرأسماليين والأجراء كما يتطرق إلى البغاء ويكشف الظلم والفساد والتفسخ.

أما رضا فصار يصحبني معه عند لقائه مع أصدقائه وزملائه في الدراسة المتوسطة والثانوية. واهتم في أن ينمّي لدي عادة القراءة في مكتبة النجف العامة التي افتتحت آنذاك. وكان يرشدني إلى بعض الروايات والكتب التي كانت تثير اهتمامه، ومنها (العباسة أخت الرشيد) و(غادة كربلا) و(أسرار قصر يلدز) و(أسرار الحرب العالمية الأولى) و(تاريخ الإسلام).

وربما يكمن فضله الكبير أني تعرفت، عن طريقه، على شخصيات كانت على صلة ببواكير التنظيم الشيوعي دون أن يكون على علم بذلك، مثل محمد علي الشبيبي وشاكر محمود الطالقاني وغيرهم ممن تميز بالمطارحات الأدبية والفكرية.

مقتل الملك غازي

يصعب على المرء أن يهمل تأثير مقتل الملك غازي، في حادثة سيارة، على عواطف الشباب وفكرهم. وربما ليس على الشباب وحدهم وإنما على قطاعات واسعة من المواطنين.

في ذلك اليوم الذي أعلنت فيه وفاة الملك ٤ نيسان ١٩٣٩، كنا في حصة اللغة العربية في السنة الأولى من الدراسة المتوسطة. بعد خروجه إثر استئذان قصير، عاد أحد الطلبة، هادي السباك، ليعلن لمدرسنا، السيد يوسف الحلو، أن الملك غازي قد مات. وبعد التوثق من الخبر طلب إلينا التوجه إلى قاعة الاجتماعات في ثانوية النجف حيث اجتمع الطلبة والمدرسون. وألقى السيد عبود زلزلة، مدير المدرسة، كلمة مؤثرة قوطعت بالهتاف والبكاء والنحيب.

ارتبط اسم الملك غازي، آنذاك، بموقف معاد للإنكليز، وكان يشرف على بث إذاعي من قصر الزهور الملكي يتسم بالمشاعر الوطنية والقومية. وانتشرت إشاعات، في الوقت الذي أذيع فيه خبر الحادث، تؤكد أن الملك قتل بتدبير من الإنكليز ونوري السعيد وغيرهم، الأمر الذي دفع السلطة إلى أن تسمح للمواطنين بزيارة مكان الحادثة على بعد أمتار قليلة من بوابة القصر. وكنت من الذين شاهدوا المكان.

حرص الشخص الذي اصطحبنا إلى المكان، وهو قريب لنا، أن يثير شكوكنا وراح يشرح ويوضح أن عمود الكهرباء اقتلع من أساسه ولم تقتلعه السيارة، إذ لا يمكن أن تكون سرعة السيارة، وهي خارجة للتو من بوابة القصر، كافية لعبور الساقية واقتلاع عمود الكهرباء، وغير ذلك من التفسيرات الفنية. وكانت بعض الجهات السياسية معنية أيضاً بالدعاية للملك وتقديم صورة وطنية له وذلك عن طريق الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى. ولربما كان عزيز علي هو صاحب المونولوج:

ملك العراق غازي الأول
قرص الشمس أسرع له لا يتحول
أخاف يغيب ياكله الذيب
والعرب تبقى خاسرة وحزنانة

تأثيرات أخرى

وأخيراً لابد من الإشارة إلى دور المدرسين من سوريا ولبنان وفلسطين في عملية التوعية القومية.

لم تمر العلاقات المتكونة بين الشباب المتنور في مدينة النجف دون أن تثير بعض الأوساط المتخوفة والمتابعة لما يختمر في المجتمع ولما يجري في العراق مما لم أكن على وعي تام به.

فبعد أن توطدت علاقتنا، محمد علي الشبيبي وشاكر محمود وأنا، إضافة إلى آخرين، وصرنا نلتقي يومياً ونسير في صحن الإمام علي، أو نجلس في إحدى غرفه ونتناقش في الأدب والشعر والسياسة، أطلقت علينا تلك الأوساط اسم «جماعة الطبيعيين». وتحمل هذه التسمية إدانة معينة إذ انها تنطوي على اتهام المجموعة بولائها للطبيعة واعتبارها أصل كل شيء في الكون.

ولم يتأخر بعض رجال الدين في نقل اتهامهم لي هذا إلى والدي باعتباري أنتمي إلى جماعة الطبيعيين. وأثار الوالد بدوره الموضوع معي. ودار بيننا نقاش طريف، غير متزمت من جانبه. ولكنه لم يخف مخاوفه واكتفى بإسداء النصح والتحذير من الأخطار المتوقعة وإجراءات السلطة المحتملة.

الحرب العالمية الثانية

ولعبت الحرب العالمية الثانية عند اندلاعها ومسيرها دوراً هاماً في إثارة الاهتمام بما يجري في العالم من صراع لدى الجيل الصاعد، ولاسيما بعد شيوع استخدام أجهزة البث الإذاعي، الراديو، في البيوت والمقاهي.

بهرت انتصارات الجيوش الألمانية الرأي العام العراقي، وهو رأي معبأ ضد الإنكليز ووجودهم في العراق ونفوذهم في البلدان العربية ودورهم في فلسطين ووعد بلفور.. الخ.

وكان من السهل جداً أن يلمس الإنسان تعاطفاً هاماً مع تقدم ألمانيا في الحرب وتعليق آمال على تخليص المنطقة وتحريرها من الاستعمار البريطاني والفرنسي. لذلك كانت معارك أوروبا واجتياح فرنسا وشمال افريقيا تلقى صدى إيجابياً واسعاً.

وانطلق الجمهور في موقفه من مقوله «عدو عدوك صديقك» الضيقة البراغماتية. وأتذكر أننا صرنا حينذاك نفتش عن مقاييس نشخص فيها الأصدقاء والأعداء.

واهتدى بعضنا إلى مقولة «كاملة» نسبها إلى أحد المرشدين أو الباحثين أو الأولياء. وطرح علينا المعادلة التالية: أصدقاؤك هم: صديقك، صديق صديقك، وعدو عدوك! وأعداؤك هم: عدوك، عدو صديقك، صديق عدوك!! وأرى مفيداً أن نقارن هذه المعادلة مع الموضوعة البريطانية: ليس هناك أصدقاء وأعداء ثابتون بل مصلحة ثابتة!

في هذه الأجواء انفجرت، ما نطلق عليها، حركة رشيد عالي الكيلاني لتزيد من التهاب حماس الجماهير ضد بريطانيا والمتعاونين معها من رجال القصر الملكي والسلطة. ومن جانب آخر حصلت الحركة على تعاطف كبير في العراق كله.

تظاهر آلاف النجفيين في مسيرة حاشدة وتجمعات عديدة وتعطلت الدراسة، وكنت في ذلك الحين في السنة النهائية من المرحلة المتوسطة. وساهم الطلبة في هذه التحشدات وكانوا معبأين ضد معاهدة ١٩٣٠ والخطر الصهيوني. وامتلأ صحن الروضة الحيدرية بآلاف المواطنين ليستمعوا إلى الخطب الحماسية والقصائد الثورية. وإذا لم تخني الذاكرة، فقد ارتفع صوت محمد صالح بحر العلوم وألقى، بعد أن أكد نهوض «النجف الضاري ليعلن الشعب ثورته»:

السيف في غمده صاد يناشدنا ... باسم العروبة تبريداً لغلته

وألقى شاعر آخر، ربما كان اليعقوبي:

فما حمت لندن أبناءها ... فكيف يحمون بجانية

استمر غليان مدينة النجف مدة شهر كامل ولم تتوقف الاجتماعات تأييداً للحركة و«انتصارات» الجيش العراقي و«سقوط سن الذبان» بيد القوات العراقية و«مقتل أبو حنيك» وغيرها من الإشاعات التي انتشرت في المدينة التي استقبلها الناس بإطلاق الرصاص والتكبير والاستهزاء بالطائرات البريطانية التي كانت تعبر السماء أحياناً.

هكذا عاش شباب النجف شهر أيار /مايس، وقد صدر فيه ثلاثون بلاغاً عسكرياً من قيادة الجيش، إلى أن تمكن البريطانيون من استعادة قبضتهم على البلاد. وعاد الوصي والحكام الهاربون وانتشرت أخبار الفرهود في بغداد وبدأت الاعتقالات لتشمل «اليمين» و«اليسار».

٢٢/٢١ حزيران تاريخ الهجوم الألماني على الاتحاد السوفييتي١٩٤١ قلب الموازين والمعادلات وأعاد اصطفاف وتشخيص الأصدقاء والأعداء في النجف والعراق والعالم كله.

أثار تقدم الجيش الألماني داخل الاتحاد السوفييتي ووصوله إلى مشارف موسكو والقفقاس آراءاً متباينة عديدة في الموقف. فهناك من تطلع إلى وصوله إلى بغداد عبر إيران، التي احتلها الحلفاء بعد بلاغ عسكري واحد من القيادة الإيرانية، وآخر وضع يده على قلبه تحسباً من تبرير الثقة بالشيوعية، وغيره من احتاج إلى تفسير ما حدث وما يجب أن يحدث.

عائلة الشبيبي

توطدت علاقتي مع محمد علي الشبيبي وصرت أكثر تعرفاً على فكره، ولم تنقطع (الشرارة) عني؛ أكثر من ذلك انتظم وصولها لي مع غيرها من البيانات والنشرات. وبتطور تلك العلاقة زرت العائلة وتعرفت على أشخاصها.

الشيخ الجليل محمد الشبيبي، الوالد، متحدث لبق ورجل دين متنور وأصبح، في وقت لاحق، داعية مرموقاً في حركة السلم العراقية. وكانت مجالسه الدينية في محرم وصفر مناسبة لبث أفكاره التقدمية.

وبعد ذلك يأتي الأخ الأكبر، علي الشبيبي، رجل الدين المعمم المتحول إلى العصرنة والتعليم في المدارس الابتدائية.

كان واضحاً لي حتى في تلك الأيام المبكرة التي كانت تنقصني فيها الفراسة، أن حسين الشبيبي

هو الشخص الأكثر نفوذاً وصرامة، الأمر الذي كان موضع شكوى لدى الأخ الأصغر صديقي محمد علي.

لم يكن حسين غريباً علي. أتذكره زميلاً لأخي الأكبر في ثانوية النجف ونشطاً في الفعاليات السياسية آنذاك. وأعرفه معلماً في الابتدائية الثانية في النجف. وكما علمت منه في وقت لاحق، لم يستطع مواصلة دراسته في كلية الحقوق بعد التحاقه بالتعليم لأسباب اقتصادية. كما أتذكره وهو يقوم بدور ضابط إسباني في مسرحية «اليوم الموعود» التي مثلها معلمو المدارس الابتدائية كعادتهم في تقديم مسرحية لجمهور النجف كل عام. وعرفته محاضراً في درس الواجبات المدنية على طلبة السنة الثالثة للدراسة المتوسطة، إذ تم له ذلك بمساعدة الشخصية الديمقراطية عبد الرسول نجم مدير ثانوية النجف الذي تعاقد مع الشبيبي لإلقاء تلك المحاضرات. وكانت للشيخ محمد الشبيبي علاقة بعائلة السيد نجم في البصرة. وقد نشأت هذه العلاقة أثناء زيارة الشيخ في شهري محرم وصفر للبصرة حيث يقوم الدعاة الدينيون والمتحدثون عن استشهاد الحسين بزيارة المحافظات الشيعية لضمان عيشهم.

منذ ذلك الوقت لمست رعاية فكرية خاصة من حسين الشبيبي. وصرنا نلتقي يومياً تقريباً في دار العائلة في محلة العمارة. وفي هذه اللقاءات التي كان يحضرها الجميع، الشيخ والأبناء، كان حسين الشبيبي يبذل جهداً خاصاً للإجابة على الأسئلة المطروحة حول هزائم الجيش السوفييتي وضعفه.

كان يصر على أن ما كان يحصل ليس هزيمة بل تراجعاً دفاعياً فرضه هجوم غادر وتوازن عسكري ليس لصالحه. وأن الجيش السوفييتي سيبدأ هجومه المضاد عندما يجمع قواه ويجهزها بشكل جيد وسيكون ذلك بداية الانتصار. كانت ثقته عالية بنتيجة الحرب.

ونفذت أفكاره وتحليلاته إلى نفوسنا بالارتباط مع معارك ستالينغراد واستسلام قوات الجنرال باولوس قائد الجيوش الألمانية وفك الحصار عن لينينغراد والتراجع عن موسكو.

معركة ستالينغراد أحدثت تحولاً كبيراً في الرأي العام العراقي. وبدأ التخلي التدريجي عن التعاطف مع الألمان. وساعد على ذلك دعاية الحلفاء الغربيين ونشر انتصارات الجيش الأحمر، وكذا الصحافة العراقية، ولاسيما صحيفة (الرأي العام) الصحيفة التي كان يصدرها الجواهري في ذلك الحين. وقصائد الجواهري وافتتاحياته. وانعكس فكر الجواهري التقدمي في المجتمع العراقي، ولاسيما لدى جيل الشباب، هذا الفكر المادي الذي استقاه من المعايشة أكثر من اهتمامه بدراسة الفلسفة المادية.

لاشك في أن دور الحزب الشيوعي العراقي كان واسع التأثير. فالتحالف الغربي ــ السوفييتي وإقامة العلاقات العراقية السوفييتية وتكتيكات الحرب المرنة في موقفه من الحكومة العراقية المعادية للنازية التي انضمت لجبهة الحلفاء، كل هذا أتاح للحزب هامشاً واسعاً للتحرك والنشاط. وسادت فترة هدنة بين الحزب والسلطة، إذا جاز وصف الحال كما كان آنذاك، بهذا الشكل. فكنا نقرأ في صحافة الحزب أحياناً «حكومتنا الوطنية» في وصف نهجها من الحرب والعلاقات مع الاتحاد السوفييتي.

وفي الوقت الذي دامت علاقتي مع الشبيبي، وهي ذات طبيعة فكرية سياسية، ولم تكن واضحة كل الوضوح تنظيمياً، نشأت لي علاقة مع المجموعة الطلابية من نفس المرحلة الدراسية وصرت أوزع عليهم (الشرارة) وكان بينهم حسين أحمد الرضي (سلام عادل) الذي لم ألمس لديه ارتباطاً بالحزب في ذلك الوقت، ثم غادر النجف للالتحاق بدار المعلمين الابتدائية في أوائل الأربعينات.

أنهيت دراستي الثانوية عام ١٩٤٣ ولم أوفّق في الالتحاق بكلية الطب، إذ كان العد المحدد للقبول في كلية الطب من لواء كربلاء طالبين فقط وكان ترتيبي الثالث بين المتقدمين.

فضلت الانتظار للالتحاق بالكلية نفسها في السنة التالية بالرغم من أن الوالد كان يرى أن أتقدم إلى كلية الحقوق إذ وجدني أصلح لدراسة القانون من دراسة الطب. أمضيت تلك السنة في مدينة النجف وتوثقت علاقتي بالشبيبي حتى غادرها، أو نقل منها، إلى التعليم في مدينة العمارة. وانتقل من النجف أخوه محمد علي وشاكر محمد الطالقاني.

لم تنقطع علاقتي مع الشبيبي حيث كنا نلتقي في كل مرة يقدم فيها إلى النجف. لكن حلقتي السياسية تحولت إلى مجموعة أخرى مكونة بشكل رئيسي من علي الشبيبي ومرتضى فرج الله وإسماعيل الجواهري.

أول «إنجاز»

خلال سنة الانتظار، ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤، كنت أتردد على بغداد وأذهب إلى مكتبة دار الحكمة في سوق السراي وبعد ذلك في شارع المتنبي، وهي مكتبة أنشأها الحزب وعمل فيها شاكر محمود. وبعد أن أغلقت دار الحكمة، انتقلت إقامة شاكر إلى مقر نقابة عمال الأحذية بجوار مقهى الرشيد في الحيدرخانة. عن هذا الطريق تجدد لقائي مع الشبيبي

أثناء وجوده في بغداد. وكان لقاؤنا يتم في مقهى حسن عجمي في المنطقة نفسها من بغداد.

في شتاء ١٩٤٤، في شهر شباط، عرض علي أن نزور بيت أحد الأشخاص لأتعرف عليه واستلم منه الحصة المخصصة من جريدة (القاعدة) للنجف وكربلاء.

ذهبنا إلى تلك الدار في محلة جديد حسن باشا، بالقرب من أمانة العاصمة وشرطة السراي وتعرفت على الشخص المعني وعلى أشخاص آخرين. استلمت رزمة جيدة من «الجريدة» موضوعة بين عددين من مجلة (النفير) التي كانت تصدرها دائرة العلاقات البريطانية في بغداد، وهي مجلة دعائية لجبهة الحلفاء في حربها ضد النازية. لم أتعرف على اسم صاحب الدار لكنه اتفق معي على أن نلتقي في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه في محلة باب السيف في الكرخ حيث كنت أقيم. غادرت الدار إلى شارع الرشيد ومنه إلى شريعة النهر المقابلة لباب السيف وعبرت النهر بالقارب مع (القاعدة) إذ وجدت هذا أكثر أماناً من السير في الشارع أو استخدام وسيلة مواصلات أخرى، احتياطاً من مكروه طارئ!

تم اللقاء كما كان متفقاً عليه ومن هناك قطعنا طريقاً طويلاً إلى الجعيفر حيث التقينا بشخص آخر وعقدنا اجتماعاً تحدث فيه الشخص الذي عرفني به الشبيبي.

دام الاجتماع مدة ثلاث ساعات استعرض فيها التطورات في العالم والتوقعات بنهاية الحرب وانتصار الحلفاء والمهمات الوطنية للحزب الشيوعي العراقي.

وبعيداً عن المكابرة علي أن أقول إن الكثير من كلامه كان فوق مستوى وعيي واستيعابي الفكري. لذلك لم تكن مناقشتي بمستوى جيد. هذا ما أخبرت به الشبيبي في اليوم التالي عندما التقينا، وما أكده من جانبه نقلاً عن انطباع «الرفيق المنظم» عن الاجتماع ومع ذلك لم يفتر حماسي وانشدادي وانحيازي المتطور.

أوصلت (القاعدة) إلى النجف بسلام وسررت لهذا «الإنجاز» لأول مهمة من هذا النوع، لاسيما بعد أن نجوت من عملية تفتيش في منطقة جسر الخر حيث كانت الشرطة تبحث عن تهريب المواد التموينية من بغداد إلى الألوية الأخرى.

وكنا ثلاثة تعرضت أمتعتنا للتفتيش، وهم أخي رضا وخليل جميل وأنا، حيث كان رضا وخليل، وهما طالبان في الكلية الطبية، في زيارة للنجف لقضاء عطلة نصف السنة.

سارعت للشرطي وأكدت له أننا طلبة طب وأطلعته على سماعة أخي وبعض الكتب الطبية. واكتفى الشرطي بذلك و لم يكن أخي على علم بما وضعته في الحقيبة بين كتبه.

بغداد وكلية الطب

قبلت في العام الدراسي ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ في كلية الطب فغادرت النجف إلى بغداد لأقيم في بنسيون في (رأس القرية) مع رضا. وسكن نفس البنسيون خليل جميل ونافع يونس.

أصبحت لي علاقة جديدة في بغداد مع عبد الرزاق مطر الذي كان آنذاك طالباً في كلية الهندسة وأخذ على عاتقه تزويدي بــ(القاعدة) والنشرات الأخرى.

وازدادت علاقتي ومناقشاتي مع زملائي في السنة الأولى في الكلية. ولم يكن التنظيم الطلابي، الذي دعا إليه الحزب، قد بدأ في كلية الطب في تلك السنة، لكن ميولي اليسارية كانت واضحة لزملائي.

مناقشاتي الحادة كانت تجري أيضاً في بنسيون رأس القرية مع نافع يونس، الطالب في كلية الحقوق، المنتمي إلى تنظيم «وحدة النضال»[1]. وفي الوقت الذي كنا نتبادل فيه «القاعدة» و«وحدة النضال»، لم يمنعنا ذلك من تحدي موقف أحدنا الآخر.

لم أتمكن من مواصلة دراستي. فصلت من كلية طب بغداد بعد أن فشلت في امتحانات الدور الأول، حسب قواعد الدراسة ونظامها في الكلية الملكية الطبية العراقية.

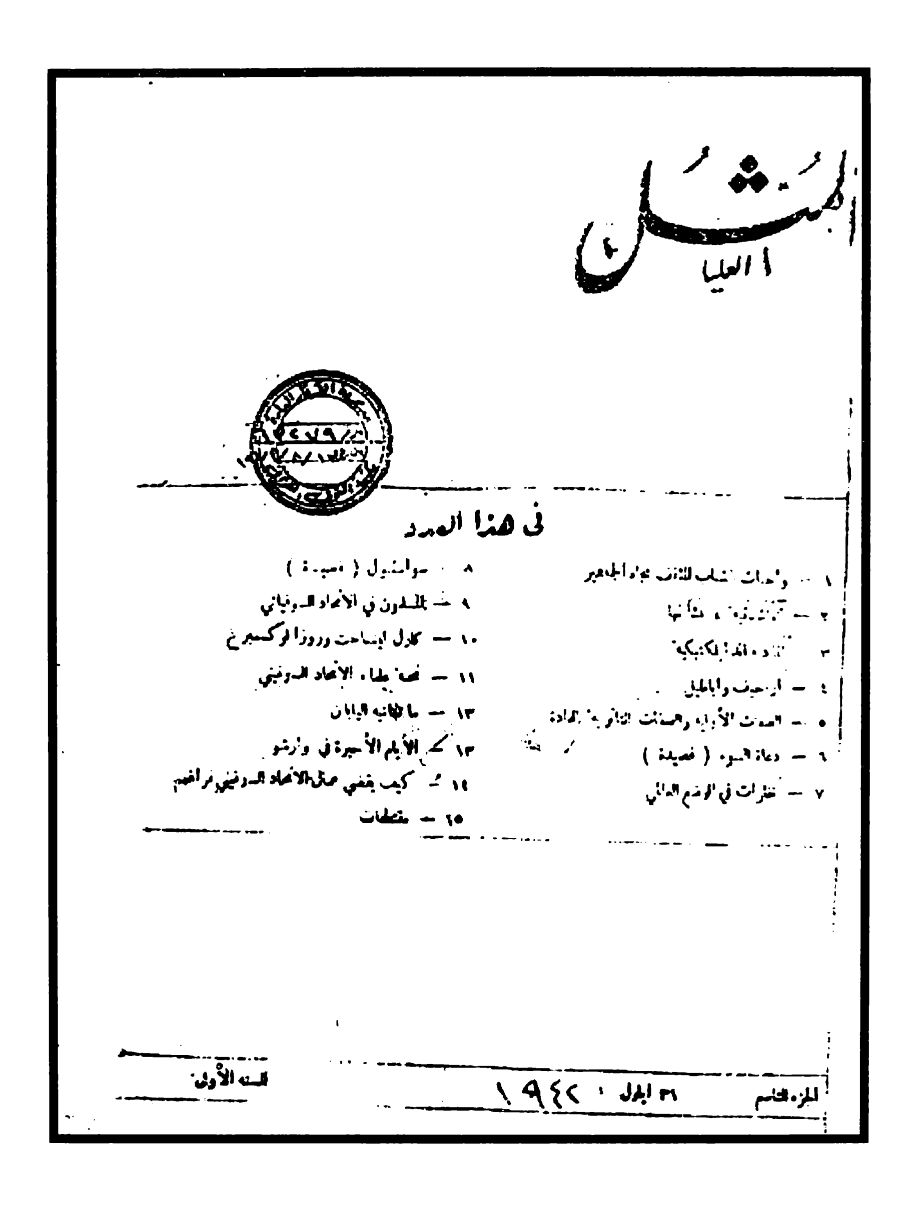
وأمام إصراري على أن أصبح طبيباً، وافق والدي على أن أسافر إلى مصر والدراسة فيها. وهكذا غادرت في أيلول ١٩٤٥ إلى القاهرة. وفي تشرين الأول من العام نفسه التحقت بكلية الطب في جامعة الإسكندرية.

حصيلة البداية

إنها فترة الانحياز الفكري ورعاية البذرة الأولى عن طريق القراءة ومتابعة الصحافة العراقية مثل (المجلة) و(المثل العليا) وهي مجلة فكرية ثقافية أصدرها الشيوعيون في النجف مسجلة باسم صاحبها المعلم كاظم كيشوان، وهو زميل الشبيبي في التعليم، والمحامي

(١) تنظيم شيوعي خارج الحزب الشيوعي العراقي.

المسؤول محمد عجينة الذي انسحب منها بعد ذلك وخلفه فيها موسى صبار، وكذلك (الثقافة الوطنية) اللبنانية. الاختيار المتجدد (١٣ ـــ ٢٣) بيروت ١٩٩٨


المثل العليا

في هذا العدد

الجزء الثامن ٣١ ايلول ١٩٤٢ السنة الأولى

مجلة المثل العليا وهي مجلة نجفية أدبية اجتماعية اسبوعية، كانت تصدر كل أسبوعين مؤقتاً وتعبر عن رأي الحزب الشيوعي العراقي صاحبها ورئيس تحريرها كاظم الكيشوان، ومديرها المسؤول المحامي محمد عجينة، صدر عددها الأول بتاريخ ٢٣ رمضان ١٣٦٠هـــ الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٤١.

اخي المواطن الشريف :

لعل من ابرز ما يتميز به مجتمعنا الحاضر هو تنامي الوعي الاجتماعي وتعاظم شعور الجماهير - على اختلاف طبقاتها ومراتبها - بضرورة دفع مجتمعنا في طريق التقدم والرقي اسوة بباقي الامم والشعوب التي شقت طريقها نحو المجتمع الفاضل.

وطبيعي أن تحقيق ذلك ليس بالهين اليسير ، فالبلاد تمتاز بثروات زراعية وفيرة وموارد طبيعية ضخمة وموقع جغرافي له اهميته في العالم يسيطر على ذلك كله النفوذ الاستعماري بينما يتفشى الجهل والفقر والمرض والخوف والبطالة بين جماهير الشعب . هذا الشعب المجاهد النبيل الذي اثبت ببطولاته وتضحياته أنه جدير بالحياة الكريمة اللائقة بالمجتمع البشري المتحضر.

ولكن المستعمرين الاجانب الذين لا يترددون في استعمال اقسى الوسائل واكثرها دناءة لتقييد حرية الشعب وخنقه وتزييف ارادته لكي يستمروا في استغلاله ونهب خيراته والاستفادة من موقع البلاد الجغرافي عسكريا . إن هؤلاء المستعمرين لا يتوانون في بذل المبالغ الطائلة في سبيل شراء اكثرية في المجلس النيابي لضمان اقرار مشاريعهم الحربية العدوانية التي يريدون زج العراق بها كالحلف التركي الباكستاني ومشاريع النقطة الرابعة والدفاع المشترك وغيرها .

وكان أن حل المجلس السابق واعلنت حملة الانتخابات الجديدة نتيجة للضغط الشعبي المتزايد وللتناقضات والتنافس بين الاستعمار الانكليزي والاميركي فقيل انها ستكون حرة .

وخاض الشعب المكبل بمعاهدة ١٩٣٠ الجائرة ، المعركة الانتخابية دافعا بالوطنيين الى البرلمان ، لاسيما بعد ان تشكلت الجبهة الوطنية التي ناضل الشعب سنين عديدة من أجل تكوينها فأعلنت ميثاقها والتفت حولها الجماهير بما فيها العامل والفلاح والمثقف والتاجر والطبيب والمحامي على اختلاف ميولهم وعقائدهم السياسية تجمعهم فكرة واحدة هي التضامن التام في سبيل دفع شرور الاستعمار الانكليزي والامريكي الذي ازداد خطره في الفترة الاخيرة . واجلاء الجيوش الاجنبية من اراضينا واحباط المشاريع الاستعمارية والدفاع عن سلامة البلاد وتحقيق استقلالها .

واندفع الاستعمار يغري عملاءه لترشيح انفسهم باذلا في سبيل ذلك مبالغ جسيمة لشراء اصوات الناخبين وضمائرهم كما اندفع المتاجرون بالنيابة من الرجعيين ممن يطالبون في النيابة كرسيا وجاها يستندون على اموالهم يبذلونها للناخبين وعنعناتهم القبلية مهرجين بها تارة ومرهبين جماهير البسطاء تارة اخرى ليفوزوا بكرسي النيابة . إن هؤلاء الذين يشترون ضمائر الناس ، ما اسهل عليهم بيعها وبيع البلاد للاجانب ...

اخي المواطن الكريم :

إن امامك الآن ، في هذا الموقف الحاسم من المعركة الانتخابية ، طريقين لاثالث لهما . فاما أن تتأثر باقوال الرجعيين من المرشحين واغرائهم فتساعد الاستعمار على التغلغل في بلادك ونهب خيراتها وهذا غير هين على محبي بلادهم واعداء الاستعمار ، واما ان تتمرد وتتقدم لتنتخب من تعتقد مخلصا بوطنيته وعدائه للاستعمار .

واني إذ أتقدم اليك برسالتي هذه طالبا مؤازرتك وتأييدك اعلم أن وطنيتك تأبى عليك بأن تتردد في اعطاء صوتك لمن تعرف وطنيته ومواقفه في سلوكه وعمله ونشأته ...

ان ثقتي بشعوركم لعظيمة وإن أملي فيكم لوطيد .

وتفضلوا بقبول وافر احترامي

المخلص

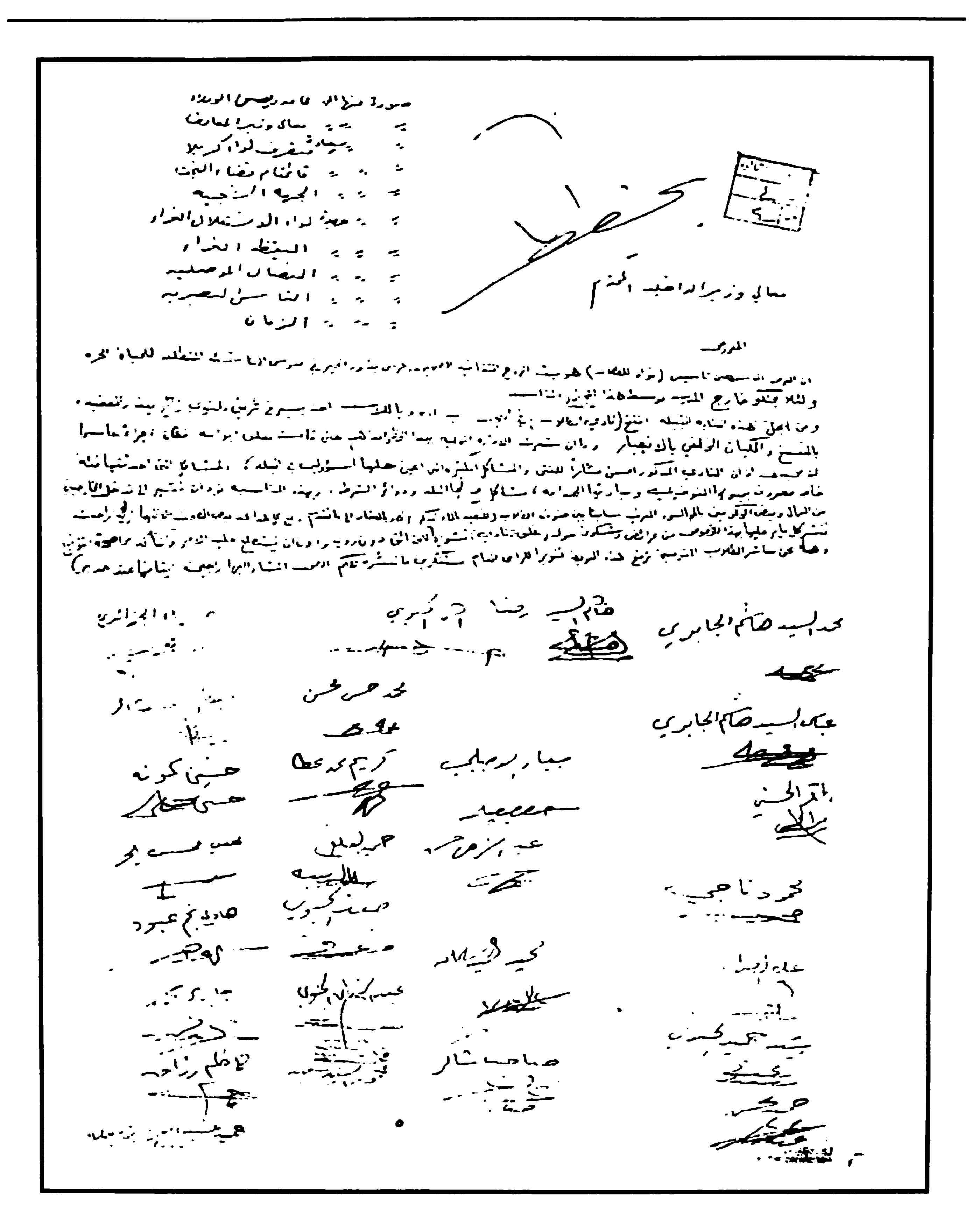
الدكتور خليل جميل الجواد

مرشح الجبهة الوطنية والجماهير الشعبية

في منطقة النجف الانتخابية

النجف ١ حزيران ١٩٥٤

منشور انتخابي لطبيب شيوعي من أهل النجف



صورة منه إلى فخامة رئيس الوزراء
" " معالي وزير المعارف
" " سيادة متصرف لواء كربلاء
" " " قائمقام قضاء النجف
" " " الجريدة النجفية
" " " جريدة لواء الاستقلال الغراء
" " " الميثاق الغراء
" " " النضال الموصلية
" " " الناس البصرية
" " " الزمان

معالي وزير الداخلية المحترم

المعروض

محمد السيد كاظم الجابري

عبد السيد كاظم الجابري

محمد حسن

حسين كونه

محمود ناجي

العريضة التي رفعها الشباب القومي العربي في مدينة النجف احتجاجاً على تحول (نادي الطلبة) في مدينتهم إلى بؤرة للحركة الشيوعية وأنصارها.

وزارة الداخلية
مديرية الشرطة العامة
شعبة التحقيقات الجنائية
الى "

سري خصيصة بغداد في ٢٤/٨/١٩٥٥
العدد /
٨٠٤٨

الدائرات السرية
العدد ٥٧٩٦
التاريخ ٢٦/٨/١٩٥٥
وزارة الداخليـــة

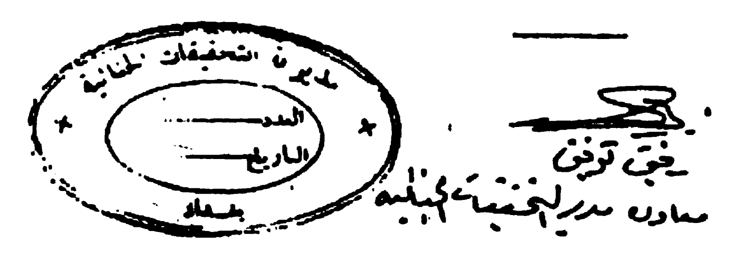
الموضوع / تبنذ السجناء الشيوعيين

ناجي جليل الحكيم

انه من اهالي النجف ومهنته صاحب فندق •

برز نشاطه الشيوعي لاول وهلة عندما اخذ يجتمع مع بعض الشيوعيين في النجف بدار الشيخ محمد الشبيبي المعروف بميوله اليسارية ومرشح الجبهة الوطنية في النجف • وان هذه الاجتماعات كان يحضرها الشيوعيين الخطرين لتدبير المؤامرات للقيام باعمال الشغب والاخلال بالامن والسكينة وبتاريخ ٢٤/٥/١٩٥٤ كانت قد استخبرت مديرية التحقيقات الجنائية بان جماعة من الشيوعيين من اهالي النجف استأجروا غرفة في احدى الدور بمحلة العوينة للاجتماع فيها ومزاولة النشاط الشيوعي وقد اجرى التحري بالدار المذكورة فعثر على ثلاثة اشخاص كانت بيد كل واحد منهم نشرة شيوعية لجماعة راية الشغيلة وهرب احدهم وقبض على اثنين وكان احدهم ناجي وعندما فتشهما عثر بحيازتهما على سبع نشرات شيوعية لجماعة راية الشغيلة وعلى نشرة بعنوان (توصيات اللجنة المحلية لمدينة بغداد الى الرفاق والموازرين) ولم يعترف ناجي عند التحقيق معه عن وجود اي نشاط شيوعي له وانكر حتى حيازته للنشرات • وقد سيق الى محكمة جزاء بغداد فحكمته بتاريخ ١٩/٢/١٩٥٥ بالحبس الشديد لمدة سنة ونصف وفق الفقرة ٣ من المادة ٨٩ من ق ع ب ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة سنة •

لقد نبذ الشيوعية بتاريخ ٢٣/٤/١٩٥٥•

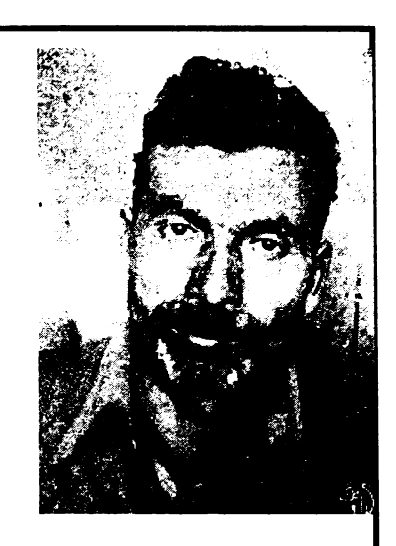


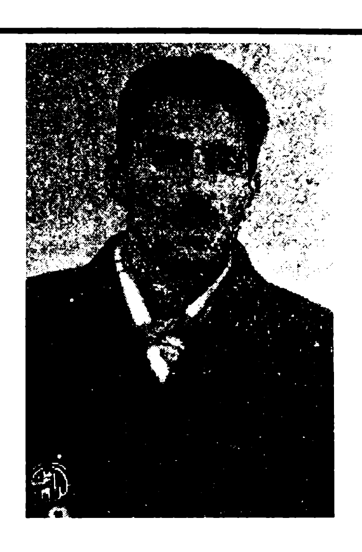
يحيى توفيق
معاون مدير التحقيقات الجنائية

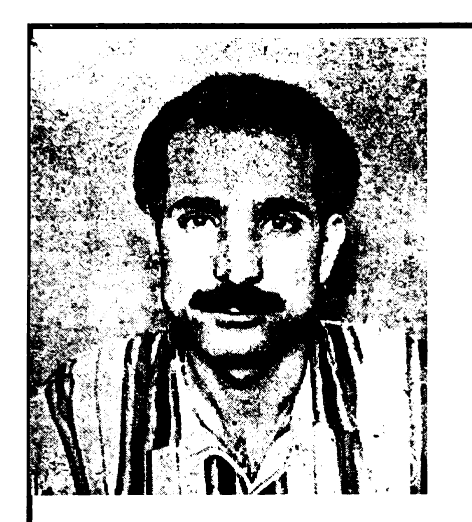
صورة كتاب مديرية الشرطة العامة / شعبة التحقيقات الجنائية (السري) إلى وزارة الداخلية عن أحد أبناء مدينة النجف متهم بالعمل لصالح الحزب الشيوعي مع الشيخ محمد الشبيي.



عثر على هذه الصورة في دار مطبعة القاعدة ضمن تصاوير كثيرة اخرى تخص المسجونين من اعضاء الحزب الشيوعي وربما هذه الصورة اعضاء الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني غير المجاز واعضاء الهيئة الادارية لعصبة مكافحة الصهيونية المؤلفة من اليهود الشيوعيين ونخبة من العمال الشيوعيين . وتوضح هذه الصورة كون هذه المنظمات مؤسسة واحدة ضمن الحزب الشيوعي السري والبارزون في هذه الصورة من الأعضاء هم من اليمين الى اليسار رقم (٣) عبود حمزة (٤) محمد علي الزرقا (٥) يوسف هرون زلخة رئيس العصبة (٦) محمد حسين ابو العيس المحامي من اعضاء الهيئة المؤسسة لحزب التحرر (٧) حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي (٨) سالم عبد النعمان المحامي عضو الهيئة المؤسسة لحزب التحرر (٩) محمود صالح السعيد المحامي عضو الهيئة المؤسسة لحزب التحرر (١٠) يعقوب مصري سكرتير عصبة مكافحة الصهيونية (١١) شريف الشيخ المحامي عضو في العصبة سابقا ومن اعضاء اللجنة الوطنية الثورية للحزب الشيوعي (١٢) مسرور صالح قطان من اعضاء الهيئة الادارية في العصبة (١٣) جميل حبيب عضو الحزب الشيوعي (١٥) يعقوب نسيم من اعضاء الحزب الشيوعي (١٦) نعيم شوع من اعضاء العصبة (١٧) فؤاد بهجت عضو الحزب الشيوعي (٢٤) ابراهيم شاؤول عضو الحزب الشيوعي


أحمد عباس الملقب (عبد تمر)


حسين محمد الشبيبي


زكي محمد بسيم



ترينا هذه الصورة منظمة نسائية ترأس كل واحدة منهن خلية شيوعية يقمن بنفس الوقت كمراسلات لنقل الرسائل والمطبوعات من المطبعة الى الاوكار الشيوعية. وهن من اليمين الى اليسار (١) ديزي حسقيل (٢) حبيبة ساسون مشعل (٣) سمحة بنت يعقوب (٤) نجية بنت مناحيم قوجمان .

التعليق لدائرة الاستخبارات العراقية



عبد اللطيف هاشم السعدي طالب حقوق سابقاً مسؤل أربيل

فؤاد بهجت موظف في المالية سابقاً مسؤول كركوك

زكي خيري

مالك سيف

أحمد اسماعيل

حسين الحاج طه

محمد علي الشبيبي(النجف)

يعقوب مير مصري (مندلي)

عبد الهادي هاشم الأعظمي بغداد



عمومة مير مصري (مندلي)

نجية مناحيم قوجمان

حبيبة ساسون زوجة حسقيل قوقجان

حسقيل ناحيم قوجمان

كريكور بدروسيان

المحامي نافع يونس

يهودا ابراهيم صديق

جاسم حمودي المعلم



ربتنا هذه الصورة اعضاء الحزب الشيوعي العراقي السري المقبوض عليهم في وكر الدنك وهم من اليمين الى اليسار (١) يعقوب بن يونا (٢) اسحق ايليا خزوم (٣) هنري يعقوب (٤) روبين دنكور (٥) فؤاد سليم (٦) عزرا شلومو صالح (٧) ابراهيم عزرا .



يشاهد في هذه الصورة عامل مطبعة جريدة القاعدة السرية المتهم حساني علي وهو قائم بعملية الطبع أثناء القاء القبض عليه في وكر مطبعة القاعدة



مرتب حروف مطبعة القاعدة المتهم حساني علي يقف خلف المطبعة في غرفتها ويقوم بطبع بيان للحزب الشيوعي العراقي رتب حروفه بنفسه

منظمي المنظمات الشيوعية المقبوض عليهم في وكر القاطرخانة



(١) موسى سايان من اهالي اربيل طالب في دار المعلمين العالية



(٢) عادل سليم من اهالي اربيل طالب ثانوية ببغداد



(٣) مجيد رؤوف من اهالي اربيل طالب في كلية الحقوق



(٤) عاصم حيدر الحيدري من اهالي اربيل موظف تموين مفصول

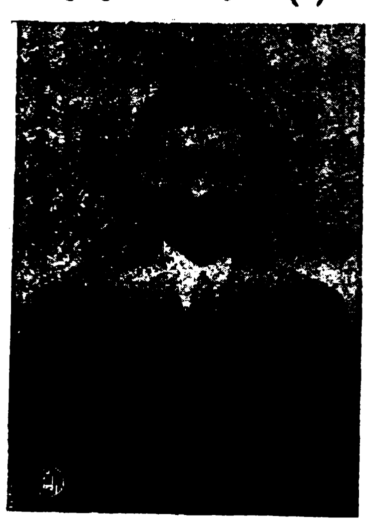


(٥) عمر علي الشيخ من اهالي السليمانية خريج كلية الهندسة

اعضاء اللجنة المركزية الثالثة للحزب الشيوعي العراقي السري



(١) عضو اللجنة المركزية ساسون شايمو دلال (المسؤول الاول في المركز)



(٢) عضو اللجنة المركزية الثالثة رزوق توفيق جالاك



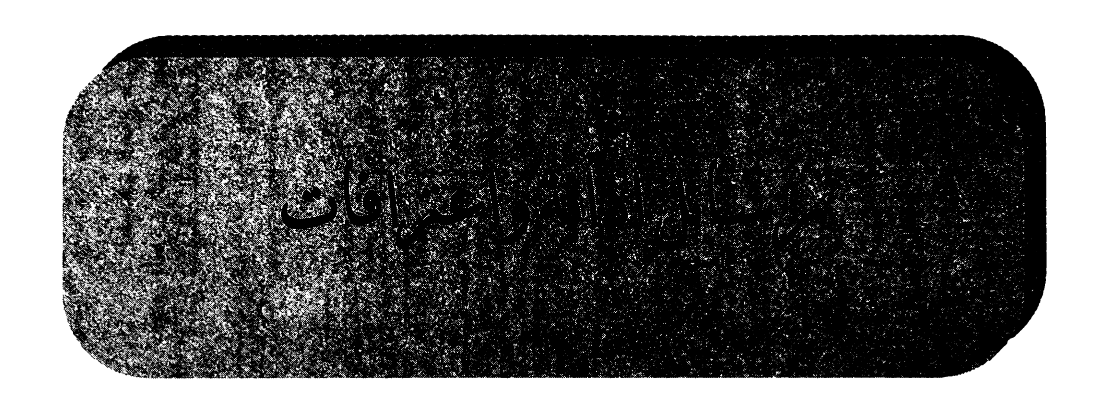
(٣) عضو اللجنة المركزية الثالثة صبري عبدالكريم



(٤) عضو اللجنة المركزية محمد عبداللطيف



(٥) عضو اللجنة المركزية هاشم عبد الله الاربيلي



لاقى الشيوعيون العراقيون اضطهاداً كبيراً من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة سواء في العهد الملكي أو العهد الجمهوري وكان رؤساؤهم يسجنون ويعذبون ويضطر أكثرهم للاعتراف بأسرارهم الحزبية وتجبرهم السلطات لأصدار بيانات أو رسائل إدانة لحزبهم الشيوعي وهذا بعض ماوقفنا عليه من الوثائق في هذا الباب:

تحيات ثورية للمجلس الوطني لقيادة الثورة موطداً دعائم جمهوريتنا الفتيـــة .

حسين الوردي (اياد)
عضو لجنة بغداد في الحزب الشيوعي العراقي ٢/٣/١٩٦٣

الى المجلس الوطني لقيادة الثورة الكرام

[illegible]

حسين الوردي
اياد
عضو لجنة بغداد في الحزب الشيوعي العراقي
٢/٣/٩٦٣

((رسالة لطيف الحـاج))

المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق

تحيـة اجـلال واكبـار

احييكم تحية ملؤها الاحترام ، وان جاءت هذه التحية متأخرة كثيرا ٠ لقد عملنا في صفوف الحزب الشيوعي العراقي في العهد الملكي المندثـر ايمانا منا بضرورة زوال الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطني والعدالـة الاجتماعية ٠ وحينما تحققت ثورة ١٤ تموز الوطنية بتآزر رائع من الجيش والشعب بمختلف قواه وعقائده ، وتحررنا من السجن الكبير ٠٠ استبشرنا بحلول عهد جديد زاهر لشعبنا ولامتنا وللانسانية كلها ٠ ولكن لم تمض فترة قصيرة ٠٠ حتى اخذت الامور تسير بشكل آخر في محاولة لخلق حكم دكتاتوري فردي معاد لمصلحة الشعب والوطن ، يبذر أموال الدولة ويتلفهـا في محاربة القوى الوطنيـة والقوميـة ، وفي مظاهر البهرجـة والدعايـة والتمجيد لشخص الدكتاتور الأوحد المجرم عبدالكريم قاسم ٠ وكان الحزب الشيوعي يسند هذا الاتجاه ، ويدعم الدكتاتورية ، ويقيم لها الاسانيـد ويفلسفها ويتعاون معهـا في ضرب الحركـات الوطنيـة الاخرى ٠٠ فكانت مجازر الموصل وكركوك وغيرها ٠ لقد جعل الحزب الشيوعي العراقي مـن نفسه سياجا يحمي حكم قاسم من نقمة الجماهير وغضبها ويثبط من عزيمتها في مقاومته واتهام كل من يعمل ضد الدكتاتورية بأنـه يعمـل لمصلحة الاستعمار ويسعى لتقويض الحكم الوطني ٠ وقد تجلى هذا الموقف الخياني الاجرامي بسطوع عند قيام ثورة ١٤ رمضان الوطنية المباركة ٠٠ اذ دعـا لمقاومتها بمجرد اعلان حدوثها رغم وضوح مبادئها الوطنية ورغم انها لم توجه ضد اية فئة ٠ انني ادرك الآن بجلاء المحتوى الانساني العميـق لثورتكم الرائعة ، والمستقبل الوضاء الذي ينتظره شعبنا وأمتنا في ظلها ٠

وكلي أمل أن تكون هذه التحية مقبولة لديكم تكفيرا عن بعض الآثـام التي ارتكبناها اثناء وجودنا في الحزب الشيوعي ٠ كما أرجو ان تنظروا لنا بعين الصفح والغفران عسى ان تكون بقية طاقاتنا المتواضعة في خدمتكم ٠

مع أعمق التحيـات ٠

لطيـف الحاج علي
عضو الحزب الشيوعي (مقدام)
من تنظيمات الخط العسكري

١٩٦٣/٣/٢

((رسالة شريف الشيخ))

الى المجلس الوطني لقيادة الثورة

أبارك لكم ثورتكم الظافرة على الظلم والطغيان اللذين فرضتهما دكتاتورية قاسم على شعبنا طوال هذه السنوات ، واستطاعت في ساعات قلائل أن تمحو الى الابد عار هذه الدكتاتورية الهوجاء ، وتحرر بلادنا من ارهابها الاسود .

لقد أعلنتم في بيانكم الاول ان هذه الثورة لم تقم الا لتخليص الشعب من الدكتاتورية بينما ستحافظ على الاستقلال الوطني للجمهورية وعلى الوحدة الوطنية ، وانها ستعمل لمصلحة الشعب والسلم ومن اجل الديمقراطية لكل الشعب ، وهذا هو النهج الذي يرنو اليه شعبنا بكل فئاته منذ زمن بعيد ويناضل من اجل تحقيقه ، فجاءت ثورة ٨ شباط تزيل العائق الرئيسي في طريق اهداف الشعب بقضائها على الدكتاتورية . لهذا كانت الحملات الظالمة التي تشنها في الخارج الاحزاب الشيوعية ضد هذه الثورة الوطنية مبعث الاستنكار والشجب من قبل جماهير الشعب .

ان نداءات الحزب الشيوعي الدموية صبيحة يوم الثورة لم يهلل لها الا اعداء الشعب من الرجعيين والانتهازيين وفلول العصابات الشيوعية المجرمة .

اني استنكر ايضا المقاومة المسلحة البائسة التي قام بها الحزب الشيوعي ضد هذه الثورة الوطنية ، اذ وضع نفسه في الواقع في صف الدكتاتورية والرجعية وعزل نفسه عن الشعب .

تمنياتي لكم بتوالي النجاحات في تحقيق اهداف الشعب العظمى في صيانة الاستقلال الوطني ، ووحدة الصف الوطني ، ومن أجل اشاعة الديمقراطية والازدهار لكل أبناء الشعب .

هذا واني أعلن شكري للهيئات التحقيقية لمعاملتها الطيبة لي . ومرة اخرى تقبلوا تأييدي واحترامي .

المحامي شريف الشيخ
(حارس)
عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

٢٨ شباط ١٩٦٣

((رسالة عصام القاضي))

المجلس الوطني لقيادة الثورة

انتصار ثورة الشعب في ١٤ رمضان حقق للشعب الخلاص من حكم الطاغية عبدالكريم قاسم وزمرته الذين اساموا الشعب العذاب ، وأبعدوا العراق عن الركب العربي المتحرر • ان موقف الحزب الشيوعي العراقي الخياني من الثورة سبب في ازهاق الارواح البريئة ، وعمق من الهوة بين ابناء الشعب ، وحاول اعاقة سير الثورة الظافرة • ان هذاالموقف لا ينفصل عن مواقف الحزب العدائية الاخرى تجاه القوى القومية الثورية العربية منذ انحراف ثورة ١٤ تموز وحتى ٨ شباط ، ومحاربته لها بكافة الطرق والاساليب • ومما يؤسف له أن تقف أجهزة الاعلام لبعض الدول الاشتراكية موقفا عدائيا لا مبرر له ، ولا يدل على تفهم لواقع الثورة التقدمي المعادي للاستعمار والاقطاع •• مما يساعد على تمتين العلاقات بين الدول الاشتراكية والعراق •

اننا نحيي مجلس الثورة الوطني تحية ثورية حارة ، ونتمنى أن يسير بالعراق صوب اهدافه في الديمقراطية والتقدم والتحرر •

عصام القاضي (زيدان)

مسؤول لجنة بغداد للحزب الشيوعي العراقي

١٩٦٣/٣/٤

المجلس الوطني لقيادة الثورة

انتصار ثورة الشعب في ١٤ رمضان حقق للشعب الخلاص من حكم الطاغية عبدالكريم قاسم وزمرته الذين اساموا الشعب العذاب وابعدوا العراق من الركب العربي المتحرر ان موقف الحزب الشيوعي العراقي الخياني من الثوره سبب في ازهاق الارواح البريئه وعمق من الهوة بين ابناء الشعب وحاول اعاقة سير الثورة الظافرة ان هذا الموقف لا ينفصل عن مواقف الحزب العدائية الاخرى تجاه القوى القومية الثورية العربية منذ انحراف ثورة ١٤ تموز وحتى ٨ شباط ومحاربته لها بكافة الطرق والاساليب . ومما يؤسف له ان تقف اجهزة الاعلام لبعض الدول الاشتراكية موقفاً عدائياً لا مبرر له ، ولا يدل على تفهم لواقع الثوره التقدمي المعادي للاستعمار والاقطاع ، مما يساعد على تمتين العلاقات بين الدول الاشتراكية والعراق

اننا نحيي مجلس الثورة الوطني تحية ثورية حارة ، ونتمنى ان يسير بالعراق صوب اهدافه في الديمقراطية والتقدم والتحرر .

[illegible]

عصام القاضي

(زيدان)

مسؤول لجنة بغداد للحزب

الشيوعي العراقي

٤/٣/١٩٦٣

((رسالة بديع عمر نظمي))

المجلس الوطني لقيادة الثورة – بغداد

انى اؤيد الثورة التقدمية الشعبية التي قمتم بها لتطهير العراق من الحكم الفردى الدكتاتورى الغاشم ٠٠ الذى فرضه عليه المجرم الخائن عبد الكريم قاسم !٠ اؤيد هذه الثورة كل التأييد ، واعلن عن استعدادي لخدمة هذه الثورة بكل ما تتطلبه مني قيادتها الحكيمة المخلصة ، في سبيل تحقيق ما يصبو اليه الشعب العراقي والعربي بأجمعه من وحدة وحرية واشتراكية ٠

وفى الوقت نفسه استنكر ، بشدة ، الحملات المضللة التي تقوم بها اجهزة الدعاية والنشر في الدول الاشتراكية ٠٠ ضد التدابير التي تتخذها حكومتنا بحق اعداء الثورة تلك الحملات التي تؤلف تدخلا سافرا في شؤوننا الداخليـــة ٠

وكذلك فانى أعلن شجبي وادانتي الكلية للسياسة الخيانية التي سار عليها الحزب الشيوعي العراقي طيلة تأريخه ، تلك السياسة التي تجسدت بابشع اشكالها فى اسناد ومؤازرة حكم المجرم القذر عبدالكريم قاسم ، وفى الاعتداءات والجرائم المنكرة على حقوق وارواح وحرمات ابناء الشعب ، واخيرا فى رفع السلاح دفاعا عن عبدالكريم قاسم ، وفى وجه الثورة وقيادتهـــا المخلصـــة ٠

مع فائـــق الاحتـــرام

بديـــع عمر نظمي
العضو السابق فى مكتب التثقيف
التابع للجنة منطقة بغداد للحزب الشيوعي
الاسم الحزبى : (حايم)

١٩٦٣/٣/١

((رسالة عبدالستار مهدي محمد رضا))

الى المجلس الوطني لقيادة الثورة المحترم

لقد عشت وانا بأمل ان ارى بلادي متحررة من الاستعمار ومن الاقطاع الذي أذاق جماهير الفلاحين شتى أنواع العذاب ، وقد كان ذلك الامل قد تحقق في صبيحة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .. ولكن الذين خانوا الثـورة وأهدافها ، كريم قاسم وزمرته ، وبالاستناد على الحزب الشيوعي قـد أطاحوا بأهداف الثورة ومكاسبها ، وأعلنها كريم قاسم دكتاتورية على الشعب .. مستندا على الحزب الشيوعي في ضرب القوى القومية الوطنية المخلصة فانه - بحق - دور قذر اجرامي ادى الى تفريق الصفوف ،واطال من أمد الحكم الدكتاتوري القاسمي المجرم . وللحزب الشيوعي دوره الاجرامي في حوادث كركوك ، وفي ثورة الموصل التي ارتكبت فيها أبشع الجرائم .

وقد انطلقت ، اخيرا ، ثورة ١٤ رمضان المبارك التي أعلنت في بداية انطلاقها اهدافها القومية والوطنية الصريحة الواضحة ، التي قربت الدول العربية المتحررة ، واعطت الثقة بامكانية انتصار حركة التحـرر العربي الصاعدة ، وظهرت طليعتها من بداية انطلاقتها ، انها طليعة ثورية قوميـة وطنية لاشك فيها .. لتدك الدكتاتورية . فالحزب الشيوعي اتخذ موقفه المعادي للثورة المباركة داعيا .. لا .. بل حمل السلاح بوجه الثورة بدلاً من حمله بوجه الدكتاتورية المجرمة .. بذلك أضاف اجراما جديدا لمواقفه الاجرامية السابقة . وبسبب موقفه هذا ازهقت ارواح بريئة كان المؤمل لها أن تعيش اعياد الشعب في بناء مستقبله الزاهر .

لذلك حررت هذه البرقية من كل جوارحي لأعلن استنكاري على موقف الحزب الشيوعي العراقي . وبالوقت نفسه على موقف اذاعات دول المعسكر الاشتراكي المفروض فيها أن توجهها لاسناد الثـورة المباركـة المعاديـة للاستعمار والاقطاع .

عاشت ثورة ١٤ رمضان المبارك لتحقق أهداف الشعب النبيلة .

عبدالستار مهدي محمد رضا (سعد)

١٩٦٣/٣/٢ مسؤول المكتب الفلاحي لدى اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي العراقي

((رسالة حسين علي الهورماني))

المجلس الوطني لقيادة الثورة ـ بغـداد

انخرطت في صفوف الحزب الشيوعي ، وأنا موقن تمام اليقين انـه يعمل على خدمة مصالح الشعب ٠٠ ولكن المواقف الانشقاقية والاستئثاريـة التي وقفها الحزب من الاحزاب الوطنيـة العاملة في الجبهـة الوطنيـة ، ثم المجازر الدموية التي تسبب في ارتكابها قد أزالت الغشاوة عن عيني عـلى حقيقة أعمال هذا الحزب ٠

لقد بلغ الامر بالحزب الشيوعي العراقي انه ظل في الميدان ٠٠ **الحزب الوحيد الذى يدافع عن حكم كريم قاسم فى حين كانت الاحزاب جميعها قد شخصت فردية الحكم ، ودكتاتوريته وعداءه للشعب الامر الذى اوقع اعضاء الحزب البسطاء في حيرة من امر الدفاع عن ازدواجيةالدكتاتورية والوطنية٠**

وحين قامت ثورة الثامن من شباط ١٩٦٣ سارع الحزب الشيوعي الى الاهابة بأعضائه لاشهار السلاح بوجه الثورة حتى دون معرفة هوية القائمين بها ٠٠٠ الامر الذى كاد أن يؤدي الى حرب أهلية طويلة الامد ، لا يفيـد منها ولا يستثمرها غير الاستعمار ومطيته الرجعية ٠

انني أعلن بمحض ارادتي وكامل قواي بان الحزب الشيوعي قد برهن على ضحالة سياسية ، وانخفاض في مستوى قيادة الجماهير ، كما سجل على نفسه موقفا خيانيا لا يغتفره له الشعب العراقي الى الابـد ٠

انني اذ أضع هذه الحقائق ، وحقائق غيرها لا يحصرها المقام والتـي تثبت خيانة الحزب الشيوعي وجرائمه ، انما أضع كفاءتـي وامكانياتـي ومواهبي لخدمة الثورة وتحقيق أهدافها النبيلة ٠

كما ارجو من القيادة الموقرة للمجلس الوطني أن تتيح لي الفرصة كيما أعود الى أهلي وزوجتي وطفلتي لأرعى شؤونهم بهدوء واطمئنان ، بعيدا عن السياسة كل البعـد ٠

وتفضلوا بقبول فائـق الامتنـان

حسين علي الهورماني
عضـو مكتب سكرتاريـة
اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي
الاسم الحزبي : حسام
عضو في اللجنة الحزبية المختصة بتدوير عمل
الشبيبة الديمقراطية

١٩٦٣/٣/٢



بالرغم من مغازلة الزعيم لينين للشيخ محمد الخالصي أثناء وجود الأخير في إيران ووصفه إياه بزعيم الوطنيين في العراق، إلا أن الشيخ الخالصي وقف ضد التيار الشيوعي بعد عودته للعراق.

عن هذا الموضوع يقول مؤرخ العائلة الخالصية الشيخ هاشم الدباغ الكاظمي الخزاعي:

«وكانت دعواته إلى إقامة الجمعة المجاهدة، تسير جنباً إلى جنب مع مقاومته السياسة الاستعمارية في بث التفرقة الطائفية، فقام بمسيرته المشهورة في عام ١٩٥٠م من الصحن الكاظمي على رأس جموع المصلين الغفيرة الوافدة من أنحاء العراق إلى منطقة الأعظمية لإقامة الجمعة في مسجد (الشيخ أبي حنيفة). كما قام برحلة مماثلة إلى مدينة «سلمان باك» (المدائن) حيث أقامها في جوار ضريح الصحابي الجليل «سلمان المحمدي»».

وقد اتخذ من الجمعة منبراً لدعوته المبنية على التوعية السياسية الإسلامية وتنزيه عقائد الأمة من البدع والخرافات داعياً علماء الأمة ومراجعها إلى العودة إلى الخط الجهادي للمراجع العظام، منددا بالقابعين والقانعين بفكرة عدم التدخل في السياسة كما آلمه أن يرى التيار الشيوعي الإلحادي يستغل حقد الأمة على الاستعمار ليحرف الشباب عن الخط الإسلامي إلى الخط الإلحادي فشنّ حرباً فكرية وسياسية لا هوادة فيها على هذا التيار جنباً إلى جنب مع محاربة السياسة البريطانية في العراق.

فشن عملاء الاستعمار بمن فيهم الشيوعيون[١] الذين لم يكونوا بلا ارتباط بالصهيونية والسفارة البريطانية كما أشرنا، حرباً مسعورة لمقاومة هذه الدعوة وركيزتها هذه الصلاة العبادية السياسية وقائدها المصلح المجاهد، وحاولت بث الإشاعات حوله وإثارة العوام ضد دعوته لتنقية الدين من البدع والخرافات والأهواء، وتحريض بعض المعممين وتخويفهم وبث الشبهات حول فريضة الجمعة العظيمة بسبب خوفهم منها ورعبهم من آثارها.

إلا أن المؤمنين صمدوا أمام كل هذه المحاولات الجائرة كما انطلقت فصائل الكفاح المسلح من مدرسة الجمعة ضد رموز العهد القاسمي وهمجية الشيوعيون إبّان المد الأحمر، حيث علّقوا جثث النساء والأطفال والرجال على أعمدة النور وسحلوهم في الشوارع فكانت الجمعة المجاهدة هذه هي السدّ المنيع الذي وقف بصلابة أمام هذه الهمجية[٢].

(١) كان الشيوعيون في العراق وقبل عودة الإمام الخالصي إليه يؤكدون في أدبياتهم وفي تثقيفهم لكوادرهم بأن الخالصي زعيم الوطنيين الأحرار والعدو اللدود للاستعمار وعندما عاد إلى بلده وحاربهم وفنّد فكرهم الإلحادي، عادوا ونعتوه بالرجل الاستعماري. وربما استندوا في وصف الخالصي بالوطنية إلى البرقية التي بعث بها لينين إلى الإمام الخالصي عندما كان في إيران والتي عنونها «إلى زعيم الوطنيين الشيخ محمد الخالصي» والتي يخبره فيها بإعدام سفير روسيا السابق في إيران (شوميوتسكي) وذلك لأنه قام بتضليل حكومته بشأن عمالة رضا شاه للإنكليز، إذ كان يخبر حكومته بأن رضا شاه رجل وطني وليس عميلاً. كان هذا على عكس ما يؤكده الإمام الشيخ محمد الخالصي من عمالة رضا شاه للإنجليز والغرب. «نقل عن نجل آية الله كمره أي».ويقول الإمام الخالصي: «.. ولما نفيتُ إلى إيران تعاقدت مع (لينين) على أن يعيش العراق في سلم دائم مع الروس، وعلى طرد فيصل والاستعمار الذي جاء به عن العراق، بشرائط قبلها (لينين). ومن أهمها أن لا يكون للروس طمع في البلاد الإسلامية الخارجة عن نطاق اتحاد الجماهير السوفييتية، ولا يخل في استقلالها ويؤيدها بكل قواه. وأن لا يعارض في نشر التعاليم الإسلامية في البلاد المسلمة داخل نطاق الاتحاد السوفييتي، وأن يعطي المسلمين فيها حقهم وحريتهم، في دينهم ومساجدهم ومدارسهم الدينية وتقاليدهم الإسلامية. فوفى لينين بجميع الشرائط، وتنازل عن كل حق كان لروسيا القيصرية في إيران، واتخذنا الوسائل الكافية لإقامة حكومة إسلامية في العراق لا يكون لروسيا ولا لإنجلترا دخل فيها. وبينما نحن نعمل على ذلك، وننشر التعاليم الإسلامية في بلاد الإسلام التي كانت داخلة في اتحاد الجماهير السوفييتية، إذ مات لينين فنقض خَلَفَهُ تلك العهود، وأظهر طمعه في استعمار البلاد الإسلامية خارج نطاق الاتحاد السوفييتي. أراد أن يكون خلفاً للإنجليز فيها، كما صار خلفاً للينين في روسيا. وحينئذ اضطررنا إلى إعلان المخالفة مع حكومة روسيا التي خلفت لينين». (الإسلام فوق كل شيء(ص٢٤ بغداد ـــ ١٩٥٨م.

(٢) الجمعة المجاهدة ص٢٨، كتاب الإمام المجاهد الشيخ محمد الخالصي للشيخ الدباغ ص١٦٩ ـــ ١٧١، طهران ١٩٩٨.



* في مقدمته لكتاب مشاهدات في ثورة العشرين لمؤلفه محمد علي كمال الدين تطرق البحاثة الراحل على الخاقاني إلى صلة النجف بالأفكار البلشفية وفيما يلي نص ما ذكره من تحليل:

أود هنا أن أبحث موضوعاً خطيراً يتعلق بتأريخ هذه الثورة، وقد يدفعني إلى ذلك إشارة وردت في كتابات المؤلف وجاءت ضمن الرسالة التي بعثها المرحوم خليل عزمي الإداري المعروف الذي شارك في أحداث الثورة، فقد كتب في رسالته مشيراً إلى ما جرى في منطقة (عانه) من حركات عسكرية تتعلق بالثورة، ويذكر فيها أن جيشاً عربياً جاء من سوريا بقيادة منصور بك الطرابلسي خف لمساعدة الثوار العراقيين، فوصل إلى مدينة عانة وقضى على أنصار الإنكليز من جماعة علي السليمان رئيس الدليم وكان في ضمن هذا الجيش (١٨٠٠) شخص من العسكر الذين يدعون بأنهم (بلشفيك) لا يتبعون دولة، ومقصدهم إعانة المسلمين ، هكذا ورد التعبير بالنص، ولست أملك من الأسباب ما ينفي ذلك أو يثبته، وإن كنت على يقين بأن رؤوس الثورة في النجف والفرات لم يعيروا هذا الأمر كبير اهتمام، ولا عنوا بالوقوف على تفاصيله مع ما له من الدلالة الكبيرة.

ودون شك إن الأفكار الشيوعية قد امتدت إلى سوريا قبل الثورة العراقية وأثناءها، وإن جريدة الاستقلال[١] الصادرة في النجف والناطقة باسم الثورة العراقية تقول نقلاً عن صحيفة (رعد) السورية ما نصه: (إن الأفكار البلشفية أخذت تتوسع في سوريا، وإن الرسائل التي كتبها لينين وتروتسكي التي تبين اعترافهما باستقلال البلاد العربية قد انتشرت في جميع أنحاء سوريا).

أما جريدة الفرات النجفية[٢] التي كانت هي الأخرى لسان حال الثورة، فقد وقفت من الاتحاد السوفيتي موقف المتشكك في نواياه الودية تجاه إيران خاصة، ولكن هذه الجريدة أشارت في افتتاحية العدد نفسه إلى الثورة البلشفية التي أصبح تأثيرها عاماً أهاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون. في حين كانت جريدة الأزفستيا السوفيتية تصرح حينذاك " أننا لا نستطيع أن نتخذ موقف تجاه الحركات الوطنية التي انضوى تحت لوائها مئات الملايين من الشرقيين لأن ذلك معناه انحياز الاتحاد السوفيتي إلى معسكر الاستعمار الغربي[٣] بل كانت تصريحات قادة الاتحاد السوفيتي قائمة منذ بداية تشكيل الدولة على أساس تحرير شعوب الشرق

خاصة من نير الاستعمار الغربي، ومساعدتها في التخلص من رق العبودية بكل وسيلة ممكنة، ولكنه غير خفي أن المعلومات التي وصلت إلى العراق في ذلك الوقت المبكر عن الاتحاد السوفيتي كانت مشوشة مضطربة، وكانت ترد بطبيعة الحال عن طريق وكالات الأنباء الاستعمارية ومصادر الأخبار الغربية وبصورة غير سليمة.

أما المصادر الإنكليزية التي بحثت ثورة العراق، فكانت تشير ــ بشكل غامض ــ إلى تأثير البلاشفة على الحركة الوطنية في العراق ووجود الاتصال بين البلاشفة وقادة الثورة

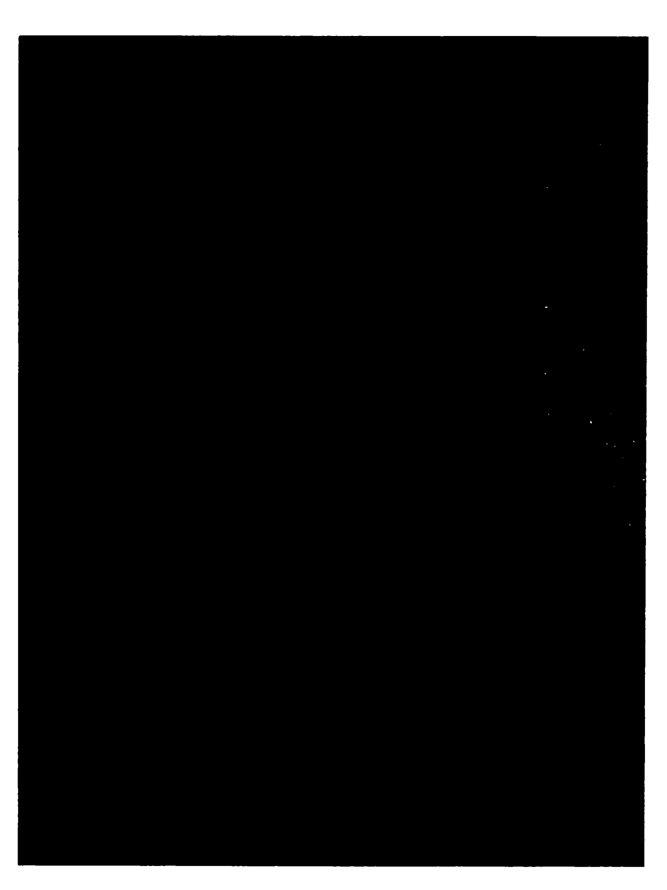
---

(١) ذكر ذلك الفياض في كتابه (الثورة العراقية) ص ٢٤٧ وعند رجوعنا إلى العدد الذي أشار إليه من جريدة الاستقلال لم نجد الخبر، ولعل مظنته في مكان آخر.

(٢) العدد (٢) من الاستقلال الصادر بتاريخ ٢٨ ذي القعدة هـــ إذ جاء في هذا العدد، لا تزال تخامرنا الشبه والشكوك في حقيقة أمر البلشفيك وفي مبلغ إخلاص نياتهم، وذلك قبل الاطلاع على مقاصدهم الحقيقية، والوقوف على المظهر الذي سيظهرون به في إيران ومن جملة ما يحملنا على الشك فيهم واستبدادهم الظاهر عدم سماحهم لكل من حكومة أذربيجان وأرمينيا والقوقاس بالتمثيل الخارجي الذي هو من لوازم الاستقلال التام، رغم قبول هذه الحكومات الثلاث المبادئ البلشفيكية.

(٣) على طريق الهند ص ٢٨٩، وانظر التفاصيل من ص ٢٨٤ ــ ٣٠٩.

العراقية، نذكر بنوع خاص تقرير (هولدن) قائد القوات البريطانية في العراق إبان الثورة، ثم المس بيل السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني في العراق، التي أكدت وجود العلاقة بين البلاشفة والشيخ محمد رضا الشيرازي أحد أحرار الثورة ونجل الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد الثورة الروحي[1] وأشار إلى الموضوع نفسه هنري فوستر[2] على أن هذه المصادر الإنكليزية تعتقد أن هذه العلاقة جاءت عن طريق سوريا الذي أشارت إليه جريدتا رعد والاستقلال .



الشيخ محمدرضا الشيرازي

(١) الفياض . الثورة العراقية ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩
(٢) تكوين العراق الحديث ص ١٥٩.

وثائق



ـ نص فتوى آية الله السيد محسن الحكيم بتحريم الإنتماء للحزب الشيوعي .

بسم الله الرحمن الرحيم

" لايجوز الإنتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيمانا وتسليما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

محسن الطباطبائي الحكيم ١٧ شعبان ١٣٧٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
لايجوز الانتماء الى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر والحاد أو ترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم ايمانا وتسليما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
١٧ شعبان ١٣٧٩ هـ محسن الطباطبائي الحكيم

* آية الله السيد محسن الحكيم يوضح حقيقة التوبة من الشيوعية

لقد أفتى آية الله السيد محسن الحكيم بكفر الشيوعية وإلحادها فانهالت على سماحته الأسئلة من مختلف البلدان تسأله عن صحة صدور الفتوى منه ولما أجابهم بصحتها ، فزعوا إليه يسألونه عن طريق النجاة ، فأجابهم بقبول توبتهم وإليكم هذا السؤال وجوابه :

ما يقول آية الله المرجع الأعلى حجة الإسلام السيد محسن الحكيم دام ظله الوارف على عموم المسلمين اتقدم لمقامكم الرفيع : إني كنت من المنتمين إلى الحزب الشيوعي ، وقد حكمتم بان الإنتماء إليه كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والالحاد ،وإني كنت مقلدا لسماحتكم وعلى أثر صدور هذه الفتوى فقد تبت إلى الله فهل تقبل توبتي وبراءتي مع العلم إني كنت مغرورا بهذا الإنتماء للدعايات المضللة التي أحاطت بي وبالشعب العراقي بل في جميع أنحاء العالم فهل تقبل توبتي وكيف يتحقق عودتي ورجوعي إلى الإسلام وإصلاح حال آخرتي وقد فزعت إليكم لترشدوني إلى طريق الحق والصواب أدام الله ظلكم وأنقذنا بكم ودمتم للإسلام رافعين لوائه وللمسلمين مفزعا وملجا .

مخلصكم عبد الله عبد الوهاب

جواب سماحة الإمام الحكيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم إذا تبت وندمت على ماوقع منك من ذنب عظيم واستغفرت الله جل شأنه تقبل توبتك ويغفر ذنبك كما قبلت توبة الحر بن يزيد الرياحي عليه السلام وفقنا الله وإياك لطاعاته والعمل بموجبات مرضاته وأحسن حالنا واصلح بالنا إنه أرحم الراحمين .

١٤ شوال ١٣٧٩ محسن الطباطبائي الحكيم

٢ ــ فتوى آية الله العظمى السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي

حيث سئل .. هل إن الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الإنتماء إليها .. فأجاب سماحته :

الشيوعية ضلال وإلحاد فلا يجوز الإنتماء إليها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأقل عبد الهادي الحسيني الشيرازي

٣ ـــ فتوى آية الله العظمى السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني الكبير آية الله السيد ميرزا مهدي الشيرازي دام ظله العالي

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي أنا من مقلديكم ولكني متصل بالحزب الشيوعي بل وادعو الناس إليه وقد نشرت في هذه الأيام فتوى الإمام كاشف الغطاء تنص على حرمة الإنتماء إلى الشيوعية والركون إليها ، فهل إن ذلك صحيح بأن الإنتماء إليها حرام وهي كفر وإلحاد أفتونا أمركم .

المخلص كاظم الصالح

اية الله الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الانتماء إليها حرام والدعوة إليها حرام آخر وهي كفر والحاد والله العاصم. مهدي الحسيني الشيرازي

٤ ـــ فتوى آية الله العظمى السيد محمود الحسيني الشاهرودي

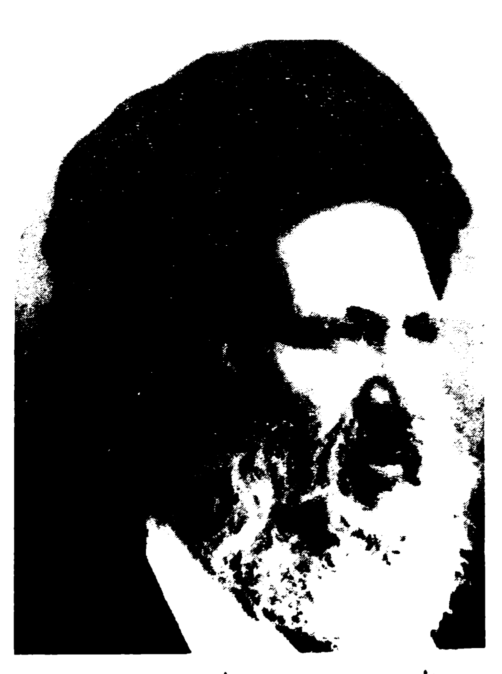
بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله العظمى حجة الاسلام والمسلمين السيد محمود الشاهرودي دام ظله .

ما رأيكم في المبادئ الهدامة ـــ الشيوعية ـــ وهل تتصادم مع الدين الإسلامي الحنيف وهل يجوز الإنتماء إلى الحزب الشيوعي أفتونا مأجورين .

السيد إبراهيم السيد أحمد

٢٤ رمضان ١٣٧٩



السيد محمود الشاهرودي

بسمه تعالى

تصادم المبادئ اللادينية الشيوعية مع الدين الإسلامي من الضروريات فلا يجوز تقوية المروجين لتلك المبادئ بوجه من الوجود حتى الإنتماء إليهم .

٣٠ رمضان ١٣٧٩ محمود الحسيني الشاهرودي

ليلة الثلاثين من رمضان

٥ ــ فتوى آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

حجة الإسلام والمسلمين آية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري دام ظله

آية الله هل أن الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الإنتماء إليها أو تأييدها أفتونا مأجورين .

خادمكم الشامية

١١ رمضان ١٣٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيوعية هدم للدين وكفر وضلال فلا يجوز الإنتماء إليها بوجه من الوجوه كفى الله المسلمين شرها .

٢٥ رمضان ١٣٧٩ عبد الكريم الجزائري

٦ ــ فتوى آية الله زعيم الهيئة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله الكبرى سماحة حجة الإسلام السيد أبوالقاسم الخوئي دام ظله الوارف

نتقدم لمقامكم الرفيع بالسؤال الآتي راجين التفضل بالإجابة عنه ، هل يجوز الإنتماء إلى الحزب الشيوعي وتأييده وهل أن المبدأ الشيوعي ينافي الإسلام أفتونا مأجورين .

٢ شوال ١٣٧٩ السيد حسين الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله العظمى سماحة حجة الإسلام السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله الوارف

نقدم لسماحتكم الشريف السؤال الآتي راجين التفضل بالإجابة عنه:

هل يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي وتأييده، وهل أن المبدأ الشيوعي يتلاءم مع الإسلام؟ أفتونا مأجورين.

السيد حسين ...

شوال ١٣٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

غني عن البيان أن جوابنا على مثل هذا السؤال إجمالاً وتفصيلاً أن الشيوعية كمبدأ وفلسفة تناقض أصول الإسلام في الكون والحياة، وإنها كنظام اقتصادي واجتماعي تناقض نظم الإسلام التي يجب على المسلمين كافة الدعوة إليها، ويحرم الدعوة إلى غيرها من النظم الاجتماعية والاقتصادية ... شريعة رب العالمين ... ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

أبو القاسم الموسوي الخوئي



بسم الله الرحمن الرحيم

سبق منّا أن أجبنا على نظير هذا السؤال إجمالاً ، والتفصيل : إن الشيوعية كعقيدة فلسفية تناقض أصول الإسلام فهي كفر وإلحاد وإنها كنظام اقتصادي واجتماعي تناقض قوانين الإسلام التي يجب على المسلمين كافة الدعوة إليها كما يحرم عليهم الدعوة إلى غيرها من النظم الاجتماعية لأن الإسلام وحده خيرة رب العالمين ورسالة خاتم النبيين «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

أبو القاسم الموسوي الخوئي

٧ ــ فتوى آية الله السيد عبد الله الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى أن الشيوعية كما أجبت عنها سابقا كفر وإلحاد وعين اللادينية ويحرم على جميع المسلمين التحزب بهذا الحزب .. فإن الشيوعية تفنى الآثار الدينية وكل ما حكم به العقل والعقلاء والأنبياء[ص] من حفظ الأنسان .. وملكية الأشخاص حفظنا الله وجميع إخواننا المسلمين من كل ما يخالف الدين الاسلامي .

عبد الله الشيرازي

٨ ــ فتوى آية الله السيد محمد جواد التبريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سيدنا آية الله السيد محمد جواد التبريزي دام ظله الوارف

هل يجوز الإنتماء إلى الشيوعية ومؤازرتها أم إن ذلك حرام على المسلمين أفتونا أمركم.

طالب طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الشيوعية شنيعة ليست فوقها شنيعة ورذيلة دونها كل رذيلة ونار لا تبقى ولا تذر الإنتماء إليه ومؤازرتها كفر وإلحاد عصمنا الله والإسلام وجميع المسلمين من شرها .

محمد الجواد الطباطبائي التبريزي

٩ ــ رأي العلامة السيد محمد علي الطباطبائي

بسمه تعالى

سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي الطباطبائي دامت بركاته .

ما هي معلوماتكم عن المبدء الشيوعي وما هو رأيكم في الإنتماء إليه دمتم موفقين .

بسم الله الرحمن الرحيم

لا شك في أن هذا المبدأ الشيوعي مبدء مخالف لدين الإسلام ومقدساته ولمصالح المسلمين عامة فلا يجوز الإنتماء إلى هؤلاء بل يجب أن يعامل مع هؤلاء الملاحدة كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم :

«إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا وتقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

٢٩ صيام ١٣٧٩ محمد علي الطباطبائي ــ كربلاء

١٠ ــ رأي علماء بغداد السنة

وقد سئل حضرات علماء بغداد :

١ ــ ما حكم المسلمٍ الذي يتعاون مع الكفار بقصد الإستيلاء على المسلمين ؟

الجواب : تعتبر واحداً لقوله تعالى : [ومن يتولهم منكم فإنه منهم] .

٢ ــ ما حكم الشيوعية ومعاونة الشيوعيين ؟

الجواب : الشيوعية الحاد وكفر ، ومن ينتسب إليها أو يعاونها ولو يشطر كلمة فهو ملحد لجميع الأديان السماوية لقوله تعالى : [لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين].

٣ ــ ما الفرق بين الإسلام والشيوعية ؟

الجواب : لما كان الإسلام مبنياً على الإعتراف بالله تعالى وبكتبه ورسله والملائكة واليوم الآخر ، والشيوعية لا تعترف بذلك فالفرق ظاهر لقوله تعالى : [ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين] .

(نجم الدين الواعظ) (حمدي الأعظمي) عبد القادر الخطيب) (فؤاد الآلوسي)

١١ ــ رأي علماء الشمال الأكراد (من الشافعية)

س١ : ما رأي سماحتكم فيمن يعاون الإستعمار من المسلمين ؟

س٢ : ما هو الحكم فيمن ينتمي إلى الحزب الشيوعي ؟

س٣ : ما هو حكم الشرع فيمن يساعد الشيوعية ولا ينتمي إلى الحزب الشيوعي ؟

ج١ : إن عدونا وعدو الإسلام الأول هو الإستعمار وهو الذي بذل الشر والتفرقة في شعبنا ، وبث الشبهات في قلوب البسطاء ،وفي ظله نبتت جميع المبادئ الهدامة ، ولذلك

فكل من يتعاون مع الإستعمار لا يعد من المسلمين ، بل عدوهم [ومن يتولهم منكم فإنه منهم].

ج٢ : لما كانت الشيوعية مبنية على عدم الإعتراف بالخالق والأديان والروح واليوم الآخر ، وهي لا تؤمن بسوى المادة ، لذلك فلا شك في كفر من ينتمي إلى مثل هذا الحزب بعد العلم بمبادئه الخبيثة [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه] .

ج٣ : قد يكون المساعد كافراً ، او فاسقاً ، بحسب نوع المساعدة التي يقدمها ، ومع ذلك فالمساعدة للشيوعية خدمة للكفر لا يجوز لمسلم أن يقدم عليها [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ..]

الشيخ ملا صالح عبد الكريم — **الشيخ جميل المفتي**

الشيخ عمر عبد العزيز — **الشيخ عثمان عبد العزيز**

بيان الشيخ علي كاشف الغطاء عن الشيوعية



بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

ما هو موقف سماحتكم من الأحزاب عامة ومن الأحزاب الإسلامية خاصة وهل أن الانتماء إليها جائز أم لا .

أدام الله بقاءكم ذخراً للمسلمين وملاذاً لهم ، وأعز بوجودكم أمة الإسلام .

المخلص ولدكم

عبد المجيد الحائري

٢/ذي القعدة/١٣٨٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

لا يجوز الانتماء إلى الأحزاب التي تنافي مبادؤها الدين ويجوز الانتماء إلى المنظمات الإسلامية إذا كانت الدعوى ظاهرة والقيادة معروفة مؤثرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محسن الطباطبائي الحكيم

٨٩مح٢٢

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين دام ظله

بعد تقبيل أياديكم والدعاء لكم بالتأييد ودوام الظل

ما رأي سماحتكم في موقف الحوزة العلمية تجاه الأحزاب السياسية الدينية كحزب الدعوة وغيره فهل يجوز لطلبة العلوم الدينية الانتماء إليها أو أن ذلك يتعارض مع حكمكم الشرعي .

أفتونا مأجورين خادمكم سيد حامد الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم لا يجوز لأي طالب من طلبة العلوم الدينية الانتماء لحزب الدعوة أو أي حزب من الأحزاب السياسية . مرتضى آل ياسين

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم دام ظله

إني من المقلدين لسماحتكم في المسائل الشرعية وقد دعيت إلى الالتحاق بحزب إسلامي ولدي التحقيق عن نوعية هذا الحزب ظهر بأنه يعتمد على ثلاثة أركان :

الأول: ـــ اتباع رجل مجهول .

الثاني: ـــ اتباع أفكار خاصة تأتي من القيادة العامة .

الثالث: ـــ الالتزام المطلق لأوامر القيادة .

ولقد سألت بعض أهل العلم حفظهم الله فقالوا: يجوز الإنتماء إليهم ولكن بعضهم الآخر يقولون: إن المراجع لا يوافقون بأي تنظيم سوى التقليد لمن اجتمعت فيه شرائط التقلي ولقد تحيّرت لذلك فالرجاء من سماحتكم أن تفتوني في أمري لا زلتم لهذه المشاكل.

والسلام عليكم ورحمة الله. مخلصكم صادق محمد باقر

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

بعد أن كانت القيادة مجهولة لا يجوز الانتماء على وجه الاسترسال المطلق لأنه خطر نعم يجوز الانتماء المحدود ما دامت الغايات معلومة ومعروفة والله سبحانه ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ شوال ١٣٨٨ محسن الطباطبائي الحكيم

سماحة المرجع الأعلى آية الله حجة الإسلام والمسلمين السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله

بعد تقبيل أياديكم الكريمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

-لقد ظهرت في الآونة الأخيرة ما يسمى بالأحزاب الإسلامية وهي تدعي أنها تعمل لأجل الإسلام ولتطبيق نظامه ، ومن تلك الأحزاب) حزب الدعوة الإسلامية فهل أن الإسلام يقر هذه الأحزاب ؟

وهل تجيزون لمقلديكم الانتماء إليها والتعاون معها بأي صورةٍ من الصور؟

-لما كانت الولاية العامة في زمن الغيبة لنائب الإمام (ع) العام وهو المجتهد ولما كنتم من مراجع هذه الأمة الإسلامية ومن نواب الإمام المنتظر(ع) فهل عينتم أحداً من قبلكم لإدارة شؤون هذه الأحزاب إن كنتم تجيزونها وتشجعون الإنتماء إليها ؟

إيها المولى الجليل ، إننا إذ نتقدم لسماحتكم بهذا الكتاب نلتمس منكم سرعة الجواب لأننا في بلد بعيد وقد قصدنا هذه المدينة المقدسة لزيارة مرقد أمير المؤمنين (ع) ولهذا الغرض ونأمل أن تتكرموا بالإجابة أثناء استلامكم هذا الكتاب ونحن نقدر كثرة أشغالكم وفقكم الله وأطال بقاكم ذخراً وفخراً لهذه الأمة الإسلامية .

خادمكم

علي جاسم التميمي: بغداد الجديدة

بسمه تعالى

شأن الدين الإسلامي دين إنساني ونظام اجتماعي جاء لجمع كلمة البشر وتوحيدها ومن فروع الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذان واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين فلو قام كل فرد بواجبه لم يبق من نظام الإسلام شيء لم يطبق فلا حاجة إلى قيام حزب لتطبيق ذلك والمسلمون أجمع حزب واحد في مقابل الكفار ، فاللازم على كل فرد من أفراد المسلمين منفرداً أو منضماً مع غيره أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشرائطه ويكون من حزب الله تعالى ألا أن حزب الله هم الغالبون والسلام عليكم وعلى جميع إخواننا المسلمين ورحمة الله وبركاته .

٤ / ذي الحجة /١٣٨٨هـ   أبو القاسم الموسوي الخوئي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد المستنبط دام ظله

بعد تقبيل أياديكم الكريمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة ما يسمى بالأحزاب الإسلامية وتدعي أنها تعمل لأجل تطبيق نظام الإسلام ومن جملة هذه الأحزاب ـــ حزب الدعوة الإسلامية ـــ وهي تعتمد على العمل السري والقيادة المجهولة وقد كثرت الدعايات والادعائات من أجل ذلك فبين مؤيد ومنتمي لها وبين محارب ناقم عليها ونحن قد أصبحنا في حيرة من أمرنا فإلى سماحتكم تقدمنا بكتابنا هذا ملتمسين التكرم بالإجابة عن الأسئلة التالية حين استلامكم الكتاب لأننا في بلد بعيد وإليكم الأسئلة:

١ ـــ هل تجيزون لمقلديكم الانتماء إلى هذه الأحزاب ؟

٢ـــ هل يقر الإسلام العمل السري من أجل تطبيق نظامه على أرجاء المعمورة ؟

٣ـــ هل يقر الإسلام القيادة المجهولة التي تقود تلك الأحزاب ؟

٤ ـــ لما كنتم من مراجع هذه الأمة الإسلامية ومن رجالها العاملين فهل تؤيدون هذه الأحزاب ؟

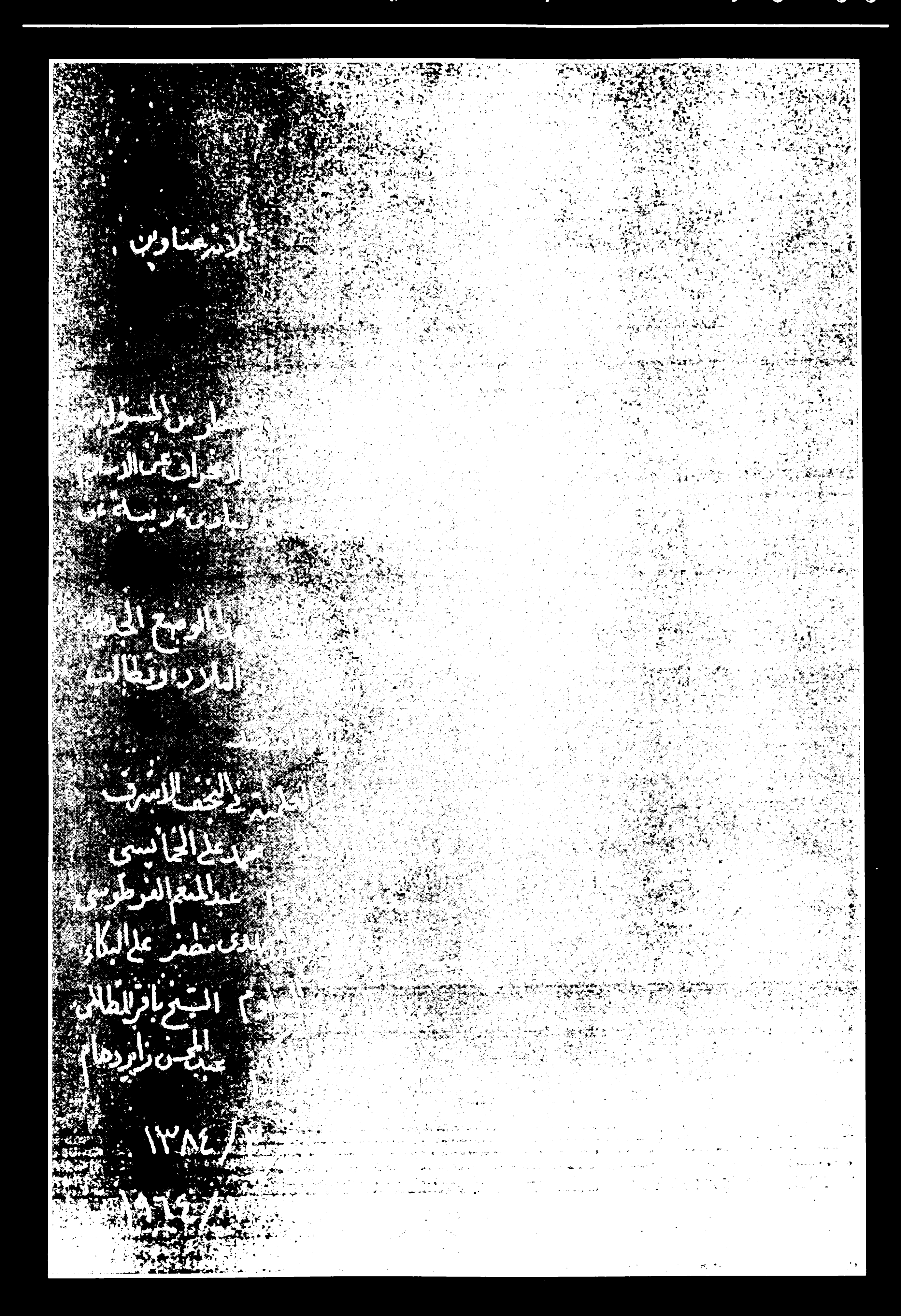
خادمكم علي جاسم التميمي: بغداد الجديدة

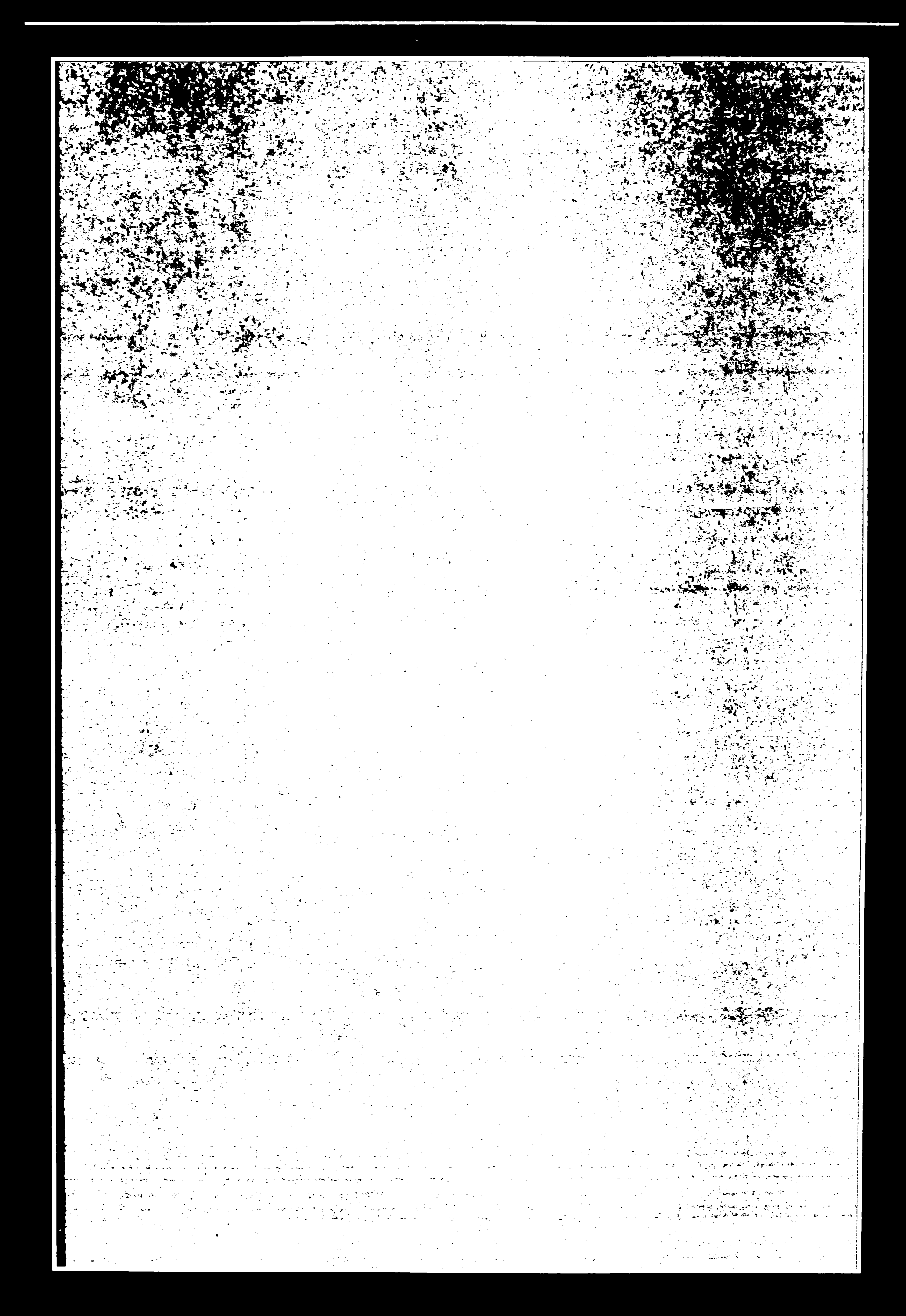
بسمه تعالى شأنه العزيز

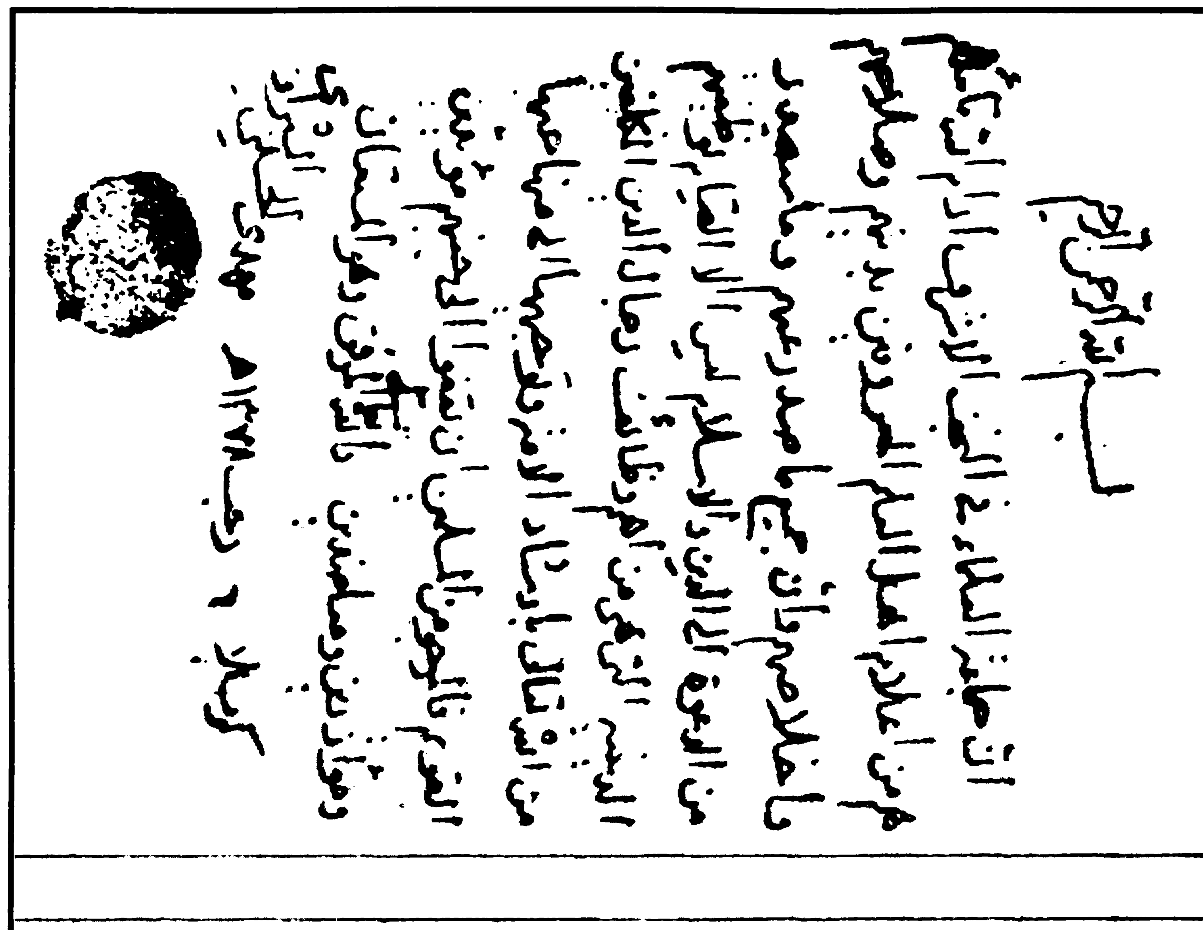
قال الله تعالى في كتابه فماذا بعد الحق إلا الضلال وطريق الحق عند الفريقين اتباع القرآن والعترة الطاهرة ، فإذاً اتباع الأحزاب كلها ضلال بلا إشكال . حرره الأحقر أحمد الموسوي المستنبط



اية الله السيد حسين الحمامي رفض اصدار فتوى ضد الشيوعية


الوضع الجديد
العلمية في النجف الاشرف
عبد المنعم الفرطوسي
١٣٨٤/
١٩٦٤/





بسم الله الرحمن الرحيم

ان النشرات الدينية التي يتولى اصدارها (جماعة العلماء) .
والتي اقبل عليها المسلمون في كل مكان وعرفوها انها دعوة اسلامية
خالصة لوجه الله تعالى لا شك ولا ريب - تستمد دعوتها من
القرآن وتأخذ اهدافها من تعاليم الدين . فعلى ابناء المسلمين ان
يسترشدوا بها اولاً ويتدبروا حقائقها ويعملوا بما جاء فيها
من نواميس اسلامية تسعد حياة المسلمين وعليهم ان يدفعوا
عنها كل غائلة ويجتهدوا في نصرتها (ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم) واسأل الله تعالى ان يوفق الجميع
لذلك ليعيشوا في ظل عدالة الاسلام ونواميسه الخالدة
وهو سبحانه ولي التوفيق   ابو القاسم الموسوي الخوئي
في ٦ شهر رجب المرجب ١٣٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ان جماعة العلماء في النجف الاشرف ادام الله تأييدهم
هم من اعلام اهل العلم المعروفين بدينهم وصلاحهم
واخلاصهم وان جميع ما صدر عنهم وما سيصدر
من الدعوة الى الدين والاسلام ليس الا القيام بوظيفتهم
الدينية التي هي من اهم وظائف رجال الدين المكلفين
من الله تعالى بارشاد الامة وتوجيهها الى منافعها
القويمة فالمرجو من المسلمين ان ينضموا الى حزبهم مؤيدين
وموازرين ومعاضدين والله الموفق وهو المستعان
كربلاء ٦ رجب ١٣٧٨هـ   مهدي الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد ميرزا مهدي الشيرازي دام ظله الوريف

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

هل في الإسلام نظام متكامل شامل، يتناول جميع مظاهر الحياة

بالتنظيم، وجميع مشاكل الإنسان بالحل الصحيح الناجع، ويعنى

بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى مجالات

الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟

وهل الدعوة إلى تطبيق هذا النظام الإسلامي واجبة على

المسلمين؟

الأضواء ١٣٧٩/٩/٢٦هـ

سماحة الصدر – النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم الإسلام نظام متكامل شامل لجميع مظاهر الحياة وعلاج جميع مشاكل

الإنسان بأفضل حل لم يسبقه في ذلك سابق ولا يلحقه لاحق [illegible]

فتطبيقه في جميع الأزمنة والأمكنة قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا، والدعوة إلى تطبيق

الإسلام واجبة على جميع المسلمين قال الله تعالى ادع إلى سبيل

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن [illegible]

المسلمين إلى العمل بشرائع الإسلام والدعوة إلى الحق وهو المستعان

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنا وما زلنا – والحمد لله – نؤمن إيماناً قاطعاً بأن الإسلام الصحيح الذي نزل به

نبينا صلوات الله عليه وآله إلى الناس كافة هو الدستور الوحيد لشتى نواحي الحياة

وهو النظام الأكمل لهذا العالم ما بقي إنسان على سطح هذه البسيطة أو [illegible]

اجتماعية أو تحت لوائه ومنهاجه ولا حاجة إلى [illegible] أتباع الكتب وتعاليمه.

[illegible] كذلك منذ أن [illegible] دراسة واعية وجدناه نظاماً شاملاً يسمو

[illegible] إلى أرقى [illegible] ونظاماً واقعياً يعبر الحياة عن جميع مشاكل الحياة

ويسير بالإنسانية إلى شاطئ السعادة والكرامة بكل يسر وسهولة

دون أن يكلفها إلا تطبيق حدوده في حياتها بجميع أفرادها.

وحسبك في ذلك أن كتاب الله تعالى قراءة تدبر وبعض نصيب

من تفهمه وسنة رسوله وآل رسوله عليهم الصلاة والسلام فتؤمن كما آمنا

بأن التشريع الإسلامي لم يغادر كبيرة ولا صغيرة من شؤون الحياة [illegible]

في [illegible] واختصها بنوع من قوانينه [illegible]

[illegible] الإنسانية [illegible] في مختلف [illegible]

بها العمر في مختلف الأزمنة.

وبهذا النظام [illegible] الحكيم استطاع أن يحل لجميع مشاكل الحياة [illegible]

[illegible] وأن يحقق للمجتمع سعادة دون أن تستبد فئة بفئة أو

تتحكم طبقة بأخرى.

ولا ريب في أن نظاماً حكيماً بارعاً كهذا النظام السماوي ما يجب الدعوة

إليه والإيمان به أولاً ثم إلى تطبيقه في المجتمع ثانياً لينقذ هذه الإنسانية المعذبة

من شقاء هذه النظم الوضعية المرتجلة في الأرض بعيداً عن السماء، وليدرك

الناس كيف سيجدون في ظله سعادة آمنين في هذه الحياة التي ما زالت ولا

تزال مهددة بالويل والدمار ومفعمة بالدم والدموع والدماء

﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾

٢٠/٩/١٣٧٩هـ مرتضى آل ياسين

سماحة آية الله العظمى السيد الطباطبائي الحكيم دام ظله العالي

العلماء ومن ورائهم الأمة الإسلامية في ايران يؤيدون خطواتكم الجبارة للدفاع عن الدين وإعلاء كلمة المسلمين لا انقطاع أنظار الحكام في العراق الى مصالح الشعب وجهاده ولا منهم في اتباع القرآن العظيم وذلك باسترشاد من زعماء الدين

مظفر الله الموسوي بني صدر — علي بن ابراهيم الهمداني

٩/٢/١٣٨٨هـ

ل ات

النجف حضرت آية الله العظمى السيد الطباطبائي الحكيم مد ظله

راجياً مأثرة الفقهاء الأمويين

إنا نشكر العوامل التي تنافي الدين ونتضرع الى الله توفيقكم

لرفع هذه الكارثة التي تعترضها المسلمين الى الله المشتكى

محمد تقي الآملي

بسم الله الرحمن الرحيم

اغزوهم قبل ان يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم ، (الامام علي عليه السلام) .

الحلف غير المقدس بين حزب البعث والشيوعية .

عقد حزب البعث تحالفا غير مقدس مع الشيوعية الدولية .

ان المتسلطين جورا وبهتانا على حكم عراقنا الغالي يبغون به شرا وفسادا وانحلالا والحاد ويبغون تحويل مساجدنا ومراقد ائمتنا الاطهار الى متاحف للسواح الاجانب ، ويستهدفون تمزيق الشعب الى فرق وطوائف متناحرة ليسهل عليهم ضربها والاجهاز عليها في الوقت المناسب ، والقضاء على النعرة الطائفية في العراق .

يا حماة الخير والغيرة على الدين الاسلامي متى استضعفتم انفسكم استضعفكم دعاة البعث والالحاد الشيوعي ، ومتى ارتخيتم في عقيدتكم الاسلامية وايمانكم بر سالة الاسلام داهمكم الكفر والالحاد والبهيمية لتغير المؤمنين بكتب السماء ، ان الحلف غير المقدس الذي عقد بين البعث والشيوعية الدولية لا يمكن ان يصل الى مبتغاه الا عبر التشكيك في دينكم الحق والتشكيك في ايمانكم .

ان حزب البعث فتح باب بلادنا على مصراعيها امام الشيوعية الدولية ، ليداهمنا الكفر في عقر دارنا ، واعتراف هذا الحزب بالمانيا الشرقية الشيوعية يكون قد تجاوز حتى حدود تلك العربية التي تدعي الاشتراكية منذ سنوات .

ان صدور علمائنا ورجال ديننا الاباة تغلي بالاستياء والغضب ضد هذه الخطوة التي اقدم عليها حكومة البعث ، ويخشى المسلمون في العراق ان يضطر رجال ديننا على مغادرة ارض وقد حاولت حكومة البعث ان تتظاهر بتقربها من رجال الدين ، فاوفدت من يقابل العلامة آية الله محسن الحكيم وسائر رجال الدين الافاضل ، غير انهم افهموا بما ارتسمت على وجوههم من الكآبة والاسى انه الدين والشيوعية لا يمكنهما ان يلتقيا على صعيد واحد .

ان شعلة الاسلام في العراق قد احاطها اليوم ظلام كثيف من الكفر والالحاد ، فاجمعوا كلمتكم المسلمون على تبديد هذا الظلام باستئصال شأفة البعث والشيوعية والالحاد من ارض العراق الطاهرة .

جبهة الجهاد المقدس

[illegible] آية الله الشيخ ميرزا عبدالله المجتهد [illegible]
[illegible] القوانين الغير المشروعه

[illegible] آية الله [illegible] السيد الطباطبائي الحكيم

دام ظله

[illegible] المبادئ الاسلاميه ويبتهلون الى الله للمسلمين
[illegible] نتظر اجراء اوامر كم المطاعه

الطهراني

[illegible] مبادئ الاشتراكيه

[illegible] المحترم ـ السيد رئيس الوزراء المحترم
[illegible] المحترم

[illegible] الاشتراكيه التي تصطدم مباشرة بمبادئ
[illegible] طالتها بالاعتداء على اموال المسلمين
[illegible] الى ماينجم من ذلك من قلق واضطراب
[illegible] من الحاكمين ان يجدد والنظر في هذا الامر
[illegible] بحبل الله المتين وهو حسبنا ونعم الوكيل
[illegible] الطباطبائي الحكيم ـ السيد [illegible]
[illegible] الطباطبائي الحكيم ـ موسى آل
[illegible] ـ محمد طاهر آل شيخ راضي ـ
١٣ ربيع الاول ٨٤

[illegible] الشيخ محسن السعيد [illegible]

[illegible] دامت بركاتهم

[illegible] آل الشيخ راضي ـ سماحة حجة الاسلام
[illegible] الحكيم ـ سماحة الحجة السيد [illegible]
[illegible] الطباطبائي الحكيم ـ الحجة الشيخ
[illegible] آل شيخ راضي ـ سماحة [illegible]
[illegible] السيد محمد بحر العلوم دامت بركاتهم
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

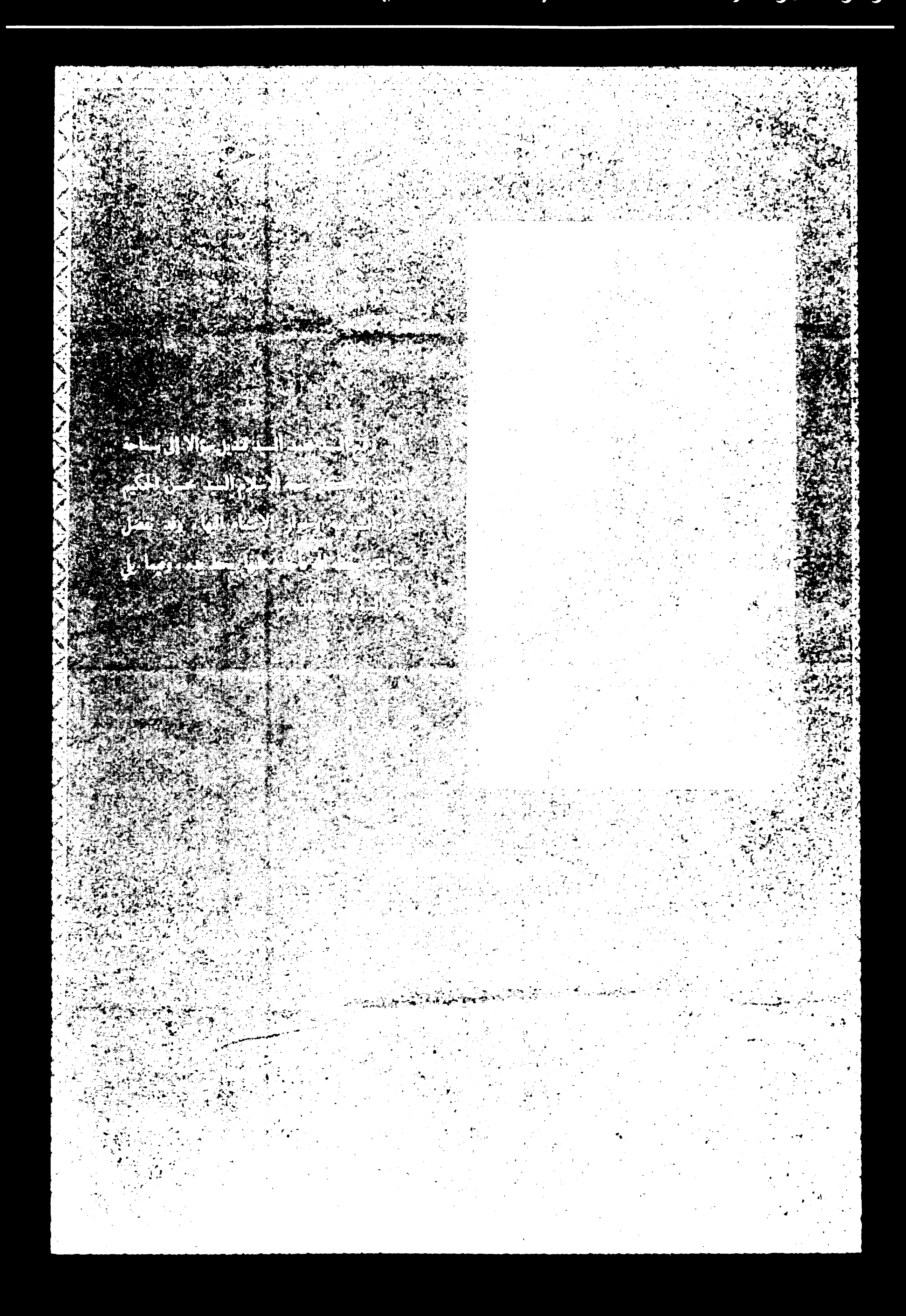
«مدينة النجف الاشرف تضرب استنكاراً على ما قالته اذاعة بغداد»

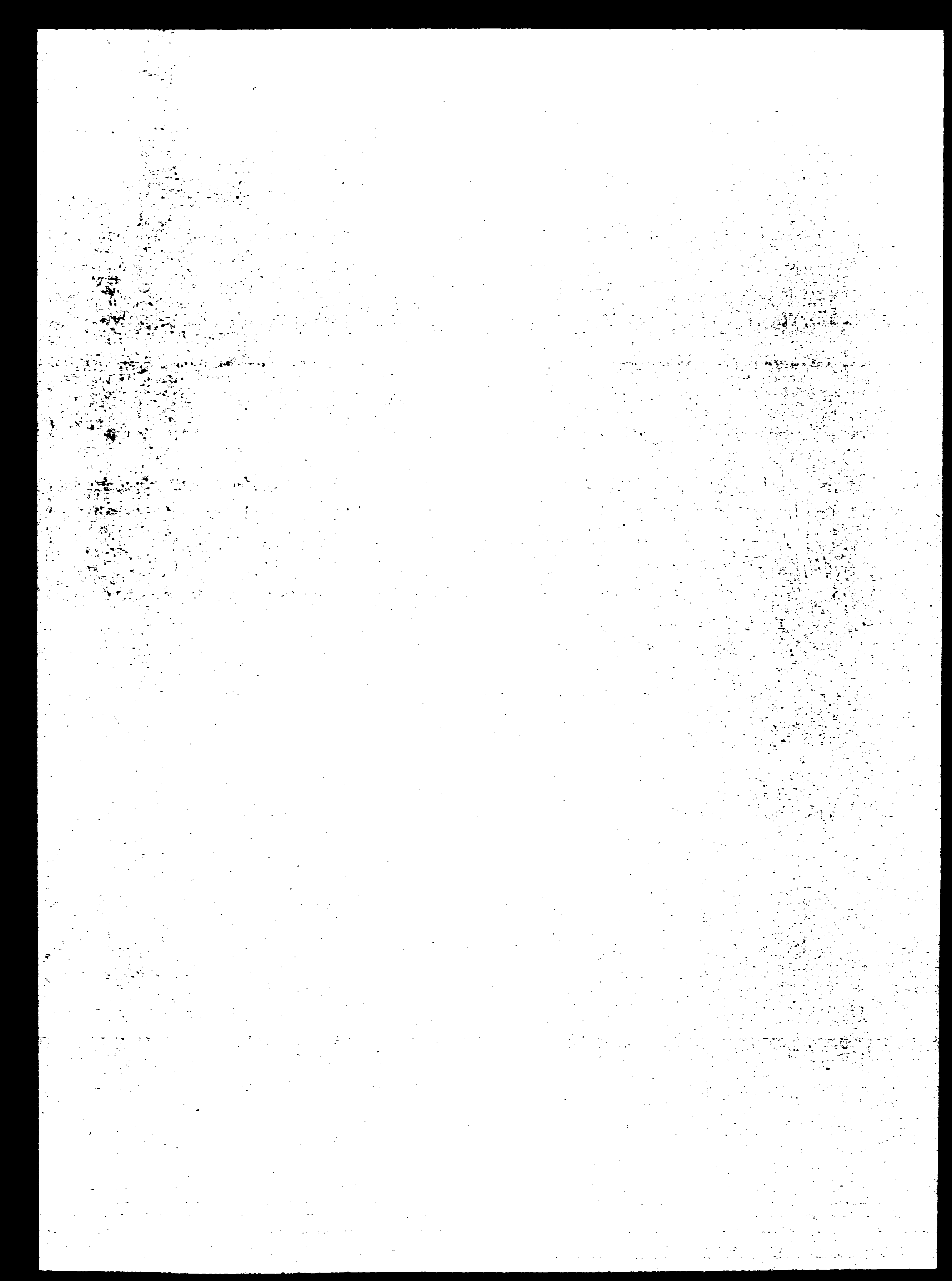
«اهالي بغداد والكاظمية وضواحيهما يزحفون زحفة واحدة الى مدينة النجف الاشرف تأييداً لعلماء الدين»

في يوم الاحد ٢٦/٣/٨٤ الموافق ٢٦/٧/٦٤ اضربت مدينة النجف الاشرف اضراباً عاماً شاملاً تعطلت فيه الدوائر والحوانيت وذلك استنكاراً على ما قالته اذاعة بغداد من تهجم على العلماء الاعلام في النجف الاشرف الذين قد استنكروا على الحكومة تطبيق الاشتراكية التي تصطدم مباشرة بمبادئ الدين الاسلامي الحنيف وتخالف احكام الشريعة المقدسة.

كما وقد زحفت [illegible] مدينتي بغداد والكاظمية وضواحيهما بجميع طبقاتهما وعلى رأسهم علماؤهما الكرام متوجهة الى النجف الاشرف مؤيدة لعلمائها الاعلام وعلى رأسهم سماحة المرجع الاعلى الامام الحكيم دام ظله العالي من موقفهم ومعركتهم الطويلة [illegible] الاشتراكيين وتجمعت الجماهير الغفيرة في [illegible] الكوفة حوالي الساعة (٦) صباحاً تحركت قاصدة مدينة النجف الاشرف بلد الامام امير المؤمنين ع ووصلوا في الساعة (٨) تقريباً الى الصحن الحيدري الشريف حيث استمعوا من تلك الجماهير المحتشدة الى المواعظ والارشادات القيمة التي سيلقيها عليهم علماؤهم الاعلام فرقى المنبر الخطيب الجليل السيد هادي الحكيم فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي [illegible] وصلى عليه وتحدث عن المرجع الاعلى للمسلمين في العراق ثم تقدم [illegible] الجليل السيد طاهر [illegible] احد علماء بغداد فالقى قصيدة عصماء، وازداد [illegible] الوفود على [illegible] الصحن الحيدري [illegible] واضطر سماحة الامام الحكيم ان يخرج لهم الى الصحن الشريف. [illegible] الوفود في الصحن الحيدري. وقد شاركهم في شعورهم ثم بعد ذلك امر سماحته دام ظله ولده العلامة الجليل السيد محمد [illegible] شكر الوفود [illegible] والعلماء [illegible] اهالي مدينة النجف الاشرف الى [illegible] مزاولة اعمالهم لان اليوم [illegible] القادم يوم [illegible] النجف الاشرف [illegible] الاخيرة اشار سماحة الامام الحكيم الى قراءة دعاء الفرج [illegible] الناس ايديهم للدعاء والى الله عز وجل [illegible] من اعداء الدين الذين [illegible] ومن [illegible] الحاكمة الغاشمة التي [illegible] تطبيق الاشتراكية [illegible] التي تتنافى صريحاً [illegible] الاسلام السامية.

منشور مكتوب بخط اليد يتحدث عن اضراب في النجف في عهد عبد السلام عارف





فتوى اخرى للامام الحكيم حول الانتماء الى الاحزاب الاسلامية وغيرها مؤرخة في ٢٢محرم ١٣٨٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله السيد محسن الحكيم دام ظله المديد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل في الإسلام نظام متكامل شامل يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم ويعالج مشاكل الإنسان بالحل الصحيح الناجع ويعنى بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها؟

وهل المعرفة [illegible] بهذا النظام الإسلامي واجبة

[illegible]

[illegible] الراجي

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم في الإسلام النظام الكامل من جميع ما ذكر في السؤال ويقتضي ذلك [illegible] النظر في [illegible] على المسلمين في العصور الأولى وتجب معرفة هذا التطبيق على النحو المذكور وقد حررنا الرسالة العملية [illegible] المذكور [illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محسن الطباطبائي الحكيم

١٣٨٩

[illegible]

وثائق

رأي الإمام كاشف الغطاء في الانتساب إلى الإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

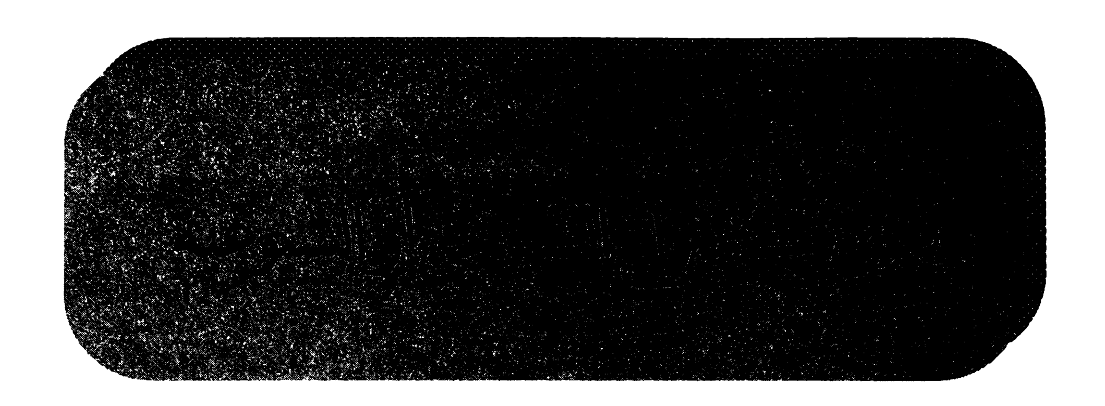
بعد السلام عليكم و الدعاء لكم بالخير والسلامة والعزة والكرامة ومزيد التوفيق والبركة وصلنا كتابكم الكريم زاخراً بالعواطف الكريمة والإحساسات النبيلة نحونا ونحو كتابنا(المثل العليا) ونحن نشكركم على ذلك ونبتهل إلى الله تعالى في أن يكثر من أمثالك ممن يقدرون الخدمات وتصيبهم نشوة الابتهاج حين يقرأون أمثال ما نشرنا من فضائح المستعمرين وما بينا من حقائق الإسلام الناصعة ومبادئها العالية ومثلها الحسنى التي تفوق كل مبادئ ومثل في العالم .

وسألتمونا عن رأينا في انتسابكم إلى الإخوان المسلمين الذين قلت عنهم هل فيهم خطر على الشيعة والمعروف عنهم أن لهم نزعة وهابية لا يبعد على هذا أن يكونوا خطراً على الشيعة إلا أن تتداخل معهم على أساس أفهامهم حقيقة الشيعة وتعريفها على ضوء كتابنا (أصل الشيعة وأصولها) ولا برحت مؤيداً بدعاء .

١٢ ــ ذي القعدة سنة ١٣٧٢هــ **محمد الحسين آل كاشف الغطاء**

الأمل بذل مساعيكم الكريمة بنشر هاتين الرسالتين في جهاتكم كي يحصل الوعي التام في هذا الشعب البائس .

* * *



لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتي الأسبق في مصر[١].

س: هل يجوز تزويج المسلمة بشيوعي متمسك بمبادىء الشيوعية.

ج : قلنا مراراً إن الإسلام والشيوعية لا يجتمعان في قراب واحد،وكيف يجتمعان والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده ديناً. وجاء بتوحيد الخالق في ألوهيته وربوبيته، وبصفاته العلية وأسمائه الحسنى، وبأنه هو العليم القدير الحكيم، متزل الشرائع ومرسل الرسل، ومتزل الكتب هدى ورحمة، وتعليماً وإرشاداً، وتهذيباً وتثقيفا. وهو باعث الخلائق بعد الفناء في اليوم الآخر للحساب والجزاء على ما أسلفوا من أعمال وعقائد وأفكار. وقد ختم رسالاته لخلقه ــ بمحمد(ص) أرسله رحمة للعالمين، معلماً للناس وداعياً إلى الحق، ومرشداً إلى الهدى، ومبشراً ونذيراً يبشر من أطاع بالجزاء الأول والثواب العظيم وينذر من عصى وتمرد بالنذير والعذاب المهين. وختم كتبه إلى خلقه بالقرآن العظيم، وهو الكتاب الكريم الذي أنزله نبياناً لكل نبي، وفرقاناً بين الحق والباطل، وهدى ونوراً، لا يضل من اعتصم بحبله، وإقامة حجة على العالمين.

(١) نقلاً عن كتاب (فتاوى في الشيوعية) لشيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود، وقد أذيعت في محطة القرآن الكريم بالقاهرة في شهر مايو ١٩٧٦ (بتصرف).

﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ.وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضلُّ عَلَيْهَا. وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيل﴾

هذا هو الإسلام. أما الشيوعية فهي فتن وضلال، وكفر وإلحاد وفساد مجرد للألوهية،وإنكار للربوبية، ومعاندة للرسالة، وعدوان على القرآن وعلى الحق كله. وكفى إثماً وضلالاً قول ماركس:" إن الدين أفيون الشعوب، ومخدر الفقراء، والحشيش الذي تغيب به الحقول كلما أوشكت على الصحو والإدراك".. إلى غير ذلك من الكفر.

هذا إلى تقتيل المسلمين واستئصالهم في البلاد التي يحكمها "الماركسيون" وتحريف المصاحف ، وإبادة الكتب الإسلامية، وهدم المساجد العامرة، لا لشيء سوى كراهة الإسلام ورسوله، وكتابه وأمته ومساجده، وحرمان أبنائه من تعلم دينهم ودراسة كتابهم،وإيجاب تعلم المبادىء الماركسية على الناشئين.

فهل بعد هذا كله ــ واقع ومدون في أحاديثهم وكتبهم، وثابت في أعمالهم وتاريخهم ــ يشك مسلم في أن زواج المسلمة، المؤمنة بالله ورسوله وكتابه وأوامره ونواهيه،وبالبعث والحساب والجزاء، بمن يجحد كل ذلك، ممنوع شرعاً منعاً لا شُبهة فيه ولا خلاف.. وقد أجمع المسلمون على عدم جواز المسلمة بغير المسلم و لم يخالف في ذلك أحداً أبداً.

أما الذي يقول أنا مسلم وفي الوقت نفسه يعتنق كل عقائد الشيوعية الماركسية، ويدعو إليها وينادى بها في الواقع، وإن كان في الظاهر يحاور ويداور فهو غير مسلم قطعاً لا يجوز نكاحه، ولا دفنه في مقابر المسلمين بعد موته، ولا صلاة الجنازة عليه إذا مات، لأن ذلك من خصائص المسلمين وحدهم، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقوانا على الجهاد والدفاع عن دينه الحنيف بتوفيق منه.. والسلام على من اتبع الهدى.

فتوى الإمام الحكيم حول الشيوعية

● محمد هادي الأسدي

جاءت فتوى الإمام الحكيم حول الشيوعية لتخلق جوا من الحصار على الحزب الشيوعي الذي أخذ بالتراجع والانحسار على الصعيد الشعبي أذ شجعت هذه الفتوى على ارتفاع أصوات الكثيرين ضد الحزب، واستفاد منها الخصوم السياسيين للشيوعيين في محاربتهم.

صدرت فتوى الإمام الحكيم في ١٢ شباط ١٩٦٠ الموافق ١٧ شعبان ١٣٧٩هـ أي بعد أقل من شهرين من صدور قانون الجمعيات ولا ندري بالضبط إن كان هناك توقيت لصدور الفتوى في هذا الوقت بالذات في الوقت الذي كانت فيه وزارة الداخلية تنظر في الطلبات التي تقدمت بها الأحزاب لنيل الإجازة بالعمل، أم أن هذا التقارن من باب الصدفة، وكانت الفتوى جواب على سؤال عن مشروعية الانتماء إلى الحزب الشيوعي وكان نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم: لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد، أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيمانا وتسليما، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ١٧ شعبان ١٣٧٩ محسن الطباطبائي الحكيم[1].

---

(١) منشور خطي وزع في العراق وقت صدور الفتوى، وقد نشرت هذه الفتوى جريدة العراق في عددها الصادر في ٢٢ آذار ١٩٦٠ أي بعد أكثر من شهر من صدورها وكانت صيغة السؤال الذي قدم إلى الإمام الحكيم هو التالي:
(حضرت مولانا حجة الإسلام السيد محسن الحكيم المحترم). بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسأل الباري أن يديمكم ذخرا للمسلمين: مولاي إنني من مقلديكم ولكنني منتمي إلى الحزب الشيوعي، أفتونا أمركم وإنني أنتظر الجواب للسير عليه والسلام عليكم ورحمة الله. المخلص السيد محمد السيد قنديل.



والأكثر من ذلك العديد من مراجع الدين الكبار والأساتذة الكبار في الحوزة العلمية أصدروا فتاوى مماثلة لتلك التي أصدرها قبلهم الإمام الحكيم، فقد صدرت هذه الفتاوى من: الشيخ عبد الكريم الجزائري في ٢٥ شوال ١٣٧٩، والشيخ مرتضى آل ياسين في ٢٦ رمضان، والسيد محمود الحسيني الشاهرودي في ليلة الثلاثين من شهر رمضان والإمام السيد أبو القاسم الخوئي والسيد عبد الله الشيرازي والسيد مهدي الحسيني الشيرازي والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محمد جواد الطبطبائي التبريزي(١).

وأعقب الإمام الحكيم فتواه بفتوى ثانية بعد أكثر من شهر بقليل من صدور الفتوى الأولى، أوضح فيها معنى قوله: كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد، فقد كتب إليه أحد المقلدين يستوضحه عن الفتوى الأولى، فأجابه في ٥ شوال ١٣٧٩هـ بالتالي:

---

(١) كانت نصوص فتاوى المراجع الكبار كالتالي: الشيخ عبد الكريم الجزائري: الشيوعية هدم للدين وكفر وضلال، فلا يجوز الانتماء إليها بوجه من الوجوه كفى الله المسلمين شرها.

الشيخ مرتضى آل يس: الشيوعية الماركسية فلسفة مادية بحتة تتنكر لجميع الأديان ولا تعترف بالخالق تعالى، وتجتر مفاهيمها من نظريات فلسفية ملحدة بائرة، والنظام الشيوعي يرتكز على تلك الفلسفة ويستمد منها روحه وكيانه، ولذلك كان الانتماء إلى الحزب الشيوعي من أعظم المحرمات التي يشجبها الدين وتنبو عنها شريعة سيد المرسلين، هدانا الله جميعا إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الإمام السيد أبو القاسم الخوئي: سبق وأن أجبنا على نظير هذا السؤال إجمالا والتفصيل إن الشيوعية كعقيدة فلسفية تناقض أصول الإسلام فهي كفر وإلحاد، وإنها كنظام اقتصادي تناقض قوانين الإسلام التي يجب على المسلمين كافة الدعوة إليها، كما يحرم عليهم الدعوة إلى غيرها من النظم الاجتماعية، لأن الإسلام وحده خيرة رب العالمين ورسالة خاتم النبيين، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. والسيد مهدي الحسيني الشيرازي: نعم الانتماء إليها حرام والدعوة إليها حرام، وهي كفر وإلحاد، والله العاصم.

والسيد محمود الحسيني الشاهرودي: تصادم المبادئ اللادينية الشيوعية مع الدين الإسلامي من الضروريات فلا يجوز تقوية المروجين لتلك المبادئ بوجه من الوجوه حتى بالانتماء إليهن. والسيد عبد الهادي الشيرازي: الشيوعية ضلال وإلحاد، فلا يجوز الانتماء إليها والسلام عليكم ورحمه والله وبركاته. السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي: إن الشيوعية شنيعة ليست فوقها شنيعة، ورذيلة دونها كل رزيلة ونار لا تبقي ولا تذر، والانتماء إليها ومؤازرتها كفر وإلحاد، عصمنا الله والإسلام وجميع المسلمين من شرها. والسيد عبد الله الشيرازي: لا يخفى كما أجبت عنها سابقا كفر وإلحاد وعين اللادينية، ويحرم على جميع المسلمين التحزب بهذا الحزب، فإن الشيوعية تفني الآثار الدينية، وكل ما حكم به العقل والأنبياء من حفظ الأنساب وملكية الأشخاص، حفظنا الله وجميع إخواننا المسلمين من كل ما يخالف الدين الإسلامي.

الذي كتبناه في جواب السؤال الصادر من النعمانية، إن الانتماء إلى الحزب الشيوعي كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد، يعني أن الانتماء تارة يكون كاملاً، وأخرى يكون من بعض الجهات، فإن كان كاملا كان كفراً، وإذا كان ناقصا كان فسقا ومعصية لله تعالى لأنه ترويج للكفر وتأييد له، ولله سبحانه العاصم.

لقد انتشرت فتوى الإمام الحكيم حول الانتماء إلى الحزب الشيوعي في كل أرجاء العراق ووجدت تجاوبا كبيرا لدى الأوساط الشعبية، وكانت تمثل بحق أخطر وأقوى ضربة توجه إلى الحزب الشيوعي، فقد توافدت الجماهير إلى مدينة النجف الأشرف مرة أخرى رغم توتر الأوضاع لتعلن تأييدها وبيعتها وتضامنها مع المرجعية الدينية، وكان من الطبيعي هناك أن تطلق شعارات الإدانة للحزب الشيوعي على كل ما قام به من أعمال خلال الفترة الماضية، وهكذا ساهمت هذه الفتوى في تحشيد الفقراء والمعلمين والمثقفين والعلماء وحتى المنتمين للأحزاب السياسية الأخرى كالقوميين ضد الحزب وضد السلطة بمقدار تأييدها للحزب وعدم استعدادها للتخلي عنه أو الحد من سلطته في الدوائر الحكومية وفي الشارع. وتجاوبت الشخصيات والأحزاب الإسلامية السنية مه هذه الفتوى بصورة واضحة، فقد صدرت فتوى موقعة من أربعة من كبار علماء الأكراد السنة اعتبرت فيها أن الشيوعية كفر، وإن تقديم المساعدة لها هو خدمة للكفر، ونشرت الفتوى في ٣٠ نيسان ١٩٦٠[١]، وذكرت صحيفة الوطن في عددها الصادر ١٩٦٠/١/٢٣ عددا من أسماء العلماء السنة قالت أنه اصدروا الفتاوى بتحريم الشيوعية، ومنهم: العلامة الحاج نجم الدين الواعظ، العلامة الشيخ حمدي الأعظمي، العلامة الشيخ فؤاد الآلوسي، والشيخ جميل المفتي[٢]، وأما الحزب الإسلامي فقد أصدر في ٥ تموز ١٩٦٠ بيانا شجب فيه الشيوعية بعنف وحذر الأمة من دعايتهم الخبيثة ومكائدهم[٣].

وكان واضحا مع صدور فتوى الإمام الحكيم والمراجع الآخرين من الشيعة والسنة والكرد أن هناك حاجزا عاليا قد انتصب بين الحزب الشيوعي وبين الشعب العراقي يمنعه

(١) جريدة الفيحاء: السنة الثانية، العدد ٢٦ ٤ ذي القعدة ١٣٧٩ الموافق ٣٠ نيسان ١٩٦٠، وكانت الفتوى كالتالي: لما كانت الشيوعية مبنية على عدم الاعتراف بالخالق والأديان والروح واليوم الآخر، وهي لا تؤمن بسوى مادة، لذلك فلا شك في كفر من ينتمي إلى مثل هذا الحزب بعد العلم بمبادئه الخبيثة، ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، ووقع على الفتوى كل من الشيخ ملا صالح عبد الكريم، الشيخ جميل المفتي، الشيخ عمر عبد العزيز، الشيخ عثمان عبد العزيز.

(٢) جريدة الوطن: العدد الصادر في ١٩٦٠/١١/٢٣، نشرت فيه موضوعا معززا بالصور لعلماء الدين والمراجع من الشيعة والسنة والكرد تحت عنوان: دور علماء الدين الأعلام في مكافحة الاستعمار والفوضوية المجرمة.

(٣) صحيفة البيان بتاريخ ٧ تموز ١٩٦٠.

من التقدم أكثر في كسب المزيد من العراقيين إلى صفه، بل الواقع المشهود يقول أن تلك الفتوى أدت إلى تراجع أعداد كبيرة من العراقيين عن الحزب الشيوعي.

وكان من سوء حظ الشيوعيين أن تتجاوز بعض صحفهم أو المحسوبة عليهم على مقام المرجعية الدينية ممثلة بالإمام الحكيم، فقد نشرت هذه الصحيفة[1]، مقالا تحت عنوان (حمار الحكيم) وهو يشبه عنوان مسرحية لتوفيق الحكيم، وقد فهم المقال في الوسط العام من خلال الإشارات والكنايات الموجودة فيه على أنه تعدي على الإمام الحكيم والعلماء، فكان ذلك كافيا ليشعل فتيل اللهب وإثارة مشاعر العراقيين من الشيعة والسنة، فقد تعالت صيحات الاستنكار وأخذت الوفود الجماهيرية من كل أنحاء العراق تتوافد على مدينة النجف الأشرف والكوفة حيث مقر الإمام الحكيم للتعبير عن تلاحمها وتأييدها للإمام الحكيم والمرجعية الدينية، واستنكارها للإهانة، وفي مثل هذه الأجواء المشحونة تجاوزت المسألة قضية ما نشرته الصحيفة إلى إدانة شاملة للحزب الشيوعي، واستمرت الوفود تترى على المدينة المقدسة، وكانت مناسبة وفرصة ذهبية استفادت منها المرجعية الدينية وعموم الحركة الإسلامية للتحدث مع الجماهير المحتشدة، فقد باشر الخطباء المعتمدون لدى الإمام الحكيم بإلقاء الخطب التعبوية والتحريضية ضد الحزب، مما ملأ صدور الناس بالحماس والإدانة للحزب.

ووقفت الحوزة العلمية موقفاً فعالاً في هذا الموضوع، فقد أخذ العديد من كبار العلماء والمراجع وأساتذة الحوزة العلمية يحرضون يوميا إلى مجلس الإمام الحكيم لإعلان تضامنهم معه، وإرسال رسالة إلى الجمهور وهي أن المرجعية والحوزة العلمية متوحدة في هذه المواجهة.

ولم يتوقف الأمر على الاستنكار في مدينة النجف أو داخل الأوساط المتدينة فقط وإنما تعداه إلى نشر البرقيات في الصحف وهي تدين هذه التجاوزات على مقام العلماء ومراجع الدين، فقد نشرت صحيفة الفيحاء في ١٩٦٠/٤/٢٣، في عمود على الصفحة الأولى برقية من النجف جاء في نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيئة العلمية في النجف الأشرف تستنكر بشدة اعتداء الصحف المأجورة المدسوسة الحضارة واتحاد الشعب وإضرابهما على كرامة أصحاب السماحة علماء الدين الإسلامي، الأمر الذي أثار الاستياء العام في الأوساط الدينية خاصة، والإسلامية عامة، لذا نطالب

(١) الجريدة المحسوبة على الحزب الشيوعي التي نشرت الموضوع هي: جريدة الحضارة لصاحبها محمد حسن الصوري.

بإصرار اتخاذ الإجراءات اللازمة لهذا التجاوز الفوضوي المسموم، ووقع البرقية الفقيه السيد محمد جمال الهاشمي نيابة عن ٤٥٣ توقيعا من مختلف طبقات الهيئة العلمية وإلى جانبه وقع عليها الشيخ كاظم الشيخ موسى السماوي، والشيخ عبد الوهاب آل الشيخ راضي، والسيد محمد صادق الصدر(١).

وبعدها بأسبوع أي في ١٩٦٠/٤/٣٠ نشرت جريدة الفيحاء، مجموعة من البرقيات لطلبة الجامعات العراقية، وهي كلها تستنكر الاعتداء على كرامة العلماء، فقد أوردت البرقيات التالية:

نحن الشباب المسلم في كلية الطلب نستنكر الحملة الهوجاء التي تشنها فلول الفوضوية على علماء الإسلام الأبرار، معبرين عن ذلك في صحفهم التي ما فتئت سمومها التي لن تنقطع إلا بنهايتها.

لذا نطالب إضافة إلى استنكارنا الشديد بحجب هذه الصحف ونخص منها جريدة الحضارة وليعلم هؤلاء أنهم لن ينالوا من المسلمين ولا من عقيدتهم مهما حاولوا فهم بذلك يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

ووقع البرقية أسامة توفيق التكريتي عن ١٥٦ طالبا(٢).

وتلتها برقية من طلبة كلية التجارة والاقتصاد موقعة من ٢١٢ طالباً(٣) وأخرى عن طلاب كلية الزراعة(٤).

وهي كلها تدين ما ذكرته جريدة الحضارة وتطالب بإنزال أشد العقوبات، وواضح من النعوت التي وصفت هذه البرقيات الحزب الشيوعي وإن لم تذكره بالاسم لكنها تشير إليه، فقد وصفته بالإلحاد وهو إشارة إلى نص الكلمة التي جاءت في فتوى الإمام الحكيم،

---

(١) جريدة الفيحاء، السنة الثانية العدد ٢٥ السبت ٢٦ شوال ١٣٧٩ الموافق ٢٣ نيسان ١٩٦٠.

(٢) جريدة الفيحاء، السنة الثانية العدد ٢٦ السبت ٤ ذي القعدة ١٣٧٩ الموافق ٣٠ نيسان ١٩٦٠.

(٣) نفس المصدر وكان نص البرقية كالتالي: نستنكر بشدة ما قامت به الزمرة الملحدة من تهجم على علماء الإسلام الأعلام، نطالب بإنزال أشد العقوبات بهم، طلبة كلية التجارة والاقتصاد ٢١٢ توقيعا: عدنان كعيد وأسامة النقشبندي ويوسف الخطيب وأمير الحلو.

(٤) نفس المصدر السابق، وكان نص البرقية كالتالي: باسم المئات من طلبة كلية الزراعة نستنكر تهجمات صحف العبيد العبيد على العلماء الأعلام لمحاربتهم الكفر والإلحاد وذودهم عن حياض الإسلام وعقيدة الأمة، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، عبد الجليل إبراهيم، حكمت عباس العاني، طالب عبد الرحمن الطيف، أحمد حقي محمود.

وجاء في برقية طلبة كلية الآداب: نحن طلبة كلية الآداب نستهجن الأسلوب القذر الذي طلعت علينا به صحف العلماء بالتهجم على مقام الطليعة الأولى من علماؤنا الأعلام وحجج الإسلام لقيامهم بواجبهم الإسلامي المقدس في الذود عن الدين ومكافحة الكفر والضلال ودعاتهما، ونطالب الجهات المسؤولة باتخاذ الإجراءات القانونية الصارمة بحق هذه الفئة المتمردة على النظام والمتنكرة لمقدسات الإسلام والله أكبر والعزة لله ولرسوله والمؤمنين ووقعها: محمد حاتم السوداني، شرقي عبد العزيز الراوي، راجي البياتي، ميمون الكبيسي.

وبعضها وصفه بالفوضوية، وهي إشارة إلى الوصف الذي أطلقه عبد الكريم قاسم على الشيوعيين بعد مجازر كركوك.

كما نشرت الجريدة في نفس عددها برقية رئيس جمعية التحرير الثقافي، وهي تستنكر الاعتداء على العلماء وتدعو إلى تأنيب القائمين بالعدوان وفي مقدمتهم جريدة اتحاد الشعب[1].

ونشرت جريدة الحرية التي كان يصدرها قاسم حمودي المحامي، في ١٩٦٠/٥/٩ ذي القعدة ١٣٧٩ رسالة صدرت عن الإمام الحكيم قبل خمسة أيام من تاريخ النشر وكان الإمام الحكيم قد وجهها إلى سكان منطقتي العاصمة والشاكرية، وذكرت الجريدة ما يلي:

وجه سماحة الإمام السيد محسن الحكيم الطباطبائي رسالة إلى إخواننا من سكان منطقتي العاصمة والشاكرية، يدعوهم فيها إلى جمع الكلمة والحذر من الأشرار الذين يحاولون بث بعض المبادئ البعيدة عن الإسلام، ودعاهم إلى التمسك بالدين والعقيدة الإسلامية، وقد أبلغت هذه الرسالة إلى أهالي العاصمة والشاكرية، وهذه صورتها:

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد.

إلى إخواننا المؤمنين من أهالي العاصمة والشاكرية وفقهم الله تعالى لمراضيه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد.

وبعد فإن الله سبحانه قد أنعم عليكم بالإسلام وتفضل عليكم بالإيمان وأكرمكم بولاية أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وجعلكم من المتمسكين بهم الآخذين بعروتهم، فكان حقا عليكم حفظ هذه النعمة وأداء واجبها، وذلك بالاهتداء بسيرة نبيكم العظيم وأهل بيته الكرام الذين بذلوا مهجتهم وأرواحهم في سبيل الدفاع عن كيان الإسلام، وارتوت الأرض من دمائهم للذب عن شرائع الدين، وقد بلغني في الآونة الأخيرة أن بعض الأشرار دخلوا في صفوفكم وفرقوا كلمتكم وأخذوا يبثون بينكم بغض المبادئ التي هي أبعد ما تكون عن الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده، وإني أحذركم أشد التحذير منهم وأطلب إليكم الابتعاد عنهم والرجوع إلى دينكم وعقيدتكم والتمسك بأهل البيت عليهم السلام فإنهم طريق نجاتكم وسبيل فوزكم وسعادتكم في

---

(١) الفيحاء: نفس المصدر السابق وجاء في البرقية إن تطاول بعض الصحف المعادية للإسلام، وعلى رأسها اتحاد الشعب على أصحاب السماحة آيات الله وحجج الإسلام ظاهرة تدعو إلى الأسف الشديد في هذا العهد بالذات،فجمعيات النجف الأشرف بمؤسساتها الدينية تستنكر أشد الاستنكار هذه المحاولات الدنيئة، نأمل اتخاذ ما يلزم لتأنيب أمثال هؤلاء العملاء دعاة التفرقة حفظا لوحدة الصف واحتفاظا بكرامة العلماء الأعلام التي هي كرامة الدين الإسلامي الحنيف. ووقعها رئيس جمعية التحرير الثقافي، رئيس منتدى النشر، عميد الرابطة الأدبية.

الدنيا والآخرة وقد كلفت جناب الفاضل الشيخ محمد الغراوي أن يوفد جماعة ممن نعتمد عليه من أهل العلم ليوجهوكم ويرشدوكم إلى طريق الحق والرشاد ويبلغوا رسالتي هذه إليكم، وإنني ابتهل إلى الله سبحانه بأن يوفقكم وينصركم على أعداء الدين ويؤلف قلوبكم ويجمع كلمتكم على الحق والهدى، إنه سميع مجيب الدعاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

محسن الطباطبائي الحكيم ٨ ذي القعدة ١٣٧٩[١].

وقد أدرك المؤتمر العشرون للأحزاب الشيوعية والاشتراكية العالمية الذي عقد في موسكو بعد عدة سنوات من صدور تلك الفتوى هذه الحقيقة حيث عبر عن ذلك بالقول: إن فتوى الحكيم قد أخرت العمل التنظيمي للأحزاب الشيوعية والاشتراكية لسنوات عدة[٢].

ولم يتوقف الإمام الحكيم وجهازه الواسع من العلماء المنتشرين في أنحاء العراق والعالم الإسلامي عن مهاجمة القوانين الوضعية التي أخذت السلطة ومنها قانونة الأحوال الشخصية، وذلك من خلال المناسبات والاحتفالات العامة التي أخذت تعقد في المدن العراقية في المناسبات الدينية، كما أنه لم يتوقف عن مواجهته للحزب الشيوعي، فقد نشرت صحيفة الحرية بتاريخ ١٩٦٠/٥/٩ بياناً صادراً عن الإمام الحكيم يشجب فيه الأعمال الشيوعية وينتقد الحكومة نقدا لاذعا على إغفالها للدين الحنيف وتبنيها التعاليم الشيوعية الإلحادية[٣].

كانت كل تلك المواقف بالإضافة إلى الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها الحزب الشيوعي قد دفعت بالسلطة إلى إيقاف جريدة اتحاد الشعب وذلك في الأول من تشرين الأول ١٩٦٠ حيث منعتها المحكمة العسكرية من الصدور بحجة مخالفتها لقانون المطبوعات وفي سنة ١٩٦١ أصيب الحزب الشيوعي الذي لم يحصل على أذن بمزاولة نشاطه بنكسة شديدة عندما أعفي وزيران مواليان للشيوعية هما (إبراهيم) كبة و(نزيهة) الدليمي من منصبيهما

(١) جريدة الحرية السنة السابعة، العدد ١٥٧٤ الاثنين ١٣ ذي القعدة ١٣٧٩ الموافق ٩ أيار ١٩٦٠ والرسالة خطية وهي من مجموعة وثائق مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف.

(٢) الحركة الإسلامية في العراق: مؤسس الجهاد/ لبنان ص ٦١ لم يدون عليه اسم الكاتب لأسباب خاصة به، وهو معروف.

(٣) مجيد خدوري: المصدر السابق ص ١٩٧ و٢٠٧.

غير أن نشاط هذا الحزب استمر حتى آخر عهد عبد الكريم قاسم على الرغم من عدم الترخيص له رسميا[١].

وكانت الاحتفالات الدينية التي تقيمها المرجعية الدينية، في مختلف المناسبات وأنحاء العراق، تؤدي دورا فعلا في الضغط على الحكومة وانتقاد سياساتها الداخلية وخصوصا في المسائل المتعلقة بموقفها من الإسلام قضايا العدل والإنصاف والمحافظة على أرواح الناس، وقد استمرت المرجعية الدينية في كل مناسبة تدعو عبد الكريم قاسم إلى التخلي عن قانون الأحوال الشخصية المخالف للإسلام، ولكن ذلك لم يتحقق حتى انتهى عهده في شباط ١٩٦٣.

حاول عبد الكريم قاسم بعد مجموعة الإجراءات التي اتخذها اتجاه الشيوعيين التقرب من المرجعية الدينية، وأبدى عبر الوسطاء رغبته بلقاء الإمام الحكيم من خلال زيارته له في النجف الأشرف، ويبدو أنه شعر في أواسط سنة ١٩٦٢ بالخسارة الكبيرة التي لحقت به بعد أن عبأ بسياساته الجميع ضده، ولذلك كانت رغبته شديدة بزيارة المرجع الأعلى علّه يستفيد من هذا اللقاء بكسب القواعد الشعبية العريضة المؤيدة للمرجعية الدينية.

وبهذا الصدد فقد اتصل مكتبه بأحد وكلاء الإمام الحكيم الكبار في بغداد وهو ابن المرحوم السيد محمد الحيدري الخلاني، وأخبر المكتب أن السيد الحيدري بأن عبد الكريم قاسم يرغب برؤيته واللقاء معه، فتم اللقاء في مقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع، وهناك تحدث عبد الكريم قاسم بلغة تشبه الاعتذار عما تقدم، وألقى باللوم على جمال عبد الناصر وحمله ما يجري في العراق من اضطراب، واتهمه بأنه هو الذي يساعد الشيوعيين، وأنه هو الذي أدخل كتبهم إلى العراق مُبدياً رغبته بلقاء الإمام الحكيم.

وحين أوصل السيد الحيدري ما دار في اللقاء إلى النجف، أبدت المرجعية موافقتها على اللقاء بشرط أن يعلن عبد الكريم قاسم تراجعه عن القوانين المخالفة للإسلام وفي مقدمتها قانون الأحوال الشخصية، ولما لم يتراجع عبد الكريم قاسم عن هذا القانون وبقي مصرا عليه لم يتم اللقاء[٢].

وبعد ذلك بفترة وجيزة زار عبد الكريم قاسم مدينة النجف الأشرف، وأبدى رغبته بلقاء الإمام الحكيم، ولكن ذلك لم يتم أيضا[٣].

---

(١) مجيد خدوري: العراق ص ١٩٢و ١٩٣.
(٢) السيد محمد محمد الحيدري الخلاني: حديث خاص مع المؤلف عام ١٩٨٦.
(٣) شهيد المحراب: السيد محمد باقر الحكيم: حديث خاص.

وخلال الفترة المتبقية من حكم عبد الكريم قاسم ظلت العلاقة بين الطرفين علاقة قطعية حتى وقع انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الموافق ١٤ رمضان ١٣٨٣هـ.



الرئيس عبد السلام عارف يعود المرجع السيد الحكيم في المشفى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة مولانا حجة الإسلام السيد محسن الحكيم المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أسأل الباري أن يديمكم

من مقلديكم ولكني ... إلى الحزب الشيوعي افتونا ادامكم

السلام عليكم ورحمة الله

السيد محمد ...

بسمه سبحانه

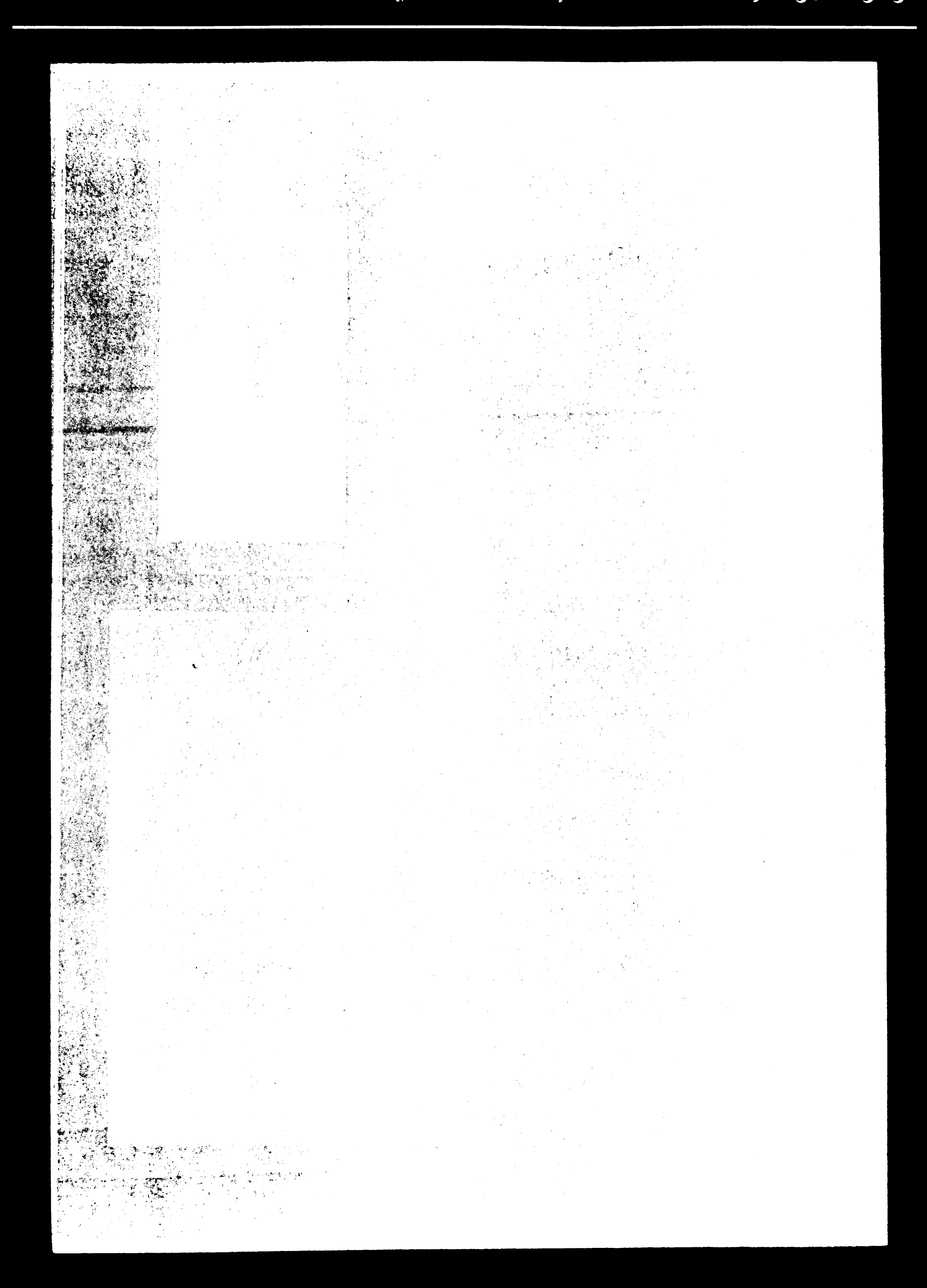
لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محسن الطباطبائي الحكيم

١٧ شعبان ١٣٧٩



مفتي العراق الشيخ نجم الدين الواعظ والشيخ علي كاشف الغطاء من علماء النجف، وكلاهما افتى بحرمة الانتماء للشيوعية





صاحبها رئيس تحريرها
قاسم حمودي المحامي

العدد ١٥٧٤ السنة السابعة

الاثنين
١٣ ذي القعدة ١٣٧٩
٩ ايار ١٩٦٠

رسالة سماحة الامام السيد الحكيم الى سكان منطقتي العاصمة والشاكرية

وجه سماحة الامام السيد محسن الحكيم الطباطبائي رسالة الى اخواننا من سكان منطقتي العاصمة والشاكرية يدعوهم فيها الى جمع الكلمة والحذر من الاشرار الذين يحاولون بث بعض المبادئ البعيدة عن الاسلام ، ودعاهم الى التمسك بالدين والعقيدة الاسلامية ، وقد ابلغت هذه الرسالة الى اهالي العاصمة والشاكرية وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

الى اخواننا المؤمنين من اهالي العاصمة والشاكرية وفقهم الله تعالى لمراضيه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بالتوفيق [illegible]

وبعد فان الله سبحانه قد انعم عليكم بالاسلام [illegible] عليكم [illegible] وذكركم بولاية اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، [illegible] بهم [illegible]

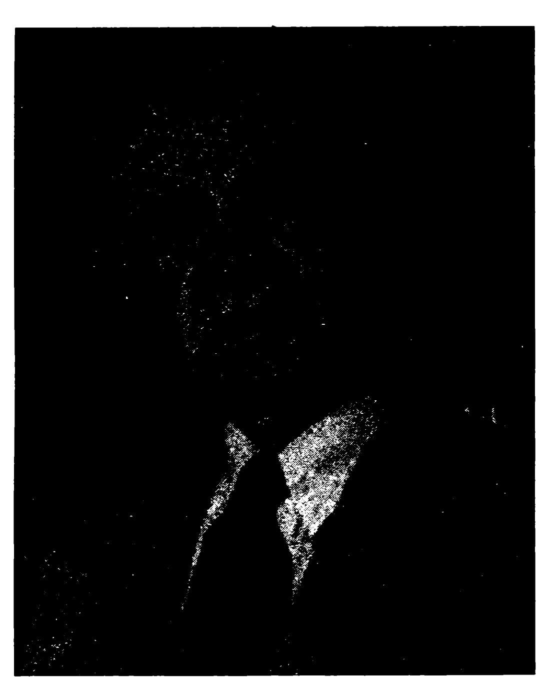
فكان حقا عليكم شكر هذه النعمة واداء [illegible] بالاقتداء بسيرة نبيكم العظيم واهل بيته الكرام الذين بذلوا مهجهم [illegible] في سبيل الدفاع عن كيان الاسلام [illegible] من [illegible] وقد بلغني في الآونة الاخيرة ان بعض الاشرار دخلوا في صفوفكم وفرقوا كلمتكم [illegible] عليكم [illegible] التي هي ابعد ما تكون عن الاسلام ودينه [illegible] لعباده [illegible] احذركم منهم [illegible] الرجوع الى دينكم وعقيدتكم والتمسك باهل البيت عليهم السلام فانهم طريق نجاتكم وسبيل فوزكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة وقد كلفت جناب الفاضل الشيخ [illegible] ان يوجد جماعة من [illegible] من اهل العلم ليرشدوكم الى طريق الحق والرشاد ويبلغوا رسالتي هذه اليكم واني ابتهل الى الله سبحانه ان يوفقكم وينصركم على اعداء الدين ويؤلف قلوبكم ويجمع كلمتكم على الحق والهدى انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٨ ذق ١٣٧٩

محسن الطباطبائي الحكيم

ما هي الأهداف السياسية الكامنة وراء اتهام الشيوعية والشيوعيين في العراق بالكفر والإلحاد ؟

• الدكتور كاظم حبيب



١. فتاوى بعض شيوخ الدين في العراق حول الشيوعية والشيوعيين ٢. موقف الحزب الشيوعي العراقي من الدين ومن المؤمنين ٣. علاقة الإنسان والدين عبر الزمن ٤. العلاقة بين الأديان ٥. مواقف الأديان المختلفة من المؤمن والملحد ٦. الخلاصة

١. فتاوى بعض شيوخ الدين في العراق حول الشيوعية والشيوعيين

في فترات التوترات والصراعات السياسية الحادة بين فصائل الحركة السياسية العراقية تبرز ظواهر سلبية لا تمت إلى العقلانية بصلة ، وخاصة حين توجه الاتهامات إلى أحزاب سياسية وطنية أو إلى شخصيات وطنية سواء باتهامها بالعمالة للأجنبي وبالتالي الخيانة العظمى للوطن والشعب ، أم باتهامها بالكفر والزندقة والإلحاد أو الهرطقة ، وهي كلها خالية من الصحة والصواب. والمؤذي بالأمر هي أن مثل هذه الاتهامات تزيد الوضع سوءاً وتعقد العلاقات في ما بين القوى السياسية وتقود في غالب الأحيان إلى سقوط ضحايا لا مبرر لخسارتها ، إذ أن خسارة إنسان واحد لأي من هذه الأسباب هي غير مبررة وخسارة فادحة. وقد

عرف العراق الكثير من هذه الظواهر السلبية على امتداد تاريخه الطويل وشملت أضراره كثرة من الناس العراقيين.

تأسس الحزب الشيوعي العراقي في العام ١٩٣٤ باسم "جمعية مناهضة الاستثمار والاستعمار" ثم جرى تغيير هذا الاسم في العام ١٩٣٥. ولعب هذا الحزب دوراً مهماً في النضال الوطني والنقابي والمهني والاجتماعي ، إضافة على المطالبة بالحريات الديمقراطية والتنمية الاقتصادية. وقد كان له دوره المتميز في النضال من أجل العمال والفلاحين واكتسب جماهيرية واسعة قبل ثورة تموز ١٩٥٨ بين صفوف الفلاحين والعمال في الفرات الأوسط والجنوب وبغداد وكُردستان والموصل ، وكذلك في صفوف الطلبة والمثقفين والحرفيين. وقد لقي هذا الدور في فترة العهد الملكي تاييد السكان ، ولكنه واجه المقاومة والعنت والاضطهاد من الحكومة العراقية وأجهزتها القمعية ، وخاصة التحقيقات الجنائية. وحاولت الحكومات المتعاقبة إصدار الكثير من الفتاوى الدينية ضده من أجل محاربته ليس في الجانب السياسي حسب، بل من الجانب الديني أيضاً، إذ عجزوا عن تحقيق ذلك عبر القمع السياسي والإرهاب.

ولكن حكام العهد الملكي فوجئوا برفض الكثير من شيوخ الدين المحترمين لموقف الحكومة العراقية الملكية وامتنعوا عن إصدار فتاوى ضد الشيوعية والشيوعيين في العراق وابتعدوا كلية عن اتهامهم بالإلحاد والكفر ، إذ أن هؤلاء الأخيار من شيوخ الدين الكرام أدركوا خمس حقائق جوهرية ، وهي:

** إن الشيوعية اتجاه سياسي يقبل في صفوفه المؤمنين والملحدين في آن واحد.

** وإن الشيوعيين العراقيين لم يتحرشوا يوماً بالدين ولم يسيئوا لشيوخ الدين والحوزات الدينية بأي حال من الأحوال ، بل كان الاحترام والتقدير ظاهرتين أساسيتين في العلاقة بين الشيوعيين وشيوخ الدين في العراق.

** وأن الشيوعيين العراقيين وطنيون يناضلون ضد الاستعمار والاستغلال والبؤس والفاقة والجهل والمرضى ، هذه الآفات التي ابتلى به مجتمعنا العراقي من جهة ، وفي سبيل المساواة والعدالة الاجتماعية وحقوق المواطنة الحرة من جهة أخرى.

** وإن القوى التي تسعى إلى إدانة الشيوعيين واتهامهم بالكفر والإلحاد تبغي من وراء ذلك أهدافاً سياسية مناهضة للمجتمع والوحدة الوطنية والتقدم الاجتماعي والعدالة الاجتماعية.

** وإن كثرة من شيوخ الدين وطلبة الحوزات الدينية المحترمة كانت منتمية أو مساندة ومؤيدة لنضال لحزب الشيوعي العراقي خلال العقود السبعة المنصرمة.

برز هذا الموقف بوضوح كبير لدى المجتهد والفقيه الكبير السيد أبو القاسم أبو الحسن الموسوي الاصفهاني الذي رفض إدانة الشيوعية والحزب الشيوعي العراقي ، كما رفض ذلك السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه الموسوم "المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون" ، بغض النظر عن موقفه الشخصي من الشيوعية ، الذي نشره في الخمسينات من القرن العشرين، ثم أعيد طبعه في طهران ١٩٨٢ وبيروت عدة مرات. كان هذا في العهد الملكي.

أما في العهد الجمهوري ، ومع بداية حكم عبد الكريم قاسم ، برز اتجاه إيجابي عموماً، وأن تباين من شيخ ديني إلى آخر ومن مرجعية إلى أخرى ، إزاء الثورة وحكومة عبد الكريم قاسم من جانب المؤسسات الدينية شيعية كانت أم سنية. ولكن اختلف الأمر بعد صدور جملة من القوانين المهمة اجتماعياً واقتصادياً في العراق ، وخاصة قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ وقانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ ، ثم صدرت قوانين أخرى مثل قانون العمل والعمال ، إضافة إلى تحرك واسع النطاق ونشط للحزب الشيوعي العراقي مما جعل المرجعية الدينية التي كان يديرها السيد محسن الحكيم أن تتخذ موقفاً من حكومة عبد الكريم قاسم ومن الحزب الشيوعي العراقي، باعتباره كان يقف وراء تلك القوانين التقدمية والديمقراطية. فماذا كان وراء ذلك؟ لقد كان لتلك القوانين دورها الكبير في توجيه ضربة موجعة لكبار الملاكين وبعض الإقطاعيين العراقيين ، وهي خسارة اقتصادية كبيرة لبعض المرجعيات الدينية أولاً ، وكان قانون الأحوال الشخصية قد أقر جملة من الحقوق المشروعة للمرأة وتنظيم الأسرة ، بما في ذلك منع الزواج بأكثر من امرأة واحدة ، إلا في حالات معينة ، وغيرها من المواد في صالح المرأة وحقوقها المشروعة التي اعتبرتها تلك المرجعية ضد الفقه الإسلامي ، إضافة إلى نشاط الشيوعيين الكبير في الوسط والجنوب ، وهما منطقتان تشكلان مواقع أساسية لحركة ودور ونشاط والمورد المالي للمرجعيات الدينية في النجف ، قد أخاف تلك المرجعية على مواقعها في المجتمع عموماً. ولهذا تصدى آية الله السيد محسن الحكيم لكل ذلك. وبما أنه لم يستطع التحرش بعبد الكريم قاسم ، فقد تحرش بمن اعتبرهم وراء تلك القوانين ووراء عبد الكريم قاسم. وقد صدرت الفتوى في أعقاب بدء الهجوم المنظم ضد الحزب الشيوعي العراقي من جانب أجهزة الحكم والأمن العراقية مع مشاركة جادة من جانب القوى

القومية اليمينية والبعثية في تلك العملية ، ولكنها لم تكن في كل الأحوال موجهة ضد الشيوعيين وحدهم حسب ، بل ضد عبد الكريم قاسم ومؤيديه وضد القوى التقدمية التي غالباً ما كانت تتهم بالشيوعية ، وهي ليست كذلك. وكانت الفتوى ، شاء المرء أم أبى ، موجهة ضد الثورة ونهجها وإصلاحاتها المهمة. لا شك في أن الحزب الشيوعي قد ارتكب جملة من الأخطاء السياسية ، ولكنها لم تكن بأي حال من الأحوال ضد الدين أو شيوخه أو مؤسساته. لقد أدى صدور تلك الفتوى إلى تأجيج عداء ضد الشيوعيين من جانب المؤمنين ، ووفق المعلومات المتوفرة فقد استقال من الحزب الشيوعي بعد صدور الفتوى ٦٠٠ عضواً ومرشحاً بسبب صيغة الفتوى ذاتها. وهذه الاستقالة بالذات تؤكد أن كان في عضوية الحزب الشيوعي الكثير من المسلمين المؤمنين الذين التزموا بالفتوى، فقد جاء نص الفتوى الذي صدر في العام ١٩٦٠ على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر والحاد وترويج للكفر والإلحاد أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيمانا وتسليما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(محسن الحكيم) ١٧ شعبان ١٣٧٩

وعلى خطأ ما جاء في هذه النص من جانب الفقه الإسلامي وعلاقته بالكفر من جهة وبالإلحاد من جهة أخرى ، كما جاء في توضيح السيد محمد حسين فضل الله ، الذي يختلف في جوهره عن الكفر، فقد صب الماء في طاحونة البعثيين والقوميين والاستعماريين الذين كانوا يعادون حكومة عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية والتقدمية الأخرى.

وفي أعقاب انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ استطاع عبد الغني الراوي ، صديق السعودية وعدو القوى الديمقراطية والتقدمية والحزب الشيوعي العراقي ، إقناع الشيخ محمد مهدي ألخالصي ، وهو ابن الشيخ محمد ألخالصي ، في الكاظمية بأن يصدر فتوى ضد الشيوعية والحزب الشيوعي فأصدر الفتوى التالية: "(الشيوعيين مرتدين وحكم المرتد القتل وان تاب وان كان متزوجا وحكم الزوجة والأولاد وان كان لديه أموال منقولة أو غير منقولة وحصة الإمام)".

وهي كما يلاحظ الإنسان ذات بعد غير إنساني وغير عقلاني ويصب في المجرى الذي كان يسعى إليه شاه إيران في الموقف من الشيوعية والشيوعيين أيضاً.

ولكن الضابط القومي اليميني المتطرف عبد الغني الراوي لم يكتف بذلك بل ذهب إلى السيد محسن الحكيم وأخذ منه فتوى ثانية ضد الحزب الشيوعي العراقي التي جاء فيها مايلي:

"(الشيوعيون مرتدون وحكم المرتد هو القتل وأن تاب) والشيوعيون نوعان الأول من آمن بها وحمد بها ولا يرجع عنها . فحكمه كما جاء أعلاه والنوع الثاني من اعتبرها تقدمية ومعاونة المحتاجين وهؤلاء يُحجزون ويُفهمون ويُعلمون الصح من الخطأ . فإن تابوا يُطلق سراحهم وأن أصروا عليه فحكمهم كما جاء أعلاه".

لقد كان في هذه الفترة ألاف الشيوعيين والديمقراطيين المعتقلين الذين ، إذ كانت هاتان الفتوتان بالنسبة لهؤلاء لا تعنيان سوى التعذيب واحتمال كبير بالموت بحجة أنهم من الكفرة والملحدين والهراطقة أو الزنادقة والمرتدين وما إلى ذلك.

ولا شك في أن الفتوتين الجديدتين في حينها قد واجهتا صدوداً ورفضاً من جانب جماهير الشعب الواسعة ، بسبب مواقف الجماهير من حزب البعث ومن سياساته المناهضة لعبد الكريم قاسم والديمقراطية ونهجه الدموي في مواجهة المعارضين. كما رفضتا من الكثير من شيوخ وعلماء الدين الأفاضل ، لأنهما كانتا ذات مضامين وصيغ سياسية موجهة ضد جماعات سياسية مناضلة ، إذ أنها لم تقتصر في الممارسة العملية على الشيوعيين ، بل توجهت ضد القوى الديمقراطية والتقدمية وأنصار عبد الكريم قاسم. إلا أن هاتين الفتوتين سلّمَتا بيد البعثيين والقوميين اليمينيين المتطرفين سلاحاً سياسياً قوياً باسم الدين لمكافحة وقتل المئات من الشيوعيين والديمقراطيين والتقدميين العراقيين ، وبعض النسوة أيضاً بحجة الشيوعية. وقد برر البعثيون بهذه الفتوى صدور وممارسة مضمون البيان رقم ١٣ عن المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي جاء فيه ما يلي:

"إلى الشعب العراقي الكريم

نظراً لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه بمحاولات يائسة لأحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع إلى الأوامر والتعليمات الرسمية فعليه يخول آمرو القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن وإننا ندعو جميع أبناء الشعب المخلصين بالتعاون مع السلطة الوطنية بالإخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم"[(١)].

(١) العاني، نوري عبد الحميد وصحبه. تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري. الجزء السادس. مصدر سابق. ص ٢٧.

وصدر عن الحاكم العسكري العام في التاسع من شباط/فبراير ١٩٦٣، الزعيم رشيد مصالح، بلاغاً أعلن فيه ما يلي:
"لقد تم إلقاء القبض على عدو الشعب كريم قاسم ومعه فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ أحمد وكنعان خليل حداد من قبل القوات المسلحة وقد شكل مجلسٍ عرفي عسكري لمحاكمتهم وقد أصدر المجلس العرفي العسكري الحكم عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص ونفذ فيهم رمياً بالرصاص في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر هذا اليوم"[1]، أي في ١٩٦٣/٢/٩. كما نفذ حكم الإعدام بالكثير من الشيوعيين قبل وفي أعقاب صدور تلك الفتاوى والكثير منهم قتل تحت التعذيب الهمجي ، ومنهم قادة الحزب الشيوعي العراقي. وكان الخطر بسبب ذلك كبيراً على عدد كبير من السجناء السياسيين الشيوعيين والتقدميين الديمقراطيين الذين كانوا في سجون العراق في فترة قاسم ولكن بشكل خاص في فترة البعثيين.

لم تكن هذه الفتاوى في خدمة الشعب ، بل في خدمة القوى التي دعمت مجيء البعث إلى السلطة ، ومنها القوى الأمريكية والبريطانية والفرنسية في حينها والنظم والقوى القومية العربية اليمينية وشاه ونظام إيران حينذاك ، إذ أنها فتاوى سياسية وليست دينية ، ولكنها استخدمت اسم الدين لغايات غير نبيلة في كل الأحوال وبعيدة كل البعد عن الواقع العراقي وحاجات الشعب العراقي. لقد أعطت القوى البعثية التي قادت الانقلاب ، الذين جاءوا بقطار أمريكي و حسب تعبير وتصريح على صالح السعدي لمجلة الطليعة المصرية حين زارها في القاهرة واطلعت على محضر اللقاء والحوار من خلال الصديق الأستاذ الراحل ميشيل كامل ، وكان الصديق عضواً في هيئة تحرير المجلة في الستينيات من القرن الماضي.

٢. موقف الحزب الشيوعي العراقي من الدين ومن المؤمنين

لم يكن هناك أي سبب معقول لإصدار مثل هذه الفتوى ضد الحزب الشيوعي ، إذ أن الحزب الشيوعي العراقيٍ لم يتخذ أيٍ موقفٍ سلبيٍ من الدين على امتداد تاريخه الطويل ، بل اتخذ باستمرار موقفاً سياسياً سليماً وواضحاً من الدين ومن شيوخ الدين ، إذ اتبع مبدأ "الدين لله والوطن للجميع"، وبالتالي كان ، وسيبقى ، وفق قناعتي الشخصية ، يحترم الأديان كلها دون استثناء ويحترم المؤمنين كلهم من أتباع جميع الأديان والمذاهب ، ولم

(١) نفس المصدر السابق. ص ٢٣.

ولن يتعرض لهم بالسوء ، سواء أكان ذلك بالكلمة أم بالفعل. ورغم الادعاءات والدعايات الكثيرة التي نشرت وروجت ضد الحزب الشيوعي ، بما في ذلك اتهام الشيوعيين بـــ "حرق القرآن الكريم" الكاذبة ، التي فندها فيما بعد السيد حسن العلوي ، الذي طبل لها في حينها وزمر كثيراً مع بقية الجوقة ، أو الاعتداء على بعض شيوخ الدين ، كما حاول السيد آية الله مرتضى القزويني في دعايته ودعوته المستمرة ضد الشيوعيين في النجف وقبل صدور فتوى السيد الحكيم بثلاثة شهور حسب قوله بالذات(١)، فأن الحزب الشيوعي العراقي احترم شيوخ الدين وكهنة المعابد وقساوسة الكنائس جميعاً، أياً كان الدين الذي يتبعونه ، وكان في عضويته الكثير من طلبة علوم الدين في الحوزات الدينية في النجف أو في غيرها وكذلك في كلية الشريعة في بغداد ، إضافة إلى وجود شيوخ دين ساندوا الحزب ودافعوا عنه ورفضوا إدانته.

وبالنسبة لي أرى بأن الحزب الشيوعي العراقي ، وأنا كنت أحدهم ، قد ارتكبنا خطأ فادحاً حين لم نميز في عملنا بين الدين من جهة ، وبين جملة من الممارسات غير الدينية وغير السليمة التي كانت تمارس من بعض شيوخ الدين باسم الدين ، وبالتالي سكتنا عن الأخيرة ، ولم نساهم بعملية تنوير ضرورية كان في مقدورها أن تساهم في تطهير الدين من تلك الرواسب السلبية التي تفاقمت في السنوات الأخيرة بشكل استثنائي بفعل بعض رجال الدين. لقد كانت الخشية من الاتهام بالإلحاد والكفر هاجساً كبيراً على مواقف الحزب ، إذ أن نشاطاً دولياً مشتركاً على أرض الواقع كان قد توجه ضد الشيوعية والشيوعيين على الصعيد الدولي والإقليمي والمحلي وحاول توجيه التهم ضد الشيوعيين بمختلف السبل التي لم تكن حقيقية في كل الأحوال، بما في ذلك قضايا الإلحاد أو الجنس أو ما إلى ذلك. وكلها بعيدة عن واقع وممارسات الحزب الشيوعي العراقي.

لقد كانت مدن ذات عراقة وقدسية دينية لدى أوساط واسعة من الشعب العراقي والتمسك بالطقوس الدينية في مدن الجنوب والوسط ، بما فيها مدن النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد وسامراء والحلة والبصرة والناصرية والكفل والإعزير وغيرها من المواقع المهمة بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي في عمله السياسي والاجتماعي والتنويري العام ، إضافة إلى المدن العراقية الأخرى التي فيها الكثير من أتباع الديانات والمذاهب الدينية المؤمنين ، إذ كانت له فيها جماهيرية واضحة وتأييد كبير.

(١) حيدر السلامي. لقاء أجراه السلامي مع سماحة آية الله السيد مرتضى القزويني. .w.14masom.com/leqaa/36/36.htm-35k

إن احترام الأديان واحترام أتباعها يفترض أن يكون جزءاً أساسياً من بناء الدولة والمجتمع المدني، من بناء الدولة الديمقراطية التعددية ، من سيادة حقوق الإنسان. ولكن يفترض على شيوخ وأتباع الديانات المختلفة أيضاً أن يحترموا جميع الأديان وأتباعها وليس فقط أتباع دينهم ، وأن يحترموا أيضاً من يعتقد بغير دينهم أو لا يعتقد بأي دين. إن على الإنسان أن يحترم الإنسان الآخر والفكر والرأي الآخر في آن واحد. أنا معني ، وأنت معني أيضاً ، بسلوك الإنسان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي العام والالتزام بروح المواطنة الصادقة ، وأن لا تكون معنياً بأي دين أو مذهب يلتزم به هذا الشخص أو ذاك ، أو أن لا يكون له أي دين أصلاً ، فهي قضية شخصية فردية بحتة لا يجوز التجاوز عليها بأي حال. ومن حيث المبدأ ابتعد الحزب الشيوعي عن أي اتجاه ديني أو مذهبي في ممارساته السياسية ، وأرى بأنه ما يزال وسيبقى يواصل هذا النهج ، إذ أن غير ذلك يناقض نهجه الفكري والسياسي ، وبالتالي يمكنه أن يكون حزباً يشارك فيه كل العراقيات والعراقيين بغض النظر عن دياناتهم ومذاهبهم ، وأن لا ينقلوا صراعات شيوخ وأتباع الديانات والمذاهب الدينية الجارية في المجتمع إلى الحزب أو النهج السياسي الذي يمارسه الحزب الشيوعي العراقي.

ولا شك في أن الحزب الشيوعي العراقي قد ميز في عمله بين شيوخ الدين والحوزات الدينية من جهة ، وبين الأحزاب السياسية الدينية التي كانت تعمل من أجل إقامة دولة إسلامية دينية في العراق مثل الأخوان المسلمين وحزب التحرير الإسلامي أو حزب الدعوة من جهة أخرى ، إذ أنه كان ضد إقامة دولة دينية في العراق ، بل كان مع الدولة العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة وتحترم كل الأديان والمذاهب. وهي مسألة سياسية بحتة وليست مسألة دينية ، خاصة وأن جمهرة غير قليلة من شيوخ الدين كانوا وما زالوا أيضاً ضد الجمع بين الدين والدولة. إن من مصلحة الحوزات والمرجعيات الدينية أن يتم الفصل بينها وبين الأحزاب الإسلامية السياسية التي يمكن أن تقود إلى عواقب سلبية للمرجعيات والحوزات الدينية هي في غنى عنها.

٣. علاقة الإنسان بالدين عبر الزمن

لا شك في أن مصطلحي الإيمان والإلحاد قديمان ، ولكنهما حديثان بالقياس إلى عمر البشرية وعمر بروز الأديان على سطح الأرض ، إذ لم يظهرا إلا بعد أن أوجد الإنسان الفرد الدين ، أي تلك العبادات والطقوس التي وضعها لنفسه لمواجهة الكثير من القضايا

غير المفهومة منه والتي عجز عن وعيها وإيجاد تفسير عقلاني لها أو اكتشاف الأسباب التي تتسبب وتكمن وراء ظهورها. لكي نعالج إشكالية الفتاوى الدينية التي صدرت في فترات معينة في العراق لإدانة سياسية هادفة ضد الشيوعية والشيوعيين ، لا بد لي أن أقدم رؤية مكثفة عن علاقة الدين بالإنسان وتطور هذه العلاقة والموقف القديم جداً من اتهام المؤمنين بدين معين ، سواء أكان دينياً وضعياً أو سماوياً ، وسواء أكان آلهة في العهود اليونانية والإغريقية أم في فترات لاحقة ، بالإلحاد والعمل من أجل معاقبة هؤلاء الناس. من يتابع تاريخ أوروبا سيجد ذلك واضحاً ، ويمكن متابعة ذلك في كتاب الدكتور رمسيس عوض الموسوم "الإلحاد في الغرب" (عوض ، رمسيس د. الإلحاد في الغرب. سيناء للنشر. القاهرة. ومؤسسة الانتشار العربي . بيروت. ط ١. ١٩٩٧) ، أو أن يدرس تاريخ العرب والمسلمين في العهدين الأموي والعباسي والعهد العثماني ليطلع على ذلك بشكل واضح.

من المفيد أن نقدم صورة مختصرة عن بدء تكون الأديان لكي نؤكد أربع مسائل ، وهي:

أن الدين قضية خاصة تمس الفرد ونشأت بالارتباط مع حاجات معينة للإنسان الفرد.

وأن المصلحين أو الأنبياء جاءوا لإصلاح الفرد أو المجتمع ووضع أسس أخلاقية لتصرفاته وعلاقاته مع الآخر.

وأن الكثير من المؤسسات الدينية وشيوخ الدين بالنسبة إلى جميع الأديان قد مارست أدواراً إيجابية وأخرى سلبية بالنسبة للعلاقة بين الديانات والمذاهب المختلفة وبين الأفراد أو الجماعات في آن واحد.

وأن من مصلحة الفرد ودينه أن يمارس المجتمع نهجاً أو مبدأ واحداً وأساسياً هو "الدين لله والوطن للجميع" ، وبالتالي نفصل الدين عن الدولة ، إذ أن تاريخ البشرية مع الديانات يؤكد بما لا يقبل الشك، أن الدمج بين الاثنين يقود في البداية على بروز وكأن الدين هو المهيمن ، ولكن في النهاية يؤدي إلى سيطرة الحكام ، كلهم في الغالب الأعم طغاة، على الدين والمؤسسة الدينية وشيوخ الدين وإخضاعهم جميعاً لمصالحهم ضد المجتمع. والعراق بتاريخه القديم والحديث يقدم لوحة ساطعة عن هذه الحالة.

كلنا يعرف بأن المنطقتين اللتين تسميان اليوم بمنطقتي الشرق الأدنى والأوسط ثم صعوداً باتجاه أفغانستان وشبه القارة الهندية أو وادي حوض السند والصين تعتبران من أهم مراكز الحضارة البشرية القديمة ومن أغنى الثقافات ومهوداً للكثير من التصورات والديانات والفلسفات والأساطير والحكايات والخرافات في آن واحد. وكانت تلك الثقافات، والديانات كجزء أساسي منها ، تتفاعل في ما بينها ويتأثر بعضها بالبعض الآخر

بل وتتلاقح في ما بينها ، وتبدو في الكثير من قيمها وتقاليدها وعاداتها والطقوس التي تمارسها متقاربة جدا ومتوارثة أحيانا كثيرة ، مع وجود بعض الاختلافات ، رغم بعد المسافات التي كانت تفصل بين تلك الجماعات البشرية في مناطقها المختلفة في تلك الأزمان الغابرة. وكان الرسول محمد بن عبد الله على حق ، كما نقل عنه ، حين قال "أطلب العلم ولو في الصين"، إذ أن كلمة "ولو" لا تمس طبيعة الثقافة الصينية ولا تعبر عن موقف سلبي منها ومن ثقافتها ، بل إشارة واضحة إلى ضرورة طلب العلم حتى لو كانت المسافة الفاصلة بين الجزيرة العربية والصين شاسعة جداً في إطار مواصلات ذاك الزمان. أي أن بعد المسافة يفترض أن لا يكون عائقا في سبيل طلب العلم.

والدراسات الحديثة تشير إلى أن جملة من تلك الديانات القديمة قد انقرضت وحلّت محلها ديانات أو معتقدات أخرى ، في حين أن ديانات قديمة أخرى ما زالت قائمة ، أو ربما طرأت عليها بعض التغييرات والتطورات والتحولات غير القليلة لأسباب كثيرة ، بما فيها الخشية من الاضطهاد والقمع ، ولكنها حافظت من حيث المبدأ على قاعدتها الأساسية، بغض النظر عن حجم المجموعات البشرية المؤمنة بتلك الديانات. كما أن الكثير من الطقوس والعادات والتقاليد التي كانت قد رافقت الديانات القديمة يجدها الإنسان اليوم أيضا في ممارسات بعض شعوب المنطقة ، رغم التغيرات التي طرأت أو حتى التحولات التي حصلت لدى بعض الشعوب بالنسبة إلى دياناتها. ولا شك في أن الديانات والآلهة والطقوس السومرية والأكدية أو البابلية والآشورية والكلدانية ، وكذلك الديانة الفرعونية ، والديانات الإيزيدية والزروفانية[١]، والمثرائية[٢]، والمزدكية (الزرادشتية)[٣]،

(١) زرفان إله إحدى الجماعات الدينية الفارسية القديمة. وهي من الجماعات التي ترى الثنائية في الواحد، أي الخير والشر في الإله الواحد، "وهو الإله ذو "الوجوه الأربعة" وتمثل هذه الأوجه أو الصفات : الإنجاب والميلاد، والشيخوخة والعودة إلى اللامتناهي، كما تمثل عصور العالم". وفي ضوء ذلك ترى هذه الجماعة داخل الإله الواحد جميع مظاهر الحياة الرئيسية "النور ، والظلمة، والحرارة والبرودة". راجع في هذا الصدد: بارندر، جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة "عالم المعرفة". رقم ١٧٣. الكويت ١٩٩٣. ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) ميثرا إله فارسي قديم سبق الإله مزدك، ويشار إلى أنه إله آري الأصل، كما أن إلها بنفس الاسم عُبد في الهند أيضا. وكلمة ميثرا تعني العقد أو الاتفاق، وهو إله يحفظ الحق والنظام. كما إنه إله الضوء والشمس، وحامي القسم والحقيقة في العالم. تمتع هذا الإله بالتمجيد والشعبية الواسعة لدى الفرس وانتشر في عهدهم على مناطق كثيرة بما في ذلك بلاد ما بين النهرين ووصل إلى روما، حيث مورست طقوسه هناك بكل تعبد. وكان انتشار هذا الدين في ظل الإمبراطورية الرومانية بشكل واسع في القرن الأول الميلادي. راجع في هذا الصدد: بارندر، جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. مصدر سابق. ص ١٢٥-١٣٠. وكتاب: توكاريف، سيرغي أ. . الأديان في تاريخ شعوب العالم. دار الأهالي. دمشق. ١٩٩٨. ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٣) المزدكية أو الزرادشتية ديانة فارسية قديمة تلت الديانة الميثرائية من حيث الفترة الزمنية ورافقتها. ومزدك هو إله الديانة الفارسية والتي تسمى باسمه أو باسم نبي الديانة المزدكية، زرادشت، إذ أنها تسمى باسمه في غالب الأحيان ، إذ يعتبر المؤسس الفعلي للديانة وصاحب كتابها الموسوم (أفستيا). ويدعى هذا الدين أحياناً بالدين الأفستي.

والمانوية[1] والمندائية ، ثم الفلسفات والديانات الكونفشيوسية والتاوية والبوذية والهندوسية وتفرعاتها المختلفة، أو غيرها من الديانات وانشطاراتها ، أو الطوائف والفرق التي تفرعت عنها ، قد لعبت كلها دورا كبيرا في هذه المناطق الشاسعة من العالم وتركت وراءها آثارا بارزة وثقافات متميزة ومعالم حضارة إنسانية خالدة ومتفاعلة في ما بينها.

اتخذت تلك الديانات القديمة من الكثير من الظواهر في الطبيعة أو مكونات الطبيعة أو الكون عموما، أو من أفعال الطبيعة ذات النتائج الإيجابية أو العواقب السلبية على البشر رموزا لعباداتها كالسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء والنار أو الحجارة والجبال والأنهار أو مختلف أنواع الأشجار والحيوانات والأصنام أو العواصف والرياح والأمطار أو الأمراض والآفات وما إلى ذلك كما جاء في القرآن بهذا الصدد. و لم تكن تلك الديانات متقاطعة ، بل كانت متقاربة جدا وأحيانا منسلخ بعضها عن البعض الآخر أو منشق عليه، أو في أحيان أخرى تشكلت ديانات أو معتقدات جديدة بعد أن حذفت منها طقوس وتقاليد وعادات ، أو أضيفت إليها جملة من الطقوس والتقاليد الجديدة. ومن يعود إلى حوض وادي السند أو الصين أو إلى بلاد فارس أو إلى بلاد الرافدين (ما بين النهرين) ، سيجد أمامه تشابكاً وتفاعلاً واقعياً مقبولا من جانب سكان تلك الحقب الزمنية بين الديانة السومرية والديانات الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية والميدية والگوتية ودخول أسماء الآلهة المشتركة بلغات تلك الشعوب والحضارات، كما هو الحال بالنسبة لآلهة السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين والكلدان. لا شك في وجود بعض التمايز بين الآلهة السومرية من جهة ، والآلهة الأكدية والبابلية والآشورية من جهة أخرى ، فالأولى تنطلق ، وفق تقديرات تستند إلى جملة من حقائق وما وصل إلينا من تلك الفترة ، من أرض العراق ذاته ، وبالتالي ، من التقاليد والعادات والطقوس التي ورثتها عن حضارات سابقة لها نشأت على أرض العراق أو البلد المجاور للعراق إيران، في حين يرى البعض الآخر أن السومريين ينحدرون من أصل آري وأنهم نزحوا إلى العراق من مناطق الهند عبر فارس وسلسلة جبال زاگروس ، في حين أن الآلهة الأكدية والبابلية والآشورية مثلا هي آلهة جاءت بها تلك القبائل البدوية المتنقلة من مناطق السهول العمورية ، شمال سوريا ووادي الفرات الأوسط ، والتي جاءت قبل ذاك من شبه الجزيرة.

---

(١) المانوية ديانة قديمة تلت الديانة المزدكية (الزرادشتية) ورافقتها ، وهي منسوبة إلى ماني المولود في أسرة بارثية ملكية (٢١٦-٢٧٤ م)، والذي أعلن على أنه المتمم لدين زرادشت، وكان متأثراً بالديانات البابلية القديمة إذ قضى جل شبابه في بلاد ما بين النهرين. اضطهده أتباع الديانة المزدكية ومات في السجن مقيدا بالأغلال. راجع في هذا الصدد: بارندر، جفري. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. مصدر سابق. ص١٢٩.

ولا شك في وجود فارق بين مفهوم الآلهة عند السومريين من جهة، ومفهوم الآلهة عند الأكديين والبابليين والآشوريين من جهة أخرى ، إذ أن الإدارة الإلهية كانت عند السومريين لامركزية حيث يتجسد في الإله الواحد الخير والشر ، في حين أن المركزية هي التي تميز الآلهة السامية، وأن الإله الأكبر عند الأكديين والبابليين والآشوريين، بغض النظر عن الاسم الذي يتخذه ، هو إله قومي ومحارب. أن الجانب البارز في آلهة حضارة وادي الرافدين السومرية أو الأكدية والبابلية والآشورية ، إلى جانب تعددها وتنوعها وكثرتها ، وجود إله يعبد على مستوى القبيلة كلها أو دولة المدينة حينذاك ، وبالتالي الدولة المركزية فيما بعد ، والذي يعتبر إلهاً لكل المجتمع.

لقد كانت تلك الظواهر اليومية تشكل جزءاً أساسياً وعضوياً من حياة الإنسان والمجتمع اليومية ، من همومهما ومشاكلهما، من مراقباتهما وملاحظاتهما وصراعاتهما مع ظواهر الطبيعة مثل العواصف والرياح والأمطار والرعود والبروق والفيضانات والبحار والأنهار والجبال والحجارة والتربة والأشجار والنباتات ، وحالات الخسوف والكسوف وحركة الليل والنهار ومسار الشمس والقمر والكواكب والنيازك ، مع الخوف من الحيوانات المفترسة والاستفادة من الحيوانات الأليفة والمنتجة للمواد الغذائية ، مع الصيد والحرب ، مع المرض والموت والخلود، مع الجنس والإنجاب والنمو ، مع الآخرين أو مع المجتمعات الأخرى ، كانت تلعب دورا كبيرا في وجود الإنسان والمجتمع واستمرار ذلك الوجود وتطوره ، وفي مدى حصولهما على مستلزمات معيشة الفرد والمجتمع وعن طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة. وكانت هذه الحقائق اليومية تتخذ صيغا حسية وعملية دون الحاجة إلى تجريدات فكرية ، إذ كانت تتجلى في النقش على الحجر والتماثيل والأساطير والملاحم وغيرها التي كان بها وعبرها يستعيد الإنسان علاقته بتلك الأشياء وبالظواهر ، سواء أكان ذلك باتجاه استمالتها (أم) والسيطرة عليها والاستفادة منها لصالحه أم الخلاص من عواقب أفعالها وشرورها أم حتى محاولة خداعها ومخاتلتها بهدف التغلب عليها. ويبدو هذا واضحا في التعامل مع الأمراض. علما بأن الإنسان بدأ منذ فترة متأخرة يمارس الرسم بأشكال تجريدية أو تصورات وأفكار ذات أساس واقعي محرف ، إذ ما يزال يتم العثور عليها في الكثير من الحضارات القديمة وفي الرسوم في الكهوف وفي أعالي الجبال. وكان بعضها يعبر عما كان يراه في أحلامه بسبب الإضافات التي كانت تلحق بتلك الصور والتي كانت تبتعد عن واقعها الفعلي. وتشير الأبحاث والدراسات التطبيقية على شعوب كثيرة في بعض مناطق أفريقيا وجنوب شرقي آسيا إلى أن الإنسان فيها ، الذي يعيش وفق

الأسس والقواعد القديمة والذي لم يعرف الحضارة الجديدة ، ما يزال حتى يومنا هذا يمارس ذات الأساليب والأدوات أو الصيغ ، سواء أمس ذلك قضايا الصيد أو التعامل في ما بين أفراد المجتمع أو الرسم على الجدران أو علاقة الإنسان بالطبيعة ...الخ.

ورغم الاختلافات التي ظهرت في النظريات التي قامت بدراسة وتفسير الأديان ودورها وأهميتها ومحاولة معرفة تطورها التاريخي منذ بدايات بروز هذه الظاهرة الإنسانية ، فأن الواقع يشير إلى أن الأديان كانت وما تزال تجسد في حقيقة الأمر صورة محرفة للوعي وللواقع أو للوعي بالواقع في آن ، إذ كان الإنسان القديم يحتاجها في حياته اليومية وفي مواجهة المشكلات والمصاعب التي كان يعجز عن السيطرة عليها بمفرده أو ردّ أذاها عنه أو تقليل آثارها السلبية عليه. كما إنها تعتبر صورة محرفة ومقاربة لتاريخ تطور المجتمعات البشرية نفسها[١]، إذ أن الأديان لا تجسد الواقع القائم بحذافيره وليست انعكاسا دقيقا له ، بل تطرح صورة جديدة ، صورة تجسد في مضمونها وأشكال التعبير عنها تفاعلا وتشابكا بين الواقع ووعي الإنسان لهذا الواقع ، هذا الوعي الذي لا ينفصل عن انفعالات وصراعات ومشكلات وتخيلات الإنسان. فالدين كما يرى إنجلز "يحتفظ دائما باحتياط معين من التخيلات الموروثة عن الأزمنة السابقة ، لأن التقليد في جميع الميادين الفكرية ، بوجه عام ، هو قوة محافظة كبرى، ولكن التغيرات التي تحدث في احتياط التخيلات هذا ، تحددها العلاقات الاجتماعية ، أي العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الناس الذين يقومون بهذه التغيرات"[٢]. ومن هنا يمكن أن تفسر أيضا ظاهرة تعدد وتنوع الآلهة والأشكال والصيغ المختلفة التي كان يجري التعبير عنها ، سواء كان ذلك في المدينة الواحدة أو المدن المتقاربة. إن علم الأديان ، رغم كونه علما مستقلا بذاته ، لكنه غير منفصل بأي حال عن علم الاجتماع وعلم النفس ، وعن علم التاريخ وعن وقائع تطور المجتمعات البشرية. فدراسة الأديان القديمة يفترض أن لا تغفل بأي حال العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والأوضاع النفسية وهموم ومشكلات وطموحات ومشاعر الناس والمجتمعات التي خلقت تلك الأديان أو التي تبنتها وسارت عليها. فظروف ومستلزمات الحياة والمعيشة اليومية الملموسة للبشر في كل منطقة من مناطق العالم والصراعات في ما بين القبائل كانت وما

---

(١) Tokarew, S.A. Die Religion in der Geschichte der Voelker. Berlin. Dietz Verlag. 1978, S.17/18. K. Marx. Zur Kritik der Hegelschen Rechtsphilosophie. Einleitung. In: Marx/Engels: Bwerke. Bd. 1. Berlin 1961. S. 26/27.

(٢) أنجلز، فردريك. لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، المختارات . ج ٤ . موسكو. دار التقدم. ص ٦٠.

تزال تلعب دورها البارز في البنية الدينية ، وفي الرموز التي يقدسها أو التي يعبدها الناس أو الطقوس التي يمارسونها كأفراد أو جماعات ، وفي سبل وأدوات وأشكال وصيغ التعبير عن ذلك. لقد أصبح الدين أداة فعالة وحيوية من أجل تعبئة الجماعة للدفاع عن نفسها في مواجهة الآخرين وأحياناً في مهاجمة الآخرين واحتلال أراضي الشعوب الأخرى. ومن يحاول الغوص أو التوسع والتعمق في دراسة الأديان سيجد أمامه تنوعا في الآلهة يقترب كثيرا من واقع حياة ومعيشة هذه المجموعة أو تلك الفئة الاجتماعية من السكان. وإذا كانت هناك آلهة غاضبة ومتعالية وقاسية على البشر ، فكانت هناك أيضا آلهة حانية على البشر ورحيمة بهم وقريبة منهم. والآلهة في حقيقتهم يجسدون أخلاقيات وطباع وسلوكيات البشر ، إذ أن البشر أنفسهم خلقوا تلك الآلهة ليتفاعلوا معهم ، سواء أكان ذلك بالاستفادة منهم، باعتبارهم قوى الخير والنور والمودة، أم في دفع الشر والضرر عنهم، باعتبارها قوى الشر والظلام والكراهية. وتجد هذه الفكرة واقعها وتجلياتها في الأسلوب والطريقة والطبيعة التي صور الإنسان أو الجماعة آلهتهم مثل الإلهين آنو وإنليل من جهة، وإلههم الآخر أنكي من جهة أخرى في ما يخص بلاد ما بين النهرين مثلاً.

فعند دراسة الديانات القديمة في هذه المنطقة من العالم يجد الإنسان أمامه بعض الأسس المشتركة كما يجد بعض الفوارق المهمة. فالديانة الفرعونية في مصر، التي استندت إلى ما أوجدته حياة وظروف عمل ومحيط وخصوبة خيال وتصورات الإنسان الفرعوني والمجتمع في ظل دولة مركزية واحدة يقودها الملك أو الفرعون ، حيث لم تعرف مصر حينذاك تلك الموجات البشرية العديدة ولا الدويلات المتعددة المتجاورة التي عرفها وادي الرافدين أو ميسوبوتاميا ، وبالتالي، كانت للفراعنة ديانة واحدة متميزة بذاتها ولها خصائص معينة بالارتباط مع وجود دولة مركزية واحدة وملك واحد ، كانت تختلف عن الديانات العديدة في وادي الرافدين، تلك الديانات الميسوبوتامية (ما بين النهرين) المتداخلة والمتفاعلة والمتلاقحة في ما بينها بحيث كان يصعب التمييز بينها ، إذ كان فيها ما هو مشترك أكثر بكثير مما هو مختلف في ما بينها ، إضافة إلى اعتماد الأكديين والبابليين على ذات الآلهة الأساسية السومرية مع منحهم أسماء إضافية محلية أو أسماء مزدوجة أو أن بعضها قد اعتبر أبناً أو أباً أو زوجاً أو زوجةً للبعض الآخر. وفي هذا الصدد يشير أكثر من باحث في أوضاع وحضارات وأديان تلك الشعوب إلى التفاعل والتشابك بين الديانة السومرية "غير السامية"، أو "الهندو-آرية"، كما يراها البعض من الباحثين دون أن تكون هناك أدلة كافية تثبت أن السومريين ليسوا من أصل بلاد ما بين النهرين ، أو أن هذا

التقسيم إلى ساميين وآريين مقبول أصلاً ، وبين الديانات "السامية" كالأكدية أو البابلية والآشورية والكلدانية. والفارق الآخر الذي جرى تشخيصه من قبل الباحثين في هذه الديانات يبرز في أن آلهة الفراعنة كانت ذات نمط إيجابي في الغالب الأعم ، ولكن لم يكن يعني هذا أنها لم تمتلك في حينها آلهة أخرى مثل آلهة الحرب والموت والأمراض ..الخ. ونقصد هنا آلهة النمط الإيجابي التي يقترن اسمها بأفعال الخير والدفء والحنو على الإنسان مثل إله الشمس المشرقة دوما ، وآلهة الخصب والنماء والخير ، إنها الآلهة التي تجسد الظروف الطبيعية المناسبة، ومنها المناخ الجيد ، التي كانت وما تزال تتميز به تلك المنطقة ، بالرغم من الرياح الخماسية. وفي ضوء ذلك فأن القرابين أو الضحايا التي كانت تقدم للآلهة كان يراد من خلالها الحصول على المزيد من ذلك الخصب والنماء والخير. وكلما كان المجتمع يبتغي غلة أوفر وغنى أكبر وسعادة أكثر كان عليه أن يُزيد من القرابين التي يقدمها للآلهة. في حين كانت آلهة منطقة وادي الرافدين تمثل قوى الطبيعة المتنوعة المتعارضة والمتناقضة في أفعالها والمتصارعة في ما بينها ، والتي تمثل القوى الخيرة والقوى الشريرة في آن واحد ، بسبب خصائص الطبيعة والمناخ والفيضانات التي كانت تواجهها شعوب منطقة ميسوبوتاميا وما جاورها[1]. وكانت القرابين أو الضحايا التي تقدم للآلهة في هذه المنطقة ذات اتجاهين ، أحداهما تستهدف الحصول على المزيد من الخير والنماء والصحة والسعادة ، والأخرى تطمح إلى إيقاف الشر أو الجدب والبؤس أو الأمراض أو مختلف الآفات. فالرؤية للآلهة كانت متباينة والعبادة كانت للقوتين، لقوة الخير من اجل المزيد من العطاء والخصب والنماء ، ولقوة الشر من أجل إيقاف أو تخفيف وتقليل أفعال الطبيعة وعواقبها المدمرة والمهلكة للبشر. لقد كان الحب والخوف متلاحمان مع بعضهما في تصورات وأحلام وانفعالات وسلوكيات الإنسان وفي التصرفات اليومية للفرد والمجتمع الميسوبوتامي. فحب الشمس بضيائها ودفئها والروعة التي تسبغها على مكونات الطبيعة الأخرى من جهة مثلا ، والخوف من العواصف والرياح والفيضانات والزلازل وانحباس الأمطار وما ينجم عنه من جدب في المحاصيل وما يرتبط بذلك من عواقب وخيمة كالموت والمرض أو الخراب وخسارة المزروعات أو القحط العام من جهة أخرى ، كانا يشكلان قاعدة أساسية من قواعد العبادة وأسباب التقديس والاحترام من جانب الشعوب في تلك العصور ، وهي ما تزال قائمة حتى الآن ، رغم وجود بعض الاختلاف في الرؤية

---

(١) Hahn, Istvan Dr. Goetter und Voelker. Budapest. Corvina Buecher. 1977. S. 108/109.

للآلهة وفي نوع التصرف لنسبة غير قليلة من البشر في أرجاء العالم. ومن يلتقي بالشعوب التي ما تزال تعيش في ظروف بدائية مشابهة لتلك العصور ، كما هو الحال في بعض مناطق إندونيسيا أو في مناطق نائية في أفريقيا ، سيجد ذات الآلهة بتنوعاتها القديمة وذات الأساليب والطرق القديمة في العبادة التي سادت بلاد وادي الرافدين أو غيرها من المناطق. أي أن الآلهة القديمة لدى السومريين والأكديين والبابليين وكذلك لدى الآشوريين والكلديين لم تكن آلهة لجلب الخير فقط، بل آلهة تجلب الشر معها ولا بد من كسب رضاها ، وبالتالي فقد كان على الرعية تقديم آيات التقديس والاحترام والقرابين لا إلى آلهة الخير فحسب ، بل وإلى آلهة الشر أيضا. فالقرابين التي كانت تقدم لآلهة الخصب والنماء، عشتار (إنانا) ، كانت تعني في الوقت نفسه قربانا لمنع الجدب عن الناس بمساعدة الآلهة عشتار. وتعبر ملحمة گلگامش البابلية عن ذلك التلاحم في طبيعة الآلهة أيضا وفي سلوك گلگامش المتعالي والاستبدادي ذاته. ويبدو الاختلاف أكثر وضوحا بين الديانة الفرعونية والديانات الإيرانية القديمة، وخاصة الزرادشتية في عهد الاخمينيين قبل الميلاد أو الساسانيين قبل وبعد الميلاد. فالديانة الإيرانية ميزت بشكل حاد وصارم بين آلهة النور وآلهة الظلام وفصلت بينهما ودعت إلى عبادة إله الخير أهورا مازدا (Ahura Mazda) ، باعتباره إله الخير والحقيقة والحكمة، ورفض عبادة إله الشر أهريمان (Ahriman) ولفظه ورفضه أصلا واستنكار أفعاله[1]. وكانت الرؤية الإيرانية أكثر حدة في التمييز والفصل بين قوى الخير وقوى الشر، وبالتالي، بين آلهة الخير وآلهة الشر ، أو بين قوى الخير وقوى الشر، من الرؤية في ميسوبوتاميا كلها، ولكنها كانت أكثر بعداً وأشد تمايزاً عن الرؤية الفرعونية للآلهة ودورها ومهماتها مثلا. إلا أن إيران عرفت أيضاً آلهة كانت تجمع الاثنين في الواحد. وفي ما عدا ذلك فقد كانت الديانة المصرية ذات مادة جنائزية اهتمت بإقامة القبور والأهرامات والموميات ، أي الاهتمام بالحياة الأخرى والصعود إلى السماء. وفي ضوء ذلك أقيمت بمواد أخرى اختلفت عن مواد بناء دور السكن الاعتيادية ، وبضخامة غير اعتيادية قادرة على الصمود لعوادي الزمن[2]. وهذا هو أحد الأسباب المهمة التي حافظت على استمرار وجود تلك الإهرامات والمقابر والموميات المدفونة فيها. في حين لم تبرز مثل هذه الظاهرة في حضارة وادي الرافدين بشكل مستمر، رغم إنها قد اهتمت بإقامة المعابد والزقورات العالية التي ربما كانت ترمز إلى موقع مميز

---

(١) بارندر ، جيفري (Parrinder, Geoffrey). المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة عالم المعرفة ١٧٣. تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. ١٩٩٣.ص ١١٥.

(٢) بنفس المصدر السابق. ص ٣٩.

ينسجم مع سمو الآلهة وحسن استقبالها في الحياة الدنيا ذاتها ، إضافة إلى أنها تجسد محاولة للتقرب من الآلهة وهي في الأعالي. وجدير بالإشارة إلى أن الملوك السومريين كانوا يدفنون بعد موتهم مع أسلحتهم وجنودهم (الحرس الخاص) وخيولهم وأغلى ما يملكون في مقبرة جماعية ، كما تشير إلى ذلك الحفريات الاركيولوجية في أور ، أو كما يمكن أن تدلل على ذلك المقابر الجديدة التي اكتشفت في (أم العقارب) جنوب العراق حيث كانت موطن السومريين[(١)].

واستنادا إلى واقع التفاعل بين الشعوب "السامية" و "الهندو-آرية" في الجانب الحضاري العام وفي الديانة بشكل خاص يمكن مسك بعض خيوط التماثل والتقارب الواقعي بين الديانة الأيزيدية من جهة، والديانات السومرية والبابلية والأكدية والآشورية والكلدانية من جهة أخرى ، أو بين الأيزيدية والزروانية ، أو فيما بعد بين المزدكية والمانوية ، أو بين المانوية والمثرائية القديمة، أو بين الأيزيدية والمثرائية ، أو بين الأيزيدية والمانوية أو غيرها من الديانات القديمة كالديانات الهندية والديانة الفرعونية التي كانت قائمة في المجتمعات الرعوية ومن ثم الزراعية من جهة أخرى. إذ إن هذه الديانات كانت تمتلك من حيث المبدأ نفس الأسس المادية التي اعتمدت ظواهر الطبيعة مشفوعة بجملة كبيرة من نتائج وعواقب وآثار فعل الطبيعة التي كانت تخدم الإنسان أو تتسبب في هلاكه وفي تدمير ما حوله ، إضافة إلى الأساطير والملاحم أو الحكايات والخرافات التي كانت تتناقلها الشعوب مكتوبة أو مسموعة أو محفوظة في الصدر عبر الأجيال ، وكذلك الحكايات عن الخوارق والمعجزات من أعمال الأولياء الصالحين والأبطال المحليين. وهي حكايات نشأت واغتنت بصور ومضامين جديدة مع تطور تلك الشعوب والأديان ، ونتيجة احتكاك جديد مع أديان أخرى سبقت أو أعقبت ظهورها وتداولتها وتناقلتها تلك الشعوب دون التمحيص بحقيقة تلك المعجزات والكرامات. وهذه الظاهرة المهمة لا تقتصر على الأديان القديمة وآلهتها وما سجل في مقدمات الشرائع والقوانين التي سطرت حينذاك وفي بعض بنودها،

(١) بغداد. صحيفة حركة الوفاق الوطني العراقي. جريدة شهرية. العدد ٤٣٥. تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠. ص ١٣.
Taufiq Wahby: The Remnants of Mihraism in Hara and Iraqi Kurdistan and its Tracces in Yazidism, The Yazidis are not Devil Worshippers, London, 1962
توفيق وهبي.

بل نجدها أيضاً في الحكايات والأساطير المروية والمسجلة التي تتحدث عن معجزات الأنبياء والأولياء والتي ثبتت في ما يطلق عليه بالكتب "السماوية" أو الأديان الكتابية ابتداءً من العهد القديم ومرورا بالإنجيل وانتهاءً بالقرآن، فهي من حيث المبدأ ذات أساس واحد وغايات واحدة ورؤية فلسفية واحدة ، كما إنها كانت وما تزال تعبر عن حاجات معينة لدى الإنسان والمجتمع ، إضافة إلى هدف الفئات الحاكمة لتنظيم المجتمع وعلاقاته الداخلية ومع المجتمعات الأخرى وفق مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي في كل منها. وكان النور والظلام ، والليل والنهار ، والشمس والقمر، والخير والشر ، والصالح والطالح من أبرز رموز العبادة حينذاك. ونظرة سريعة في "كتاب الملل والنحل" للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، مثلا ، أو عند العودة إلى الكتب الدينية المقدسة لتلك الديانات ، سنعثر على ضالتنا التي تبين الدور الكبير لظواهر الطبيعة مثل النور والظلام أو القيم الأخلاقية مثل الخير والشر أو مفاهيم مثل الصالح والطالح في أديان تلك العهود[1]، والتي تتجلى أيضا في الوصايا العشر المعروفة ، وهي ما تزال سارية حتى الآن وستبقى طويلا أيضا ، إذ أن تغيير العقائد أو تطوره بطيء للغاية ويستغرق وقتاً طويلاً. ويكفي أن نقرأ أسطورة الطوفان السومرية (أو) والبابلية سنتيقن من انتقالها إلى شعوب أخرى وإعادة روايتها وكتابتها وفق أسلوب وصياغات أخرى وشخوص مقاربة ، ولكنها تنسجم مع واقع وتراث وحاجات تلك الشعوب. فالطوفان أسطورة شعبية تناقلتها الشعوب ، ولكنها لم تكن مجرد خيال ، إذ أنها لا تخلو من واقعية معينة. فلا بد من أن شعباً أو أكثر من شعب من شعوب الأرض قد تعرض لفيضانات هائلة ومدمرة أتت على الأخضر واليابس وقتلت أعداداً كبيرة من البشر والحيوانات بحيث رسخت في ذاكرة ووجدان سكان ذلك الزمان فسجلوها وتناقلوها وأضافوا إليها من خيالهم ما يزيد من وقعها وتأثيرها على الناس وما يساعد على ربطها مع قيم الخير والشر مثلا، خاصة في عهود كانت هناك دولة المدينة ذات النفوس المحدودة جدا والتي كانت لا تزيد في أقصاها عن عدة آلاف فقط. وإذا ما قرأ الإنسان عن هذا الطوفان في الكتب "السماوية" أو

---

(١) محمد عبد الكريم الشهرستاني: كتاب الملل والنحل، ١-٢، تخريج: محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، منشورات الشريف الرضي

الجماعات الكتابية لوجد أنها تؤكد حصول الطوفان وتسعى إلى تكريسه باعتباره حالة وقعت فعلا، ولكنها تختلف في طريقة عرضها للطوفان وفي الشخوص والمواقع وتفاصيل الوقائع وبعض النتائج التي نشأت عنه. فهي تختلف عن الطوفان الذي تتحدث عنه ملحمة گلگامش[١]، كما تختلف بهذا القدر أو ذاك عن الرواية المتكررة له في القرآن أو حتى قبل ذاك في العهد القديم على نحو خاص، إذ أن من المؤكد أن أسرى اليهود في بابل قد نقلوا تلك الأسطورة من بابل إلى أورشليم (القدس) والمدن الفلسطينية الأخرى، وبالتالي وجدت صياغتها الجديدة في التوراة، ومن ثم في الإنجيل فيما بعد (أي في العهدين القديم والجديد)[٢]، وكذلك في القرآن ، سواء أكانت قد انتقلت شفاها أم كانت مسجلة بطريقة ما لم يكشف عنها حتى الآن ، في ما عدا الرقم المسمارية التي أشرنا إليها في الهامش. وما لدينا من معلومات يشير إلى أن أول من سجل أسطورة الطوفان هم السومريون، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يأخذوها عن من سبقهم من شعوب المنطقة التي لا نعرف عنها شيئاً حتى الآن.

---

(١) جاء في العمود الثالث والعمود الرابع من اللوح الحادي عشر من النص الكامل لملحمة گلگامش"هو الذي رأى: " وما أن لاحت تباشير الصباح، حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء، يجلجل في وسطها صوت "حدد" يسبقها شوللات وخانيش، نذيران عبر السهول والبطاح. اقتلع إريجال الدعائم. ثم أتى ننورتا وفتح السدود. رفع الأنوناكي مشاعلهم، حتى أضاء وهجها الأرض. بلغت ثورة حدد تخوم السماء، أحالت كل نور إلى ظلمة، والأرض الفسيحة قد تحطمت كما الجرة. ثارت العاصفة يوما كاملا. تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال. أتت على الناس، حصدتهم كما الحرب. عميَّ الأخ عن أخيه، وبات أهل السماء لا يرون أهل الأرض. هرب جميعهم صعدا نحو سماء آنو. ناحت سيدة الآلهة، ذات الصوت العذب "لقد آلت إلى طين تلك الأيام القديمة، لأني نطقت بالشر في مجمع الآلهة . فكيف نطقت بالشر في مجمع الآلهة؟ كيف أمرت بالحرب تحصد شعبي، تدمر من أعطيتهم، أنا، الميلاد؟ وها هم يملأون البحر كصغار السمك". بكى معها آلهة الأنوناكي. تهالكوا وانحنوا يبكون، وقد حجبوا أفواههم بأيديهم. ستة أيام وست ليال، الرياح تهب، والعاصفة وسيول المطر تطغي على الأرض. ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان التي داهمت كجيش، خفت شدتها، هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان. فتحت النافذة، فسقط النور على وجهي. نظرت إلى البحر، كان الهدوء شاملا. لقد آل البشر إلى طين. كان أل... بمحاذاة السقف. تهالكت، انحنيت أبكي، وقد أغرقت الدموع وجهي. ثم تطلعت في كل الاتجاهات، مستطلعا حدود البحر.على بعد اثنتي عشر ساعة مضاعفة، انبثقت قطع من اليابسة. واستقرت السفينة على جبل نصير. جبل نصير، أمسك بالسفينة، منع حركتها. أمسك الجبل بالسفينة، منع حركتها، يوما، وثانيا. أمسك الجبل بالسفينة، منع حركتها، يوما ثالثا، ورابعا، أمسك الجبل بالسفينة، منع حركتها، يوما خامسا وسادسا. وعندما حل اليوم السابع، أتيت بحمامة وأطلقتها. طارت الحمامة بعيدا ثم عادت إلي لم تجد مستقرا فعادت، ثم أتيت بسنونو وأطلقته، طار السنونو بعيدا ثم عاد إلي. لم يجد مستقرا فعاد، أتيت بغراب وأطلقته. طار بعيدا. فلما رأى الماء قد أنحسر ،حام وحط وأكل ، ولم يعد. فأطلقت الجميع للجهات الأربعة، وقدمت أضحية. سكبت خمر القربان على قمة الجبل...." راجع بهذا الصدد: السواح، فراس. كنوز الأعماق قراءة في ملحمة گلگامش. ط ١. دمشق. نيقوسيا - قبرص. سومر للدراسات والنشر. ١٩٨٧. ص ٢١٠-٢١٥ .

(٢) علي ، فاضل عبد الواحد د. من سومر إلى التوراة. القاهرة. سنا للنشر. ١٩٩٦. ص ١٧١.

ولكن لم تكتشف حتى الآن معلومات تشير إلى أن هذه الأسطورة قد انتقلت إلى السومريين من حضارة العُبيد في بلاد فارس وبلاد الرافدين. وبتعبير آخر تعتبر أسطورة الطوفان حتى الآن سومرية الأصل. والمعلومات الأركيولوجية تشير إلى احتمال حصول هذا الفيضان (الطوفان) في جنوب العراق (أور)، ومنها تلك التي حدثت في الألف الرابعة قبل الميلاد[(١)]، خاصة وأن المنطقة قد عرفت الكثير من الفيضانات ، والتي ربما لم تكن بحجم التدمير الذي عرفه الطوفان الوارد في الكتابات السومرية والبابلية القديمة.

ولكن هذا التوافق أو التماثل في الأديان في مختلف المناطق لا ينفي ، كما أشرنا إلى ذلك ، وجود اختلافات في ما بينها ، سواء أكانت تلك الاختلافات تمس طبيعة وأدوار ومهمات الآلهة أم الموقف من الموت والدفن ودنيا الآخرة وغيرها ، إذ أن تلك الاختلافات في موقف هذا المجتمع أو ذاك إزاء الأديان والطقوس والتقاليد المرتبطة بها، تعبر عن الاختلافات في مستويات التطور وفي صورة المجتمع عن نفسه، وبالتالي، انعكاسات ذلك على آلهته وطقوسه وتقاليده وعاداته وتصرفاته اليومية. حتى أن تلك الاختلافات الجزئية أو الأساسية كانت سببا في وقوع صراعات دموية وإلى ممارسة سياسات وأساليب تعسفية شديدة الوطأة على الناس من جانب الحكام ومصادرتهم لحرية الناس وحقهم في المساواة والعدالة.

٤. العلاقة بين الأديان

كما نلاحظ مما سلف أن العلاقة في ما بين أتباع الآلهة الكثيرة في العراق القديم أو أتباع الأديان العديدة ، سواء أكان ما أطلق عليها بالسماوية أو الوضعية قد تميزت بثلاثة مواقف متباينة ، وهي:

** الاحترام المتبادل وعدم التعرض لأتباع الأديان الأخرى ، فلكل منهم له آلهته ودينه، وهي علاقة خاصة بين الإنسان وما يؤمن به. ولهذا لم يكن القادمون الجدد أو المحتلون يتعرضون لآلهة الآخرين بالإساءة ، بل كان البعض يتخذ منها آلهة له.

---

(١) يرد الطوفان لأول مرة في الأساطير السومرية والبابلية في بلاد ما بين النهرين. وفي عام ١٨٧٢ اكتشف رقم مكتوبة بالخط المسماري في نينوى. وجاء الحديث عن الطوفان عند السومريين في قائمة أو ثبت الملوك حيث ميزت بين ملوك فترة ما قبل الطوفان وملوك ما بعده. ونجد عن الطوفان في الميثولوجيا الهندية بحدود ١٠٠٠-٨٠٠ قبل الميلاد، وكذلك في الميثولوجيا الصينية. إن ما ورد في الميثولوجيا السومرية والبابلية يعتبر أقدم مما ورد في الميثولوجيا الهندية والصينية. والبعض يشير إلى وجود ارتباط بين هذه الميثولوجيات، أي انتقالها من السومريين والبابليين وعبر التوراة وغيرها إلى الهند والصين، والبعض الآخر لا يرى ضرورة وجود مثل هذا الارتباط، إذ أن الطوفان كان يحصل في مناطق عديدة من العالم حتى يومنا هذا. راجع في هذا الصدد:
Freydank. Reineke. Schetelich. Thilo. Der Alte Orient in Stichworten. Koechler & Amelang. Leipzig. 1978. S. 401-402.

** رفض الدين الآخر ومحاولة تدمير آلهة الآخر والحلول محله بآلهته وطقوس دينه ومراسيم العبادة المختلفة. وكان يحصل هذا حين يأتي قادم أو محتل جديد فيدمر الزرع والضرع ويخرب الآلهة ويفرض على الناس آلهته ودينه الجديد بالقوة.

** التعايش السلمي ، ولكن هذه الحالة مرهونة بسياسة المنافسة والقبول بالوجود ولكن الادعاء بالأفضلية والسعي للحلول محله بالجزرة أو العصا وفق الظروف والإمكانيات. والظاهرة الأخيرة برزت بشكل خاص بعد ظهور ما أطلق عليها بالأديان السماوية والقبول بآله واحد وأن اختلفت مسمياته وتباينت المواقف التفصيلية منه.

وخير مثال على الصيغة الأخيرة هي العلاقة غير الاعتيادية والمتوترة دوماً بين شيوخ الدين في هذه الديانات الثلاث وتجلياتها على سلوك أتباع تلك الديانات "السماوية" الثلاث الرئيسية في العالم، اليهودية والمسيحية والإسلام ، دعْ عنك مواقفها إزاء الأديان الوضعية الكثيرة في العالم ومنها البوذية والكونفشيوسية والتاوية والهندوسية ، هذه الأديان التي يدين بها عدة مليارات من البشر حتى يومنا هذا.

فاليهودية رفضت المسيحية ، والمسيحية رفضت اليهودية ، وكلاهما رفض الاعتراف بالإسلام ديناً يحل محليهما. أما الإسلام فاعترف بالديانتين ولكن اعتبر الإسلام هو الدين الذي يحل إلزاماً محل الديانتين باعتبار محمد آخر الأنبياء والمرسلين. وهذه العلاقة المتوترة التي ترتبط بالدين وتنشأ عن شيوخه تختلف عن دور الإنسان في إيجاد الدين لمساعدته على مواجهة مشكلاته اليومية والذاتية كالخوف من الرياح والعواصف والأمطار والجليد أو البرد أو الرعب من الحيوانات المفترسة ، إذ أن الإنسان لم يخلق الدين لإدارة شئونه ، بل أن شئون الإنسان يديرها بنفسه ، وأن الإنسان له علاقة مباشرة مع الإله الذي يعبده ، أياً كان ذلك الإله ولا يحتاج من حيث المبدأ إلى وسيط ، وهو الأمر الذي نساه أو تناساه شيوخ الأديان المختلفة. ولكن ظاهرة التنوير ساعدت كثيرا في الديانة المسيحية بشكل خاص، وإلى حد كبير في الديانة اليهودية ، إلى الفصل بين الدين وإدارة شئون الناس أو إدارة شئون المجتمع ، ووفق مصطلحات اليوم ، الفصل بين الدين والدولة ، في حين ما يزال الكثير من شيوخ الدين الإسلامي، الذين لم يمارسوا التنوير و لم يسعوا إليه و لم يعرفه المجتمع حتى الآن ، فهم متشبثون بالربط بين الدين والدولة. ولكن هناك المتنورين منهم الذين يرفضون هذا الربط ، وهم بالذات الذين يقدمون خدمة مباشرة للإنسان والدين في آن واحد.

إن العلاقات بين الأديان متوترة حالياً ، حتى أن البعض يتحدث عن صدام الحضارات أو الثقافات، والدين جزء من ثقافات الشعوب وحضاراتها ، ويركز هذا البعض على أن الخلافات والصراعات ومن ثم النزاعات والصدامات المحتملة تنطلق اليوم من التباين في الأديان والمنافسة القائمة في ما بينها. وهذا البعض لا نجده لدى أتباع دين واحد ، بل لدى أتباع الأديان السماوية كلها ، ولكن بشكل خاص نتلمسها اليوم لدى أتباع الدين الإسلامي في صفوف القوى المتطرفة والمتخلفة منها. ومن يتابع قوى المسيحية المتدينة والمؤمنة سيجد دون أدنى ريب قوى دينية متزمتة إزاء أتباع الديانة الإسلامية. العكس صحيح أيضاً، وكذا الحال مع الديانة اليهودية ، وخاصة بين المسلمين واليهود ، ولكن ظهرت اليوم حالة أخرى من جديد بين المسيحيين واليهود التي أشارت له الصحف الدولية عن قرار جديد اتخذه بابا الفاتيكان حديثاً والموجه عموماً ضد اليهود ، الذي يذكر من جديد باتهام اليهود بقتل المسيح! ويمكننا أن نتلمس هذا الموقف من صدام الحضارات في كتاب صموئيل هونتنكتون الذي حاول تحليل الصدامات الجديدة في العالم ليغطي على الصدام المحتمل بين الفقر والغنى ، بين المستغِلين والمستغَلين في العالم[١]. كما نجده في فكر وسياسات تنظيم القاعدة وطالبان والأخوان المسلمين وقوى الإسلام السياسية الشيعية في إيران أو في مناطق أخرى من العالم العرب والإسلامي.

لم تثمر الجهود التي بذلت حتى الآن بين شيوخ الديانات المختلفة كثيراً في الوصول إلى رؤية تسامحية بين أتباع هذه الأديان ، وبالتالي فاتهام الآخر بالكفر والإلحاد قائم على قدم وساق ، وهو الذي يزيد من أجواء التوتر والنزاعات السياسية في العالم حالياً. وجزء من هذه الظاهرة نجده حالياً في العراق. والمؤذي حقاً أن تبقى مثل هذه الظاهرة فاعلة ومؤثرة سلبياً على وحدة المجتمع وتفاعله الإيجابي. فالموقف السلبي وغير الودي من جانب بعض قوى الإسلام السياسية المختلفة في العراق من أتباع الديانات المسيحية والصابئية المندائية والإيزيدية والشبكية والكاكائية أو البهائية والزرادشتية الموجودة فعلاً في العراق وما تعرضوا له من قتل وتشريد وتهجير ومصادرة ، هو شاهد كبير على ذلك. وهذا الموقف السيئ لم تمارسه قوى القاعدة ومن لف لفها في العراق ، بل مارسته ولا تزال تمارسه بعض قوى الإسلام السياسي وميليشياتها الطائفية المسلحة ، سواء أكانت شيعية أم سنية ، وهو ما عاشه الناس في بغداد وفي الوسط والجنوب وفي الموصل بعد عام٢٠٠٣م.

---

(١) Huntington, Samuel P. Kampf der Kulturen. Europaverlag. München-Wien. 1996

٥. مواقف الأديان المختلفة من المؤمن والملحد

موقف الأديان من الإيمان والإلحاد ليس حديثاً ، كما أن الظاهرة لم ترتبط بظهور الماركسية أو الشيوعية ، بل هي قديمة جداً. فقد وجدت في عهد الإغريق وفي فترة الحكم الأموي والعباسي والعثماني مثلاً ، كما وجدت في القرون الوسطى في أوروبا أو في مناطق أخرى من العالم. ومن درس تاريخ العالم جيداً وأطلع على تاريخ الدول العربية ذات الاتجاهات الإسلامية لاقتنع بوجودها في السابق أيضاً. فالاتهام بالزندقة والهرطقة وما إلى ذلك كان موجوداً في الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة العثمانية وراحت ضحايا كثيرة بسبب تلك الاتهامات سواء أكانت صحيحة أم شبهات أم خاطئة كلية. والصراع هنا بين فلسفتين ، بين الفلسفة المثالية والفلسفة المادية ، وانطلاقاً من هاتين الفلسفتين برزت الرؤية إزاء الله أو القوة العظمى أو القوة الخارقة وما وراء الطبيعة ، وتلك التي رأت غير ذلك واستندت إلى قوانين موضوعية تتحكم بحركة الطبيعة والمجتمع.

لا شك في أن الماركسية هي الرؤية الأكثر تطوراً في الفلسفة المادية باعتبارها فلسفة وفكراً ماديين جدليين، وبالتالي فالفلسفة المادية لا تخضع في تفسيرها للوجود إلى الفلسفة المثالية ، بل هي نقيضها. ومن هنا نجد أن الفكر الماركسي فكر مادي جدلي بالطبع. ولكن هذا شيء والحزب السياسي الذي ينشأ في ضوء الفكر المادي الجدلي شيء آخر. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن المنتمي إلى الحزب الشيوعي العراقي يمكن أن يكون مادياً جدلياً في تفكيره وفي ممارسته ، وهي الصيغة المثلى ، أو أن يكون مادياً جدلياً في تفكيره السياسي ، ولكنه مثالياً في تفكيره الفلسفي ، وهي الصيغة القائمة حالياً بالنسبة للكثير من الشيوعيين المؤمنين بالشيوعية كفكر سياسي يسعى إلى تحقيق المساواة والعدالة بين البشر ، ولكنهم مؤمنون بالله وبالدين ، بل أن البعض الكثير منهم مؤمن حتى بالكثير من الطقوس الدينية التي يمارسها المؤمن غير الشيوعي في الوسط والجنوب أو في بغداد، ومنها الطقوس التي تمارسها جمهرة كبيرة من أتباع المذهب الشيعي.

لو ألقينا نظرة على منتسبي الأحزاب الشيوعية في العراق والعالم العربي، فماذا سنجد أمامنا؟ سنجد ما يلي:

مسلم شيوعي، مسيحي شيوعي، يهودي شيوعي ، صابئي مندائي شيوعي ، وإيزيدي شيوعي، كاكائي شيوعي ، شبكي شيوعي ، بهائي شيوعي ، زرداشتي شيوعي، إضافة إلى وجود ملحد شيوعي. فالإلحاد والإيمان لا دخل له بالانتماء السياسي بالضرورة. الكثير من المسيحيين واليهود والمسلمين ومن أديان أخرى هم ملحدون دون أن يكونوا أعضاء في الحزب الشيوعي العراقي. وهذه الظاهرة موجودة بشكل خاص في أوروبا والعالم الغربي حيث يتعامل الناس مع هذه الظاهرة بصورة طبيعة ، لأنها قناعات خاصة بالفرد وليس للمجتمع أو الدولة شأن بذلك ، في ما عدا العالم الإسلامي الذي يمارس الفرض والاستبداد الفكري على إيمان الشخص ، رغم ما ورد في الآية القرآنية : "لكم دينكم ولي دين".

كتب ماركس مرة : "الدين أفيون الشعوب". ماذا كانت تعني هذه المقولة لماركس؟ بهذه المقولة النابتة كان ماركس يريد أن ينبه بأن هناك كثرة كاثرة وغالبية فعلية من شيوخ الدين تستخدم الدين كأفيون لتخدير شعوبهم والسكوت عن حالات البؤس والفاقة والاستغلال التي يتعرضون لها في مجتمعاتهم ، إذ أن شيوخ الدين يقولون لهم أن للفقراء والمعوزين والمحتاجين والمُستغَلين لهم حياة أخرى في الآخرة سيسعدون بها ، في حين يتمتع الأغنياء بالحياة الدنيا. أقول ليس كل شيوخ الدين لهم علاقة بهذه العرض المسيء للدين ، لأن بعضهم أصبح يعي الفارق بين أن يصبح الدين أفيوناً مخدراً ليقظة الناس ، وبين أن يكون مساعداً للناس في النهوض من كبوتهم والعمل ضد الاستغلال والنهب والسلب. كما أن بعض شيوخ الدين يشاركون في نهب وسلب الشعب والفساد المالي والوظيفي ، كما تفعل الكثير من الأحزاب الإسلامية السياسية ، وكذلك بعض الأحزاب والقوى والشخصيات العلمانية.

لقد اشترط النظام الداخلي الأول للحزب الشيوعي العراق أن يكون العضو فيه مقتنعاً بالمادية الجدلية والمادية التاريخية ، ولكن هذا الشرط قد مس دوماً الجانب السياسي وليس الجانب الفلسفي منه. ولهذا كنت تجد في زمن سكرتير عام الحزب الشيوعي العراقي الرفيق فهد ، وفيما بعد أيضاً ، المسلم السني والمسلم الشيعي والمسيحي واليهودي والصابئي والشبكي والكاكائي والإيزيدي ، وهم مؤمنون ، جنباً إلى جنب مع الملحدين منهم.

كنت تجد من يصلي ومن يصوم ومن يدفع الزكاة إلى جانب من لا يقوم بذلك ، ولكنه لم يكن ملحداً ، بل مؤمناً بتلك الأديان ولكنه لا يؤدي فروض الدين. كل هذا كان موجوداً لا في الحزب الشيوعي العراقي ، بل في أحزاب أخرى ، حتى في الأحزاب الإسلامية السياسية الراهنة تجد من يصلي ومن لا يصلي ، ومن يصوم ومن لا يصوم ومن لا يدفع الزكاة ، بل يرتشي وينهب ويسلب من أموال الدولة والمجتمع ، والأمثلة كثيرة في هذا الصدد. هي لا تقتصر عليهم ، بل حالة عامة في العراق منذ زمن صدام حسين حتى الآن ، بل قد تفاقمت كثيراً.

الخـــلاصة

يعتبر صدور مثل هذه الفتاوي ، التي أشرنا إليها في الفقرة الأولى ، عملاً جائراً وغير عادل ، كما أنه كان ولا زال بعيداً كل البعد عن الواقع المعاش في العراق، إذ أنه يساهم في تجهيل البشر وفي تقديم معلومات خاطئة عن الجانب السياسي للشيوعيين. وهو إنكار لحق الإنسان في حمل الأفكار والمبادئ أو الديانة التي يعتقد بها ويرغب في ممارسة طقوسها ، فالعبادة هي قضية خاصة ترتبط بين الإنسان وبين من يعبده سواء أكان الله أم آلهة أم لا يعبد شيئاً ، وهو تدخل فظ في شئون الفرد. ولهذا فالدعوة إلى أن يأخذ المجتمع المدني بقاعدة "الدين لله والوطن للجميع" هي الأكثر مناسبة للمجتمع العراقي المتعدد القوميات والأديان والمذاهب ، أي فصل الدين عن الدولة. إن على الدين وفق رؤيتي للأمور أن تنأى عن العمل السياسي اليومي ، ولكن يمكن لهذا الفرد أو ذاك من المؤمنين أن يكون بحاجة إلى دعم الدين له في حياته الاجتماعية والدينية ، وهي قضية خاصة. يمكن لشيوخ الدين أن يلعبوا دوراً مهماً في تنوير الإنسان بحيث يتخلى عن التعصب وعدم التسامح ، بل أن يعترف بالآخر كإنسان وأن يعترف بالرأي الآخر ، بغض النظر عن مدى اتفاقه أو اختلافه مع هذا الدين أو ذاك ، وأن يعترف بالدين الآخر أياً كان هذا الدين.

إن تلك الفتاوى قد أعطت ثمارها المرة في حينها ولفترة طويلة ، ويفترض أن يكون قد انتهى مفعولها الآن مع نهاية حكم البعث ، وأن يكف بعض شيوخ الدين عن إصدار فتاوى مناهضة لهذا الفكر أو ذاك ، فالفكر لا يحارب بالفتاوى ، بل يعالج بالحوار والنقاش الفكري.

لقد كان بين شيوخ الدين جمهرة من الرجال الذين رفضوا الاستجابة للحكام في فترة وجودهم، وبعضهم الآخر ساير ولكنه لم يخضع للحكام ، وبعضهم الثالث خضع لإرادة هؤلاء الحكام أو التقت مصالحه بمصالحهم وأصدر ما ساعدهم على ممارسة ما يريدون. والحياة تبرهن باستمرار على استمرار وجود هذه الأنواع من البشر ، سواء أكان ذلك في مجال الدين أم في المجالات الأخرى ، بما في ذلك بعض القوى العلمانية أو القوى السياسية غير الدينية.

علينا جميعاً أن نحترم الأديان والأفكار والمبادئ بغض النظر عن مصدرها. ولكن علينا أيضاً أن نميز بين الدين وبين الطقوس التي لا تخدم المجتمع وتلك المؤذية وأن نبعد الإنسان عنها ليمارس بعقلانية دينه ومذهبه أو الفكر الذي يرتضيه لنفسه. أتمنى للعراق المبتلى حالياً بالكثير من العلل أن يتخلص منها وأن يستعيد عافيته الفكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن يبدأ حياة جديدة مليئة بالاعتراف والاحترام للآخر ،وأن يعيش حياة مدنية ديمقراطية حديثة في دولة ومجتمع مدني ديمقراطي اتحادي حر.

برلين في ٢٠٠٨/٣/٣١

كاظم حبيب

حول فتوى الأمام الحكيم..
في سبيل البحث عن معيار دقيق في العلاقات الأنسانية

• جاسم المطير

ربما يكون، الآن، قد مضى أربعون عاماً على صدور فتوى الأمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره) القائلة إن الشيوعية كفر وألحاد.فكيف ننظر اليها في الوقت الحاضر بعد أن تقاسم جميع أبناء الشعب مضامين المآسي خلال الأربعين سنة الماضية..؟

إذا كانت الفتوى في ذلك الوقت شدّت الانتباه الى مستقبل العلاقة بين الإسلام والشيوعية ، فأنها وبعد تغيرات كبيرة جرت خلال هذه المدة في الأوضاع العراقية إجمالاً ، تجعلنا نعود اليها بأسلوب ينصهر في بوتقتها، أولاً وأخيراً ، حاضر تلك العلاقة التي غدت الآن أكثر وضوحاً وطلاقة وسلاسة وتدفقاً وتميزاً وفقاً لمصالح الشعب العراقي.

رغم مضي هذه المدة الطويلة على صدور الفتوى فأنني أجد المجال مناسباً لأعادة الجدل بشأنها فهي من الموضوعات التي تنتمي لتصنيف ضروري يحتل، في الوقت الراهن، مكاناً بارزاً في العلاقات بين القوى الشعبية الفاعلة لإحداث التغيير المنشود لمستقبل العراق بعد عقود عديدة عانى فيها شعبنا مزيداً من الآلام والمعاناة بمختلف أصعدة حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية حتى وصلت الى درجة المأساة.

في إطار الوعي الإرادي أرى أهمية العودة الى كثير من المسائل الحيوية المتعلقة بالفتوى المذكورة وبغيرها من صيغ التفكير المختلف أو المتقاطع بين القوى الوطنية والقوى الاجتماعية ذات البرامج الطويلة الأمد، خاصة وان تطور العلاقة بين الشيوعية والإسلام صارت الآن من حقائق المنطق التي لا يمكن نفيها حتى في حالة إصرار هذه أو تلك من القوى والمراكز الإسلامية على ترك الأمور تجري بتلقائية ذاتية. فمن خلال ما يصوغه

النشاط الفكري لهذه أو تلك من القوى ، يمكن أن تظهر اختلافات عديدة في المواقف قابلة للإثبات أو الإنكار حسب قربها أو بعدها عن الحقائق.

لعل من المفيد الإشارة الى صديقين استشرتهما قبل كتابة مقالتي هذه فوجدتهما ينبهاني الى خطورة الموضوع وحساسيته على افتراض أن موضوعات من هذا النوع قد ترتهن بتشدد لا مبرر له من الطرف الإسلامي الذي قد لا يعجب بالوسيلة التحليلية لقضية قد تعتبر بنظره نهائية غير قابلة للحوار.

تمسكتُ برأيي في الاستمرار بكتابة المقالة ظناً مني وباعتقاد راسخ أن الوعي الإسلامي العراقي في المرحلة الحالية يهمه استيفاء كل الجوانب المتعلقة بصفة مباشرة بالحوار في مختلف القضايا الفلسفية والسياسية والفكرية. وأن النخب الإسلامية قد عبرت في حلقات محكمة عديدة خلال السنوات العشرين الماضية بكل ما له علاقة بالدورة الفكرية في ساحة الحوار الفكري. وقد تطور الفكر النضالي الإسلامي بصفة مباشرة جاعلاً النخب الإسلامية تفكر بالمحاورة وأنضاج المواقف والأفكار مخلفة الى وراء منصة المتفوق وممارسة أدوار الحكماء والوعاظين والمبشرين والمتصوفين.

أنا متيقن أن الجدل يبقى لدى المسلمين في قمة أساليب الأقناع. ومن المنطلق هذا أجد صفحات «الموسم» مهيأة لأعادة تنظيم الأفكار وآثارها.

أولى الحقائق أبدأ بأدراجها هنا هي أنه ما من لبس ثقيل وخطير واجه الحركة الوطنية العراقية في رؤيتيْ العلمانية والإسلامية بقدر اللبس الحاصل في الصفات المطلقة التي توصف بها علمانية التجمعات والأحزاب العراقية بما فيها علمانية الحزب الشيوعي مما أدى الى انقسام خطير واختلافات كبيرة لا بد من مواجهتها بالمنطق والثقة.

من الضروري الإشارة أيضاً الى وجود افتراض بأن من مصلحة أعداء الإسلامٍ دفع القوى الإسلامية المنظمة وغير المنظمة الى الاعتقاد بوجود عدوها بين ظهرانيها محاولةً أن تثبت أن العلمانية وأحزابها بما فيها الحزب الشيوعي هي العدو النقيض لها. وقد دفع أعلام الغرب الاستعماري ، على مدى قرنٍ كامل من الزمان،بكثير من الجهود لينقل الى الوسط الشعبي الكثير من أخبار معاداة الشيوعية للإسلام وكذلك معاداة الإسلامٍ للشيوعية. ولم تكن تلك الدفوعات غير فبركة مقصودة للإساءة للإسلام والشيوعية ،معاً، فهو عدوهما المشترك.

عندما وضحت لي الفكرة الأساسية من الفتوى يوم صدورها كنتُ في مرحلة من عمر الشباب وفي بدايات نضوج أفكاري. وقد حفزتني الفتوى الى محاولة البحث عن التنافر والتعارض بين المسلم المناضل من أجل نشر العدالة في ربوع الرافدين وبين المناضل

الشيوعي المتطلع الى نفس الأهداف. وقد وجدتُ خلطاً وغموضاً كبيرين حول العلاقة واللاعلاقة بين الاثنين أديا الى نشوء أزمة كبيرة تحتاج الى مواجهة للحل. وفي الحقيقة أن هذه المواجهة يمكن بل يجب أن تبدأ، أولاً، بين المثقف الإسلامي والمثقف الشيوعي. ويمكن أن ينطلقا ، معاً، للبحث في أزمة علم الاجتماع العراقي والتركيبة الاجتماعية ودور الدولة.

يجدر بي أن أذكر حقيقتين مما واجهته في حياتي عندما كنتُ عضواً في الحزب الشيوعي:

١ــ الحقيقة الأولى أنني خلال وجودي الطويل(منذ بداية الخمسينات) في الخلايا الشيوعية وفي اللجان القيادية للحزب الشيوعي العراقي ، ومن خلال قراءاتي لآداب وأدبيات الحزب ، لم أسمع بمعالجة أية مشكلة داخل الحزب من منظور الإلحاد عندما يأتي جدل حول الإسلام والمسلمين. بل كان العالم المأساوي هو الذي يحتل مكان الأولية في رؤيتنا لحال الفقراء المسلمين في كل مكان من العالم الثالث. أما التفكير بالكون والوجود فلم تكن عندنا عنها أفكار نهائية. كان الهم الأول واليومي هو الارتفاع بقدرة الشيوعي الغامرة على الإبداع في العمل الفكري وفي العمل بين الجماهير. وكانت الأخلاق والمُثل التي يراد بها بلوغ الأهداف المنشودة تنطلق من القيم العليا التي يبشر بها أئمة المسلمين أنفسهم (الصدق. الأخلاص. النزاهة. الوفاء. الألتزام الوطني والأخلاقي. التضحية. الشجاعة. التواضع. الدفاع عن حقوق الكادحين. وغيرها) أي أن معظم السلوك الاجتماعي كان ينطلق من الحس الوجداني والتصور الذهني لأعضاء الحزب من المسلمين والمسيحيين واليهود والصابئة وغيرهم ،كان ينطلق بمجمله من الأخلاق الأسلامية.

٢ــ نشأتُ في بيئة دينية الى حد ما وقد أوجدت لي تلك البيئة صلات واسعة وعديدة الأشكال مع مؤمنين من الناس الاعتياديين ومع نخب إسلامية ومع رجال دين أيضاً. وكلهم كانوا يقدرون موقعي في الحزب الشيوعي و يعرفون جيداً اندفاعي المتحمس لتنفيذ برامجه وخططه اليومية. ومن الخير، وكان خيراً فعلاً،أنني ارتبطت بعلاقة صداقة وثيقة مع عائلة دينية معروفة هي عائلة العلاّمة محمد سعيد الحكيم (الذي كان وكيلاً للسيد محسن الحكيم وممثله في البصرة). منذ البداية اعتنى السيد الحكيم بي كعنايته بأولاده جميعاً الذين كانوا من أصدقائي ومنهـــم من كان شيوعياً يتميز بجوهرين : جوهر الروح الإسلامية الأصيلة و جوهر الشيوعية النقية. تولد من هذه العلاقة جدل كثير حول الدين والفلسفة والأدب والثقافة وحول أفكار الشيوعية، وقد تأصلت رؤيتنا جميعاً للحياة والأنسان والكون أنهضها في ذاتنا هذا العلاّمة ، مانحاً لكل واحد منا ملكة اختيار الأفكار

الحرة. ومما أتذكره الآن أنه كلما اعتقلتني الشرطة السرية آنذاك كان الرجل ينتزع نفسه من وقته ضاغطاً على المتصرف وضباط(الشعبة الخاصة) لإخلاء سبيلي مستفيداً من مركزه المرموق في التأثير على دوائر الدولة المرغمة على احترام مكانته وسمعته لديها.

ألا يدل هذا على مفهوم غير محدد للعلاقات بين الناس الطيبين (مسلمين وشيوعيين)من دون أن يفرض الواحد جوهر فلسفته على الآخر..؟ ألا يساعد هذا كله في الوصول الى جدية الأشياء وعلى علاقات محسوسة بأن أتساع الرؤية يمكن أن يلغي الكثير من الغموض المركب..؟ ألا تساعد مثل هذه المعاني الدقيقة الناس أجمعين (شيوعيين ومسلمين وغيرهم) لانتهاج طريق مزهر مبتعدين عن مشاكل وهمية أو مصطنعة أو غامضة لبلوغ حقائق غير مزخرفة..؟

تلك هي أسئلة واجهتني مثلما واجهت آخرين من أبناء جيلي.

كان بعض الأسئلة يأتينا من المساجلات اليومية بين أراء متخالفة. فكان كل صاحب رأي يعتقد بعدم صواب ما يسوقه الآخر من حجج، لكن النتيجة الرئيسية المكتسبة كانت هي حرية لرأي، واحترام الرأي الآخر ، قد تغلغلتا في أعماقنا.

أعود مرة ثانية الى القول أنني كقارئ لهم لم أعثر حتى الآن على مطبوعات (كتاب أو جريدة أو مقالة) كتبها أو نشرها أو روج لها الحزب الشيوعي العراقي تدعو الى الكفر أو الإلحاد أو الإساءة الى الإسلام كدين أو إلى المسلمين كمؤمنين. وتحضرني الآن بعض المواقف والحقائق المشابهة. منها أن البغداديين اهتموا كثيراً بكراس وزع في بغداد خلال الفترة اللاحقة لثورة أكتوبر الشيوعية وكان عنوانه (البلشفية والإسلام) وقال حنا بطاطو عنه (كان الكراس يحتوي على خليط فج من الأفكار الموالية للشيوعية وللإسلامية الجامعة والموالية لتركيا الفتاة وللسلفية).

ومنذ إطلاعي على فتوى الأمام الحكيم وجدتُ في نفسي رغبة ذاتية لمتابعة الإلحاد في الغرب على اعتبار أن نشوء الأفكار والأحزاب الشيوعية قد تم فيها. ومنذ بداية الخمسينات كنتُ أجد خلطاً في رؤية الناس البسطاء أو المعادين للشيوعية أو المتأثرين بوسائل التفسير الأعلامي الغربي أو حتى غير الراضين بها. فكثيرون هم الناس لم يفرقوا بين الشيوعية النابتة في الغرب الرأسمالي التي قد يجد فيها الباحث صيغاً وتعاريف قد لا يتضح هدفها مع مناهج حياتنا،وبين الشيوعية الموجودة في الشرق العربي والإسلامي التي لم يكن في مناهجها أية دعوة ألحادية. كنا نسمع ونقرأ نحن شباب ذلك الجيل عن اتهامات كثيرة موجهة للشيوعية ومن بينها وأولها الاتهام بالزندقة والألحاد.

في تلك المتابعة وجدتُ أن الإلحاد ظاهرة قديمة حتى أنها موجودة قبل ظهور المسيحية ، فقد أتهم الإغريق عدداً من فلاسفتهم وأدبائهم ومفكريهم بالهرطقة ومنهم سقراط نفسه الذي حكم عليه بالموت بشرب السم عام ٣٩٩ قبل الميلاد. كانت إحدى التهم الموجهة ضده هي الزراية بآلهة الأثينيين وعقائدهم الدينية. وفي مراحل تطور المجتمع الغربي كان الكثير والغالب من ثقافته معتمد عل الإلحاد وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر،و ممتداً حتى وقتنا الحاضر.

فماذا عن كشوفات بعض النخب الأسلامية حول الشيوعية..؟

ما هي أشكال وطبيعة المضمون الذي تشتمل عليه تلك الكشوفات..؟

على السياق المتبادل في الكتابات الأسلامية وخاصة لدى كتاب مصريين كانت الكشوفات الهلامية في مقدمة ونهاية مطاف أبحاثهم. وقد تركز الخطاب الإسلامي حول نقطتين أساسيتين وحول شخصيتين اعتبرتا في قمة الإلحاد الشيوعي:

١ــ دارون ونظرية النشوء والأرتقاء.

٢ــ كارل ماركس ونظرية الحزب الشيوعي.

من الأخطاء الشائعة أن داروين شيوعي وأن نظريته هي من نظريات الشيوعية، باعتباره عالم طبيعيات. هذا خطأ أول. فدارون درس الطب في جامعة أدنبرة ودرس اللاهوت في جامعة كامبريدج. ثم استوحى فكرته الأساسية عن الصراع البيولوجي من أجل البقاء من أبحاث مالثوس (الرأسمالي..) في زيادة السكان وطبقها على عالم الحيوان. وقد دافع عن نظرية دارون ذاتها ليس الشيوعيون وحدهم ، بل دافع عنها اثنان من أكابر مفكري الرأسمالية: توماس هكسلي في إنكلترا، وهيجل في ألمانيا. لكن استنتاجات ومعطيات علوم دارون تطابقت في جوهرها ، في نهاية المطاف، مع العلوم الماركسية.

الخطأ الثاني جاء من اعتبار كارل ماركس كأنه الملحد الوحيد أو أنه المسؤول عن إلحاد الملحدين. ولم يأخذ أحد من أولئك المتقولين أن الماركسية في الشرق خصوصاً، لم تروج الإلحاد في برامجها ولا في سلوكهاالعملي. وأذا وضع أحد كارل ماركس على قمة قائمة الملحدين فأنه ، في واقع تآليفه، لا يحتل سوى مرتبة ضئيلة في الإلحاد أمام من سبقوه ولحقوه من المفكرين والفلاسفة الرأسماليين والكنسيين الغربيين. ابتداء من (بيير بايل) و(أسبينوزا) في هولندا مروراً بمئات الفلاسفة والمفكرين في ألمانيا وفرنسا وأنكلترا وأيطاليا، وصولاً الى صاموئيل بتلرٍ في روايتها المعروفة بعنوان(طريق كل البشر) بل حتى بالنسبة لشكسبير الذي أورد قولاً إلحاديا في مسرحية الملك لير على لسان جلو ستر إذ قال(أن مثلنا بالنسبة للآلهة مثل الذباب بالنسبة للأطفال فهذه الآلهة تقتلنا كي تتسلى

بقتلنا مثلما يتسلى هؤلاء الأطفال بقتل الذباب). وهو قول واضح الإلحاد ولا شيء يخفف من وطأته سوى استبداله كلمة (الآلهة) بكلمة (الله). على العموم لابد من تجنب سوء الفهم من قبل كل أنسان واع. الحقيقة إن الدين في جوهره مشاعر نبيلة يجيش فيها صدر الأنسان المسلم تجاه أخيه الأنسان (والشيوعي بكل الحالات هو أنسان). أما فرضية الماركسية الأساسية فأنها ترى (أن نشوء المجتمعات العلمانية القائمة على العلم والتكنولوجيا هو الاتجاه الحتمي للتطور التاريخي).

وأود أن أضيف للقارئ الكريم أنني طيلة فترة قراءاتي للأدب الرأسمالي العالمي فأنني لم أجد الشيء نفسه أو حجمه في الأدبيات الشيوعية وخاصة في أيام الدولة السوفيتية ــ وهي بالطبع دولة لادينية ــ والافتراض الطبيعي حول إلحادية الدولة الشيوعية هو أن يتضرر المسلمون في تلك الدولة الشاسعة التي كانت تضم جمهوريات إسلامية عديدة (عشرات الملايين من المسلمين) ولا أنكر حقيقة معاناة الدول الإسلامية السوفيتية من اضطهاد الدولة السوفيتية نفسها لكن ذلك لم يكن بسبب(إسلامية) تلك الجمهوريات لكن بسبب انعدام الديمقراطية في تلك الدولة العلمانية. فكان اضطهاد المسلمين يعادل في ظل النمط الدكتاتوري نفس الاضطهاد الذين تعانيه شعوب من أديان أخرى كالمسيحيين(لا بسبب مسيحيتهم بل بسبب لاديمقراطية الدولة) في روسيا وبيلوروسيا وأرمينيا وغير ذلك من الدول غير الأسلامية.

واضح أن ما ترخص به التجربة الشيوعية العملية تعيدنا الى لينين وهو في قمة السلطة الشيوعية عندما وجه نداء الحرية والمساواة والإخاء الصادر عن لينين عقب نجاح ثورته عام ١٩١٧ وهو النداء الموجه للشعوب الإسلامية ، وقد جاء فيه:

(يا مسلمي روسيا :لقد أصبحت معتقداتكم ومؤسساتكم ، من الآن فصاعدا، حرة لا تنتهك. يا مسلمي الشرق : نعلن لكم أن المعاهدات السرية المعقودة بين القيصر المعزول ودول أخرى في ما يتعلق باحتلال القسطنطينية ألغيت ومزقت. ونعلن كذلك أن المعاهدة المتعلقة بتقسيم الأراضي العثمانية قد مزقت وأتلفت).

وقد عنى هذا النداء بكشف معاهدة سايكس بيكو ، وهي من أخطر المعاهدات الاستعمارية التي مزقت الوطن العربي.

والسؤال هنا: ألا يقودنا منطق هذا النداء أن الدولة الشيوعية الأولى، في مرحلتها الأولى، قد ناصرت حقوق الشعوب الإسلامية الفقيرة..؟ وسواء كانت معتقداتنا متوافقة أو مختلفة مع هذه الدولة أفلا يعني هذا الموقف تميزه بخاصية جدلية تستدعينا ، نحن

المسلمين، الى دراسة ذلك النداء بما يساعدنا في أعادة بناء معرفتنا من أساسها..؟ أفلا يدعونا ذلك الى أعادة صياغة أفكارنا بروح الجدلية التي يحتاج أليها حتى الأصوليون..؟

نفس الدعوة موجهة لشيوعيي العراق المعاصرين لبناء منهج محدد لكي لا يخطئوا الطريق لتحقيق أهدافهم كجزء من أهداف الشعب.

من دواعي المعرفة أورد ، أيضا، دلائل عديدة أخرى تؤكدها سيادة روح تعاون شعبي مشترك بين(الشيوعية والإسلام باعتبارهما قوة العصر الراهن) منطلقة من قاعدة الإحساس بالواقع العملي. من تلك الأمثلة العديد من الجهود المخلصة الواعية لعلماء العراق ، النجف الأشرف خصوصاً، بذلت لأقامة علاقات وحوار وتبادل رأي بين مسلمي العراق مع البلاشفة الأوائل ومع الدولة السوفييتية الفتية. فأن (ميرزا محمد رضا الشيرازي) ــ وكان والده زعيماً في الحوزة بالنجف ــ كان قد (عبر عن اهتمامه بالأفكار البلشفية منذ وقت مبكر يعود الى آذار ــ مارس ١٩٢٠ فقد ناقش يومها علناً ، في النجف، محتويات كتاب عربي عنوانه (مبادئ البلشفية) يتركز موضوعه على التوافق بين البلشفية والإسلام).

كما قامت سلسلة من الاتصالات بين البلاشفة (الشيوعيين الروس) والعلماء العراقيين الذين كانوا منفيين أليها أو ساكنين فيها. يقتضي التنويه أن السيد محمد الصدر قابل أشخاصاً سوفيات تجادل معهم حول عدد من المسائل من بينها الوضع العراقي بعد قمع الإنكليز لثورة العشرين ونفي عدد من قادتها.

من وجهة نظر الأحداث الجارية حالياً في بقاع أراضي الدولة السوفيتية السابقة منذ سقوطها والمعسكر الاشتراكي خلال العقد الماضي ، وحتى اليوم، تؤكد الوقائع جميعها أن الذين اتهموا الشيوعية بمحاربة الأديان هم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين ، في هذه الأيام، بقوة السلاح التدميري لتلك الشعوب والدول الإسلامية. وليس أدل على ذلك من تهديم بنيان الشيشان وتهجير أهلها. نفس المقاس يمكن استخدامه في كوسوفو والبوسنة إلى الحد الذي صار فيه الناس المسلمون في الغرب والشرق يترحمون على الدولة السوفيتية التي ما أساءت إلى الإسلام.

لا نذهب الى خارج تراثنا الثقافي وأمامنا عقائد المعتزلة والاتهامات التي كيلت لهم. فالمعتزلة رغم أنهم كانوا يتمسكون بالديانة الإسلامية ــ وقد كان الاعتزال مذهباً من مذاهب الدين الإسلامي وليس ديناً جديداً ــ وأنه كمذهب لم تستقل فلسفته عن التأثير الإسلامي ألا أنهم جوبهوا بالكثير من الأتهامات.

وعلى العموم فأن قراءة التاريخ الإسلامي تفسر لنا أن معظم الفلسفات العربية الإسلامية كانت تمجيداً للجدل الفكري بين الناس بينما لم تسلم من الاتهامات ،أيضاً،على أنها حركة غير متيقنة وليست إيمانية وأنها معارضة للدين الأسلامي.

ثمة أمر واحد رئيسي يمكن الوثوق به كسبب لتفسير معطيات مثل هذه الأتهامات. وهو أنـــه في غمرة اختلاط الأمور وانفجار الأوضاع الاجتماعية خصوصاً ،وبسبب عدم وضوح الكثير من الأفكار والأشياء في أمور الفكر والثقافـــة فأن صراعاً ثقافياً مـــن دون موهبـــة ولا معرفـــة ولا تعقل ، يقود في غلب الأحيان الى التعصب. وقد لمس أخوان الصفاء أن الجدل والاختلاف يحتدان ويتوسعان نتيجة التباس في المصطلحات والمفاهيم.

فما أكثر الألتباسات في تاريخنا العراقي كله بما فيه تاريخنا الثقافي. لا حرج من القول أن تلك الألتباسات كان مردها الاختلاف أو القصور في قراءة ورؤية تراثنا الثقافي. ويعنينا هنا أن فتوى الأمام السيد محسن الحكيم صدرت في زمان الخلط بين المفاهيم في الفروض الثقافية العراقية وميادينها. وقد أطل الخلط في الشارع العراقي على ألسنة العامة

وربما لا يستطيع أحد أن ينكر أن من بين العامة كان أعضاء في الحزب الشيوعي أيضاً أساءوا بهذا القـــدر أو ذاك لمشاعر العراقيين من خلال الإساءة لبعض المفاهيم الإسلامية والدينية. و لا تقل إساءتهم لغيرهم عن الإساءة الى حزبهم الشيوعي نفسه الذي لا يرتضي تلك المفاهيم.

ما أكثر الألتباسات في تاريخنا الثقافي ..؟

لا أجد حرجاً في القول أن تلك الألتباسات كان مـــردها ، وما زال، هو اختلاف المنطلق في قراءة تراثنا الثقافي وتشوشه. وقد جاءت فتوى الأمام ، كخيار قاس،في نفس زمان الخلط بين المفاهيم في الشارع العراقي على ألسنة العامة ، وربما أحد لا يستطيع أن ينكر أن من بين العامة كان عضواً أو أعضاء في الحزب الشيوعي قد أساءوا بهذا القدر أو ذاك لبعض المفاهيم الإسلامية أو الدينية أو قاموا بتصرفات سلوكية أو شعاراتية أستنكرها الحزب الشيوعي بنفسه قبل غيره.

وجدتُ نفسي، في حالة من القلق والتخاطب مع النفس بعد صدور الفتوى حول مختلف أمور الحياة السياسية والأجتماعية، كما وجد الآلاف أنفسهم تجاه الفتوى ومدعاة صدورها. فتساءلت هل أن الفتوى تعود الى اعتبارات سلبية ذات علاقة بالسياق التاريخي لأحداث ما بعد ثورة ١٤ تموز..؟ أم أنها موقف لا يتغير لأنها منهج ومنطق أسلاميين..؟

كان استقبال الفتوى وما تبعها من صدور (البراءة السياسية) من بعض الشيوعيين البسطاء ، صدى عكسياً تمثل في الخروج من عزلة معينة الى حوار علني مع الناس حول الإسلام والشيوعية.، وقد استطاع الحوار أن يستبعد الجوانب السلبية الأخرى في العلاقة مع الناس .وأكثريتهم من المسلمين. ساعدت في ذلك عوامل ثقافية ونفسية ودينية. وحين ألغى السيد محسن الحكيم تفويضه الممنوح للسيد محمد سعيد الحكيم (وكيله بالبصرة)في حينه فأن الأساس الواقعي المحيط بالسيد محمد سعيد قد تغير تماماً فصار من غير الممكن لجامع المقام بالعشار أن يستوعب آلاف المصلين المتوافدين عليه في كل يوم جمعة من مختلف مدن البصرة وقراها البعيدة .بما في ذلك الأهوار كتعبير جماهيري عن دعم وأسناد نصير الفقراء السيد سعيد. والى حين وفاته كانت خاصية العلاقة بين السيد محمد سعيد الحكيم والناس المؤمنين في البصرة أمراً يبعث على الدهشة من جهة و مثيراً غضب السلطة الرسمية أنذاك من جهة أخرى. وقد عنى ذلك الحال في أول معنى له أن الشيوعية في العراق والإلحاد ليس أمراً واحداً. ألاّ أن الشيء الذي يجب ذكره أن أمر الفتوى أضطر كوادر الشيوعيين ،بفعل ضغط الحوادث الحادة والدموية في الموصل وكركوك، أن يمعنوا النظر بعمق هذا الموضوع،أي موضوع العلاقة بين الشيوعية والأسلام من خارجه ففسر بعض الكادر كلمات الفتوى .بمعان ناتجة عن مناقشات انفعالية دارت حولها. كما أن الحوزة وقفت موقفاً ثابتاً الى جانب ضغط الانفعالات الشيعية الدواوينية (لأن الشارع الشيعي كان الى جانب الشيوعيين إضافة الى بقاء القرية الشيعية مركزاً شيوعياً).

أن ما له أهمية التذكير ،هنا، هو أن مدينة الكاظمية وهي مدينة شيعية كانت قد دافعت عن الشيوعيين الكواظمة بقوة السلاح يومي ٨,٩ شباط ١٩٦٣م وهذا بحد ذاته يستوجب الدراسة والتقصي لاستعراض العلاقة بين الشيوعية والمدينة الإسلامية، عن طريق تحليل عناصر التحقق الماثل للعيان في هذا الصدد.

من المهم أن نلاحظ أن ردود أفعال رئيسية في قضايا كبرى،كالفتوى، لا يجد له أي أساس في النتيجة والمحصلة. وهذا ما دلّت عليه أعمال وأفكار عديدة ظهرت على مسرح فلسفة مناوئة الشيوعية في ذلك الحين ، مما تواصل معه جدل ونقاش ،في مختلف علاقات الناس المسلمين بالشيوعيين أدى، بهذا القدر أو ذاك، الى تأصيل المعرفة واكتشاف الناس لمزيد من براهين الحياة بحاسة الملاحظة التجريبية وليس بالمساجلات الجانبية أو الاصطلاحات الوصفية التي تقال في المقاهي والدواوين.

كعلامة بارزة في تلك الفترة يمكن الإشارة الى أن أجهزة معينة في الدولة استغلت صدور الفتوى واستندت أليها في حبس الشيوعيين وقتلهم وقطع أرزاقهم وتشريدهم

وحتى حبس الناس الأبرياء(وهم من المسلمين بما فيهم المسلمين المؤمنين) وقتلهم بتهمة الشيوعية.. لكن مع الزمن تحقق الوضوح الكافي الكفيل بضبط العلاقة الصحيحة والسليمة بين الإسلام والشيوعية وفق المبدأ الأساسي في الإسلام وهو ترك الدين لقناعة الأنسان وأحاسيسه على اعتبار أن ذلك حقاً من حقوقه يمارسه على النحو الذي تمليه عليه عقيدته، كمسلم، وهو حق جاء به القرآن الكريم لا يقبل مساساً.

طيلة السنوات اللاحقة للفتوى كانت بالنسبة للشيوعيين كسابقاتها وحتى اليوم فأن العودة لجميع وثائق الحزب الشيوعي العراقي تخلو من أية إشارات أو تلميحات أو إيضاحات إلحادية مهما كان شكلها أو حجمها. وما أعرفه أن عدداً من شعراء الحزب وأدبائه ومفكريه كانوا وما زالوا يمجدون النضالات الإسلامية وأخلاقها الثورية. وليس أدل على ذلك شعر مظفر النواب وهو(شيوعي متطرف) وشعر سعدي يوسف وهو (شيوعي معتدل) وشعر بدر شاكر السياب في قصيدته المعنونة خطاب الى يزيد كتبها وألقاها في اجتماع جماهيري عام ١٩٥٠عندما كان (شيوعياً ملتزماً) وغيرهم كثيرون.

من جهة أخرى فأن الدين الإسلامي منذ وجوده وحتى اليوم أستقر وأزدهر من خلال التفاعل مع أحداث المجتمعات بمختلف الأمكنة والمراحل كما أنه لم يكن بحال من الأحوال بحاجة الي القوانين الوضعية لسلامته. لذا فأن أي اعتراض واجهه الإسلام منذ قريش كان عنصراً مساعداً في دخول الإسلام والمسلمين الى حلقات الجدل والحوار.

أشتهر الأمام الحكيم بأنه عالم مختص وأنه رجل دين متمكن وأنه يستمتع بتبادل الرأي مع الناس وله دراسات في العلوم الدينية والفلسفة الإسلامية ويتميز بعلم واسع وقد أصدر فتواه ضد الشيوعية في إطار نظرته الى مصلحة الإسلام كما رآها. رغم الظن بأن الفتوى لم تكن جزءاً من فلسفة تأسيسية كوحدة خالصة لدراسة وبحث قائمين على تجربة متحققة من ممارسة، بل كانت إحدى إرهاصات أفكار تلك الفترة المختلطة بعضها بالبعض. وأن الأساس والتبرير الذي انطلقت منه الفتوى استندا على بعض أقوال أو أقاويل وصلت من عناصر معينة محيطة بالحوزة مدّتها برؤية غير واضحة عن الشيوعيين العراقيين ، وقد استندت غالبية تلك الأقوال الى معلومات الأعلام الغربي يضاف أليها بعض منطلقات فلسفية غربية عن الشيوعية الغربية ذاتها. لم تظفر تلك الرؤية بحقيقة أن الشيوعيين العراقيين هم بكل الأحوال من أبناء الشعب العراقي عموماً، والشيوعية في العراق هي جهد بشري لمجموعة من الناس أنحدر أكثريتهم من الإسلام أصلاً مهمتهم بالأساس هي مساعدة الشعب العراقي على مواجهة الحياة بما تحتاجه من عُدد وأولها المعرفة. وهم أيضاً كإبراهيم الخليل يعتبرون الله صديقاً لهم ، لكن قبل أن يطالبوه بحل

مشاكلهم أو يطالبوه بالمنفعة و بالثمار والنتائج فأنهم يتعلمون الصبر في الحياة ويواصلون تضحيتهم لبلوغ أهداف شعبهم. بقلب الدولة الظالمة على رؤوس الظالمين.

في خلال هذا يلاحظ الشيوعيون في يوميات عملهم وحركتهم أن الأنسان العراقي يواجه معضلة الكون والوجود ،ومن جهة أخرى فأن هذا الأنسان تسحقه يومياً ماكنة الاستغلال فتحيله أنساناً فقيراً يبحث عن قوت حياته لأن الدولة لم تمنحه أبسط حاجاته كما لم تمنحه حقه في العقيدة والتعبير عن أفكاره. من هذه الزاوية يعتبر ظهور الأنسان المكافح ، شيوعياً كان أم مسلماً، يعتبر محاولة نبيلة في أنسنة المجتمع العراقي بنشر المعرفة التي هي طاقة تحرك كل شيء.

لذلك فليس من مصلحة الشيوعيين ولا من أهدافهم أن يبتعدوا عن المسلمين وعن الوسط الإسلامي لأن هؤلاء يشكلون قاعدة أساسية للعمل الجماهيري. بل أن مادة الواقع بالذات تشير الى أن الفترة التي صدرت فيها فتوى الإمام الحكيم كانت فترة صعبة في الحياة السياسية العراقية وأن الأجهزة القمعية كانت تخلط بين أوراق (الشيوعية) و(الشيعة) بل وحتى (الشروكية) وكانت تضعهم جميعاً في صف واحد وبمستوى واحد. ومن هذه النقطة بالذات بدأت مسارب الأفكار المعادية للعراقيين بما تحلت به من مزايا تضخيم عناصر الواقع الاجتماعي والسياسي المتصارع بحدة انذاك.

نفس الحالة تكررت في حرب الثماني سنوات بين العراق وأيران. فمن دون أن يكون للشيوعية، المحلية أو العالمية، أي دور فأن القصدية المباشرة للحرب كانت موجهة ضد الإسلام في البلدين المتحاربين. تحت حجج واهية وحسب تصورات موهومة راح أكثر من مليون مسلم ضحية مصالح ضيقة خارج الإسلام والمسلمين. ومن بعض الوجوه الأخرى يمكن القول أن الضحية الموجعة الأولى هم أبناء الطائفة الشيعية. فأكثرية أفراد الجيشين المتحاربين الذين قتلوا بسلاح بعضهم للبعض الآخر كانوا من شيعة الطرفين المتحاربين وعندما يقترب الباحث الموضوعي من ملامسة طبيعة الحرب وأعماقها سوف يجد قصدية واضحة في أن تكون حرب السنوات الثماني هي حرب الشيعة ضد الشيعة. فمن المسؤول عن ذلك. أليس من الجدير أن تتحول إمكانات النخب الإسلامية في ضوء ذلك للتصدي بتفكير سليم للأجابة على السؤال التالي:لماذا لم تميز النخب الأسلامية تمييزاً دقيقاً بين الخير والشر في هذه الحرب لمعرفة المحور الذي ترتكز عليه. أليس في قتل المسلمين لبعضهم أثم كبير دائم..؟

أعود الآن الى أستطلاع الموقف من التكفير وهو عاطفة انطلقت سريعاً وانطفأت سريعاً وبكل الأحوال فأن تلك العاطفة لم تصنع عجلة أقوى للحياة العراقية.

سؤال أخير يشاركني فيه أبناء جيلي كلهم كما أعتقد أضعه هنا، وهو:

ألم يكن من الضروري تجنب دعوة التكفير والاعتماد على مبدأ الدعوة للأيمان على اعتبار أن الأمام الحكيم هو أب لجميع العراقيين من دون أستثناء..؟

لا أعتقد أن أحداً يمكن أن يرفض القول بأن الدعوة للتكفير هي وسيلة منعزلة وعاجزة عن مجابهته بالحكمة والحسنى. مشيراً الى أن البيان رقم ١٣ الصادر عن الحرس القومي لعام١٩٦٣م ليس سوى شكل من أشكال احتواء فتوى الأمام الحكيم احتواء مزدوجاً وتأكيد دلالاته في ستر القمع والقتل وإراقة دماء العراقيين من الشيوعيين والأبرياء. وهذا بالطبع ما لم يقصده الأمام في صفات فتواه. لكن ازدواجية الدعوة للتكفير تظل خاصية غير طبيعية ومتصادمة مع الجهاز العصبي للدين الإسلامي المتميز بالجدل والصبر والاستناد فيهما على العقل ومعطياته. ولن تستطيع (القوة) مهما كان شكلها ، حتى قوة التخويف الديني، من تغيير عقول الناس وأفكارهم. بينما الدعوة الى الأيمان أساسها الأول هو التوجه لحالة المعرفة الثابتة والمتغيرة ذات الظواهر المفهومة كما جاء بذلك القرآن الكريم نفسه.

أن أعادة النظر بالفتوى وظروفها ونتائجها هي محاولة لمجابهة المستقبل مبكراً. فلا يمكن لمجتمع متعدد القوميات والمذاهب والأديان أن يعيش بمعايير أنسانية متساوية وموحدة من دون المنهج المنطقي الشامل المحقق السلام والمحبة للجميع على أرض الرافدين. لذلك فأن معالجة العلاقة بين العراقيين على اختلاف مشاربهم يوفر حالة ومعارف الأمان للمجتمع.

أما عملية (التحقيق) فهي عملية وقتية تجري وتنتهي (وربما تنتهي بانتكاسة) تحت ظروف وقتية، في حين أن الجدل والمنطق والبحث عن الغايات المشتركة تشكل قواعد موضوعية ذات استمرارية تاريخية ينتج منها أول ما ينتج أصول ومعايير تشكل صمامات الأمان الاجتماعي القائمة على روح المحبة والتسامح والسلام مهما احتدمت موضوعات الجدل والتنافس السلمي الشريف..

يظل شعبنا ، في نهاية الأمر، شعباً مفكراً متفجراً بالعطاءات الفكرية. النقطة الهامة ترتكز الى أيجاد موجات واسعة وكلية لعلاقات احترام وأخوة متبادلة تقوم بين (الأول) المختلف مع (الآخر). ومن دون تبادل خبرات فكرية وعملية بينهما فأن العنف لن يتوقف. وما من مجتمع تهدم ألاّ بالعنف والكراهية وعدم التسامح.

خلاصة القول أن مصطبة الحديقة العراقية تتسع لجميع العراقيين المتآلفين بين زهورها المتفتحة مهما اختلفت رؤيتهم لها.

مفهوم الشيوعية وفتاوى علماء الشيعة

• **يوسف عطا منصور**

إنّ الخوض في مثل هذا الحديث بالغ الحساسية ، وفيه من تشابك الابعاد وتعقدها ما لا يمكن رؤيتها بوضوح ، ولم يبق أمام الكاتب إلا الاستنتاج الواعي والمحايد ، ولي في الآية الكريمة نهجاً ومبدأ حيث يقول عزّ من قائل " وإذا قُلتم فأعدلوا ولو كان ذا قربى " ومن هذا الباب لأبُدّ من توضيح جملة أشياء سبقت ما أريد الحديث عنه كي يستبين الأمر للقارئ في نظرة شمولية لمفهوم الشيوعية ولموقف علمائنا الأفاضل الشيعة منهم على وجه الخصوص منها .

فالدولة الملكية التي قامت في العراق عام ١٩٢١ ، كان ظاهرها دولة مستقلةً أما من داخلها فكانت تدين بتبعية رجالها السياسية والإدارية الى بريطانيا عن طريق مندوبها السامي في بغداد أو عن طريق سفارتها بعد ذلك .

وقد أحسن شاعرنا الرصافي وصفها حين قال :

علـــم ودســـتور ومجلـــس أمـــةٍ كلٌّ عن المعنى الصـــحيحِ محـــرّفُ
أسماءُ ليس لنا ســـوى ألفاظِهـــا أمّـــا معانيهـــا فليســـت تُعـــرفُ

ومع هذه الكبول كانت الدولة تعاني مشكلات موروثة عن العهد العثماني هي الفقر ــ المرض ــ الجهل هذي الاقانيم التي لا زالت دول العالم الثالث تعاني منها .

أضف إلى ذلك الفجوة الكبيرة بين طبقة الحكام والمتنفذين في السلطة مثل رجال الاقطاع وكبار التجار وبين الفئة المغلوب على أمرها وهي السواد الأعظم من الشعب العراقي المقهور والبالغ تعداد نفوسه آنذاك أربعة ملايين نسمه أو يزيدون قليلاً. وهم من الحرفيين والعمال والكسبة وهؤلاء هم سكان المدن.

أمّا سكان القرى والأرياف فهم الغالبية العظمى وجُلّهم من الفلاحين الفقراء الخاضعين لسلطة الاقطاع ورؤساء العشائر الموالين لهم . وبطبيعة الحال لا تخلو هذه الأوساط المنهوكة من مجموعات مثقفة تسكن المدن العراقية وعلى الأخص العاصمة بغداد ، ومن هذه المجموعات تشكلت الأحزاب ، فمنها مَن كان في خط المعارضة للدولة دائماً ومنها مَنْ كان يُمالئ في موقفه حيناً وحين ، ومن هذه الأحزاب برز على الساحة الحزب الشيوعي عام ١٩٣٢ ، لمعارضته الدائمة مستغلاً نقاط الضعف الموروثة والمذكورة سابقاً مع تبعية الحكومة الملكية للسياسة البريطانية ، كانت هذه بذاراً صالحاً في أرض خصبة للشيوعيين لايغار النفوس وإثارة الجماهير الشعبية وتأليبها على الحكومة مع رسم آفاق الحلم الشيوعي لها من خلال شعارهم الذي يتفنون به " سنمضي .. الى ما نُريدْ وطنٌ حُرٌ وشعبٌ سعيدْ ". كما بلغ الأمر بالحكومة الملكية أو كادَ أن يكون كلٌّ معارض لها شيوعياً.

وهذا عيبٌ من عيوب السياسة وخطأٌ لا يُغتفر للسياسيين .

أما موقف رجال الدين الأفاضل من الأحزاب الوطنية عامةً فكان غير واضح المعالم ، كما لم يكن بينها وبينهم شيءٌ من خطوط التقاطع أو التماس بما فيها الحزب الشيوعي العراقي . رغم أن ، المفهوم السائد لدى الأوساط الدينية من أن الشيوعية بمفهومها الماركسي الحادية لأنها لا تؤمن بالديانات السماوية وهذا هو واقع الحال للفلسفة الماركسية. إلاّ أن مفهوم الشيوعية في العراق وهذه حقيقة لأبُدّ أن يعلمها الجميع لم تكن إلا مفهوماً إقتصادياً يدعو الى رفع المستوى المعاشي للطبقات الفقيرة والى تحرير الفلاح من ربقة الاقطاع وسيطرته ، كما تدعو الى التحرر الاقتصادي والسياسي للدولة ونبذ مبدأ التبعية للاستعمار البريطاني ، هذه هي المفاهيم التي كان يتعامل بها الشيوعيون مع الأوساط الشعبية والناس ، لذلك نرى كثيراً من الأفراد ومن بيوتات عريقة لها وزنها الاجتماعي

وألتزامها الديني قد ساروا في هذا الركب ، حتى أني لأذكر شاعراً في مدينتنا وهو من السادة الطباطبائيين قال بيتاً من الشعر في قصيدة نونية طويلة ما قاله شاعر قبله ولا بعده قط .

وبيت الشعر هو :

إن كان لينينُ مدفوناً بأرضكُمُ فان لينينَ في أحشائنا دُفنا

وكان هذا في أحتفال مقام في بداية عام ١٩٥٩ أي في عهد النظام الجمهوري . أقول من هذه المفاهيم تعامل الشيوعيون في توسيع قاعدهم الشعبية ، أمّا مفهوم الالحاد فلم يكن إلا حالة فردية و لم تكن في النظرية الماركسية وحسب بل في جميع الأحزاب العلمانية بما فيها حزب البعث والاتحاد الاشتراكي الناصري .

وقد أعطت ثورة ٢٣ تموز في مصر أعطت هذه الثورة زخماً الى الأحزاب العربية بما فيها الاحزاب العراقية ، وظهر ذلك جلياً إثر العدوان الانكلو ـ فرنسي ـ صهيوني على مصر الكنانه عام ١٩٥٦ . حيث كان الشيوعيون في طليعة التظاهرات الشاجبة للعدوان بحيث عمّت العراق شمالاً وجنوباً مما حدا بالحكومة الملكية إلى إعلان الأحكام العرفية في البلاد ، وكان موقف رجال الدين الافاضل وخاصةً الشيعة منهم موقفاً رافضاً . وتمخضت هذه الأحداث بانتفاضة شعبية في مدينة الحي الباسلة (في محافظة واسط — الكوت) انتهت بإعدام إثنين من قيادي الحركة وهما ..

" علي الشيخ حموّد وعطا الدبّاس " ، كما سُجن جرّاءها مَنْ سُجن من أبناء مدينة الحي ، وفي صيف عام ١٩٥٧ حصلت حركة إضراب للسجناء السياسيين في سجن الكوت وذلك لسوء معاملة إدارة السجن مما دفع بالسلطة الى ترتيب موضوع مبني على الخديعة لا ستحصال فتوى من عالم الدين للمذهب الشيعي في المدينة بتكفير السجناء لأنهم شيوعيون كي يتسنى هدر دمائهم ، وبالفعل صدرت الفتوى بكفرهم من عالم الدين في المدينة المرحوم الشيخ هادي الأسدي وراح ضحية هذه الفتوى سبعةً من السجناء السياسيين دفنوا يومها في مقبرة اليهود الموجودة في ضاحية من ضواحي الكوت ثم نُقِلَ رفاتهم بعد قيام ثورة ١٤ تموز الى النجف الأشرف .

وبعد سقوط الملكية وقيام الجمهورية في ١٤ تموز من عام ١٩٥٨ لم يكن في الساحة السياسية العراقية أبرز من الحزب الشيوعي ، إلا أن تسارع الأحداث وتشابكها ، مع سوء تصرف القيادة الشيوعية، وتخبط الزعيم الراحل في سياسته الداخلية ، أضاعت الحقائق وبرزت تيارات كانت مغمورة على وجه الساحة ، وأنقسم الشعب العراقي الى فئات وقوميات وطوائف حتى باتت العائلة الواحدة منقسمة على نفسها لتيارين أو أكثر .

أمّا موقف رجال الدين الشيعة الأفاضل من الثورة والصراعات فكان في بادئ الأمر موقفاً متحفظا، ثم ما لبث أن أخذ طابع المعاداة للنظام القاسمي ولمن يقف وراءه وذلك بتحالفها مع الفئات العلمانية القومية والبعثية وبمباركة الرجعية لها ودعمها للتحالف تَمّ تقويض ثورة تموز المجيدة وتمّ سحق الشيوعيين .

وهنا لابد من وقفة لتوضيح دور رجال الدين الأفاضل فقد تحالف المرحوم الشيخ الخالصي في منطقة الكاظمية مع البعثيين والقوميين تحالفاً مصيرياً ، وتحالف مع الحكومة العارفية التي قامت بعد إسقاط الحكم البعثي الأول رغم علمه بطائفية النظام العارفي ونهجه العلماني وهو تطبيق الاشتراكية العربية ، كما نجد أن المرحوم آية الله السيد محسن الحكيم المرجع الديني الأعلى يومذاك والذي أصدر فتوى بتكفير الشيوعيين زمن قاسم يقف موقف المتفرج من حمّامات الدم بعد سقوط قاسم ويتغاضى عن علمانية حزب البعث وماسونيته وعن الاتحاد الاشتراكي العربي .

هذه علامات ودلالآت لا أستطيع القول فيها برأيي لأني لا علم لي بما وراء الأكمه ، ولكني أقول متسائلاً الى متى يبقى علماؤنا الشيعة الأفاضل ورقةً بيد الآخرين ؟؟

الحزب الشيوعي والظاهرة الدينية

• صلاح الخرسان

وقفت الحركة الشيوعية في العراق منذ بدايتها موقفاً سلبياً من الظاهرة الدينية في المجتمع العراقي، انطلاقاً من قوالب فكرية ماركسية جاهزة مفادها أن الدين أفيون الشعوب ناسية أو متناسية أن مسلسل الانتفاضات والثورات التي يحفل بها تاريخ المجتمع العراقي إنما ارتبطت بشكل أو بآخر بالعقيدة الدينية ويكفي أن تكون الثورة العراقية الكبرى ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠ بقيادة كبار علماء الدين في النجف وكربلاء شاهداً على ارتباط الدين بحركة الرفض والتمرد ضد الطغيان والاستغلال والاستعمار بشتى ألوانه وأنواعه، ولقد حظيت الشعائر الدينية كمجالس الوعظ والإرشاد وزيارة المراقد المقدسة بمكانة عزيزة على قلوب العراقيين وضمائرهم حتى عند غير الملتزمين دينياً الذين تدفعهم العاطفة والعادات الاجتماعية المتوارثة إلى المشاركة في تلك المناسبات والإنفاق عليها من أموالهم الخاصة، كما في مناسبة عاشوراء وأربعين الإمام الحسين (ع) التي يشارك فيها ملايين العراقيين، وقد حاول الشيوعيون الحد من تلك الظاهرة بين محازبيهم على أقل التقادير، بعد أن عجزوا عن محاربتها في نفوس الجماهير.

جاء في نشرة (كفاح السجين الثوري)[1] عدد (٢) شباط ١٩٥٤ حول مناسبة (أربعين الحسين) ما يأتي: «غالباً ما يمزج الثوار أفكاراً إقطاعية بدون إدراكها.. وهذا

(١) كفاح السجين الثوري: نشرة أصدرها السجناء الشيوعيين في سجن بعقوبة، أواخر عام ١٩٥٣ واستمرت حتى الشهر الثامن من عام ١٩٥٤.

يحصل لأن الأفكار الإقطاعية موجودة في كل ركن من أركان الحياة... والآن نرى أن هذه الأفكار لا تزال تعشعش حتى في أعضاء حزبنا الشيوعي.. وهناك من الشيوعيين من يعطي (أربعينية الحسين) أهمية عظيمة فيحضر مع الناس ليؤدي نفس المشاعر وكان الأحرى به كشيوعي أن يذهب إلى الناس ليجمع تواقيع تؤيد حركة السلام».

ويكتب الرفيق ناصر عن هذا الموضوع: «يجب أن لا نصطدم بهؤلاء الإقطاعيين ــ رجال الدين ــ اصطداماً مباشراً وعلينا تسفيه أفكارهم... فروسيا بقيت ١٥ عاماً بعد الثورة قبل أن تمحي الإسلام من دساتيرها وصحفها، وعلينا أن نعمل نفس الشيء خاصة بعد تشكيل العراق الديمقراطي الشعبي».

وبعد ثورة تموز ١٩٥٨ وانتقال الحزب الشيوعي إلى مرحلة النشاط العلني ظن الشيوعيين بأن الوقت قد حان بعد تشكيل العراق الديمقراطي الشعبي لإزالة ما تصفه الإيديولوجية الماركسية برواسب الماضي ومخلفاته وفي المقدمة منها الدين والأنظمة المنبثقة عنه كعقود الزواج الشرعية والعلاقات الأسرية (العائلة) ووضع المرأة في المجتمع... الخ.

فتقرر القيام بحملة تثقيفية واسعة النطاق لتصفية تلك (الرواسب الموروثة) التي تقف عائقاً يحول دون صياغة المجتمع وفقاً لتعاليم ماركس وأنجلز ولينين.

وفي إطار حملة التثقيف تلك نزل سيل من الكتب إلى الأسواق من قبيل (الله في قفص الاتهام) و(أين الله) و(أصل العائلة) وعشرات الكتب الأخرى، هذا عدا عما كانت تنشره الصحف والنشرات المرتبطة بالحزب الشيوعي من مقالات فيها الكثير من التعريض بالعقائد الدينية والتقاليد والعادات التي درج عليها المجتمع العراقي، مما أثار موجة عارمة من السخط والاستنكار بين مختلف الفئات الاجتماعية ضد تلك الحملة على الدين وأهله... فتواردت الاستفتاءات على الجامعة الدينية في مدينة النجف وهي تطالب بتحديد موقف الشرع الإسلامي من العقيدة الماركسية ومن الانتماء إلى الحزب الشيوعي العراقي كما أن قطاعات واسعة من الناس كان قد التبست عليهم المفاهيم بعد أن صُوِّرت لها الشيوعية على أنها تعني في جوهرها إقامة العدل الاجتماعي وإحياء سيرة علي بن أبي طالب في الناس أيام ما كان حاكماً في الأمة. وهي أحد الوسائل الدعائية التي استخدمت للتأثير والكسب الحزبي خصوصاً في منطقتي الفرات الأوسط والجنوب، لذلك كان السائلين يلحون في الحصول على جواب واضح وقاطع من مقلديهم (كبار علماء الدين) بشأنها.

وجاء الرد من الإمام الأكبر السيد محسن الحكيم في فتواه التي أصدرها:
(لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد).
وقد أيّد الفتوى كبار العلماء بفتاوى مماثلة وهم:
١ ـــ الإمام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي.
٢ ـــ الإمام السيد محمود الشاهرودي.
٣ ـــ الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين.
٤ ـــ الإمام السيد مهدي الحسيني الشيرازي (وكان على رأس الجامعة الدينية في كربلاء).
٥ ـــ الإمام السيد عبد الله الشيرازي.
٦ ـــ الإمام السيد عبد الهادي الحسيني الشيرازي.

ولم يمتنع عن الإفتاء سوى الإمام السيد حسين الحمامي، وعلى إثر صدور الفتاوى التي سرت بين الناس كالنار في الهشيم احتشد المواطنون في مسيرات جماهيرية توافدت من مختلف مناطق العراق على مقر الإمام الحكيم في الكوفة.. معربة عن دعمها وتأييدها له ومعلنة تبرئها من الشيوعية.

ونشر نص الفتوى في جريدة الفيحاء البغدادية لسان حال الحزب الإسلامي في عددها الصادر في ١٣ شباط ١٩٦٠.

وكان لشيوع النبأ ولسرعة انتشاره تأثير كبير على قيادة الحزب الشيوعي العراقي التي فقدت جانب ضخم من رصيدها المعنوي بين شرائح اجتماعية كانت محسوبة على الشيوعيين كما أن آثار الفتوى سرت إلى خارج العراق.

ولم تخلُ المواجهة بين الحزب الشيوعي العراقي وجمهرة المتدينين من حوادث عنف واشتباكات استخدم فيها السلاح الأبيض والأسلحة النارية، وقد شهدت العديد من المدن العراقية مصادمات بين الجانبين كان أشدها في مدينة بغداد وفي الكاظمية بالذات، التي كان للشيوعيين فيها وجود حزبي مؤثر، وقد اندلع صراع مرير في ذلك القطاع الذي يضم أعداد ضخمة من السكان بين أتباع مدرسة (مدينة العلم) بقيادة الإمام الشيخ محمد الخالصي ومنظمة الحزب الشيوعي، تخللتها صدامات مسلحة قتل فيها العديد من الأشخاص وجرح الكثيرون خلال السنوات الأربع من حكم عبد الكريم قاسم.

ولقد لعب أتباع الإمام الخالصي دور كبير في السيطرة على الأوضاع في الكاظمية صبيحة الثامن من شباط ١٩٦٣. ورغم حالة العداء المريرة فإن الشيخ مهدي نجل الإمام الخالصي قام بالتوسط لدى رئيس الجمهورية عبد السلام عارف في وقت لاحق من عام ١٩٦٥ للعفو عن (١٢) سجيناً شيوعياً محكومين بالإعدام فاستجاب عارف للأمر وأصدر عفواً عنهم.

وقد أدرك الشيوعيون بعد جولات من النزال أن نفوذهم أخذ بالتقلص بسبب المجابهة مع المؤسسة الدينية وامتداداتها، فاتجهت جهودهم للبحث عن وسائل يمكنها أن تحد من فاعلية المفاصل المتحركة في تلك المؤسسة وأهمها (جماعة العلماء) المحرك الرئيسي للنشاط الديني ضد الشيوعية، فقرر الشيوعيون إنشاء تجمع مشابه يضم بعض رجال الدين المرتبطين بالحزب الشيوعي العراقي أطلقوا عليه اسم (جماعة رجال الدين الأحرار) مهمته أن يقف بالضد من جماعة العلماء ويشل من فعاليتها.. وبدأت تلك الجماعة بإصدار البيانات على غرار ما كانت تفعله جماعة العلماء الأصلية كما شن رجال الدين الأحرار حملة ضارية للتشكيك بجماعة العلماء ورموزها وإطلاق الشائعات حول عدم شرعية عملها بحجة عدم تأييد كبار العلماء لها.

فما كان من الإمام الحكيم وباقي العلماء إلا أن أصدروا تأييداتهم لجماعة العلماء رداً على محاولات التشكيك تلك وكتب الإمام أبو القاسم الخوئي نصاً جاء فيه:

«إن النشرات الدينية التي يتولى إصدارها (جماعة العلماء) والتي أقبل عليها المسلمون في كل مكان وعرفوها أنها دعوة إسلامية خالصة لوجه الله لهي ـــ بلا ريب ـــ تستمد دعوتها من القرآن وتأخذ أهدافها من تعاليم الدين فعلى أبناء المسلمين أن يسترشدوا بها أبداً ويتدبروا حقائقها ويعملوا بما جاء فيها من نواميس إسلامية تسعد حياة المسلمين وعليهم أن يدافعوا عنها كل غائلة ويجتهدوا في نصرتها (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وأسأل الله أن يوفق الجميع لذلك ليعيشوا في ظل عدالة الإسلام ونواميسه الخالدة وهو سبحانه ولي التوفيق».

٦ / رجب المرجب /١٣٧٨ **أبو القاسم الموسوي الخوئي**

ولعل أخطر ما واجه النشاط التنظيمي والفكري للحزب الشيوعي العراقي النشاط المماثل لحزب الدعوة الإسلامية ذي الطبيعة السرية الذي أصبح له وجود مؤثر في محافظات الوسط والجنوب التي يعتبرها الشيوعيون تاريخياً مقفلة لحساب تنظيماتهم.

وشهدت جامعات القطر التي تحولت إلى ميدان رئيسي للمواجهة الفكرية بين الايديولوجيتين الإسلامية والماركسية صراعاً حامياً بين أصحاب الاتجاهين، وكان لأفكار الإمام السيد محمد باقر الصدر وكتبه (فلسفتنا) و(اقتصادنا) الأثر الأكبر في نقد (الاشتراكية العلمية) بأدلة علمية لم يتمكن الشيوعيون من الرد عليها في ذلك الوقت.

وكانت التعليمات ترد إلى الشيوعيين بعدم الدخول في مناقشات فكرية مع المتدينين.

وبعد مجيء البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨ وانتقال الحزب الشيوعي من صفوف المعارضة إلى جانب حزب السلطة، بدأ التنسيق بين الحزبين الحليفين لملاحقة النشاط الديني الذي تصاعد في السبعينات بوتائر عالية وبدأت طريق الشعب الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي التي رخّص لها في أيلول ١٩٧٣ بتحريض السلطة على ملاحقة الإسلاميين، فكتبت في أعدادها الأولى مانشيتاً تحت عنوان:(أوقفوا النشاط الرجعي في جامع التميمي) ويقع الجامع المذكور في منطقة الكرادة الشرقية وكان السيد مهدي الحكيم يؤم المصلين فيه ثم تولى السيد حسين السيد هادي الصدر إمامة المسجد وإدارة النشاط الإسلامي في المنطقة التي شهدت تحركاً واسعاً لحزب الدعوة الإسلامية. وبلغ تعاون الشيوعيين مع السلطة ذروته في انتفاضة صفر (شباط ١٩٧٧) عندما أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي توجيهاً داخلياً في ١٩٧٧/٢/٨ إلى جميع منظمات الحزب فيما يلي نصه:

«إلى جميع اللجان الحزبية...الرفاق الأعزاء...

يشهد الوضع الداخلي تفاقماً في النشاطات التآمرية الموحى بها من قبل الأوساط الإمبريالية والرجعية والاحتكارات البترولية، المعادية للسلطة الوطنية ولمسيرة قطرنا الثورية، ويتجسد هذا التفاقم في الوقت الحاضر باستغلال المشاعر الدينية والطائفية، ومحاولة إثارة الجماهير للقيام بأعمال استفزازية تحت هذه الواجهات بمناسبة أربعينية الإمام الحسين، ويبدو من الوقائع التي جرت خلال الأيام السابقة، أن هذا النشاط (الديني الطائفي) المعادي للسلطة الوطنية ما هو إلا ستار لمؤامرة رجعية إمبريالية تستهدف المسيرة الثورية لبلادنا، ومكتسبات شعبنا وكل إنجازات ثورة ١٧ ــــ ٣٠ تموز التقدمية.

إن حزبنا الشيوعي العراقي يقف بحزم إلى جانب السلطة الوطنية وحزب البعث العربي الاشتراكي الحليف. ويعتبر هذه النشاطات التآمرية المعادية، تحت أية صورة ظهرت وبأي شعار تسترت موجهة إلى جموع شعبنا المناضل وجماهيره الكادحة ومكتسباته التقدمية، إن

المكتب السياسي يدعو منظمات حزبنا والرفاق كافة إلى رفع اليقظة ومراقبة النشاطات التآمرية، والاتصال بمنظمات حزب البعث العربي الاشتراكي الحليف، وتنشيط لجان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية لغرض التنسيق للقيام بأعمال مشتركة ضد التآمر وأعمال التخريب والاستفزاز وفضحها على نطاق جماهيري وبهدف تبصير الجماهير بحقيقة هذه التحركات وأهدافها وارتباطاتها بالإمبريالية والرجعية والأضرار الجسيمة الناتجة عنها، والمخاطر التي تجسدها على مسيرة شعبنا الثورية، ومجموع حركة التحرر الوطني العربية. إننا على ثقة من أن شعبنا وسلطته الوطنية وقواه التقدمية المؤتلفة في الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ستواصل بثبات مسيرتها الظافرة وستلحق هزيمة أخرى بقوى الظلام والرجعية والإمبريالية.

المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ٨ / شباط /١٩٧٧

وجرى التأكيد على موقف الحزب الشيوعي المتضامن مع السلطة في اجتماعات اللجنة العليا للجبهة الوطنية التي عقدت في مبنى المجلس الوطني في ١٥ شباط ١٩٧٧ والتي جاء في بيانها الختامي ما يلي:

«أكدت اللجنة في اجتماعها أن الأعمال التخريبية التي تمت يوم ٦ و٧ شباط في محافظة النجف الأشرف إنما هي من صنع الدوائر الاستعمارية والرجعية الحاقدة على مسيرة الثورة ومكتسباتها الديمقراطية والتقدمية مما يتطلب فضح أغراضها والقوى الرجعية والاستعمارية التي تقف وراءها ومواجهة مثل هذه الأعمال والمخططات بحزم».

ولم يكتفِ الشيوعيون بالتضامن مع السلطة وإنما سيروا مفارز ودوريات مشتركة مع البعثيين في محافظتي النجف وكربلاء كتعبير عن التلاحم المصيري بين الحزبين الشقيقين. وبعد سحق الانتفاضة أعرب الحزب الشيوعي عن قناعته بما أقدمت عليه السلطة من بطش وتنكيل بحق زوار الحسين باعتباره حق من حقوقها... جاء ذلك في البيان الصادر عن الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية المنعقد في ١٩٧٧/٢/١٨ والذي ورد فيه:

«إن اتخاذ إجراءات الحزم ضد النشاط التآمري حق من حقوق الثورة، ومبدأ يحدد واجبات القوى الثورية في صيانة منجزاتها».

وقد علقت جريدة طريق الشعب في مقال افتتاحي على ما جاء في تقرير اللجنة المركزية وذلك في عددها الصادر في ١٩٧٧/٢/٢٧ بالقول:

«... وعلى هذا الأساس الذي رسمه بيان اللجنة المركزية، فإننا ننظر إلى الإجراءات الرادعة التي اتخذت بحق العناصر البارزة التي ساهمت في أعمال التخريب والتآمر باعتبارها حقاً من حقوق الثورة في الدفاع عن المنجزات التقدمية والمسيرة الثورية التي اختطتها قيادة السلطة الوطنية وأيدتها وأسهمت في تحقيقها جماهير الشعب وقواه التقدمية، ونود أن نشير إلى الأهمية الكبيرة للموازنة الدقيقة التي تم الاستناد إليها في الموقف من العناصر المخربة، ضرورة إنزال العقوبات الرادعة والصارمة من جهة، وأخذ جانب الأغطية الاجتماعية التي استخدمتها قوى التآمر بعين الاعتبار من الجهة الأخرى. إن مثل هذا المنطلق السليم (الذي مارسته السلطة الثورية) يضيع على المخربين وأسيادهم فرصاً يتوهمون أنهم قادرون على استخدامها في أعمالهم التآمرية اللاحقة».

كما نشرت طريق الشعب في عددها ١٠٤٣ الصادر في ١٩٧٧/٣/١ بياناً عن اجتماع السكرتارية العامة للجبهة تحت عنوان:

(السكرتارية العامة للجبهة الوطنية تثمن القرارات الثورية للقيادة السياسية)

«عقدت السكرتارية العامة للجبهة الوطنية والقومية التقدمية اجتماعها الدوري مساء أمس برئاسة الرفيق نعيم حداد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي سكرتير عام الجبهة. وثمنت السكرتارية القرارات الثورية التي اتخذتها القيادة السياسية ضد الزمرة الخائنة التي ارتضت أن تكون أداة في يد الاستعمار لتنفيذ مخططاتها التي لم تكن بعيدة عن رصد وتشخيص قيادة الحزب والثورة.

وأشادت بصواب النهج المبدئي والمثل التي آمنت بها قيادة الحزب والثورة والمواقف الحازمة التي اتخذتها دائماً في التصدي لكل المحاولات الإجرامية التي تستهدف الثورة وجماهيرها المناضلة.

وأكدت أصالة الثورة ووعيها وإدراكها في معالجة المحاولة الدنيئة التي قامت بها الزمرة الخائنة في الخامس والسادس من شباط في محافظة النجف مستغلة المناسبة المقدسة. كما ثمنت نظرة الثورة العلمية الصائبة إلى تلك المحاولة باعتبارها دبرت من قبل الدوائر الاستعمارية والرجعية الرامية إلى تنفيذ مخططاتها التآمرية والتخريبية في عراق الثورة».

عقدة الدين في الفكر الشيوعي.. وأثرها على الحوار بين الشيوعيين والإسلاميين العراقيين

• عقيل عباس

لعله ليس من المبالغة القول أن التوتر هو السمة الأساسية التي طبعت العلاقة المضطربة أساساً بين التيارين الإسلامي والماركسي في العراق ماضياً وحاضراً. ففي أسوأ مراحلها تميزت هذه العلاقة ـــ أو انعدامها على الأصح ـــ بصدام صريح وعنيف أحياناً، فيما كان الارتياب المتبادل سمتها الغالبة في المراحل الأقل توتراً فيها على نحوٍ ما، ولم تفلح اللقاءات الكثيرة التي جمعت ممثلي الطرفين والتي تتمخض عنها غالباً بيانات تطفح إيجابية وهي تؤكد على تنسيق مواقف التيارين وانسجامها أحياناً بخصوص الشأن العراقي، أن تقنع الكثيرين منا أن ثمة تقارباً حقيقياً بعيد المدى بين الطرفين يتجاوز تقارب إعلاناتهما السياسية المهذبة التي سرعان ما يطويها النسيان لتستقر من جديد حقيقة الهوة الشاسعة التي تفصل التيارين.

يبدو غريباً أنه في زمن تراجع الخطابات الايديولوجية الصارمة، وهو تراجع ظهر واضحاً حتى في طروحات وممارسات التيارين نفسيهما، أن الزمن الايديولوجي السابق الذي عاشه كلا التيارين لا يزال يطبع تعامل أحدهما من الآخر فلازال الارتياب والتشكيك، وإن كانا أقل علانية من السابق، سائدين، وما عدا فإن أقصى ما تحقق بين التيارين هو الهدوء والترقب الحذران.

أعتقد أن غياب رغبة الحوار الحقيقي والتأسيس المشترك بين الماركسيين والإسلاميين هو أحد مظاهر الأزمة العراقية العامة، التي يُعد وجود نظام صدام حسين مظهراً أخراً لها، وهي أزمة الهوية العراقية المشتركة ومواطن الخلل الكامن في مفاصلها التي غالباً ما تمظهرت

من خلال إشكاليات عديدة كإشكالية الآخر المختلف (حقيقياً كان أم وهمياً) وإشكالية الديمقراطية، وإشكالية الانتماء القيمي وإشكالية تصنيم التفكير الاجتماعي العام القائم بعضه على أوليات معرفية مغلوطة قلّما تتعرض إلى المسألة والتمحيص أو التطوير. ولا أعتقد أن التعامل مع التاريخ السياسي المباشر للتيارين وصدامهما سيفضي بنا إلى نتائج مهمة تساعد على تفسير أسباب الصدام ومحاولة تجاوزها فالتاريخ السياسي المباشر ليس في آخر الأمر (أو على الأقل في ممارستنا العراقية له) إلا تاريخاً فوقياً يؤرخ للحدث من وجهة نظر معينة سعياً لإلقاء اللوم على هذا الطرف أو ذاك. كما يبدو لي أننا بحاجة إلى تجاوز هذا التبسيط المضر القائم على ثنائية خطأ الآخر ونقاء الذات. والتعامل مع تاريخ آخر أوسع مدى وأكثر أهمية رغم تعرضه لإهمال أكبر هو تاريخ منظومة القيم الاجتماعية والفكرية العراقية التي ساهمت ـــ من خلال تناقضاتها العديدة ـــ في إنتاج وقائع سياسية لا تقل تناقضاً فيما بينها كوجود التيار الماركسي والتيار الإسلامي بل وحتى نظام صدام حسين نفسه. إن هذا لا يعني أن علينا أن نفترض أن غياب الاختلاف أو التناقض في حركة أي مجتمع على الصعيد الفكري أمرٌ واقعي ممكن لكن أن يتأصل الاختلاف سلباً على نحو يجر نتائج كارثية كما هو الحال عراقياً بدل أن يصبح حافزاً إيجابياً لفهم أكثر شمولية وتأسيساً لواقع ذي مدى أرحب وأغنى، يكشف أحد المفاصل الأشد مرضاً في الجسد العراقي العام. إنه وباختصار شديد ومؤلم غياب التقاليد الصحية لإدارة الخلاف على نحو مثمر ومفيد رغم الحشد اللفظي الجميل الذي يكرسه المعارضون العراقيون ماركسيين وإسلاميين وسواهم ناهيك عن مساهمة النظام بحصته الوفيرة في هذا الصدد أيضاً، بخصوص ترحيبهم بالرأي الآخر وإعلاناتهم المتكررة عن أنه عامل أغناء وتطوير وتجديد...إلخ.

لماذا لا يستطيع الماركسيون والإسلاميون أن يُجروا حواراً عميقاً وصحياً ومثمراً يعززان من خلاله مشتركهما العراقي؟ يبدوا أنه من الإنصاف اعتبار أن حواراً استراتيجياً كهذا ضرورة أخلاقية ووطنية تحتمها الأزمة الهائلة التي تلف الوطن في ظل دكتاتورية نظام صدام حسين، لكن عدم حصول حوار من هذا النوع نتيجة شبه طبيعية لوضع غير طبيعي يتمثل بغياب هوية وطنية عراقية واضحة ومتماسكة، أعتقد أن كلا التيارين ساهم دون قصد وبمقادير مختلفة في تأخير أو تعطيل صياغتها. قد يبدو هذا إتهاماً كبيراً يحتاج إلى كثير من الإثبات.

كيف ساهم التياران في الوقوف بوجه صياغة العراقية ذات الطابع الجمعي؟

الجواب لأنهما ناتج لثقافتين مختلفتين أصّرتا من خلال ممارستهما الفكرية والسياسية على ترسيخ مفهوم الانفصال بدل الاتصال في تعامل كل منهما مع آخره العراقي.

وقبل الشروع في مناقشة هذا الأمر لابد من تحديد ما نعنيه بالضبط بمسمى التيار الماركسي والتيار الإسلامي. اخترت عمداً أن لا استخدم تسمية الحزب الشيوعي فهذا الأخير هيكل تنظيمي قام على فهم معين للماركسية ولم يضم جميع الذين آمنوا بصورة جزئية أو كاملة بالمنهج الماركسي. صحيح أن الحزب الشيوعي العراقي هو الحركة العراقية الرئيسية والأهم في مجال تبنيها الفكر الماركسي كما أن هذا الفكر لم يدخل إلى العراق أصلاً بدون الجهد التنظيمي والفكري الذي بذله الأوائل من الشيوعيين العراقيين. ما أعنيه بالتيار الماركسي هو كل أولئك الذين آمنوا جزءاً أو كُلاً، من خلال اتصالهم بالفكر الماركسي الوارد إلى العراق،إنه المصدر الوحيد لجميع الأفكار والقيم والتشريعات التي آمن بها ومارسها الإنسان هو تجارب البشر المادية وتفاعلهم مع محيطهم وبالتالي فإن فكرة الأصل الغيبي للشرائع، بالنسبة لهم، ما هي في حقيقة الأمر إلا فكرة بشرية خالصة. إضافة إلى ذلك هناك شرائح واسعة نسبياً تأثرت بجوانب معينة في الممارسة الماركسية مثل تشكيل نقابات العمل وتنظيم التظاهرات والعصيانات والإضرابات المدنية ذات الطابع المطلبي والتشجيع على الاستزادة المعرفية والثقافية وعدم التأكيد على الانتماء المذهبي والقومي وغيرها من الممارسات التي حاول الماركسيون العراقيون ترسيخها. لم يكن تأثر هذه الشرائح بهذه الجوانب في التطبيق الماركسي مانعاً من احتفاظها بإيماناتها الدينية التقليدية ومزاولتها إياها. وعلى هذا النحو ليس صحيحاً افتراض أن كل من تأثر بالماركسية أو جوانب معينة فيها هو بالضرورة معاد للدين أو ملحد.

وعلى نحو مشابه فإن مسمّى التيار الإسلامي يحمل إشكالياته الخاصة به أيضاً، فعلى العكس من التيار الماركسي الذي اتشح تنظيمياً وفكرياً بحركة سياسية معينة هي الحزب الشيوعي العراقي ضمّت الماركسيين العراقيين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الاثنية، فإن الإسلاميين العراقيين موزعون مذهبياً وأثنياً وبالتالي فإنهم ليسوا ممثلين من خلال حركة واحدة، فهناك إسلاميون شيعة وإسلاميون سنّة وإسلاميون أكراد وإسلاميون تركمان على سبيل المثال، كما أنهم يختلفون في درجة التنظيم الحركي والتحالفات السياسية بل وحتى أطرهم الفكرية رغم اشتراكهم جميعاً بالمسمى الإسلامي العام، ثمة إشكالية أخرى تتعلق بكيفية تعريف الإسلاميين العراقيين، هل هم أولئك الداعمون إلى إقامة دولة إسلامية في العراق وهو شعار أخذ الإسلاميون العراقيون في السنوات الأخيرة

يتجنبون الخوض فيه بذات الطريقة التي أخذ الماركسيون العراقيون تجنب الخوض في تحقيق شعارهم السابق بإقامة دولٍ ذات طابع ماركسي في العراق؟ هل يعتبر الشخص المتدين دون انتماء سياسي إسلامياً بالضرورة؟ كل هذه أسئلة شائكة تحتاج إلى إجابات واضحة إلاّ أن هذه الصفحات ليست مكاناً لاقتراح هذه الإجابات.

ما أريد الوصول إليه هو أن العنوان الإسلامي في العراق ضخم ومعقّد أكثر مما هو عليه الحال في العنوان الماركسي الأصغر والأوضح نسبياً. رغم هذا كله فإن الكتلة الإسلامية الأكبر التي عرفت تاريخياً بخلافها مع الماركسيين العراقيين هي المؤسسة الدينية الشيعية والحركة السياسية الشيعية، ولابد من التفريق بين هذين الاثنين.

من الناحية التاريخية تمثل المرجعية الشيعية في العراق الإطار الروحي العام الذي يتفاعل معه أو ينتسب إليه معظم الشيعة العراقيين بصرف النظر عن درجات إيمانهم الديني، ثم جاءت الحركات الإسلامية الشيعية العراقية كحزب الدعوة والمجلس الأعلى ومنظمة العمل الإسلامي وغيرها لتؤكد وبصور مختلفة أنها تستمد شرعيتها الدينية والسياسية من المرجعية الدينية، على الرغم من أن هذه إشكالية أخرى تحتاج إلى بحث مستقل.

المهم في الأمر هو أن الصدام الإسلامي ـــ الماركسي هو بصورته الأساسية صدام بين المؤسسة الدينية الشيعية والحزب الشيوعي العراقي سبق ظهور الحركات الشيعية الآنفة الذكر التي ورثت هذا الصدام على أساس أنها امتداد شرعي للمؤسسة الدينية. وهكذا فإن ما نحتاج إلى التعامل معه وبصورة دقيقة هو الصدام بين المرجعية الشيعية والحزب الشيوعي العراقي.

السؤال إذن: كيف رسّخ كل منهما من خلال الممارسة مفهوم الانفصال في الفكر الاجتماعي العراقي على نحو ساهم في تشكيل ما يمكن أن نطلق عليه بالكانتونات الاجتماعية المغلقة التي أضرت كثيراً بالجسم الاجتماعي العام للوطن العراقي؟ أود أولاً أن أتعامل مع دور المرجعية الشيعية بهذا الصدد ثم انتقل بعدها إلى دور الحزب الشيوعي العراقي.

تميزت المرجعية الشيعية في العراق بتمتعها بسلطة روحية واسعة في أوساط الجمهور الشيعي في العراق إذ كان الحضور المرجعي في الذهنية الشيعية العامة قوياً وواضحاً إلاّ أن هذا الحضور ظل مقتصراً على الجوانب الروحية والدينية فقط ـــ مع استثناء مرجعيتي الصدر الأول والثاني وبعض المرجعيات الأولى ـــ ولم يمتد على الجوانب الاجتماعية والسياسية في حياة الناس، فمن الواضح أن هناك فهماً تاريخياً تأصّل في الأوساط المرجعية

يقوم على فكرة الابتعاد عن الدخول في حلبة الجدل الاجتماعي والسياسي في البلد والتركيز على الدور الفقهي الصرف الذي اعتادت المؤسسة الدينية على تأديته على امتداد مئات الأعوام. صحيح أنه في حالات الأزمات والأحداث الكبرى التي مرّ بها البلد شهدنا خروج المرجعية على مألوفها التاريخي وممارستها لدور سياسي معيّن كما هو الحال في تحشيدها الجمهور الشيعي ضد الدخول البريطاني إلى العراق، إضافة إلى الدور القيادي التي لعبته هذه المرجعية في التهيئة لثورة العشرين. كما كان للفقهاء الشيعة الكبار دور مهم في مقاومة محاولة الاحتلال البريطاني وتكريس وجوده من خلال ربط العراق بمعاهدة انتداب جائرة في عام ١٩٢٢ لمدة عشرين عاماً. في حينها اعترض هؤلاء الفقهاء على المعاهدة وأفتوا بحرمة المشاركة في الانتخابات التي كانت ستؤدي إلى تشكيل البرلمان العراقي الذي كانت مهمته المصادقة على هذه المعاهدة. وعلى مدى تسعة أشهر تالية فشلت محاولات الاحتلال البريطاني والسلطة العراقية في إجراء الانتخابات إزاء الرفض الشعبي العارم في المشاركة فيها. كان للدعم السنّي في بغداد والموصل على الأخص لفتوى الفقهاء الشيعة أثر مهم في توسيع وتعميق الرفض الشعبي للمعاهدة، لم تنته المواجهة إلاّ بعد أن قامت السلطات العراقية بافتعال أزمة سريعة قامت على أثرها بإبعاد الشيخ مهدي الخالصي، الذي كان من أشد معارضي المعاهدة وصاحب الفتوى الأكثر تحريضاً ضدّها وضد المشاركة في الانتخابات، إلى عدن ومن هناك إلى إيران. تضامن المجتهدون الكبار الآخرون مع الشيخ الخالصي وقرروا الرحيل إلى إيران وعدم العودة إلى العراق إلا بعد أن ترفع الحكومة أمر الترحيل ضد الشيخ الخالصي وتسمح بعودته إلى العراق. لم يكن تطوع المجتهدين الآخرين بترك العراق بالضرورة فعلاً سياسياً مفيداً إذ خلق حالة فراغ قيادي هائل استفادت الحكومة منه وقامت بتعديل بعض بنود المعاهدة بغية تسويقها مرة ثانية لتنجح أخيراً في إجراء الانتخابات وتمرير المعاهدة.

منذ تجربة عام ١٩٢٣ هذه أخذت المشاركة المرجعية في العمل السياسي تتراجع تدريجياً على امتداد الزمن حتى بروز نجم المفكر الإسلامي والمرجع لاحقاً الشهيد الصدر الأول ومن بعده الشهيد الصدر الثاني. ومع ذلك فإن حالات الدخول في فعل سياسي معين ظلت موجودة وإن لم تكن بالحجم والزخم السابقين، يمكننا في هذا المجال أن نشير إلى موقف السيد محسن الحكيم من الحزب الشيوعي العراقي وفتواه المعروفة بحرمة الانتماء إليه في عام ١٩٦٠، إضافة إلى مساهمة السيد أبي القاسم الخوئي في انتفاضة آذار ١٩٩١، إن مراجعة دقيقة لأسلوب وطبيعة العمل السياسي الذي تشترك فيه المرجعية يكشف لنا

خصيصتين أساسيتين ومتلازمتين اتسم بهما هذه العمل، هما منطق رد الفعل والتلقائية السياسية. ما أعني بعبارة (منطق رد الفعل) هو أن العمل السياسي الذي قامت به المرجعية يأتي دائماً في محاولة لتصحيح وضع خلقه فعل سابق وتراه المرجعية شاذاً وبحاجة إلى تصحيح يبرر قيامها برد الفعل. تدخل جميع المساهمات السياسية للمرجعية الشيعية، مع استثناءات قليلة في إطار هذا الفهم، فقيادة المرجعية لثورة العشرين وتصادمها شبه المستمر مع الاحتلال البريطاني والحكم الملكي إضافة إلى اصطدامها مع حكم عبد الكريم قاسم وحتى موقفها في انتفاضة آذار ضد حكم صدام حسين كان جميعاً رداً على أحداث معينة وضعت المرجعية في موقع من يرد اضطراراً. وعلى هذا كرس هذا الفهم (الحدثي) للعمل السياسي ذهنية مرجعية ظلت مشدودة إلى تفاصيل الآني السياسي وأزماته دون أن تتجاوزه إلى أفق أكبر تستطيع من خلاله أن تمسك بزمام هذا الآني السياسي وتوجهه بدلاً من أن تكون مجرد رد فعل عليه، تعد غياب مبادرات التأسيس الشامل سياسياً التي يمكن أن تخلق طوفانات (حديثة) من الآني تنقل المرجعية إلى موقع المبادر والمقرر إحدى أهم علامات الأزمة التي يعيشها العقل السياسي العراقي.

أما بخصوص (التلقائية السياسية) فإن ما أعنيه بهذه العبارة هو تمظهر رد الفعل السياسي المرجعي بصورة شبه دائمة بالفتوى أو الاحتجاج، لأن المرجعية الشيعية في العراق تجنبت بناء وتطوير مؤسسات وآليات وأطر تنظيمية تقبض من خلالها على التفاصيل المهمة في النسيج الاجتماعي الشعبي وتحوله إلى قوّة تأسيس فاعلة تنسجم مع الصوت المرجعي الرسمي وتستجيب له، وجدت هذه المرجعية نفسها أمام خيارات محدودة عند الشروع برد الفعل تمثلت بخيارات الاحتجاج والفتوى.

إن ما يتمخّض عن هذين الشكلين من رد الفعل هو غالباً مبادرات عفوية لدى الجمهور الشيعي لدعم الموقف المرجعي بشأن الحدث الذي استدعى الإفتاء أو الاحتجاج.

عادة ما تتخذ هذه المبادرات العفوية شكل التظاهر والمقاطعة والاحتجاج وأحياناً العمل المسلح الذي تتخلله بطولات فردية جميلة لكن تبقى المشكلة الأساسية في هكذا مبادرات هي افتقارها للإستراتيجية السياسية الواضحة والوعي التنظيمي العالي اللذين يمكن أن يؤديا في حال توفرهما، إلى تجاوز شراك الآني (الحدثي) المحدود في تأثيره. ونكرر مرة أخرى استثناء مرجعية الصدرين الأول والثاني وبعض الأسماء الأخرى التي لم يأخذ عملها صفة المشروع التأسيسي ويقترب من معنى الدور المميز أو المواقف المميزة..

نقول باستثناء ذلك هنا ظهرت الملامح الأولى للانفصال المرجعي عن حركة الشارع الشيعي سياسياً واجتماعياً ومن المنطقي أن يستنتج المرء أن إحدى نتائج هذا الانفصال هي الانفتاح النسبي للشارع الشيعي أمام الحركات الفكرية التي حاولت أن تقدم أجوبة ما للمشاكل والمخاضات التي كان يعيشها هذا الشارع في خضم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية الكبيرة التي كان يمر بها. فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية مروراً بالخمسينيات والستينيات والسبعينيات وصولاً إلى التسعينيات مر الوسط الشيعي بإرهاصات هائلة كتلك التي تمثلت بالهجرة الواسعة من الريف نحو المدن والازدياد التدريجي لنسبة المتعلمين الأمر الذي فرض على الجمهور الشيعي، الذي عاش انعزالاً نسبياً عن مؤسسة الدولة سابقاً، الدخول في منظومة علاقات متشابكة وقسرية إلى حد ما مع الدولة العراقية الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني الآخذ في التبلور في حينه. يضاف إلى ذلك كان على هذا الجمهور التقليدي أن يحدد موقفه من التيارات الفكرية الصاعدة كالقومية والماركسية والديمقراطية والدينية.

لقد ساهم هذا كلّه وغيره من تغيرات اجتماعية واقتصادية في طرح وتعقيد إشكالية الهوية والانتماء القيمي. كانت المرجعية الشيعية (العليا) غائبة عن هذه الإرهاصات مكتفية بدورها الفقهي التقليدي القائم على تحديد موقف فقهي معين، قبولاً أو رفضاً، من ظاهرة ما دون أن تحاول التعامل مع هذه الظاهرة والتفاعل معها سواء كان هذا على صورة استفادة من هذه الظاهرة أو محاولة تحجيمها أو التأثير عليها. فعلى سبيل المثال لا الحصر تعاملت بعض المرجعية الشيعية مع ظاهرة شيوع التلفزيون والمطبوعات من كتب ومجلات وغيرها بصورة فقهية تقييمية بحتة فخرجت الآراء الفقهية للمؤسسة المرجعية بفتاوي ذات طابع تصنيفي ترى في التلفزيون مثلاً جهازاً محايداً يمكن استخدامه على نحو ينسجم أو يختلف مع التقييمات الأخلاقية التي قام عليها الشرع الإسلامي، وبالتالي فإن مهمة المكلّف الشيعي أن يمتنع عن مشاهدة ما يعرضه التلفزيون، من مواد قد تختلف مع الشرع الإسلامي فيما يمكنه مشاهدة ما ينسجم معه.

مارست بعض الحركات السياسية هذا النوع من الانتقاء التصنيفي الخطر الذي يُعد أحد أشكال الانفصال عن الواقع بدرجات متفاوتة، وللشيوعيين حصتهم من هذه الممارسة أيضاً. إلى أي مدى مثلاً كان هذا الانتقاء التصنيفي حاضراً في القرار الشيوعي بالتحالف مع النظام في بداية السبعينيات والدخول في تشكيل ما عُرف بالجبهة الوطنية التقدمية على أساس فهم ايديولوجي طبقي وجد في حزب السلطة الحاكم حزباً برجوازياً

ينتمي للطبقة الوسطى قابلاً للتطوير ديمقراطياً؟ إلى أي مدى ساهم الفهم في تأجيل الإدراك الشيوعي المتأخر أن (منطق التطور التاريخي) لم يكن حاضراً في تجربة التحالف، هذه، إذ ازداد النظام العراقي قمعاً ودكتاتورية ذهب الشيوعيون ضحية لها فيما بعد؟ إلى أي مدى كان الفهم الشيوعي الطبقي لثورة البارزاني باعتبار المكوّن الإقطاعي فيها مثلاً عاملاً مساعداً يضاف إلى تعقديات تحالفهم مع الحكومة وما تطلّبه هذا التحالف من مواقف بهذا الخصوص على اتخاذ الشيوعيين قرارهم بالوقوف ضدها مخالفين بذلك موقفهم التقليدي، والمتطور أصلاً، بدعم مطالب الأكراد المشروعة وتأكيد مظلوميتهم التاريخية؟ وأخيراً إلى أي مدى كان الفهم الطبقي الشيوعي بشأن (الطابع الرجعي) للممارسات الدينية السياسية سبباً في استنكارهم لانتفاضة رجب الإسلامية في عام ١٩٧٧؟

أعتقد أن هذه أسئلة مهمة تنطوي على حساسية للحاضر وهو فهم يحتاج إليه الشيوعيون بذات القدر الذي يحتاجه الإسلاميون والقوميون وغيرهم إذ أن لهم جميعاً حصّتهم من الممارسات السياسية التي قامت على أساس فهم انتقائي تصنيفي.

تُعد قضية الدين أحد أبرز مظاهر الانفصال في الفكر الشيوعي العراقي. في البدء لابد من الإشارة إلى أن معظم مناهضي الحركة الشيوعية العراقية وظفوا مسألة الدين ضدها بشكل دائم من خلال طرح ثنائية الإيمان والإلحاد والإصرار على أنه لا يمكن تقييم الشيوعية إلا من خلال هذه الثنائية المقترحة. تنتمي هذه الثنائية وعلى النحو الذي تم توظيفها ضد الشيوعيين العراقيين إلى الوعي التصنيفي الانتقائي الذي يختصر الظواهر الإنسانية ويبسّطها بدلاً من أن يتعامل مع تقيّداتها ويحاول التأثير في مساراتها. لقد ساهمت ثنائية الإيمان والإلحاد هذه في تحشيد قوى متنافرة فكرياً وموقعياً إلى حد كبير ضد الشيوعية العراقية بدءاً من نظام الحكم الملكي ومروراً بالانكليز وإيران الشاه والأميركان وجهات عربية والانتهاء بإسلاميين وقوميين وغيرهم كثيرين وقد أفرز هذا التحشيد كثيراً من الحساسية الشديدة التي طبعت تعامل المجتمع العراقي بصورة عامة موضوعة الإلحاد التي لم تخضع إلى معالجة جادة خارج ساحة الاحتراب السياسي بوعيها التصنيفي المشحون.

إن قراءة سريعة للعديد من الوثائق البريطانية بخصوص العراق ومذكرات الموظفين البريطانيين الذين عملوا فيه إضافة إلى مذكرات الكثير من الساسة العراقيين أثناء العهد الملكي وبعده تكشف الكثير من التحالفات الغريبة وغير المتوقعة ومحاولات التعاون الجادة

والخجولة والفاشلة بين العديد من هذه القوى والتي نشأت من تشاغر هذه الأطراف في تخوفها، كلٍ حسب أسبابه الخاصة، مما سمّي بخطر الإلحاد الشيوعي.

شيوعياً ساد نوع من التجنّب المتعمّد عن الخوض في هذه الإشكالية أو طرح قضية الدين بصورة متماسكة يمكن من خلالها التعامل مع تجربة الإيمان الديني كفعل اجتماعي حي يشكل جزءاً أو كلاً من ثقافة الأفراد ووعيهم بالعالم المحيط بهم ما دامت الشيوعية تطمح إلى تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يتحرك فيه هؤلاء الأفراد.

في أثناء قيامي بكتابة هذه المقالة بحثت في الكثير من الكتابات التي تناولت الشيوعية في العراق عن أي وثيقة شيوعية تتعامل مع قضية الدين فلم أجد شيئاً بهذا الخصوص، سوى القليل والقليل جداً، استفسرت من شيوعيين سابقين وحاليين، بعضهم كان في مواقع متقدمة في الحزب الشيوعي العراقي، إذ كانوا على معرفة بأي وثيقة من هذا النوع، فأكدوا عدم معرفتهم بوجود شيء من هذا القبيل وباستثناء بعض المقالات التي نشرت في الصحافة اليسارية الشيوعية الناشئة في العشرينيات والتي تم توجيه الانتقاد فيها لممارسات وأساليب تفكير دينية، لم يرد في الصحافة الشيوعية العراقية بعد تأسيس الحزب الشيوعي في بداية الثلاثينيات كتابات تنتقص من الدين الإسلامي أو تتعامل معه وهو الأمر الذي يشير إليه حنا بطاطو في الجزء الثاني من كتابه، إلا أنه يؤرخ لما يعتبره جدلاً مهماً ويتيماً جرى في سجن بعقوبة في الخمسينيات بين سجناء شيوعيين وعلى صفحات جريدة السجن السرية (كفاح السجين الثوري) تناول الجدل ــ حسب بطاطو ــ موضوع الأربعينيات الحسينية وفيما إذا كان ينبغي اعتبارها من وجهة النظر الشيوعية مظهراً دينياً متخلفاً وجامداً أم شكل من أشكال الممارسة الدينية ــ الاجتماعية التي يجب الاستفادة منها ثورياً بدلاً من تجاهلها وعدم استثمار الشحنة الثورية الكامنة فيها.

يبدوا غريباً أن لا يطور الحزب الشيوعي إطاراً نظرياً واضحاً يتعامل مع قضية الدين في الوسط العراقي، وما يضاعف هذه الغرابة هو أن الشيوعيين العراقيين تميّزوا مقارنة بسواهم من ممارسي العمل السياسي في العراق باهتمامهم بالنشاط الفكري والتنظيري. يبدوا لي أن غياب جهد التنظير الشيوعي بشأن الدين هو انعكاس للحساسية الشديدة التي هي حساسية عراقية عامة أولاً التي اختزنها الشيوعيون المبررة أحياناً وغير المبررة في أحيان كثيرة، من التوظيف العاطفي المفرط لهذه القضية على المستوى الشعبي والمؤسساتي، بعبارة أخرى يبدو لي أن (الخيار) الشيوعي بعدم التعامل مع قضية الدين هو محاولة لتجاوز أن يُحشر الشيوعيين ضمن ثنائية الإيمان والإلحاد المتعسفة على اعتبار أن الصمت عن تقييم

الممارسات الإيمانية بل احترامها على أساس أنها خيارات شخصية ناتجة عن وعي اجتماعي معين إضافة إلى تجنب استهداف الدين أو الترويج للإلحاد ينزع عن أيدي مناهضي الشيوعية سلاحاً مهماً يمكن أن يُستخدم لحشرهم مرة أخرى ضمن ثنائية الإيمان والإلحاد.

أعتقد أن عدم طرح الشيوعيين العراقيين لقضية الدين بصورة منهجية وواقعية شكل خطأً استراتيجياً فادحاً، فعلاوة على كون خيار الصمت نوعاً من أنواع الهروب إلى الأمام، كانت تكاليف هذا الخيار باهظة، لعل أحدها هو تأكيد وضع الشيوعيين العراقيين في المأزق الذي حاولوا تجنب الوقوع فيه، أي ثنائية الإيمان والإلحاد ففي غياب أن منهج شيوعي عراقي معلن في مناقشة هذه الثنائية، بدا منطقياً للكثيرين اعتبار الشيوعية العراقية على أنها امتداد للشيوعية السوفيتية والماركسية الكلاسيكية بشأن الدين وبالتالي أصبح ممكناً لمناهضي الشيوعية في العراق تفسير الصمت الشيوعي العراقي على أنه خيار تكتيكي لابد منه لتجنب الخوض في مواجهة قد تستغرق الشيوعيين وتكلّفهم خسارة كبيرة في الوسط الشعبي العراقي، وهو الأمر الذي حصل في الواقع.

لقد كان الترويج ضد الشيوعية في العراق هائلاً انطلاقاً من المقولات الماركسية التقليدية بشأن الدين مثل: الدين أفيون الشعوب، وقد لا يكون من المبالغة القول أن الكثيرين من الذين عارضوا الشيوعية في العراق اختصروها من خلال هذه المقولات وأمثالها. يساعدهم في ذلك بعض الممارسات الشيوعية والشعارات المعادية للدين التي أطلقت خلال بعض المظاهرات تاريخياً.

هل كان بإمكان الشيوعية العراقية أن تقترح مقاربة مغايرة للدين تتجاوز من خلالها الإرث الماركسي التقليدي بهذا الخصوص ودون أن تضحي بمنطلقاتها الفكرية الأساسية؟ أعتقد أن هذا الأمر كان، ولا يزال، ممكناً وأن عدم القيام به في السابق، كان أشبه بتضييع فرصة تاريخية مهمة. كيف هذا؟

أولاً: اعتبرت الماركسية الكلاسيكية أن وظيفة الإيمان الديني هو اقتراح حل روحي لمشاكل مادية حقيقية، إلا أن مشكلة هذا الحل أنه يبقى يتحرك ضمن إطار توفير العزاء النفسي للأفراد المؤمنين دون أن يمس أو يغير الواقع المادي الذي أنتج البؤس والمشاكل في المقام الأول. وعلى هذا الأساس رأت الماركسية الكلاسيكية في الإيمان الديني هروباً رومانسياً من ضغوط واقع قاس، إذ أن هذا الهروب يؤخر مواجهة هذا الواقع بصورة مادية والعمل على تغييره على مستوى الواقع المادي المعاش وليس على مستوى العزاء النفسي الديني فقط على هذا النحو، استقرت الماركسية على اعتبار الإيمان الديني شكلاً من أشكال الوعي الهروبي الذي يسبق الوعي العلمي الحقيقي الذي يستطيع مواجهة الواقع

الرديء وتغييره، الأمر الذي يعني أن سيادة الوعي العامي سيؤدي في نهاية الأمر إلى اضمحلال وزوال الوعي الهروبي ذي الطابع الديني.

ساد هذا الفهم للدين في الفكر الماركسي ثم جاءت التجربة السوفيتية لترسخه أكثر من خلال الممارسة وتعطيه رواجاً أكبر بين الحركات الماركسية في العالم في ذات الوقت الذي ساهم فيه هذا الفهم في تحشيد قوى وأوساط كثير ومتنافرة أحياناً للوقوف بوجه الشيوعية، رغم تعرض للمساءلة من داخل هذا المعسكر رغم أن تجارب حركات التحرر والمقاومة (والعديد منها ذات ميول ماركسية) في العالم أثبتت الدور الثوري الذي يمكن أن يلعبه الدين في مواجهة واقع قاس ومستغل.

لعلّه من معاينة إحدى هذه التجارب جاءت واحدة من أفضل المراجعات النقدية (والنادرة على أية حال) من داخل المعسكر الماركسي للمفهوم الشيوعي للدين، إنني أشير هنا إلى محاولة ريجيس دوبريه في كتابه المهم (نقد الفكر السياسي). ريجيس دوٍبريه هو مفكر ماركسي فرنسي معروف له مؤلفات عديدة وعمل في الثمانينيات مستشاراً للرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في شؤون أميركا اللاتينية. في الستينيات عاش دوبريه جزءاً من حياته في أميركا اللاتينية، وهو يقاتل إلى جانب الحركات اليسارية هناك ضد النظم الدكتاتورية المدعومة من قبل الولايات المتحدة، اعتقل في نهاية الستينيات في بوليفيا وحكم عليه بالسجن بضع سنوات، مُنع خلاها من قراءة أي كتب باستثناء الكتب الدينية التي كان يجلبها له قس كاثوليكي مسموح له وحده بزيارة دوبريه. في خلال سني سجنه شرع دوبريه بكتابة (نقد الفكر السياسي) الذي نشره بعد خروجه من السجن وعودته إلى فرنسا.

يتناول الكتاب موضوع التوظيف الماركسي للايديولوجيا وعلاقة هذا التوظيف بالدين. يشير دوبريه إلى أن الماركسية في تحليلها للدين ظلت تراوح في ذات الحيز الذي رسمه ماركس و لم يخضع هذا التحليل إلى مراجعة جادة أو محاولة تطوير ذلك.

إن ماركس، بحسب دوبريه، «أصّر على فهم الدين على أنه منظومة وعي فوقي زائف ناتج عن حالة البؤس فشل في فهم الواقع الإيجابي لطقوس العبادة الدينية، فبسبب تركيزه على الدين كمنظومة وعي صورية لم يستطع أن يرى فيه قوة جمعية منظمة».

يحاول دوٍبريه من خلال نقده لماركس لفت الانتباه إلى أهمية المنظومة سلباً وعلى نحو كلي استناداً إلى أسباب وجود هذه المنظومة أصلاً كما فعل ماركس، يجب فهم طريقة عمل هذه المنظومة والكيفية التي تُنظم فيها حياة الناس والتفاعل معها على هذا الأساس.

باختصار يرى دوبريه أن الدين ليس مجرد وعي فوقي سيتجاوزه الزمن والتقدم المعرفي بصورة تدريجية كما تصور ماركس بل واقع متداخل ينمو ويتفاعل مع الأشياء وأنه لابد من التعامل معه كقوة تنظيم حيّة. المهم في تعامل دوبريه مع الإيمان الديني هو ابتعاده عن التعاطي الانطولوجي مع المسألة «أي فيما إذا كان أصل الدين هو البؤس الاجتماعي أم الله أم الفلاسفة المصلحون..الخ» والتأكيد عوضاً عن ذلك على قوة التنظيم الاجتماعي والفكري التي يختزنها الإيمان الديني.. إن هذه المحاولة ولو أنها لم تفي بالغرض كاملاً إلا أنها تبقى محاولة.

ألم يكن ممكناً للشيوعيين العراقيين أن يطوروا منهجاً شبيهاً وتفصيلياً يتعامل مع الدين انطلاقاً من كونه منظومة عبادات وعلاقات متداخلة تفسر ظواهر الحياة وتؤثر فيها دون الحاجة إلى الوقوع في المطب الانطولوجي الذي يفضي طرحه إلى مواجهة ثنائية الإيمان والإلحاد؟ أما كان هذا سيتيح للشيوعيين خيار التفاعل مع الممارسات الدينية الإيجابية وانتقاد السلبية منها اعتماداً على منهج منفتح ومتفهم لفكرة الإيمان الديني؟ بالتأكيد أن تطوير منهج كهذا يتصل بحياة الناس وإرهاصاتها يحتاج شيوعياً إلى جهد جبار وحذر وشجاع يتجاوز المنهج (المجامل) الحالي الذي يحتمي بعبارات الاحترام العمومية عند اضطراره للتعامل مع واقع الإيمان الديني.

إن تطوير منهج كهذا ليس ضرورة معرفية وسياسية بالنسبة للشيوعيين فحسب بل هو ضرورة واقعية أيضاً تمليها حقيقة الخسائر الكبيرة التي تكبّدتها الشيوعية العراقية محلياً بسبب تجنبها التعامل مع المكون الإيماني باعتباره مفصلاً مهماً وحيوياً في الحياة العراقية.

من المنطقي أن يفترض المرء أن غياب رؤية شيوعية تفصيلية يسترشد بها الشيوعيون في التعاطي مع مفردات الإيمان الديني وأثرها في تشكيل حركة المجتمع العراقي أدى إلى تفعيل حالة من الضبابية الفكرية لدى شيوعيين كثيرين عند التعامل مع هذه المفردات الأمر الذي سهل انزلاق بعض الشيوعيين وعلى نحو فردي في ممارسات وإعلانات غاضبة ومتشنجة فسرها العقل الاجتماعي الشعبي العراقي جمهور المؤمنين على أنها تستهدف الدين أو تفضي للإلحاد في آخر الأمر، مثل تصوير رجال الدين على أنهم طبقة منتفعة اقتصاديا تعتاش على جهل الناس،والاستخفاف بفكرة أعطاء المهر إلى المرأة عند الزواج وغيرها.

ولم تقتصر الإفرازات السلبية لهذه الضبابية على الجانب الفردي المتعلق ببعض الشيوعيين فقط بل تعدتها إلى المؤسسة الشيوعية الرسمية إذ طبعت هذه الضبابية ذات الجذر الانفصالي ببعض تعاملات الحزب الشيوعي مع أطراف أخرى في المعارضة العراقية، فمثلا لم يكن الحزب الشيوعي العراقي إلى بداية الثمانينيات يعتبر المعارضة الإسلامية على أنها

معارضة وطنية، إذ كان يرى أنه يغلب عليها المكون الرجعي الطائفي «وفي مشهد آخر من مشاهد الوعي التصنيفي الانفصالي، لا ينبغي أن ننسى أن المعارضة الإسلامية في ذات الوقت لم تعتبر الحزب الشيوعي حركة وطنية تشنجاً من خلال تأخير الحزب الشيوعي العراقي ولادة لجنة العمل الوطني المشترك عاماً كاملاً بسبب معارضة استخدام عبارة بسم الله الرحمن الرحيم في مقدمة بيانها التأسيسي في عام ١٩٩٠ وهو ممكن أن يقدم مبرراً جاهزاً أو سريعاً لمن يريد أن يستثمر أكثر في عملية شبطنة الحزب الشيوعي العراقي واختصاره تحت عنون الإلحاد».

مصادر البحث:

1 – Nakzsh, Yitzbak The Shiis of Iraq. Princeton University Press. Priceton 1994 P82.

٢ ــ سعيد، د علي كريم، عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب شبيب. دار الكنوز الأدبية. بيروت ١٩٩٠ أنظر صفحات ٢٠٣ و٣١٤.

٣ ــ العلوي، حسن. الشيعة والدولة القومية ١٩١٤ ــ ١٩٩٠ الطبعة الثانية. دار الثقافة للطباعة والنشر. قم إيران انظر صفحة ٢١٥.

٤ ــ بطاطو. حنا. العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار. الكتاب الثالث ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ١٩٩٢ انظر الصفحات ٢٣٠ و٢٣١و٢٣٧و٢٢٨.

٥ ــ المصدر السابق الكتاب الثاني أنظر الفصل السابع والعشرين بدءاً من الصفحة ٣٦٠.

٦ ــ هذا هو تلخيصي لمقال لكارل ماركس بعنوان (مساهمة في نقد فلسفة هيغل عن القانون) المقال المنشور باللغة الانكليزية في كتاب:

On Religion ,Enggles ,Marx .1975, Moscow. Progress Publischers

أنظر المقال من صفحة ٣٨ إلى صفحة ٥٢.

7 – Debray, Regis. Critique of Reason. Tran, David Marcey. The Thetord Press Ltd, London. 1983.p.11.

المصدر: مجلة دراسات عراقية، العدادان ١٦و١٧ نيسان ٢٠٠١ (٦ــ ١٩).

الحزب الشيوعي والمسألة الدينية

• أكرم سليم

مما يميز فكرنا المعاصر أنه يتسم بقدر كبير من عدم الدقة في تحديد المفاهيم قبل مناقشة أي قضية أو موضوع، فمن الغرابة أن يدور حوار أو نقاش لمدة سنوات دون الاتفاق على حد أدنى على تعريف المفاهيم المكونة لهذه القضية أو تلك وهذا ما يجعل النقاش في أغلب الأحيان أقرب إلى المغالطات الصريحة والجدال السجالي العقيم. فآلية عدم تحديد المفاهيم والمقصود بها تسويق وترويج بعض الأفكار دون التوقف عند مدلولاتها توظف فقط لأنها الأكثر إثارة ودون بذل أدنى جهد لأستخراج مفاهيم أصيلة من خلال النقد والفحص بل تروج تلك المفاهيم لأغراض سياسية فقط والاقتراب من تلك المفاهيم كسياسيين وليس كمفكرين وعلماء وطنيين لذلك يغطي غبار السياسة وضباب الايدولوجيا على كل علم أو معرفة صحيحة ضمن الإطار الوطني المطلوب ولذلك يلجأ البعض إلى تزييف الوعي بهدف سحب أيدي الجماهير للقوى الأخرى بغض النظر عن الأسلوب والطريقة والقيم والمبادئ التي تكمن وراء عملية تجييش وتعبئة الشارع وتحريك الجماهير.

وفيما يخص رأي الماركسية كنظرية بالدين فأنها تنظر إليه باعتباره جزءاً من الأيديولوجية التي تلعب دوراً فاعلاً في اللحظات الحرجة من السيرورة التاريخية وقد يكون ثورياً كما جرى في النضال ضد العقلية الإقطاعية وأحياناً ضد الكولونيالية في عصرنا.

والماركسية لا تصادر حرية العقائد سواء كانت دينية أو علمانية ولا حرية العبادة ولكنها متحزبة لفكر الطبقة العاملة ضد الفكر البرجوازي الإقطاعي والأفكار الغربية، دون أن تنغلق على نفسها إذ إنها تقيم كل ما هو إيجابي في المدارس الفكرية الأخرى وتتبناه وتناضل ضد كل ما هو سلبي وترفضه وقد تبنى ماركس وانجلز كل ما هو إيجابي وسليم من أفكار الاشتراكيين الطوباويين والمثاليين مثل هيغل وانتقدوا بصرامة علمية كل ما هو سلبي وزائف ووفقاً لذلك لم يلجأ إلى صراع مع الأديان والمتدينين فلم يهدم الشيوعيون دور العبادة و لم يقتلوا أو يعدموا شيوخ الإسلام، ولكن إلى جانب ذلك لابد لي من ذكر ما قاله لينين «أنه لا يستطيع الإساءة إلى الشيوعية أكثر من الشيوعيين أنفسهم»، وقد أساء الشيوعيون العراقيون وبالأخص الأوائل منهم في مسألة فهمهم للأمور وعدم مراعاتهم لدور العامل الديني في التطور الاجتماعي مما سبب ذلك إلى إفساح المجال لأعدائهم إلى التركيز على هذه المسألة واعتبارها نقطة ضعف واضحة ممكن استغلالها من أجل المكاسب السياسية، وإلى جانب ذلك لم يجر توظيف عقول مفكري الحزب الشيوعي العراقي من أجل بلورة رؤية تأخذ بنظر الاعتبار هذا الجانب الحساس من مسألة النضال السياسي والاجتماعي مما أدى إلى اتهامهم بالكفر والإلحاد وكذلك لم تمارس قيادة الحزب الشيوعي أي توجيه. لأعضاء الحزب في هذا الجانب مما يحد من تصرفات العديد منهم وخصوصاً الأوائل ممن شخصهم فهد مؤسس الحزب الشيوعي ووصفهم «بشيوعيّ المقاهي»، فالشيوعيون لا ينفون التراث الديني نفياً عدمياً مطلقاً بل يمحصونه ويميزون بين رسالته الأصلية التي جاءت لمصلحة الفقراء والمستضعفين في الأرض وبين ما علق به من تفسيرات وتأويلات لحاجة الطبقات المالكة في مختلف العصور لأنها تبعث الخنوع والاستسلام لدى الجماهير وتذلها، فمثلاً، في صدر الإسلام جعلت أرض العراق خراجية بيد الفلاحين يدفعون الريع «الخراج» لبيت مال المسلمين ليصرف على الشؤون العامة ويوزع معاشاً للمسلمين كافة، فكيف تحولت أرض السواد في القرن العشرين إلى إقطاعات كبيرة مساحة كل منها آلاف الهكتارات، يتمتع بها كبار الملاكين، مع إن الإسلام كان دائماً دين الدولة الرسمي؟ ويوجد الآن من المتدينين من يحرم توزيع

الأراضي مجدداً على الفلاحين بدعوى أن المصادرة من المحرمات! فهي لم تكن في الحقيقة سوى مصادرة المصادرين أي كبار الملاكين أنفسهم[١].

فإلى أي حد استطاع مفكرو الحزب الشيوعي أن يحاولوا التزول بجوهر الدين والدين الإسلامي بالذات وإيصاله إلى الأعضاء كي يحولوا دون حدوث الشطط في تقصير العديد من الشيوعيين والذي انعكس في العديد من تصرفاتهم في الشارع العراقي مما جلب الويلات على حزبهم وتكفيرهم لحد الآن، فمثلاً وكلنا يعرف مقولة ماركس الشهيرة بأن الدين أفيون الشعوب، هذه المقولة قيلت في ظرف كانت «الكنيسة» في أوروبا آنذاك تقف إلى جانب كبار المستثمرين والبرجوازية والإقطاع وبالضد من مصالح المسحوقين، وقد كانوا يحاولون توظيف الدين المسيحي لديمومة استغلال سواد الناس ولكن جاءت قراءة البعض وبالذات بعض الشيوعيين خاطئة تماماً، فقد اعتبروها نصاً صالحاً للجميع مرتكبين خطأً فادحاً أساؤا من خلاله للحركة الشيوعية إساءة بالغة غير مبالين بالشارع وردود فعله، وقد أخذوا مثل هذه المقولة يرددونها بسبب وبدون سبب حتى ألصقت دور الحركات الإسلامية السياسية في العراق. فلا بد للشيوعيين العراقيين من دراسة الظروف المعاصرة والواقع العربي والإسلامي للمساهمة في تطوير الفكر الماركسي بالأداة المعرفية الماركسية ذاتها والكشف عما شاخ منها وما تخلف عن الواقع ولكي نعرف ما تخلف منها عن الواقع يجب أن نعرف ما أستجد في هذا الواقع.

وللتوصل إلى هذا يحب استخدام النظرية العرفانية الماركسية ونهجها لدراسة الراهن والكشف عن الأخطاء بكل جرأة، ولهذا تقع مسؤولية كبيرة على مفكري الحزب الشيوعي في هذا الجانب لأن عليهم أن يقرروا بكل صدق ما إذا كانت النظرية هي التي ضللتهم سواء السبيل أم هم أضلوا السبيل لأنهم لم يعرفوا كيف يسترشدون بها والذي أدى في بعض الأحيان إلى اغتراب الحزب عن المجتمع.

ومما يجب ذكره كذلك في هذا المجال ما يمكن أن يوصف بأنه ردة فعل ليس عند بعض الشيوعيين فقط بل عند العديد من العراقيين بشكل عام اتجاه الدين، هو تصرفات بعض المتدينين وسلوكياتهم الشخصية التي انعكست على آراء الآخرين من المحرومين التي جاءت

(١) دور العامل الديني والروحي. مطالعة لزكي خيري نشرت في مجلة الثقافة الجديدة. العدد٢٣٦.

ردود فعلهم انتقاماً من أولئك الذين يسعون جاهدين لتوظيف الدين باتجاه إملاء جيوبهم على حساب جوع الآخرين.

ولا أريد هنا أن أحمّل الأشياء أكثر مما تحتمل أو تتحمل. أن على المثقفين الشيوعيين أن يعوا أهمية المسألة الدينية وأن يبذلوا الجهود لإعادة الأمور إلى نصابها منعاً من التشويه والتزوير وأن يسعوا للتواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، بين التراث والحداثة لا للانحشار في ضيق المقولات وتجسيد ثقافتهم في الأفكار والمشاعر والتصورات التي يتحد بعضها في الدين بتلاوينه المختلفة وأن يخلقوا الانتفاضة على الفوضى العشوائية للنظرة إلى الدين وأن يفرزوا بين من يتستروا بالدين لتبرير ممارساتهم والدين كقيم ومبادئ وأفكار وأخلاق والحيلولة دون إبقاء هذه المسألة كمزرعة يرتع فيها بعض المستفيدين الذين هدفهم تسهيل الهيمنة المطلقة على عقول البسطاء ولابد لهم من قراءة الواقع وتحليله بدقة من أجل تسهيل تحديد المشكلة وتحديد أسباب نشوئها والابتعاد عن ردود الفعل التي أشرت إليها ولابد من الإقرار بضرورة المواجهة من خلال خطة مدروسة بعناية فائقة على أن يؤخذ بنظر الاعتبار الامكانات الواقعية والشروط التاريخية وأن يسعوا إلى تأهيل قدراتهم الذاتية للعب دورها في هذه المهمة التاريخية وتأسيس مرجعية في ذلك، أن الماركسية لا تقر الدوران العبثي حول الذات لأنه يقود إلى الجمود دون التغير والتطور، ولابد للمثقفين الشيوعيين من إنتاج فكر تغييري عقلاني تنويري يربط بين تراث شعبنا وثقافته وحضارته وبين منجزات الإبداع العلمي.«مجلة دراسات عراقية: البحث الموسوم دراسة نقدية لتجربة الحركة الشيوعية في العراق (العدادان ٧و٨ ــ ٨ أيلول ١٩٩٨ ــ ص٨٦ ــ ٨٨)».

شورى الفقهاء

دراسة أصولية ـ فقهية

• فتى الكوفة

يعبر هذا الكتاب فريداً في نوعه حيث أنه يشكل ــ وللمرة الأولى ــ دراسة أصولية ــ فقهية مسهبة وموضوعية ومبتكرة عن أطروحة (شورى الفقهاء) ويتعرض المؤلف ــ وبدقة كبيرة ــ لهذه الفكرة من مختلف زواياها طارحاً مختلف الاحتمالات والاعتراضات التي يمكن أن تذكر وشتى الحلول والأجوبة.

وهو إلى ذلك يتناول آراء كبار الأصوليين والفقهاء والمفسرين بالبحث والتحليل.

ويتميز الكتاب بكونه يبحث عن (الاستشارة) و(الشورى) بشكل شمولي صالح للتطبيق في مختلف الحقوق وشتى الأبعاد والمستويات الإدارية والاجتماعية، إضافة إلى تطرقه لــ(شورى الفقهاء) بشكل مسهب كمصداق ونموذج رئيسي.

المؤلف هو: آية الله المفكر الكبير السيد مرتضى الشيرازي نجل سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الشيرازي. وقد صدر الجزء الأول: من هذا الكتاب، ويقع الجزء الأول في أكثر من ٥٠٠ صفحة عن القطع الكبير...

ينقسم الكتاب إلى بابين يحمل الباب الأول عنوان (في الاستدلال بالكتاب الحكيمة السنة المطهرة والتحمل) ويحمل الباب الثاني عنوان (الحديث عن مسائل عديدة ترتبط بشورى الفقهاء أو بالحكومة الإسلامية). ويتكون الباب الأول من ثمانية فصول نستعرضها باختصار شديد.

ففي الفصل الأول يتحدث المؤلف وعلى مدى حوالي الــ١٥٠ صفحة عن الآية الكريمة (وشاورهم في الأمر) حيث فَصَّلَ الحديث عنها في ضمن التطرق للإشكالات التي

يمكن أن تورد على الاستدلال بالآية الكريمة على وجوب الاستشارة ووجوب إتباع الأكثرية:

الأشكال الأول: (عدم عمل النبي ﷺ بمبدأي: الاستشارة والأتباع مما يستكشف منه ببرهان الآن عدم وجوبها عليه وألا لما تركها في أحيان كثيرة، فلا مناص من ارتكاب التجاوز بحمل الأمر على الاستحباب... وإذا لم يستفد من الآية وجوبها عليه لم يستند منها وجوبها على الآخرين لكونه مخاطباً بها فإذا وجبت على الآخرين دونه لزم خروج المورد وتخصيصه...) وقد تطرق المصنف لخمسة أجوبة عن الأشكال حيث التزم أولاً: بقيام الدليل على عمل النبي ﷺ بالشورى مستدلاً بروايات عديدة تطرق للبحث عن سندها ودلالتها وشتى الاعتراضات التي يمكن أن تورد عليها بالتفصيل.

وثانياً: (سلمنا عدم قيام الدليل على عمل النبي ﷺ بالشورى لكن لا دليل على عدم عمله ﷺ بها ومخالفته لرأي الأكثرية رغم انعقادها على خلافه ﷺ في الموضوعات المستنبطة والشؤون العامة) وأجاب المصنف عن إشكالات عديدة تورد على هذا الجواب، منها: (عدم الدليل كاف في العدم) (ثم استصحاب عدم موافقته لرأي الأكثرية محكم) و(لو كان النبي ﷺ عاملاً بالشورى لبان) حيث ذكر في الجواب عن الأشكال الأول (أن عدم الدليل على عمل المعصوم عليه السلام بماله ظاهرة «كآية وشاورهم» لا يوجب الخدشة في ظهوره...).

وثالثاً: (سلّمنا قيام الدليل على عدم عمله ﷺ بالشورى أحياناً أو أحياناً كثيرة لكن نقول: من الواضح أن لا شورى في قبال نص الآيات القرآنية الكريمة سواء في الأحكام أو في الموضوعات فيكون (وشاورهم) منصرفاً إلى غير ذلك أو مخصصاً به...).

(... فموضوع الشورى هو ما لم يرد فيه نص...) (..إضافة إلى أن الأصحاب كثيراً ما كانوا يعطون أصواتهم للنبي ﷺ ويخولونه اتخاذ القرار... ولنذكر هنا بعض النماذج..) (... وحينئذ فعدمٍ عمل النبي ﷺ بالشورى في غير ما ثبت ورود نص قرآني خاص به وفي غيرها ثبت تاريخياً إعطاء الأصحاب آرائهم له، مردد بين كونه لعدم وجوب الشورى رأساً وكون آية وشاورهم للندب، وبين ورود أمر قرآني خاص أو غير قرآني كالحديث القدسي أو كون أمره من باب أعمال الولاية... وبين أعطاء الأصحاب أوصلتهم له بقرينة حالية أو مقالية، فعدم عمله ﷺ بالشورى على تقدير ثبوته مردد بين المانع عن ظهور الأمة قسما هو ظاهر قسمه وبين غير المانع... وعند التردد بينهما الأصل اللامانعية..) ثم تطرق المؤلف لثلاثة إشكالات تورد على هذا وأجاب عنها...

ورابعاً: (أن وجوب الشورى على تقديره مردد بين «الموضوعية» (بان لم يكن من باب الأقربية للواقع بل لوجود مصلحة في نفس الشورى والاستشارة كتأليف القلوب..) و«الطريقية» وعلى كلا التقديرين لا يكون عدم عمل النبي ﷺ بالشورى على فرض تسليمه دليلاً على عدم الوجوب..) (إذ على الموضوعية ربما يكون عدم عمله بالشورى من باب التزاحم لا لعدم وجوبها.. بان عارضها ذو علاك أقوى...) (... وعلى الطريقية ففي باب الحجج يقدم الأقوى على الأضعف... ورأيه ﷺ الأقوى...)

وخامساً: (سلمنا عدم وجوب الشورى عليه ﷺ لكن ذلك لا ينفي وجوبها على سائر المسلمين بل لا ينفي استفادة وجوبها من نفس آية (شاورهم في الأمر) وأن خرج النبي ﷺ المخاطب بها عن الحكم) وعلل المصنف ذلك بكون الأصل في الخطابات القرآنية العمومية لكل المسلمين وعدم الاختصاص به ﷺ وقد ذكر المصنف عدة أدلة على ذلك ثم ذكر أن استثار الفرد الواحد لا يخل بظهور العام، وقد أجاب عن أشكال (قبح تخصيص المورد) «وهو النبي ﷺ في هذه الآية الشريفة بناء على عدم الوجوب عليه» ــ بشكل مفصل مستنداً إلى كلمات العديد من ألا كاظم وبذلك أنهى المؤلف الحديث عن الأشكال الأول منتقلاً إلى:

الأشكال الثاني: وهو (أن النبي ﷺ أنما يتبع الوحي لا آراء الأكثرية فإذا لم تكن الشورى ملزمة له لم تكن ملزمة لغيره بل أن إتباعه للأكثرية على هذا محرم.. ولقوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى..).

ومن جهة أخرى كيف يكون للمؤمن الخيرة من أمرهم مع قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم...).

وأجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة، وملخص الثالث هو: (أن إتباع الأكثرية إتباع لما يوحى إليه إذ قد أوحي إليه بها، بآية (وشاورهم في الأمر) وإتباعها حكم بين الناس بما أراه الله إذ قد أراها له وأتباعها المأمورية في الآية ليس نطقاً عن الهوى إذ ما أوحي به إلى النبي ﷺ قسمان: قسم أوحي إليه بجزئية وقسم أوحي إليه بكلية... وقد أمر أمراً كلياً بالاستشارة في الموضوعات فاستشارته لهم وإتباعهم إتباع لما يوحى إليه من الكلي وليس إتباعاً للهوى..).

ثم أجاب عن الشق الثاني من الأشكال بقوله (وأما عدم كون الخيرة للمؤمنين فإنه هو معلق على «إذا قضى الله ورسوله أمراً...) (...إضافة إلى أن قضاء الرسول ﷺ أمراً كما

قد يكون متفرعاً على قيام البنية في الخصومات كذلك قد يكون متفرعاً على رأي أكثرية الناس في الموضوعات...)

وانتقل المؤلف بعدها إلى:

الأشكال الثالث: وهو (أن مشهور الفقهاء لم يفهموا من الآية الوجوب وإلاّ لذكروها في ضمن الواجبات، إضافة إلى أن السيرة العملية للفقهاء لم تكن على الاستشارة والشورى بل على التفرد بالرأي... يشهد بذلك حكمهم في باب الهلال وفي التصرف في أموال القصر.. بل أن الإجماع منعقد على عدم وجوبها مما يكشف (لطفاً أو دخولاً أو حدساً أو تشرفاً... عن رأي المعصوم الَتِلِيْلاِ ويشهد لدعوى الإجماع هذه أن الإجماع منعقد على حجية رأي كل فقيه لمقلديه دون سائر المقلدين).

وأجاب بأجوبة كثيرة منها:

١ـــ عدم تطرق الفقهاء لهذه المسألة حتى يستكشف رأيهم.

٢ـــ عدم أفراد الفقهاء كتاباً في الواجبات والمحرمات حتى يكون عدم ذكر الشورى في تعدد الواجبات دليلاً على عدم الوجوب..

٣ـــ واللقب لا مفهوم له.

٤ـــ عدم الذكر يحتمل وجوهاً أربعة:

أ ـــ اعتقاد عدم الوجوب اجتهاداً

ب ـــ الغفلة عن المسألة.

ج ـــ العثور على قرينة تصر ف الأمر عن ظاهره.

د ـــ خروج المسألة عن موضع الابتلاء.

... وعدم الذكر للوجه الثالث فقط يكون دليلاً على عدم الوجوب... ثم فصل الكاتب الحديث عن ذلك كما ذكر أكثر من ٢٥ آية وأكثر من ١٥ رواية تشترك مع آية وشاورهم في أن عدم تطرق الفقهاء لها يحتمل الوجوه الأربعة السابقة أو وجودها أخرى ذكرها المصنف أيضاً.

٥ـــ (سلمنا أن المشهور فهموا عدم الوجوب لكن الشهرة ليست ظناً معتبراً باعتراف المشهور.. فموافقة المشهور مخالفة للمشهور..) ثم تحدث مفصلاً عن جابرية الشهرة وكاسريتها للسند وللدلالة...

٦ـــ (يلزمنا أن الشهرة ظن خاص معتبر لكن نقول أن مقتضي القاعدة البحث عن المعارض والمزاحم والحاكم والوارد والمخصص... فكونها ظناً معتبراً ليس علة تامة

لوجوب القبول..) ثم تطرق المصنف لذكر عدة موارد تعاكست فيه شهرة القدماء والمتأخرين..

٧ــ (على مدعي كون السيرة على التفرد الإثبات.. والاستقراء الناقص ليس بحجة..)

٨ــ النقض بموارد عملهم بالشورى... فتأمل.

٩ــ (السيرة ليست بحجة إلا لو أحرز اتصالها بزمان المعصوم وإمضائه لها)

ثم تحدث المصنف مفصلاً حول: حكم الفقهاء في باب الحلال وعن الأمور الحسبية بالمعنى الأخص وسر عدم الالتزام بالشورى فيها بعد أن تعرض لتعريف الأمور الحسبية كما تحدث مفصلاً عن القضاء والفرق بينه وبين الولاية.

١٠ــ (سلمنا استقرار السيرة على عدم العمل بالشورى لكن نقول: عدم عملهم ليس دليلاً على التزامهم بعدم وجوبها إذ كان عدم عملهم بها غالباً من باب السالبة بانتقاء الموضوع.... في الشؤون العامة...)

١١ــ الإجماع منقول وهو ليس بحجة.

١٢ــ ولو فرض أنه محصل فليس بحجة أيضاً لأنه محتمل الاستناد بل معلوم الاستناد...

ثم أجاب عن المقطع الأخير من الأشكال أيضاً وانتقل بعدها إلى:

الأشكال الرابع: وهو: (أن الآية قد وردت في سياق المستحبات فيكون السياق قرينة مقامية على صرف الظاهر عن ظهوره)

وأجاب أولاً: («كونها في سياق المستحبات» دعا بلا دليل... بل الدليل قائم على كون (أعف عنهم) و(استغفر لهم) للوجوب لكون الأمر ظاهراً في الوجوب... فما الصارف عنه..) ثم استشهد بكلمات جمع من المفسرين...

وثانياً: سلمنا أن أعف واستغفر من المستحبات لكن.. الظهور السياقي لا يزاحم الظهور اللفظي)

ثم أقام عدة أدلة على ذلك منتقلاً بعدها إلى:

الأشكال الخامس: (... إن الأمر في الآية الكريم «وشاورهم» هو الحرب... لا كل الشؤون العامة... فـــ (ال) للعهد الذهني).

وأجاب أولاً: (أن المفسرين ذكروا معنى آخر أعم أما بنحو الترديد بينه وبين الأخص أو بنحو التعيين...) وهنا ينقل المصنف كلمات عن العديد من التفاسير تأييداً للمطلب ومنها (الكشاف والمنار والجواهر ومدارك التزيل وتفسير ابن كثير والميزان) وهؤلاء قد

ارتأوا التعميم بصراحة وأما (مجمع البيان والتبيان) فقد أطلقا القول الظاهر منه أرادة الأعم، وأما (روح المعاني وأنوار التنزيل والعلامة المجلسي) فقد ترددوا.

ثم قال المصنف (ولولا لم يحصل من مجموع ذلك الاطمئنان بان الأمر في الآية الشريفة أعم وأنه لا وجه لتخصيصه بالحرب فنقول مقتضى القاعدة في ما لو تردد المفرد المحلّى بال بين كونه للعهد أو لغيره هو الرجوع للأصل والأصل في اللام الجنس والعهد هو المحتاج للقرينة) ثم استدل المصنف مفصلاً على كون الأصل في اللام الجنس واستند أيضاً إلى كلمات الشيخ الأنصاري والآخوند الخراساني وآخرين كما تحدث مفصلاً عن المطلق وكونه موضوعاً للمهية المهملة ــ على ما ذهب إليه سلطان العلماء ــ أو للماهية بشرط الإرسال وأوضح اندفاع الأشكال على كلا المسلكين.

وثانياً: خصوصية المورد لا تخصص الوارد...

وثالثاً: سياق الآية شاهد بعدم اختصاص الأمر بالحرب... كما ذكر المصنف عدة شواهد أخرى على الأعمية.

ورابعاً: سلمنا لكن يمكن تتميم المطلب بأحد الأمرين عدم القول بالفصل... وتنقيح المناط...

وبعد ذلك عرج السيد المؤلف لــ:

الأشكال السادس: (... لم يقل جل وعلا «فإذا عزمتم» بل نسب العزم إلى الرسول ﷺ مما يعني أن رأي الشورى غير ملزم وأن القرار النهائي ليس بيد الشورى بل في يد الرسول ﷺ أو مطلق القائد بناءاً علي التعميم).

وأجاب أولاً: (قد سبق مفصلاً بيان أن الخطابات القرآنية الموجهة للنبي ﷺ بصيغة المفرد ــ في غير ما دل الدليل على اختصاص به ــ تشمله وغيره فهي حكم عام بصيغة خطاب خاص... (فعزمت واقع في سياق «فتوكل» من جهة و«شاورهم» من جهة أخرى فمع توجه الخطاب للنبي ﷺ بــ«شاورهم» بصيغة المفرد مع عمومية الحكم لكل القادة من الطبيعي أن يكون من الأفضل نسبة العزيمة له أيضاً... فتأمل).

وثانياً: سلمنا... لكن الأشكال يتم لو كان متعلق عزمت هو (على ما هو أصلح لك) = (على ما رأيت أنه الأصلح) = (على تنفيذ رأيك) كما ذكره البيضاوي ولا يتم لو كان المتعلق (على تنفيذ ما أدت إليه الاستشارة) كما ذكره المنار... والظاهر هو المعنى الثاني إذ....

وثالثاً: سلمنا عدم ظهور الآية في المعنى الثاني لكن يتردد معناها بين المعنيين السابقين وبين معنى ثالث ذكره الخازن وهو: فإذا عزمت يعني على المشاورة.. فلا محرز لإفادة «فإذا عزمت» عدم ملزمية رأي الشورى...) وتحدث المصنف هنا عن شبهات وأجاب عنها.

ورابعاً: سلمنا أن معناها (فإذا عزمت على تنفيذ رأيك) لكن إما أن نقول بأن «الاستشارة» غير «الشورى» «وهي ما التزم فيه بقرار الأكثرية» أو أن نقول بالعينية وعلى الأول... فـــ«شاورهم» تدل على وجوب الاستشارة عليه ﷺ و«فإذا عزمت» تدل على عدم وجوب الالتزام بمقتضاها وبالنسبة لنا تدل شاورهم (لعمومية أحكام الخطابات القرآنية كما سبق) على وجوبها علينا وننتقل لوجوب الالتزام عبر عدم القول بالفصل «بين وجوب الاستشارة ووجوب الإتباع» ولا يجري عدم القول بالفصل في تاء «عزمت»...فتأمل.

وعلى الثاني: فتكون نفس مادة شاورهم لكونها نصاً أو أظهر قرينة على إرادة المعنى الثاني من فإذا عزمت... وأجاب هيئها عن أشكال ربما يورد ثم انتقل المصنف للجواب الخامس قائلاً:

وخامساً: لو سلم ذلك فليس نافياً إلا لوجوب الإتباع دون وجوب الاستشارة إلا...

وبذلك أكمل المصنف الفصل الأول من كتابه منتقلاً إلى:

الفصل الثاني: في الاستدلال بالآية الكريمة «وأمرهم شورى بينهم».

قال المصنف: «... لا ريب في دلالتها على الرجحان لـــ... أما دلالتها على الوجوب فتتوقف على أحد وجوه على سبيل منع الخلو:

(الوجه الأول: كون الأصل فيما يعد صفة للمؤمن أنه واجب التحصيل..) واستدل المصنف على ذلك بثلاثة أدلة كما تطرق لإشكالين وأجاب عنهما.

(الوجه الثاني: دلالة السياق على الوجوب...)

(الوجه الثالث: دلالة الآية على أن ما عند الله خير كائن لمن تجمعت فيهم الصفات التالية ومنها الشورى في أمرهم فمن لم تتوفر فيه تلك الصفات لم تكن الخيرية له... فتأمل...)

(الوجه الرابع: كون وأمرهم شورى بينهم إنشاءً بصيغة الأخبار وهو خلاف الظاهر، ولا يعارضه كون الأصل في كلام الشارع الإنشاء لكون الأصل في كلماته المولية فتأمل)

ثم انتقل المصنف إلى (الاعتراض بالآيات التي تذم الأكثرية وكونها جاهلة ومضلة) وأجاب:

أولاً: (أن الآيات الشريفة صغرى لكبرى وهما: (أكثر الناس لا يعملون والذين لا يعلمون لا يجوز إتباعهم) وحينئذ فنقول أكثرية شورى الفقهاء وأكثرية أهل الخبرة خارجة خروجاً موضوعياً عن الكبرى ومحمولياً عن الصغرى إذ لا يصح القول بأن الأصوليين ممن لا يعلمون الأصول... ولا تنافي بين كون أكثرية الناس لا يعلمون وكون أكثرية أهل الخبرة فيما هم خبراء فيه ممن يعلمون...)

ثانياً: (أن ذم إتباع الأكثرية معلل في بعض الآيات فيدور الحكم مدار العلة وجوداً وعدماً (...أن يتبعون إلا الظن) فقد بَيّن جل وعلا علة كون إطاعة الأكثرية مضلة في كونهم يتبعون الظن فلو كانت الأكثرية ـــ كأكثرية الفقهاء ـــ متبعة للعلم أو العلمي لنا كانت مضلة...)

ثالثاً: (أن الآيات مختصة بشؤون العقائد وشبهها وهي المتعلقة لـــ (لا يعلمون)...)

وهنا قام المصنف باستقراء أكثر من أربعين آية بين أنها مرتبطة بشؤون العقائد بوضوح لكون المتعلق ذلك أو لكون مرجع الضمير أهل الكتاب وشبههم.

رابعاً: هذه الآيات لا إطلاق فيها لعدم كونها في مقام البيان... بل في مقام أصل التشريع فتأمل.

خامساً: الموضوع في الآيات (أكثر الناس) ولا يصدق هذا على أكثرية الفقهاء أو الأطباء... فالخروج موضوعي.. وهنا ينتهي الحديث عن آية الشريفة ليبدأ:

الفصل الثالث: في تفصل الاستدلال بالتوقيع الشريف «وما ألحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله....)

وبعد أن تحدث المصنف عن سند الرواية مفصلاً انتقل لـــ(فقه الحديث) حيث احتل الحديث عن مفردات هذا الحديث أكثر من ثمانية وثلاثين صفحة بحواشيها حلل فيها المصنف الكلمات التالية: أ ـــ(الحوادث) ب ـــ (الواقعة) ج ـــ (فارجعوا) د ـــ (فيها) هـــ ـــ (رواة حديثنا) و ـــ (فأنهم) ز ـــ (حجتي) ح ـــ (حجتي عليكم) ط ـــ (وأنا حجة الله).

وانتقل المصنف بعد ذلك إلى:

الفصل الرابع: في الاستدلال بمجموعة من الروايات الواردة حول الاستشارة وإتباع المشير حيث ذكر ١٤ رواية تحدث عن تمامية بعضها سنداً وعن ضعف بعضها الآخر

وفصل القول فيها بناء على كلا احتمالي كونها إرشادية ومولوية، ثم بين أن كيفية الاستدلال بهذه الروايات يتم بأربعة وجوه وطرق وأجاب عن إشكالات عديدة منها: (أن هذه الروايات لا تشمل صورة تعارض المستشارين حتى يقدم رأي الأكثرية على الأقلية) وأجاب: بتقسيم الروايات إلى أربع طوائف تحدث عن حكم كل منها مستقلاً.

ومن الإشكالات: (أن هذه الروايات تدل على الاستشارة توجب معرفة جهات الخطأ والخلل ومعرفة الطريقة الأفضل... ولا تدل على لزوم الأخذ برأي أكثرية المشيرين وأن كان ما توصل إليه بعد الاستشارة وبعد تقليب وجوه الآراء مخالفاً لرأي الأكثرية..) ثم أجاب المصنف عن ذلك بثلاثة أجوبة تطرق ضمنها لبيان النسبة بين رواية (قيل يا رسول الله ﷺ ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وإتباعهم) وأشباهها وبين رواية (من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ) وأشباهها، كما تطرق لمباحث وإشكالات أخرى عديدة؟

وانتقل المصنف بعد ذلك إلى:

الفصل الخامس: في الاستدلال بمقبولة عمر بن حنظلة ومرفوعة زرارة حيث تحدث مفصلاً عن كلمتي (المجمع عليه) و(لا ريب فيه) في قوله عليه السلام (فإن المجمع عليه لا ريب فيه) وأجاب باستيعاب عن أشكال كون الله في (المجمع عليه) للعهد بثلاثة أجوبة كما أجاب عن أشكال (ليست العلة هي عدم الريب الإضافي وأن عدم الريب يراد به عدم الريب صدوراً) بستة أجوبة كما بين كيفية انطباق الرواية على (أكثرية شورى الفقهاء) كما بين في الختام كيفية الاستدلال بنيل المقبولة (وإنما الأمور ثلاثة... أمر بين رشده فيتبع..) على حجية رأي أكثرية شورى الفقهاء.

ثم انتقل لتقصير الكلام عن مرفوعة زرارة متحدثاً بإسهاب عن (الشهرة) الروائية والفتوائية مجيباً عما قيلٍ من (كون الشهرة بمعنى الوضوح) وأنها ليست بالمعنى المتداول المعهود في الأصول مذيلاً بأن الاستدلال على حجية.

رأي أكثرية الفقهاء بهذه المرفوعة يتم على كلا المعنيين في (الشهرة)

أما الفصل السادس فهو في [تفصيل الاستدلال ببرهان الدوران والترديد] حث قال المؤلف «ويمكن الاستدلال بحكم العقل على حكومة رأي أكثرية الفقهاء عن طريق برهان الدوران والترديد، فنقول وبالله نستعين.

أن الأمر يدور عند تعارض آراء وقرارات المراجع بين:

أ: نفوذ أمر كل فقيه على مقلديه فحسب.

ب: نفوذ أمر أحدهم غير المعين على الجميع.
ج: نفوذ حكم أحدهم المعين.
د: نفوذ حكم أحدهم المخير.
هـ: نفوذ حكم الأكثرية.

١) أما الأول فغير صحيح لاستلزامه الهرج والمرج واختلال النظام والضرر النوعي... وفصل المصنف الحديث عن كل ذلك ثم أوضح الأمر أكثر بقوله (ويمر كمن لو صح ما ذكرناه
بملاحظة أمرين:

أن من الواضح عدم تطابق الخارطتين الجغرافية والبشرية ـ التقليدية ذلك أن مقلدي المراجع يتوزعون في دول عديدة إذا لم تستطع (الحدود الجغرافية) أن تأقلم (حدود الولاء)

٢ـ أن كثيراً من القرارات لا تتحدد في إطار مقلدي المرجع الواحد بل تتسع تأثيراتها لتشمل مقلدي سائر المراجع سلباً أو إيجاباً... كنظام الضرائب، التأميم وعدمه، فرض المكوس والرسوم الجمركية، تحديد التجارة الخارجية، المعاهدات الدولية... وأما في خارج إطار الدولة فيمثل بـ: اتخاذ أسلوب العمل الثوري في مواجهة الحاكم الجائر. أو انتهاج سبيل الانعزال والابتعاد عن العمل السياسي....)

٢) وأما الثاني فغير تام أيضاً لاستحالته أن أيد بـ(غير المعين) غير المعين في مرحلة الثبوت إذ... ولا معنى له أن أريد به (غير المعين في مرحلة الإثبات)... بل هو مستحيل من الأمر الملتفت ومن المأمور بيان ذلك...).

٣) وأما الثالث فيرد عليه أن نفوذ حكم هذا ليس أولى من نفوذ حكم الآخرين عليه.

وأجاب المصنف عن أشكال (أن الذي ينفذ حكمه هو الأعلم لأنه الواجب تقليده) بقوله: (أولاً وثانياً: أنه غير تام مبنى وبناءاً... أما بناءاً فلو: أ ـ سلمنا وجوب تقليد الأعلم، ب ـ وأن ذلك يستلزم نفوذ حكمه هو لا غير. ج ـ وفرض وجود أعلم يسلم الجميع الجميع أعلميته. د ـ والتزام الجميع بوجوب تقليد الأعلم، صح ما ذكر، لكن سيأتي إبطال الاستلزام [البند (ب)] وأما الفرض فهو غير واقع [البندان (ج ـ د)])

ثم بين المؤلف علة الاختلاف في تشخيص الأعلم في كلام مسهب وتحدث بعد ذلك عن اللوازم الفاسدة لما لو قلنا بنفوذ حكم الأعلم (الثبوتي أو الأثباتي) في حق الجميع في صورة اختلاف الناس في مصداق (الأعلم) وجريان الكلام بعينه فيما لو وجد أعلم يسلم الجميع أعلميته ولكن لم يلتزموا جميعاً بوجوب تقليد الأعلم.

ثم أجاب عن أشكال: (أن النافذ حكمه هو ولي الأمر) بقوله: (ولي الأمر هو الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام ولو تعدي منهم إلى خلفائهم كان كل المراجع أولياء للأمر لا أحدهم بعينه، إذ دليل التعدي عام يشمل كل من جمع الشرائط مثلاً..)

وأجاب المصنف بعدها عن أشكال (أن الذي ينفذ حكمه هو «الحاكم الفعلي» الذي تسلم أزمة أمور الدولة بيده وهو قائد الثورة...) بقوله: (أن ولاية الفقيه على القول بها لم يقيدها أحد من الفقهاء بسقوط السلطة بيده فللفقيه الولاية شرعاً داخل الحكم كان أم خارجه...) ثم فَصّل المصنف الحديث حول أن أدلة ولاية الفقيه مطلقه وتقيد ولاية الفقهاء بصورة سقوط السلطة بأيديهم أو صورة عدم كون السلطة بيد فقيه آخر، مخالف للأصل ومحتاج للدليل.

ثم تطرق المصنف لإشكالين آخرين هما:

١ــ (لا يقال النافذ حكمه هو السابق في إصدار الحكم كما قالوا بذلك في باب القضاء)

٢ــ النافذ حكمه من الفقهاء هو الذي اختارته أكثرية الأمة حاكماً)

وأجاب عن كل واحد من الإشكالين بثلاثة أجوبة فليراجع.

٣ــ وأما الرابع (نفوذ حكم أحدهم المخير) كتهجير المكلف في خصال الكفارة فغير تام أيضاً لاستلزامه الهرج والمرج واختلال النظام والضرر النوعي..) فلا مناص من الإلزام بالشق الخامس (نفوذ حكم الأكثرية) ثم أجاب عن الأشكال التالية:

(لا يقال: نفوذ حكم الأكثرية ليس بأولى من نفوذ حكم الأقلية؟) فليراجع وبعد ذلك انتقل المصنف إلى:

الفصل السابع: (في الاستدلال بقاعدة دفع الضرر المحتمل وأدلة أخرى مع التطرق وبالتفصيل لكون الحجج طريقية، أو طريقية ــ تعبدية وتأسيس الأصل في ذلك) وقد احتل هذا الفصل مساحة ٤٨ صفحة تحدث فيها المصنف عن (في الشورى دفع الضرر المحتمل...) وعن (حجية رأي الفقيه شرعاً إذ لو أصاب رأيه فمنجز وألا فمعذرة ــ فيكون هو واجب الأتباع على المقلدين وهو المؤمن من العقاب...) وأجاب عن ذلك مفصلاً مفرقاً بين حجية الرأي في الأحكام والموضوعات والشؤون العامة كما بحث الأمر على كلاسيكي كون رأي الفقيه حجة من باب الطريقية المحضة أو «الطريقية المأخوذ فيها بعض الخصوصيات تعبداً كبعض الأمارات... ثم استدل المصنف على أصالة الطريقية بتفصيل كبير ناقلاً وبنقض وإبرام كلمات جمع من الأعاظم، كصاحب المستند والجواهر

والفقه وغيرهم... ثم تحدث عن تقليد الأعلم مفصلاً وأجاب عن شبهات عديدة قد تطرح مناقشاً ما ذكره الآخوند الخراساني (لا إطلاق في أدلة التقليد...) ومجيباً عن أشكال آخر طرحه الآخوند ــ فيما يتصل ببحث الطريقية والتعبدية ــ ثم تطرق لمباحث وإشكالات عديدة... كما نقح بالتفصيل في مقام الجواب عن (المستند) وغيره، ملاك لزوم متابعة المقلد للمجتهد، وانتقل المصنف بعد ذلك إلى:

الفصل الثامن: (في الاستدلال بالتركب، وبالصدق على القليل والكثير والجواب عن ما قد يقال بما نعنيه)... حيث استدل المصنف بطريق ثم استمل بطريق آخر ناقلاً عن مستمسك العروة الوثقى (... أدلة حجية الفتوى أنما تدل على حجية الفتوى بنحو صرف الوجود الصادق على القليل والكثير..) فتكون أكثرية شورى الفقهاء حجة لأنطباق أدلة الحجية على الواحد والمتعدد...

ثم تطرق للموانع عن رجوع مقلدي أحد الفقهاء لرأي أكثرية شورى الفقهاء فيما لو تخالف رأي المرجع مع أري الأكثرية قائلاً (ما يتوهم مانعاً هو أحد أمور:

١ــ عدم جواز التبعيض في التقليد

٢ــ عدم جواز العدول

٣ــ وجوب تقليد الأعلم)

وأجاب عن هذه الثلاثة مفصلاً ثم انتقل لــ خاتمة الباب الأول وهي «في ملخص النسبة بين أدلة الشورى وأدلة التقليد» حيث بحث النسبة على ضوء كل واحدة من الأدلة الستة لوجوب التقليد على الجاهل وهي:

١ ــ بناء العقلاء ٢ــ حكم العقل ٣ــ الآيات الكريمة ٤ــ الروايات الشريفة ٥ــ السيرة ٦ــ الإجماع، وبيّن أنّ النسبة على بعضها ــ وحسب بعض المباني ــ البينونة وأجنبية موارد التقليد عن موارد الشورى «مورد التقليد: الأحكام ومورد الشورى الموضوعات والشؤون العامة» وعلى بعضها ــ وحسب بعض المباني الآخر ــ التزم بحكومة آية «وأمرهم شورى» و«شاورهم» على أدلة التقليد وأيضاً فالنسبة على بعضها: العموم والخصوص المطلق، وقد أوضح المصنف كل ذلك بدقة كما أجاب عن أشكال كون السيرة على إتباع الواحد دون المتعدد بخمسة أجوبة وبذلك انتهى الباب الأول من الكتاب ليبدأ الحديث عن:

الباب الثاني في الحديث عن مسائل عديدة ترتبط بشورى الفقهاء أو بالحكومة الإسلامية.

وقد قسم المصنف هذا الباب إلى ستة فصول وخاتمة، ففي:
الفصل الأول تحدث المؤلف عن سبعة مسائل وهي:
(١ــ وجوب الإشارة ــ ٢ــ حرمة منع المشير عن إدلائه بمشورته ــ ٣ــ وجوب ردع المانع ــ ٤ ــ وجوب سعي المشير لتطبيق محتوى المشورة ــ ٥ ــ وجوب طلب المشورة ــ ٦ــ وجوب العمل على طبقها ــ ٧ــ وجوب الفحص عن صحة الرأي) حيث استدل على ذلك بعدة أدلة فقال:
(الدليل الأول: أن ذلك من صغريات «الدعوة إلى الخير» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«إرشاد الجاهل والضال» و«حفظ حدود الله») وتحدث عن ذلك صغرى وكبرى ثم قال: (وبذلك تثبت المسائل الخمس جميعاً...)
وانتقل بعدها للحديث عما لو كان التحالف في كبرى أو صغرى «المعروف والمنكر» و«الخير» و«حدود الله» اجتهادياً كما لو رأى أحدهم ملكية الدولة للشركات الكبرى وللمعادن أو مرجوحية بعض الشعائر، ورأي الآخرون خلافه واستدل على وجوب النهي حتى في هذه الصورة (... فلا انصراف لأدلة الأمر والنهي ولو شك فالأصل العدم والمرجع عموماً وجوب الأمر والنهي، وكذا السيرة على النهي «حتى لو كان التحالف اجتهادياً» ولذا نجد ... إضافة إلى شمول «وتعانوا على البر والتقوى» لما نحن فيه إذ (الصلح أو الشعائر أو المعاهد الدولية) مثلاً بر في نظره، و(الغناء والحرب والتأميم) أثم وعدوان في نظره، فعليه الحض والمنع...)
ثم أسهب المصنف في الإجابة عن: (أن معذورية الآخر وخطأه سب لعدم وجوب الحض والمنع على من يرى العكس... وأن اجتهاد المجتهد مانع دون الأحكام الخمسة السابقة لأنه أن أصاب فله أجران وأن أخطأ فله أجر واحد ولكون فتاواه أحكاماً ظاهرية في حقه أو أنها منجزه ومعذره لا حكماً مماثلاً) وانتقل بعدها الكاتب إلى:
الدليل الثاني: وهو الروايات الشريفة حيث استند إلى ١٣ رواية بحث بعضها سنداً في الهامش، كما بحث عن دلالتها وعن النسبة بين العديد منها مثلاً:
١ــ بحث النسبة بين قول علي عليه السلام: (اعقل الناس من أطاع العقلاء) وشبهه وبين قول الكاظم عليه السلام: (... فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب) وشبهه حيث أن الطائفة الأولى (ظاهرة في الإشارة إلى استشارة «العقلاء» وأطاعتهم وأن الحزم ورفع الزلل والندم في ذلك، وبعضها ظاهرة في الاكتفاء باسترشاد واستشارة وإتباع «العاقل الواحد» فربما يقال بعدم التعارض وصحة الاكتفاء

بكل منهما لكونهما مثبتين...) وأجب عن ذلك بأربعة أجوبة ثانيهما هو: (أن دلالة استشر العاقل وشبهه على عدم لزوم استشارة الأكثر أنما هو بمفهوم الوصف، ودلالة استثمر العقلاء على لزوم الأكثر بالمنطوق) ورابعهما هو: (أن المراد بالعاقل الجنس والطبيعة في مقابل غيره ولا الفرد فهو منطبق على القليل والكثير فتأمل).

٢ــ كما ذكر (أن ظاهر بعض الروايات السابقة أن نفس الاستشارة مؤمنة من الزلل والندم فلا تدل على لزوم الإتباع) وأجاب عن هذا بعدة أجوبة وكان ثاني الأجوبة هو: (أن ترتيب الأمن من الزلل والندم في الرواية الثامنة على المشاورة ترتيب على جزء المقتضي وبعض العلة لا تمامها بقرينة سائر الروايات حيث رتب الأمن منهما ونظائرهما على المشاورة والإطاعة فوزانها وزان ما رتب فيه دخول الجنة ووجوبها على الصلاة...)

ثم تصدى للإجابة عن أشكال (ورد في بعض الروايات كوصية علي عليه السلام لابن الحنفية... التصريح بكون اختيار أحد الآراء للمستشير.. إضافة إلى حكم العقل فيمن استشار واقتنع بخلاف رأي المشير بلزوم إتباعه رأيه...) حيث أجاب بثلاثة أجوبة جاء في الجواب الثاني منها (وثانياً بملاحظة ما ذكرناه من الأدلة على لزوم إتباع الأكثرية فاللازم إما تخصيص هذه الروايات بما لو تكافأت آراء المشيرين أو صرفها إلى غير الشؤون العامة...).

وبعد ذلك عرج المؤلف على:

الدليل الثالث: حيث قسم العلماء ــ استناداً للروايات الكثيرة التي ذكرها واستنتاجاً للعقل ــ إلى:

١ــ المتظاهر بالعلم وهو خارج موضوعاً عن دائرة (العلماء)... كما قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل عن جهال وأضاليل من ضلال...» هذا وقد يكون الرجل عالماً من جهة (جاهلاً من جهة أخرى علمين كانت الجهتان أو مسألتين فربما يكون المتصدي للأمر أفقه الفقهاء وأصولاً لا سياسة واقتصاداً، أو فقيهاً في مسألة سياسية جاهلاً بأخرى..)

٢ــ ومنهم من يقع في الخطأ في موارد عديدة مع كونه عالماً عادلاً لكونه منه قصوراً لا تقصيراً....

٣ــ ومنهم من يكون كذلك تقصيراً بما يسقط العدالة كالكبائر وبإصرار على الصغائر والعلل متعددة منها: الدخول في الدنيا والعصبية وحب المدح وحب الرئاسة... قال الصادق عليه السلام : (وآفة العلماء ثمانية الطمع، والبخل، الرياء، والعصبية، وحب المدح،

والخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ..) وقال ص: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون»..)

وبعد أن ذكر المصنف روايات أخرى عديدة قال: (إذا كان كذلك لزمت الدقة والفحص أولاً: عن كونه عالماً أو متظاهراً بالعلم... وأنه يحمل الكتاب على آرائه أم لا؟... ولزم ثانياً: الفحص والتنقيب على تقدير إحراز دخوله في العلماء موضوعاً عن علة رأيه في الحوادث الواقعة مثلاً... هل هو العصبية وهيجان القوة الغضبية أم لا؟... ما سبب اقترابه من السلطان الجائر؟،... ولزم ثالثاً: الفحص عما لو كان رأيه وموقفه من الحوادث الواقعة نابعة عن خطأ قصوري ــ جهلاً أو نسياناً أو سهواً أو غفلة ــ أو أنه نابع من الاضطرار والإجبار والإكراه مما يشترك مع الخطأ القصوري في المعذورية.. وأما إحراز عدالته فلا تكفي لدفع الخطأ القصوري إذ لا علقة بينهما أصلاً كما لا يخفى... وحيث استلزم رأي الفقيه في الحوادث الواقعة ضرراً كبيراً دنيوياً ــ في النفس أو المال أو العرض بالمعنى الأعم ــ إن كان خطأً أو كان نابعاً عن أحد العلل المذكورة في الروايات... وحيث احتملت تلك العلل احتمالاً عقلانياً وجب عند العقل والعقلاء الفحص عن سبب موقفه وأنه الهوى وأشباهه أم الورع والعقل؟...) ثم بحث المصنف مسألة عدالة الفقيه واستصحابها... ثم استدل على بعض صور المسألة بالمناط المحقق في علم الرجال الموجب للبحث عن الجارح ولو فيمن كانت عدالته محرزة في زمن ثم وجد جارح أو احتمل وجوده احتمالاً عقلانياً ثم قال: (.. وأما كونه منصوباً حاكماً في الحوادث الواقعة فلا يدفع وجوب الفحص عن خطأ القصوري والتقصيري) واستدل على ذلك بأربعة أدلة نلخص منها ثلاثة :

(١ــ إذ غيره أيضاً منصوب حاكماً فيها كما بيناه في محله ــ ٢ــ غيره أيضاً مكلف بإحقاق الحق وإبطال الباطل وكونه منصوباً، لا يستلزم كون الحق ما حكم به لبطلان التصويب... ــ ٣ــ إضافة لبناء العقلاء على الفحص والردع في الشؤون الخطيرة...)

ثم بين المصنف وجه الاستدلال بما ذكر على وجوب عقد مجلس شورى الفقهاء وانتقل بعدها إلى:

الفصل الثاني: (في بيان حكم تخالف رأي أكثرية شورى الفقهاء مع أكثرية الأمة) حيث بحث مفصلاً هذه المسألة سواء على مبنى كون الحكومة وكالة أو كونها عقداً مستقلاً بين الأمة والحاكم أو كونها منصباً من قبل المعصوم عليه السلام كما تطرق لرضى الناس وهل هو شرط أم لا؟ وإذا كان شرطاً فما هي حدوده؟ هل هو شرط في أصل الولاية

التعيينية لأحد الفقهاء فقط أم هو شرط أيضاً في نفوذ أحكامه بعد ولايته أو لا هذا ولا ذاك؟ كما تحدث مفصلاً عن مدى أمكان التمسك بـــ(فإذا حكم بحكمنا) وتطرق في آخر الفصل لإشكالات أخرى وأجاب عنها ثم انتقل بعدها إلى:

الفصل الثالث: في بيان وجوب الاستشارة والإتباع حتى لو لم ير سائر الفقهاء ذلك وعدمه.

حيث تطرق المصنف بالتفصيل لـــ(إذا لم ير بعض الفقهاء أو أكثرهم جواز تولي الحكومة أو رأوا ذلك ولم يروا كونها شورى بل رأوا صحة تولي الواحد فهل على الفقيه الحاكم أو الفقهاء الحاكمين إذا كانوا ممن يرون وجوب الشورى استشارتهم وإتباع رأي الأكثرية أم لا) كما تحدث عن الحكم التكليفي والحكم الوضعي (عدم النفوذ) فيما لو لم يستشر، كما تطرق لفروع أخرى كـــ(هل لمن رشحته الأمة الرفض؟) و(هل له الاستقالة) و(حكم ما إذا لم يشترك أكثرية الناس في الانتخابات) وبذلك انتهى الفصل الثلاث ليبدأ

الفصل الرابع: الذي تحدث فيه عن فرعين

(هل للأمة عزل الحاكم أو شورى الفقهاء الحاكمين أم لا؟ وهل ينعزل بفقدانه للشرائط قهراً؟)

ولقد ذكر المصنف في الفرع الأول ثلاثة وجوه للقول بعدم حق للأمة في العزل وناقشها ثم ذكر خمسة وجوه للقول بثبوت الحق لها وناقش بعضها وأما انعزاله القهري بفقدانه للشرائط فقد استدل عليه بالآيات والروايات وبالأولوية القطعية من أبواب الإفتاء والقضاء وإمامة الجماعة.

ثم تطرق لفروع أخرى عديدة منها: (.. لو علم بعض أعضاء الحكومة أو بعض أفراد الأمة بفقدان الحاكم للشرائط فهل لهم الأعراض عن أوامره أم تجب عليهم أطاعته ما دام لم يعزل رسمياً؟) حيث فصل الحديث عن هذا الفرع، ومنها: (لو أتهم الحاكم أو بعض أعضاء شورى الحكومة بما يقطع عن العدالة واختلف فيه أهل الخبرة فمن المرجع؟)

ومنها: (لو تغاير اجتهاد أهل الحل والعقد بأن رأي بعضهم للعدالة معنى أعم أو لم يشترط الاجتهاد في الحاكم فما الحكم لو انتخبت الأكثرية فاقد الاجتهاد أو فاقد العدالة بالمعنى الأخص؟) إلى غير ذلك

ثم عرج المصنف إلى:

الفصل الخامس: حيث بحث من كون الولاية لكل مجتهد جامع للشرائط أم لخصوص مراجع التقليد؟ كما بحث مسألة ولاية عدول المؤمنين بالتفصيل وبعد ذلك تحدث في:

الفصل السادس: عن استقلال السلطة القضائية حيث تحدث عن ذلك في ضمن ثلاثة مسائل فقال: (لا بد لتحقيق ذلك من التطرق لمسائل ثلاث:

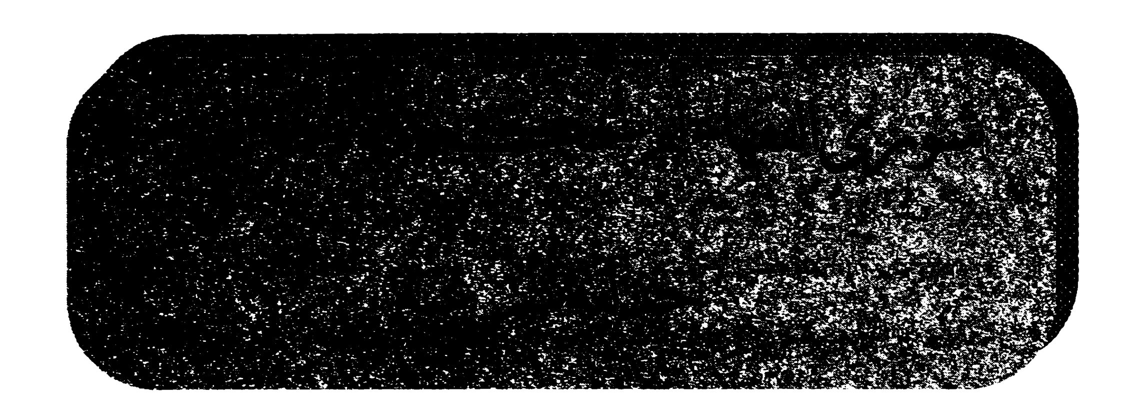
الأولى: أن نصب القاضي هل هو بيد الفقيه الحاكم أم لا؟ وهل هو محتاج إلى إذنه أم لا؟

الثانية: هل له أن يعزله مطلقاً أو فميا لم يكن اقتراحاً وتشمياً؟

الثالثة: هل تسمع دعوى أحد الرعية على الحاكم إذا اشتكى عليه ظلماً شخصياً أو نوعياً؟ وهل للقاضي ــ سواء كان نصبه بيد الفقيه أم لا ــ الحكم على الحاكم إذا أدعى عليه أحد الرعية أم لا؟) ثم تناول كل مسألة بالبحث والتنقيب. فتم المصنف الجزء الأول بهذه الخاتمة (في بيان عدم استلزام شمول أدلة الحجية للمتعارضين الجمع بين المتناقضين أو المتضادين) حيث أكثر من النقض والإبرام حول ذلك. وبذلك نصل إلى نهاية استعراضنا لجانب من عصارة ما جاء في هذا الكتاب النفيس الذي يُمثّل اضافة نوعية في المكتبة العربية الاسلامية وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



اكاديمية الكوفة



● كريم المحروس

قراءة في كتاب "كلمة الإسلام"، للمؤلف: آية الله السيد حسن الشيرازي.

استيقظت على دمدمة الزوابع الرهيبة، تقصف بها على حساب الآخرين، فنفضت بقايا السكر عن الجفون، ونفايا الإعجاب المزيف عن الأفكار، لتجد واقعها أرض معركة جبارة، تعتبر من أعقد معارك التاريخ، وتطلعت إلى الإسلام، لينتشلها من جاهليتها الثانية، كما انتشلها من جاهليتها الأولى، ويصوغ كيانها العتيد، ويجدد مجدها الغارب، ويكفر عما فرطت وخبطت مائة عام.

وتوامضت في الأفق الغامض، تباشير الأمل الكبير.. وتواترت في كل مكان، انتفاضات عنيفة مرهفة، هي آلام المخاض التي بمقدارها يعظم النتاج.. وطفقت – هنا وهناك – ارهاصات يافعة تتنبأ بنهضة إسلامية شاملة، تتنفس عن فجر جديد لسيادة المسلمين، وتتفتح عن تاريخ جديد لسعادة الحياة.

هكذا يصف المفكر الإسلامي الراحل السيد حسن الشيرازي في مقدمة كتابه (كلمة الإسلام) في طبعته الجديدة الصادرة هذا العام (١٩٩٨) في لندن، يقظة الأمة الإسلامية وحالها بعد سبات طويل، ويشير السيد الشيرازي إلى أن كتابه (كلمة الإسلام) محاولة متواضعة للاشتراك في تصميم تلك (الكلمة) وعرضها على الحياة.. وإن هذه الـ(كلمة) ومليون كلمة معها، لا تطيق إنجاد الأمة، ولا أداء مدلول الإسلام في واقع الحياة، فإقحام الإسلام في واقع الحياة، رسالة تتطلب ألف عنصر وعنصر، واحد هذه العناصر، بعث

الوعي الإسلامي الصحيح، في معارض الفكر، ودحض الأفكار الدخيلة عليه، ولكنه العنصر الأول والأساس.

وهنا يشرع آية الله الشيرازي في هذا الكتاب المؤلف من ٢٣١ صفحة في تحديد عناصر العجز في واقع الأمة المعاصر وعناصر النهضة، فيقول: عاشت الأمة ألف عام، ثم انحرفت قياداتها وترهلت، في أدوار حاسمة دقيقة، كان عليها أن تبقى في ذروة الوعي والانتباه، لأنها فقدت جدارتها بالقيادة العالمية في أولى مراحلها – نتيجة لتضافر معاكسات ومضاعفات – ولكنها بقيت منطلقة بقوة الشعلة النبوية، التي ألهبها في قرارة كل مسلم.. وكان عليها قبل أن تمارس التجربة، أن تفكر في التجربة، وتصمم الخطة، ثم تنطلق في المحاولة، ففاتها "عملية التفكير"، واندفعت بلا هدف ولا اتجاه، لأنها رأت الأمم المتحررة تندفع، ولم ترها تفكر، فحسبت أن عليها أن تندفع فحسب، وسيكون في انتظارها النجاح المحتوم، غير أن الأمم المتربصة بها فكرت ألف تفكير وصممت لها ألف خطة، لتهضمها في طريق الصعود كما هضمتها في طريق الانحدار، فما انطلقت لكسب نجاحها، حتى وجدت نفسها على مفترق الطرق، وتلفتت لتلمس المعونة المادية والمعنوية التي تضمن لها المسير والمصير، فارتسمت حولها في الأفق، إشارات كبيرة تقول: إلى أين؟.. كيف المسير؟.. ما هو الهدف؟.. إلى متى الصراع؟.. وما هي وسائل النهوض؟..

وانطبعت خلف كل استفهام حلول تقول: النازية، الفاشية، الشيوعية، الاشتراكية، وغيرها!!. وهنا يلخص السيد الشيرازي في هذا الجزء من الكتاب، أولاً عناصر النهضة الطبيعية للأمة في ما يتصل بطبيعة المبدأ، وهي: وجود مبدأ شامل صحيح، ووجود قيادة محدودة حكيمة، منتزعة من صميم ذلك المبدأ، وأما القسم الثاني من عناصر النهضة فهو ما ينطلق من واقع الأمة وإرادتها وجهودها، وهي: وعي الأمة لذلك المبدأ وتلك القيادة، إيمانها المطلق بهما معاً، وثقتها بنفسها، كأمة تستجمع مؤهلات النهوض المستقل، وتنفيذ الأمة، لذلك المبدأ – في واقعها – بإيحاء تلك القيادة، ويؤكد الشيرازي أنه متى توفرت هذه العناصر الستة في أمة، كانت إمارة نهوضها المحتم القريب، ثم يبرز نواقص الأمة والواقع المشؤوم بلا تعصب أو انحياز، ويعرض هذه النواقص على عناصر النهضة ليلتمس الأخطاء قبل مباشرة تشييد مستقبل الأمة تفادياً للتهافت المنحرف. وفي ما يتصل بالواقع المعاصر للأمة يتحدث المؤلف عن عوامل فكرية حسنة تكاملت لومضات شعت في لحظات التوفيق، على إثر انطلاق أكفاء نحو المعركة:

١- شعور المسلم الحديث بأن المشكلة الإسلامية هي من صنعه، المتمثل في سلوكه الشاذ المتحلل أولاً، وفي اندفاعه الكيفي المتسلل، للعلاج ثانياً، فمن الممكن معاكستها والتخلص منها.

٢- إن سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة فتحت أمام المسلم الحديث آفاقاً بلا حدود.. وأعلمته بأن لا وجود للمستحيل في مجال العمل.

٣- تضخم التجارب الموروثة وتطلع المسلم الحديث إليها.

٤- الفوضى العالمية التي نسفت جميع القيود والحدود التي تخيل أنها حتمية وأبدية.

هذه العوامل الفكرية الأربعة، تلاقحت لإنتاج: إيقاظ الشعور بالخطر، والإيمان بالنجاح، في ضمير المسلم الحديث، وتواترت الآمال عليها، لمعالجة المشاكل الثلاث (الكفر والإسلام) و(التيه والتمزق) و(التدافع الاجتماعي)، ولكنها نكبت بالنكسة في مهدها، قبل التبلور لأن عدم نضوج يقظتي الشعور بالخطر والإيمان بالنجاح، وعدم خلوصهما من المصالح الأنانية، جعلا منها مادة سخية لتغذية المشكلة الثالثة الناجمة من تشعب الآراء فينا، وتناقض الطمع والأهواء أحياناً، ورغم أنها تدعي العمل، لمعالجة المشكلة الكبرى التي تدور بين (الكفر والإسلام) إلا أنها تشاغلت بنفسها في صميم الأمة، وانصرفت إلى عالم الاصطدامات، لإيقاظ ملحمة شعواء، تحز في واقع الأمة وتؤلب عليها الأعداء.

وهكذا تطورت المشكلة الواحدة إلى مشاكل عديدة متوالدة.. ولا زال كل متشدق ينتصب لإعطاء العلاج.. فوضع أقوام (أنظمة) ظنوا: أنها العلاج الناجع.. وانصرفت جماعات إلى تقرير "مناهج"، سَوَّل لها الشيطان: إنها بنود الوحي.. وتبنى آخرون طرائق ووسائل متنوعة توجه طاقات المخدوعين.

وهنا يتساءل المؤلف عن العلاج للمشكلة الإسلامية الكبرى، وقبل أن يضع ويناقش الحلول المعروضة، يحدد الشيرازي الشروط الواجب توفرها في كل عمل إسلامي يضع العلاج، حتى يصح إطلاق "العلاج الإسلامي" عليه.

١- أن يكون علاجاً فعلياً تجريبياً، غير مغرق في المثالية.

٢- أن يكون علاجاً منبثقاً من صميم الإسلام، بوحيه وأساليبه.

٣- أن تتوفر لديه "الضمانات" التي تكفل للإنسانية صدقه وصوابه، عند الله وفي رأي الإسلام.

٤- أن تتوفر المصادفة الشرعية، على كافة مرافقه.

٥- إسلامية الفلسفة التي تستقي منها جذور الحركة.

وباختلاف وجهات النظر الفلسفية، حول الحياة والإنسان والإسلام، يرى السيد الشيرازي اختلاف الحركات العاملة كنتيجة مباشرة لهذا الاختلاف، مما أدى إلى الانشقاق في حركة الأمة إلى مئات الحركات الموضعية المتضاربة، التي حصرها المؤلف في ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول: حركة الأحزاب الإسلامية: وطبيعة هذه الحركة: أنها تبدأ بفرد مفكر أو أكثر، آمنوا - إجمالاً - بأن الإسلام هو النظام الأصلح.. فنصبوا أحدهم قائداً للحركة، أو نحتوا من مجموعهم قيادة جماعية مشتركة للحركة، وساروا في الطريقة الحزبية السرية أو العلنية، ليسيطروا على الحكم، عن طريق الثورة العسكرية المسلحة، أو أكثرية الأصوات في البرلمان، فيبدلوا نظام الحكم المباد، بنظام الحزب الظافر، ويرغموا الشعب على تقبل النظام الجديد، بنفس الأجهزة والأساليب السابقة، فهذه في نظر السيد حسن الشيرازي ليست حركة إسلامية، في واقعها المقنع بالإسلام، وإن حملت شعاراته.

ويرى أن الحركة الإسلامية الصحيحة هي التي تكون في بواعثها وأساليبها وأهدافها إسلامية في الصميم، بحيث إذا انحرفت قيد شعرة، يبدو الانحراف فيها شذوذاً... وحركة الأحزاب الإسلامية، في صيغتها المجموعية، نسخة طبق الأصل، من الحركات الحزبية الديمقراطية، المتفاعلة في "العالم الحر".. لأن قيادتها، قيادة ديمقراطية، لا إسلامية، إذ القيادة الإسلامية، لا تتمثل إلا فيمن تكاملت فيه مؤهلات "مرجع التقليد".. وطريقة تنصيبه ليست الانتخاب والاختيار الكيفيان.. فالديمقراطية منهج سياسي يحدد طريقة الحكم، وليس نظاماً داخلياً، يختلف مع الإسلام في قوانينه الداخلية أو يتفق، فيتخلص مفعولها في "جعل الشعب مصدر السلطات" وإلغاء المصادر الأخرى.. وعلى أثر انتخاب قائد الحزب، بأكثرية الأصوات يتجه الحزب - بتوجيه عملي لا شعوري آلي - إلى "عبادة الفرد"..

وتبعاً للتكتيك الحزبي الهادف إلى تكريس الجهود للتظافر على تسلق الحكم، تهمل الأحزاب الإسلامية بقية الجوانب الحيوية من الإسلام التي لا يتكامل الإسلام إلا بها.. بينما الإسلام يحرم التصدي للقيادة إلا لمن تشمله النصوص السابقة، بأن يكون نبياً أو وصياً أو مرجعاً، بينما الأحزاب الإسلامية تباشر القيادة الإسلامية التي لا يجوز لأحد توليها إلا بنص صريح.

الاتجاه الثاني: حركة الأعمال الفردية: وهي الحركة التي لا تؤمن بالمقاييس والمبادئ الثابتة خارجاً وإنما تجعل الفرد مقياساً ومبدأ، يرتفع فوق كافة المقاييس والمبادئ، بحيث تكون إرادته حاكمة في الحركة، دون أن تستطيع العقائد والأفكار الخارجية نفسها ما دامت ذهنية القائد مؤمنة بصلوحها للحركة، فهي تشمل الحركات التي لا تؤمن بالتنظيم الحزبي، ولا تنضوي تحت القيادة الإسلامية الصحيحة، وإنما تستقي وقودها من نشاط فرد، وإن قيادها مجالس أو لجان أو مؤتمرات كثيرة الصخب والأعضاء، وتكتلت على حسابها جماعات شيدت وجودها العملي على التنظيم وتوزيع الأعمال.. وتتطور هذه الحركة تلبية للظروف والبيئات، والانفعالات الدافعة إلى تلك الحركة، وتتحكم فيها آراء واتجاهات الشخصية القوية فيها، إلا أن من الممكن، تحديدها بأنها كل حركة تنبعث من الشعور بشذوذ وضع قائم، ووجوب تطويره.

الاتجاه الثالث: حركة الفقهاء المراجع، وتتألف من "قمة" و"جهاز" و"قاعدة"، وتتمثل "القمة" في "المرجع الأعلى" للمسلمين، الذي يكون فقيهاً جامعاً لمؤهلات "المرجع بالديني"، ويتألف "الجهاز" من "إدارة عليا" يرأسها نفس "المرجع الأعلى" وتنعقد في مقره، وتوزع على أعضائها الأعمال الرئيسية.. ومن "أعضاء" يعبر عنهم بـــ"الوكلاء" يوظفون في كافة المناطق، التي يعيش فيها المسلمون، و"القاعدة" هي مجموعة الأمة، التي "تقلد" ذلك "المرجع" وتأخذ عنه دينها، في كافة الأحوال الشخصية والاجتماعية، وتطيع أوامره ونواهيه، وبعملية "التقليد" يرتبط كل مسلم بشخص "المرجع الأعلى" دون أيما وسيط، و"الوكيل" لا يزاحم هذا الارتباط المباشر.

وإذا كان الواجب على كل مسلم لم يبلغ درجة "الاجتهاد": أن يقلد "المرجع الأعلى" فإن الواجب على جميع الأمة، أن تنضوي تحت قيادة "المرجع الأعلى" وتنصر في "حركة الفقهاء المراجع"، فتتوحد "الحركة الإسلامية" كلها، تحت زعامة واحدة، هو "التنظيم المرجعي" واتجاه واحد، هو "اتجاه الفقهاء المراجع".

ويرى السيد الشيرازي أن "التنظيم المرجعي" يؤدي إلى:

١- حصانة الأمة من الانشقاقات الداخلية.

٢- منعة الأمة من تسلل الاتجاهات الأجنبية عن واقع الإسلام، إلى واقع الأمة في حركاتها التصاعدية التوسعية.

٣- صيانة الأمة من تطفل القيادات الكاذبة عليها.

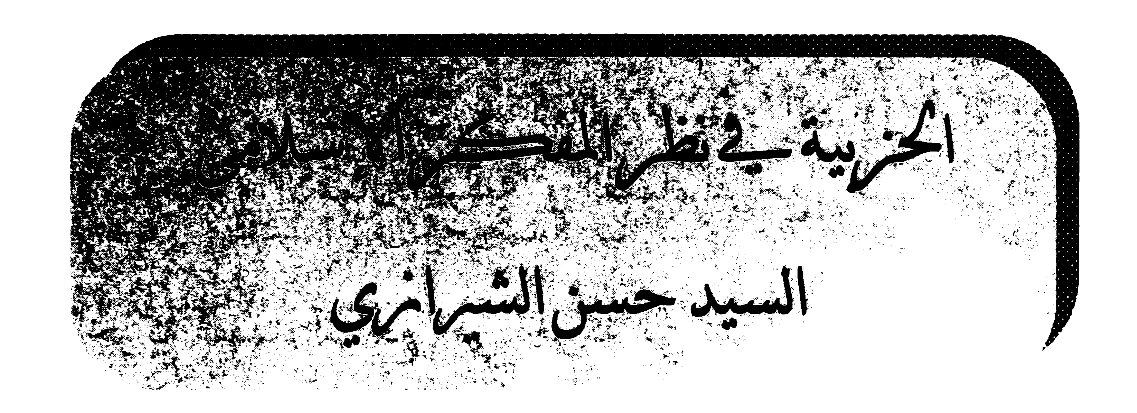
٤- حفظ وحدة الإسلام، ووحدة الأمة، ووحدة الكلمة الإسلامية.

ويستعرض المؤلف بعد ذلك الفروق بين "التنظيم المرجعي" و"التنظيم الحكومي" ليعتبر "التنظيم المرجعي" أقوى التنظيمات في العالم، ثم يعود للتساؤل أمام الاتجاهات الثلاثة "الأحزاب الإسلامية" و"الأعمال الفردية" و"الفقهاء المراجع"، فأيها حركة الإسلام، وأيها متطفلة عليه؟

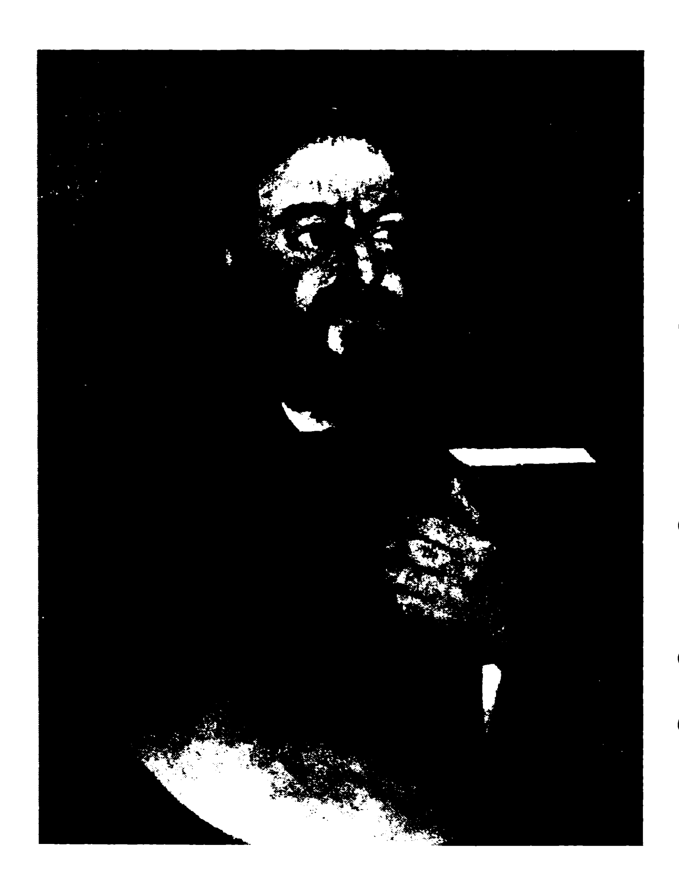
وبما أن "حركة الفقهاء المراجع" هي الحركة التي تستند إلى قاعدة فقهية، هي النصوص السابقة، وقاعدة سيرية، هي اتفاق المسلمين عليها أكثر من ألف عام، فهي الحركة الإسلامية الأصيلة، دون "حركة الأحزاب الإسلامية" ودون "حركة الأعمال الفردية".. وهي الحركة الجديرة بالقيادة الحاضرة دونهما.. على أن المؤلف يرى أن الفقاهة والعدالة شرطا الحركة الإسلامية السليمة، وهذان الشرطان تتميز بهما "حركة الفقهاء المراجع".

من هنا يجد المؤلف أن العلاج للمشكلة الإسلامية: هو ترميم العجز الذريع، الذي حدث في واقع الأمة، بفقد عناصر النهضة الجذرية للأمة، عن طريق "حركة الفقهاء المراجع"، وبعد ذلك يعود السيد الشيرازي ليثير تساؤلات متممة، من أين نبدأ وماذا نعمل؟ ومتى؟ وأين؟. وألف سؤال وسؤال، لكن الشيرازي يقول بأنه ليس علينا التعجيل بالإجابة عليها، وإنما علينا الآن، بدءاً وقبل كل شيء، أن نندمج في "حركة الفقهاء المراجع" ثم هي الكفيلة – بعد ذلك – بالإجابة على هذه الأسئلة، وألوف الأسئلة التي تستجوبنا في منعطفات الطريق، فواجبنا الوقتي المباشر: أن لا نشتبك ونحن على مفترق الطرق.

ويختتم آية الله السيد حسن الشيرازي كتابه باستعراض للشكوك والشبهات التي أثارها المستعمر وبعض الحركات المنحرفة حول "حركة الفقهاء المراجع" وجدارتها بقيادة الأمة.. وهي شبهات وشكوك لا تهدف الإجابة أو الإصلاح، وإنما تهدف إشاعة التذبذب وإدامة التناقض في واقع الأمة، فتأخذ مجراها إلى أندية الشباب الغرير، والأوساط العملية والمستغلة، لتأكيد عملية "الفصل بين الشعب والعلماء" فتنشرها حركات، وتبني نفسها عليها أحزاب، وتلوكها ألْسِنة وأبواق.



• فتى الكوفة



الإمام الشهيد السيد حسن بن الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي أحد الشخصيات الفكرية الإسلامية الشهيرة على الساحة العراقية خلال عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٣٧، اعتقل سنة ١٩٦٩ في قصر النهاية ببغداد ولاقى صنوفاً من التعذيب خلال أشهر ثم أفرج عنه فالتحق بلبنان وتردد بينها وبين الكويت، وأعلن عن معارضته للدكتاتورية، استطاع النظام الصدامي اغتياله ببيروت يوم الجمعة الثاني من مايو سنة ١٩٨٠، وما زال لديه عدد كثير من المريدين الذين تأثروا بأفكاره أو درسوا على يديه، وهم اليوم ضمن الحركة المرجعية والثقافية العالمية «الشيرازية».

لم يكن الشهيد الشيرازي يؤمن بالخط الحزبي وكان يُعَوّل على قيادة المرجعية الدينية للأمة الإسلامية ويعتبرا الحل النهائي لمشاكل الجماهير وكان يطالب بتحديث المؤسسة

الدينية وعصرنتها لتقوم بهذا الدور على أفضل الوجوه الممكنة، وقد عبر عن رأيه ذلك في قصيدة ألقاها بكربلاء في ١٤ رجب ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) وفيها يقول:

كم ذا جنى الأذناب والأحزاب	فلتسقط الأحزاب والأذناب
لا توجد الأحزاب في أوطاننا	فمناورات تلك أو ألعاب
يتنازع المستعمرون وإنما	كبش الفداء شراذم وشباب
يتقاتلون على المناصب والذي	سن المبادئ أنها أبواب
فهم أتوا بالفوضوية فجأة	ومضوا بها وتتابعت أغراب
وتقاتل الهمج الرعاع لأنه	حقت عليهم لعنة وعذاب
فلكل حزب قادة مدسوسة	يحدو لها مستعمر نَصَّاب
الحزب حزب الله ليس سواه	في الإسلام أحزاب ولا أنصاب

وفي كتابه الذي نشره عام ١٩٦٢ أوضح الشهيد الشيرازي كامل نظريته في الموضوع، وفي البدء شَخَّصَ طبيعة الحركة الحزبية في أنها «تبدأ بفرد مفكر، أو أفراد أمنوا بإجمالها بأن الإسلام في الصيغة التي تصوروه فيها هو: النظام الأصلح فقرروا تنظيم حركة قاعدية هرمية لتنفيذه فنصبوا أحدهم قائداً للحركة أو نحتوا من مجموعهم قيادة جماعية مشتركة للحركة، وساروا في الطريقة الحزبية السرية أو العلنية ليسيطروا على الحكم عن طريق الثورة العسكرية المسلحة أو أكثرية الأصوات في البرلمان فيبدلوا نظام الحكم المباد بنظام الحكم الظافر ويرغموا الشعب على تقبل النظام الجديد بنفس الأجهزة والأساليب السابقة».

وأضاف:

«وهي ليست حركة إسلامية في واقعها المقنع باسم الإسلام وأن حملت شعاراته لأن الحركة الإسلامية الصحيحة هي التي تكون في بواعثها وأساليبها وأهدافها إسلامية في الصميم، وحركة الأحزاب الإسلامية في صيغتها المجموعة نسخة طبق الأصل من الحركات الحزبية الديمقراطية المتفاعلة في العالم الحر ولا تختلف عنها في نوعية الحركة وإبعادها ومرافقها، كل ما يجسد الاختلاف عنها هو أن بعض المواد من نظامها مقتبس من الإسلام

وهذا وحده لا يجعل الحركة إسلامية ـــ بالواقعية الإسلامية الشاملة». فحركة الأحزاب الإسلامية لا تنتمي إلى الإسلام ـــ حسب الشيرازي ـــ لأنها:

أولاً: قيادتها الديمقراطية لا إسلامية، (لكونها) متحررة من مؤهلات (مرجع التقليد) فلا يشترط في القائد الحزبي الاجتهاد في الفقه الإسلامي ولا أي واحد من شرائط المرجع، وإنما سيتولى قيادة الحزب فرد مفكر أو يشترك فيها أفراد مفكرون، ممن لهم السوابق الحزبية.

ثانياً: أن حركة الأحزاب الإسلامية، لا يمكن فرزها عن الحركة الديمقراطية (الغربية) لأن الديمقراطية منهج سياسي يحدد (طريقة الحكم) وليس نظاماً داخلياً مختلف مع الإسلام في قوانينه الداخلية أو يتفق، فيتلخص مفعولها في جعل الشعب مصدر السلطات وإلغاء المصادر الآخرين، ومؤدى ذلك ترك حرية شرع النظام وتنفيذه للشعب ـــ المتمثل في الأكثرية ـــ والنظام الداخلي للأحزاب الإسلامية لا يناقض هذا الفحوى.

ثالثاً: على أثر انتخاب قائد الحزب بأكثرية الأصوات يتجه الحزب ـــ بتوجيه عملي لا شعوري آلي ـــ إلى (عبادة الفرد) إذا انتخب فرد واحد لقيادة الحزب كما يتجه إلى عبادة المجهول إذا انتخب أفراد مجهولون للقيادة. ومتى أيقن الفرد المعبود بهذه المركزية المستقرة لنفسه ـــ يضيف الشيرازي ـــ ينفلت من جميع القيود المثلية والتفضيلية، مندفعاً مع نزواته، إلى حيث قد ينقلب إلى وحش هائج لا يؤمن إلاّ برغباته ونداءاته، واثقاً من أن ثقة الحزب لا تسحب منه مهما تطرف وانحرف...

وقد وجدت الأحزاب والقيادة والحياة الإنسانية شر أزماتها من القادة الحزبيين الذين أفسدتهم السلطة المطلقة (أمثال أدولف هتلر ـــ ماوتسي تونغ ـــ ستالين ـــ موسوليني)

ص١٠٧ ـــ الأحزاب الإسلامية تكون متطرفة تنشط على الجانب السياسي والإسلام وتهمل بقية الجوانب الحيوية منه، التي لا يستكمل الإسلام إلا بها. تبعاً للتكتيك الحزبي الهادف إلى تكريس الجهود للتضافر على تسلق الحكم، وتتفلسف الأحزاب الإسلامية لهذا التطرف المفرط، بوجوب تطور النشاطات، لانتزاع الحكم الإسلامي كله من الأيدي العملية والمنحازة، ريثما يكون الأمر كله لله... وبهذا المنطق تحاول الأحزاب الإسلامية تغطية تطرفها وتبرير انحرافها.

ص١١٢ ـــ أن الأحزاب الإسلامية تباشر القيادة الإسلامية التي لا يجوز لأحد توليها، إلا بنص صريح من المعصومين عليهم السلام، بل العمل الحزبي مطلقاً، سواء أكان روحياً

أم مادياً، تصد للقيادة والإسلام يحرم التصدي للقيادة إلا أن يكون نبياً أو وصياً أو مرجعاً.

ص١١٦: الأحزاب تخلق من قادتها فراعنة تعتبر نفسها فوق كل المستويات وتعمل لتزكية جميع السيئات أن صدرت عنهم ويتهيب الأعضاء عن محاسبة قادتهم.

ص١١٧: والأحزاب ــ السرية منها بصورة خاصة ــ تكون شبكة عاملة لخدمة المصالح الاستعمارية والحكومات المحلية لأنها تقدم لحركتها أهدافاً سامية بعيدة (ص١١٨) والحكومات الاستعمارية تشعر بالحاجة إلى الأحزاب المحلية في كل مكان، لتقدم لها بدور شبكات التجسس والأصابع التي تهدد الحكومات المحلية بالثورة والفوضى أن لم تستجب لإرادة الاستعمار فتستدرجها بطريقة الإغراء المادي أو الانقلاب الداخلي في قياداتها وبالنتيجة تتحول الأحزاب التي تكونت ضد التدخلات الاستعمارية إلى أجهزة لتأصيلها وتعميقها.

ص١٢١: وتجد الأحزاب الإسلامية كافة، تتفق على نسف الشعائر الحسينية، وإلغاء المنبر الحسيني مع العلم بأنها أقوى جهاز دعائي، قام بدور التغذية الجماهيرية للإسلام.

حركة الفقهاء المراجع

وتتألف هذه الحركة من قمة تتمثل في:

١ــ المرجع الأعلى الذي يكون فقهياً جامعاً لمؤهلات المرجع الديني.

٢ــ وجهاز يتألف من إدارة عليا يرأسها نفس المرجع الأعلى، وتنعقد في مقره وتوزع على أعضائها الأعمال الرئيسية وهي تؤدي دور مجلس الوزراء في إيصال المعلومات إلى المرجع ومناقشتها معه وتلقى الاتجاهات والأوامر منه، ثم تعكس ذلك على الأمة. ومن أعضاء يعبر عنهم بــ(الوكلاء) يوظفون في كافة المناطق ويقومون بدور رؤساء، الوحدات الإدارية فيقومون تنظيم شؤون المسلمة وتنفيذ أوامر القيادة فيها، وجباية الضرائب الإسلامية...الخ.

٣ــ القاعدة وهي مجموعة الأمة التي تقلد ذلك المرجع وتأخذ عنه دينها في كافة الأحوال الشخصية والاجتماعية وتطيع أوامره ونواهيه.

ومزايا التنظيم المرجعي (ص١٤١)

١ــ مناعة الأمة من تسلل الاتجاهات الأجنبية عن واقع الإسلام.

٢ــ حفظ وحدة الإسلام.

وشخصية المرجع له إدارة منظمة ولكن غير مسلحة إلا بالطاقات المعنوية والكفاءات الدينية، وإن كانت لا تأبى عن استخدام السلطات الزمنية، لتولي القيادة الحكومية للأمة أن أتيحت لها غير أن وجودها الفعلي أعزل لا يلتجئ إلى العنف.

والمرجع وسيط بين الله والأمة لإيصال أرادته تعالى إليها، وعلى الأمة أن تطيع الله بواسطة المرجع لا أن تطاع بواسطة المرجع. يضع الشيرازي ثلاث حلول للمشاكل الأمة:

١ـ حركة (الأحزاب الإسلامية). ٢ـ حركة الأعمال الفردية. ٣ـ حركة الفقهاء المراجع

يرى أن حركة الأحزاب الإسلامية حركة غريبة أوحى بها الاستعمار، أما حركة الأعمال الفردية فهي حركة ارتجالية أوحى بها الاندفاع العاطفي الكيفي فهما أجنبيتان عن واقع الإسلام، ومتطفّلتان عليه، وأن تسترتا باسمه وحملت شعاراته. وأن العلاج للمشكلة الإسلامية الكبرى هو الأخذ بحركة الفقهاء المراجع.

حركة الأعمال الفردية

وأما الحركات التي يقودها فرد واحد منذ البداية حتى النهاية تشمل الحركات التي لا تؤمن بالتنظيم الحزبي ولا تنضوي تحت قيادة المراجع ومن الأمثلة على ذلك الانقلابات العسكرية ومنها حركة منظمة جيش التحرير الجزائري، وحتى ثورة غاندي في الهند حركة من هذا النوع. ومثلها استقلال باكستان... وهذه الحركات لا تخدم الإسلام بسبب:

ـ أن قيادتها قيادة ارتجالية لا إسلامية قد تكون مؤلفة من مجلس أو لجنة أو مؤتمر استهدف مخرجاً فصمم خطة، وألّب جماعة لتحقيق الهدف الذي رسموه. ثم أن طريقتها كيفية ناتجة عن أفكار ذلك الفرد القائد والإسلام الذي يحيا المبادئ القائلة بأن الغاية لا تبرر الوساطة ولا يطاع الله من حيث يعصى وإنما يتقبل الله من المتقين لا يرضى بتبني الطرق غير المشروعة لتحقيق الأهداف الإسلامية مهما ألحت بها العظمة والضرورة.

الأحزاب الإسلامية

الأحزاب الإسلامية لا تتجاوب مع الشعب في آماله وآلامه وتنصب من نفسها سياجاً للمجتمع بل بالعكس من ذلك أنها تختصر نشاطاتها في سبيل ضرب كافة الأهداف والمشاريع العقلية، وتحاول استهلاك كل عمل وهدف ـ حتى هدفها الخاص ـ لتقوية كيانها العقلي الذي يحاول السيطرة على الحكم، تبريراً لتروات أفراد عرفوا الأحزاب

الإسلامية أقرب السلالم إلى الحكم فتبنوها لاالها ولا للإسلام، وإنما لهم وللحكم فقط وفقط، إنما العلماء العلماء وحدهم هم صوت الشعب المخلص، المعبر عن آماله آلام وحض المجتمع وسلاحه. العلماء يلمسون الانحراف الذاتي والعملي في الأحزاب الإسلامي، فالذاتي، ناتج من أن الأحزاب الإسلامية محاولة لإيجاد قيادة إزاء القيادة الإسلامية التي قررها الإسلام بنفسه. والعملي فلان تصرفاتها ودساتيرها غير صحيحة في رأي الإسلام، وليس من حق العلماء أن يسندوا الحركات المنحرفة، مهما تبرقعت بالواجهات الضعيفة والخلابة. ومناداة هذه الأحزاب باسم الشعب والمجتمع هو للاستهلاك المحلي وخداع الجماهير. وأن الإسلام لا يؤمن بالحركة السرية، لأن الدين الذي يقول (أنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) لا يمكن أن يجعل العمل السري طريقه العام لأن ذلك يستتبع الأكاذيب الصريحة، والإيمان المزورة وكل نوع من الخداع والالتواء.

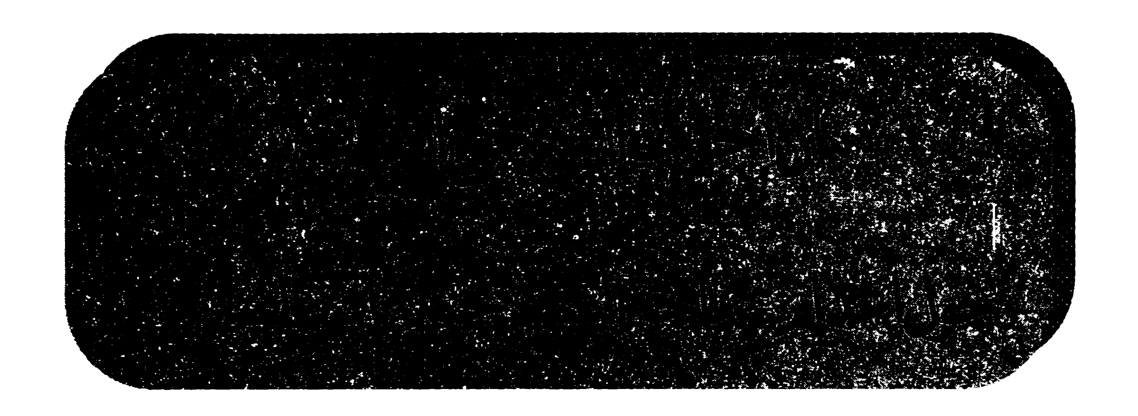
وماذا فعلت الأحزاب الإسلامية، رغم صخبها الواسع في كل مكان أنما دائماً تهتف وتخطب وتتراكض وتتجمع ويُسّر بعض أعضائها في آذان بعض ويدس بعض أعضائها مناشير في جيوب بعض، وتسب العاملين وتستهزئ بالمفكرين وتزدري بالزهاد ثم لا تنجز شيئاً كالسحاب الخلب، الذي يرعد ويبرق ثم لا يمنح القطر. وجميع منجزات الحياة الحزبية تتلخص في نشر قسم معين من الوعي المغلوط، هي الوعي الحزبي الاستهلاكي ضمن نطاق ضيق محدود هو الجو الحزبي الخانق.

(ص٢١٤): أن الأحزاب الإسلامية، لم توجد تلقائياً في البلاد الإسلامية وإنما أوجدها الاستعمار الذي حاول ضرب العلماء بكل وسيلة وسبب فلم يفلح فالتجأ أخيراً إلى تكون الأحزاب الاسلامية لضرب العلماء، وتتوسل (الأحزاب) لتبرير حربها الملوثة ضد العلماء بأنها تعمل والعلماء لا يعملون رغم أنها لا تعمل شيئاً وإنما تثير الصخب والشغب والانشقاق مستدلة بالفلسفة الطائشة (من لم يكن لنا كان علينا) ثم تبدأ في تسخيف جميع الناس. و(ص٢١٥) وقد يستبد الجهل والغرور بالحزبيين حتى يظنوا: أن الله خلق الجنة لمن أطاعهم، ولو كان فاسقاً منحرفاً وخلق النار لمن عصاهم، ولو كان ملكاً رسولاً ويحسبون أن في مجهودهم الضحل الهزيل تبريراً للتطاول على كل عظيم، وينظرون إلى الدنيا من زاوية أحزابهم حتى كأن الله لم يخلق سواها، وكأن كل شيء سواها تافه حقير.

وأخيراً ينصح ــ الشيرازي ــ كل العاملين في الحقل الديني بقوله:

«على كل من يحاول الصحيح، المأمون عن الانشقاق، والمضمون له النجاح أن يندمج في حركة الفقهاء المراجع (لأنها الحركة الوحيدة النابعة من صميم الإسلام ص٢٢٨).

وثائق



فلتتوحد كل القوى الخيرة لوقف حمامات الدم في العراق
يا أبناء شعبنا العظيم.
أيها الناس الطيبون في العالم
أقدمت الزمرة الدكتاتورية المسلطة على رقاب شعبنا بقوة الحديد والنار قبل أيام على ارتكاب جريمة بشعة جديدة بقتلها سماحة السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى، بعد اعتقال دام بضعة أيام. وقد هزت هذه الجريمة الفظيعة ضمائر كل الخيرين الذين تعزّ عليهم قيم الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان.

إنّ هذه الجريمة النكراء جاءت في أعقاب تصعيد خطير لأعمال الإرهاب والقتل التي قامت بها السلطة الدكتاتورية وأجهزتها القمعية ضد كل القوى الوطنية المعارضة للطغمة الحاكمة. فقد اعتقلت منذ بداية شباط الماضي الرفيقين د. صفاء الحافظ القانوني المرموق، عضو مجلس السلم العالمي، صاحب امتياز مجلة الثقافة الجديدة، ود. صباح الدرة الأستاذ الجامعي، الاقتصادي المعروف، والمئات من المناضلين الوطنين ورفضت إعطاء أية معلومات عنهما، مما يثير قلقاً جدياً على حياتهما. ونفذت حكم الإعدام بما يزيد عن مئة مواطن منذ أوائل آذار الماضي دون أية محاكمات أصولية كما تقتضي بذلك القوانين العراقية ولائحة حقوق الإنسان التي وقعتها الحكومة العراقية. وشردت عشرات ألوف المواطنين الشيعة، وأبعدتهم إلى إيران في ظروف لا إنسانية، وبحجة أنهم إيرانيون أو من أصل إيراني، علماً بأنهم عراقيون أباً عن جد.

وبسبب من سياسة التميز والاضطهاد الموجهة ضد المسيحيين تزايدت هجرتهم إلى الخارج مؤخراً بشكل لم يسبق له مثيل، وشنت الحكومة وحزبها حملة شرسة واسعة لإثارة

النعرات العنصرية والشوفينية والطائفية والدينية. وحاولت أن تصبح أعمالها المعادية للثورة الإيرانية الجار الصديق لشعبنا، بصبغة صراع بين العرب والفرس. وواصلت أعمالها التخريبية ضد الثورة الإيرانية بإيوائها حثالات السافاك، وعدداً من أقطاب نظام الشاه وتنظيم زمر التخريب والعدوان. وقامت بالاعتداءات على الحدود الإيرانية، ودعمت شاهبور بختيار للتآمر معه، ومن خلاله، مع أسياده الإمبرياليين الأمريكان بأمل إعادة إيران إلى حظيرة الإمبريالية من جديد.

ولتبرير أعمالها ضد معارضيها في الحركة الدينية المعادية للدكتاتورية، أصدت الطغمة الحاكمة في ١٩٨٠/٣/٣١ قانوناً يقضي بإعدام كل من يعمل في حزب الدعوة الإسلامية أو يتعاطف معه. ونفذت القانون، وهو قانون عقابي، بأثر رجعي خلافاً لكل القيم والأعراف القانونية والإنسانية.

وليس من شك أن هذه الأعمال الإرهابية الدموية كلها تشكل تمهيداً مفضوحاً لحملة دموية رهيبة ضد الشعب الكردي المناضل من أجل حقوقه القومية العادلة في حكم ذاتي في ظل نظام ديموقراطي لشعبنا العراقي كله.

يا أبناء شعبنا المناضل:

إن الحزب الشيوعي العراقي يدين بشدة جريمة اغتيال سماحة السيد محمد باقر الصدر والعشرات بل المئات الذين اعدموا ظلماً وعدواناً. ويدين أعمال الإرهاب الدموي والتمييز الموجهة ضد جماهير الشيعة الذين يناضلون من أجل إلغاء التمييز الطائفي البشع الموجه ضدهم، ومن أجل القضاء على سيطرة الطغمة الدكتاتورية واستهتارها بكل القيم ومعاني الشرف والنزاهة والإخلاص للشعب. ويدين أعمال تهجير الألوف من أبناء الشعب وتشريدهم ومصادرة أموالهم، ومعاملتهم معاملة لا إنسانية.

وإن حزبنا إذ يعلن إدانته الصارخة لسياسة الحكم الإرهابية، وممارساته الإجرامية ضد جماهير الشعب كلها من عرب وأكراد وأقليات قومية وطوائف دينية ومذهبية يدعو كل أعداء النظام الدكتاتوري البغيض للاتحاد في جبهة وطنية ديموقراطية واسعة توحد جهود وطاقات كل أبناء الشعب الطيبين لتخليص البلاد من الطغمة الدكتاتورية المعزولة والمكروهة من الشعب كله وإقامة حكومة ديمقراطية إئتلافية تشارك فيها كل القوى الوطنية المناهضة للحكم الدكتاتوري.

كما يدعو حزبنا الشيوعي العراقي كل الأخيار في البلدان العربية الشقيقة والعالم أجمع إلى رفع صوت الاحتجاج الصارخ ضد حمامات الدم التي تنظمها السلطة الديكتاتورية في

عراقنا الحبيب. ومن أجل إلغاء كل القوانين الإرهابية التعسفية وإطلاق سراح الرفيقين صفاء الحافظ وصباح الدرة وكل المعتقلين والسجناء الوطنيين، وإتاحة الفرصة لعودة كل المشردين والمهجرين والمنفيين إلى ديارهم وأعمالهم ووظائفهم.

المجد والخلود للشهيد السيد محمد باقر الصدر وكل شهداء شعبنا العراقي المناضل.

إن دماء الشهداء لن تذهب هدراً !

وإن شعبنا سينتصر لا محالة على طغمة السفاحين القتلة !

فلنوحد جهودنا لتقريب يوم الخلاص !

١٩٨٠/٨/٢٣ **الحزب الشيوعي العراقي**

الدين والأساس البشري للدين

هل فرَّق ماركس بين الدين وأساسه البشرى؟ أن عباراته التي تحدثت عن أساس بشرى للدين المسيحي «يمكن أن يتحقق في متبدعات بشرية حقة»، تشير إلى أنه يعترف للدين بمحتوى بشري معين. وقد استخدم المترجم اصطلاح (أساس إنساني) ويحتمل أن هذا ليس ما قصده ماركس. ومن المعروف أن اللغات الأوروبية تتضمن خلطاً بين ما هو من شئون الإنسان بوصفه بشراً، وما متعلق بالمسائل ذات الترعة الإنسانية، لكونها تعبر عن هذين الوجهين بمفردة واحدة. وينبغي لذلك التدقيق في غرض الكاتب من هذه الزاوية. وأنا أفهم من سياق الفصل الذي تناول به ماركس هذه الموضوعة أنه يتحدث عن أساس بشري يخص البشر بما هم بشر. وهو أساس يقوم عليه الدين بالتأكيد. ولكن هل من الضروري أن يكون هذا الأساس البشري إنسانياً؟ من الواضح أن كارل ماركس لا يتبنى

هذا الرأي فهو لا يرى في الدين أي عنصر إيجابي. ولكن مع افتراضي نتيجة مغايرة فإن ما يعتبر أساساً «إنسانياً» ومبتدعات «إنسانية» حقة في الدين ليس هو بالضرورة من لوازم الدين فهذه الأسس والمتبدعات يمكنها أن تظهر خارج الدين، كما أن الموقف الديني لا يشترطها، وبالتالي فإن الدولة المسماة مسيحية تحتاج كما يقول ماركس إلى الدين لتكتمل كدولة، والدولة الديمقراطية ـــ الدولة الحقيقية ـــ ليست في حاجة إلى الدين لتكتمل سياسياً فهي تستطيع أن تضرب صفحاً عن الدين بحكم أن الأساس الإنساني متحقق فيها بصورة دنيوية.. بناء على ذلك يمكن أن تستشرف تفريقاً مرهفاً بين الدين، بما هو دين، وبعض المنطلقات الاجتماعية التي يبدأ منها أو يحتويها. هذه المنطلقات دنيوية كان يمكن أن تظهر بغير الدين، لكنها ظهرت في ثوب ديني. وهذا الثوب لا يبدل من جوهرها الذي لا يبرح متميزاً عن الدين بحيث يمكن فصلها عنه بسهولة ـــ هو إجراء ضروري إذا أريد تحرير الدولة والإنسان من الدين ـــ كما يمكن استخلاصها منه حيثما ألغيناها متلبسة به في أي مرحلة من التاريخ..

أن الدين في الدولة هو جملة مآزق. ويمضي ماركس في استقصائه لجوهر الدولة المسيحية القائمة مستلهماً بعض انتقادات بوير، منتهياً بها إلى خيار العلمنة، الخيار الوحيد الذي لا بد أن يأتي في طلاق تام مع الروح الديني. وهذا ما يحدث في الدولة الديمقراطية التي يتجسد فيها الأساس البشري للمسيحية لا المسيحية نفسها. ولكن ما هي هذه الدولة الديمقراطية؟

إنها الدولة البرجوازية. وهنا يعود ماركس إلى مأزق هذه الدولة التي تلغي الدين لكنها تستبقيه في المجتمع، فالدين هو «روح المجتمع البرجوازي والتعبير عما يفصل الإنسان عن الإنسان ويباعد بينهما». وفي هذه الدول يغدو الابتداع الخيالي، أي الحلم، الذي هو مُسَلّمة مسيحية مبدأ دنيويا. فالإنسان الذي رسم في المسيحية كائناً اسمى يرسم هنا أيضاً، لكن كما هو في المسيحية، إنساناً غير اجتماعي. أنه الإنسان الذي اكتسب بفعل كل مناحي التنظيم في المجتمع البرجوازي وبرعاية الدولة الديمقراطية الكاملة ضميراً جديداً أكثر دينية ولاهوتية بمقدار ما هو معرى من المدلول السياسي والغرض الدنيوي، وبمقدار ما هو معبر عن طبيعة العقل المحدود ونتاج للاعتباطية والغيبة. يمكن القول إذن تبعاً لماركس أن الدولة البرجوازية ألغت الدين الطقوسي، وبكلمة أدق ألغت التزاماتها الطقوسية بينما تصرفت كدولة، وكمجتمع، ضمن أطر دينية نقلتها من مجال العبادة إلى المجال الدنيوي الذي استبطن

بالبرجوازية ماهية دينية معراة من الطقوس. أن المجال الدنيوي للبرجوازية ملئ بتلك الشمائل الدينية نفسها: الاعتباطية، الغيبية، محدودية الذهن، المفارقة ما بين الحلم والواقع. مع تأزمات لاحقة يضيفها المجتمع البرجوازي بتخطيه الروح الجماعي للإنسان الديني إلى أنانية الإنسان البرجوازي وفرديته.

وربما ظهر المجتمع البرجوازي في هذا المنحى أكثر إظلاماً ورجعية، رغم الجانب التقدمي الذي ينطوي عليه التحرر السياسي. «مجلة الغد العدد الأول (حزيران ١٩٧٩) مقال نبيل الحلاّج: كارل ماركس وخصوصية الشخصية اليهودية ص ٨١ ــ٨٣».

رأي في فتوى الشهيد الصدر بحرمة الانتماء لحزب الدعوة الإسلامية

• السيد محمد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الفتوى يجب أن تفهم في سياقها التاريخي ، وقد فُهمت كذلك في ذلك الوقت ، لأنها كانت وليدة الظروف التي احاطت الإمام الشهيد من جهة والعمل الإسلامي بشكل عام ، وإذا كان ثمة إشكاليات وتصورات معينة سائدة ، فهي محصلة ظروف لاحقة ، حاول بعضهم اسقاطها على تلك الفتوى. ولذلك يمكنني القول ــ جازماً ــ بأنه الفتوى

كانت في شكلها العلني أقرب منها للصورية منها للواقع ، وقد قصد منها الإمام الشهيد الصدر حماية الحوزة وعلمائها وحماية الحزب نفسه من هجمات الحكم الظالم في العراق.

نعم أشارت هذه لغطاً لا يمكن التقليل من حجمه ، لكنّ هذا اللغط سرعان ما تلاشى في ظل حكمة الإمام الشهيد الصدر ووعي رجال العمل الإسلامي المتمثل في حزب الدعوة الإسلامية ، وقد حدثني الحاج كاظم (أبو زينب) وكان يومذاك أحد أبرز قياديّ حزب الدعوة وحلقة الوصل بين الحزب والإمام الشهيد: أنه ذهب إلى السيد الشهيد وزاره في منزله وعاتبه على الفتوى فأكّد له السيد الشهيد أنه قصد حماية الحوزة والحزب معاً.

وهنا بودي أن أعلّق على هذه المسألة فأقول من غير الممكن جداً بل من غير المعقول أن يستهدف السيد الشهيد صرحاً وكياناً إسلامياً لطالما سهر على رعايته وتوجيهه.

وفي هذا الاتجاه نفسه بعث السيد الشهيد في وقت لاحق السيد عبد الكريم القزويني إلى الحج والتقى الشيخ محمد مهدي الآصفي ــ الناطق الرسمي باسم الحزب فيما بعد ــ وأبلغه حيثيات الفتوى وأنها لا تستهدف الحزب بل تستهدف حمايته .

أما أبرز تلامذة السيد الشهيد وهو السيد كاظم الحائري فقد ذكر في مقدمة كتابه مباحث الأصول والتي خصصها لحياة أستاذه الشهيد أنه بعث رسالة للشهيد بهذا الخصوص وأن الشهيد أكد له أن المقصود من الفتوى هو حماية الحوزة والحزب وتضليل السلطة وفصل بعض العناصر الملتحمة جداً بالعمل المرجعي ولا تستهدف الحوزة أبعاد علماء الدين عن الحزب .

ولعل عدم خروج السيد كاظم الحائري من التنظيم وبقاءه في صفوف الحزب يؤكد ذلك .

نعم كان السيد الشهيد يفكر في إبعاد بعض عناصر مرجعيته المقربين من الحزب وهذا قبل صدور الفتوى ولم يعلن ذلك على الإطلاق لأنه عمل داخلي تم التنسيق بشأنه من الحزب نفسه ، والطريف أن خطوة من هذا القبيل لم تهدف إلى إبعاد مثل السيد الحائري المقرب من المرجعية أعني مرجعية الشهيد الصدر. وعلى كل حال فقد استمر السيد الشهيد متواصلاً مع الحزب وكان الرابط يومذاك بينه وبين الحزب وتحديداً بالقيادي

المشار إليه الحاج كاظم ، كان الرابط هو أحد تلامذته وهو عضو مبرز في حزب الدعوة وهو الشيخ عبد الحليم الزهيري.

هذا فضلاً عما ذكره السيد محمود الهاشمي بعد خروجه من العراق ، إذ أخبر السيد كاظم الحائري بعدول السيد الشهيد عن الفتوى المشار إليها تماماً وانتهاء مفعولها وأمدها .

وختاماً يمكن أن أشير إلى ما ذكره لي السيد حسين الصدر بشأن الفتوى حيث ذكر أن التفكير بهذه الفتوى كان منه هو شخصياً بعد ورود أخبار موثوقة من أجهزة النظام تؤكد اعتقاد السلطة الجازم بمسؤولية السيد الشهيد عن توجيه الحزب وقيادته ولذلك فكرت ــ والكلام للسيد حسين الصدر ــ في عمل من شأنه حماية السيد الشهيد ، وقد طرحت على السيد الشهيد نفسه ذلك في مجلس عائلي و لم يعلق بشيء ، وكان ذلك في النجف ، فلما عدت ــ والكلام لا يزال للسيد حسين الصدر ــ إلى بغداد بعث لي بمشروع الاستفتاء والإجابة معاً.

وما ذكره السيد حسين الصدر يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أن الفتوى صورة قُصِدَ منها تضليل النظام وحماية الحوزة والحزب نفسه والأكثر طرافة في المسألة أن رجال حزب الدعوة وممن كان في السجن ينتظر الإعدام ــ وأخص بالذكر السيد الشهيد عز الدين القبانجي ــ دافع عن فتوى السيد الشهيد وموقفه بأشد ما يمكن أن يدافع ، وإن كان البعض بدافع عاطفي أساء تفسيرها.

ومهما يكن من أمر فلم يعد للفتوى أي تأثير ، بلحاظ ما ذكرناه أولاً ، وبلحاظ عنوانها الثانوي ثانياً ، إذ نعرف جميعاً أن لا دليل على حرمة العمل الحزبي للحوزوي وغيره بالعنوان الأولي وعليه فلا مجال لهذا اللغط وأحسبه من الفراغ والمماحكة. ومن أراد التوسع فيمكنه مراجعته كتابي (الإمام الشهيد محمد باقر الصدر ــ دراسة في سيرته ومنهجه).

فتوى الانفصال

• محمد الحسيني

في خضم الظروف الصعبة، وفي أجواء الاعتقالات التي تعرض لها حزب الدعوة الإسلامية، صدرت فتوى الشهيد الصدر بتحريم طلبة العلوم الدينية إلى الأحزاب الإسلامية، إذ ورد في نصها: لا يجوز انتماء طلاب العلوم الدينية إلى الأحزاب الإسلامية لأن وظيفة طالب العلم هي التبليغ على الطريقة المألوفة بين العلماء.

وكانت صدرت في أوائل شهر (آب) من العام ١٩٧٤، الموافق للعاشر من شعبان من العام١٣٩٤ للهجرة. وقد أفاد السيد حسين هادي الصدر بشهادة خاصة في حيثيات الفتوى أنه كانت الأخبار تصل إلينا أن السلطة تزداد قناعتها يوماً بعد يوم بأن السيد الإمام الشهيد (رض) هو الذي يتزعم بالفعل حزب الدعوة، ومعنى ذلك في القاموس البعثي أنها لن تتردد في الإقدام على قتله وحرمان الأمة من بركات وجوده، لقد بدأت أفكر في طريقة مناسبة تنهي هذه المرحلة الحافلة بالهواجس والظنون والتربصات الخبيثة.

وكان مما خطر ببالي في هذا الشأن تقديم استفتاء خطي لسماحته، وبطبيعة الحال فإن موقفه الصارم من منع الحزبية في الحوزات سينعكس على السلطة وسيظهر براءته من التهم المنسوبة إليه.

عرضت هذا المقترح على سماحته في مجلس خاص (عائلي) دون أن يكون هناك أحد من خارج هذه الدائرة الخاصة، فلم يجزم بشيء محدد في مقام الجواب، وحين قفلت راجعاً إلى بغداد أرسل (قدس سرّه) الفتوى بخطه في ورقة كان قد ترك في أعلاها فراغاً وأمرني آن أكتب بخطي صيغة الاستفتاء، الذي كان قد حددها هو – أيضاً– في ذلك الفراغ

والتوقيع عليه باسمي الصريح، وكان مما قاله لي بأنه أراد أن يحصنني أيضاً من السلطة الغاشمة[١].

ومهما يكن من أمر، فقد وزعت هذه الفتوى من قبل رجال الأمن على المعتقلين من المتهمين بحزب الدعوة، وفي جملتهم الشيخ عارف البصري ورفاقه، وكان قد اعتقل بتاريخ ١٧/٧/١٩٧٤، وتقرر إعدامه بتاريخ ١٣/١١/١٩٧٤.

هذه الفتوى -وفقاً لعدد من الشهادات- كانت لها مرحلتان، إعلانها بهذه الصيغة هو الشكل العلني لها، فيما سبق ذلك مرحلة أولى، وهي مرحلة فصل جهازه -أي جهاز الشهيد الصدر- المرجعي عن التنظيم[٢].

وقد كان طرح الشهيد الصدر على المجلس الاستشاري الخاص به أواخر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م موضوعاً حساساً حول العلاقة بين الحوزة العلمية والتنظيم —وتم التوصل إلى قرار عملي يتضمن النقاط التالية حسب ما أفاد السيد الشهيد محمد باقر الحكيم[٣]:

١ ـــ أن يتم الفصل كلياً، على مستوى أجهزة المرجعية الخاصة، والعناصر الإدارية والاستشارية لها، وبين العمل المنظم الخاص، لتحقيق الاستقلال على هذا المستوى.

٢ ـــ أن يتم الفصل بين الحوزة بشكل عام، والعمل المنظم على مستوى دراسة السطح[٤] والخارج، بحيث يتم إبلاغ الطلبة المنظمين على هذا المستوى بشكل خاص بفك الارتباط العضوي مع التنظيم الخاص.

٣ ـــ يسمح للطلبة ذوي الدراسات الأولية (المقدمات) بأن يرتبطوا بالتنظيم الخاص مؤقتاً من أجل تحقيق التوعية السياسية في هذا القطاع مؤقتاً.

٤ ـــ يستثنى من البند الثاني الأشخاص المرتبطون بالتنظيم الخاص الذين يكون لوجودهم دور مهم في إدارته وتثقيفه، بحيث يؤدي فك ارتباطهم منه إلى إيجاد الاختلال في الوضع التنظيمي الخاص على المستوى العلمي والثقافي.

وقد ذكر السيد الحكيم أن هناك اختلافاً شهدته هذه الجلسات بين أعضاء اللجنة الاستشارية حول هذه القرارات. ولذلك انسحب عدد من جهازه المرجعي من حزب

---

(١) الصدر، حسين، رسالة خاصة، بتاريخ: ٢٤/٦/١٩٩٤

(٢) الزهيري، عبد الحليم، مقابلة بتاريخ: ٥/٨/١٩٩٤ قم ء وراجع: الحكيم، مجلة المنهاج، المرجع السابق ء ص ٢٥٨ وما بعدها.

(٣) الحكيم، مجلة المناهج، المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٤) مستوى السطح يعني الدراسة التي تلحق المقدمات وتسبق الدراسات العالية التي تسمى الخارج.

الدعوة، لعل أبرزهم الشهيد السيد عماد التبريزي[(١)] بالرغم من أنه اعتقل وسجن بتهمة انتمائه إلى حزب الدعوة، ومن ثم أعدم بالتهمة نفسها مع الشهيد عارف البصري، ورفاقه الآخرين.

وقد شرع عدد من طلاب الشهيد الصدر بمحاولات إقناع الآخرين بفك ارتباطهم بالحزب، وقد نقل لي الشيخ الزهيري أن السيد عماد التبريزي حاول اقناعه بذلك، بعد أن كان قد فاتحه بالانتماء إلى حزب الدعوة[(٢)].

وكان جملة من طلبة الشهيد الصدر من أمثال السيد محمد الصدر والسيد عبد العزيز الحكيم والشيخ قاسم العزاوي وآخرون تحملوا مهمة فك ارتباط طلبة العلوم الدينية بحزب الدعوة، وقد نسب ذلك إلى الشهيد الصدر نفسه حيث نقل الشيخ خير الله البصري عن الشيخ راشد الطويرجاوي وكيل الشهيد الصدر في (الحيرة) أن الشهيد الصدر أرسل إليه السيد عبد العزيز الحكيم لترك العمل مع حزب الدعوة[(٣)] وقد نقل لي السيد عبد العزيز الحكيم أن الشهيد الصدر هو الذي أشار علينا بالتحرك على طلبة العلوم الدينية لإخراجهم من حزب الدعوة[(٤)].

وتشير بعض المصادر إلى أن هناك تعسفاً مارسته جماعة الشهيد الصدر والمرتبطون بجهازه في عملية حمل طلبة العلوم الدينية على فك ارتباطهم بحزب الدعوة على خلاف ما كان عليه الشهيد الصدر نفسه، الذي لم يكن إلا بصدد تمييز مرجعيته عن الحزب.

ويذكر الشيخ الزهيري أن الشهيد محمد الصدر أخبره بضرورة أن يكون أحد الطلاب الذين يحضرون مجلس الشهيد الصدر أثناء زيارة زيد حيدر عضو القيادة القومية لحزب البعث، مع أن الشهيد محمد الصدر يعرف أنني في الحزب، ولكنني عندما حضرت في الوقت المقرر صدرت اشارة من قبل بعض أفراد جهاز الشهيد الصدر فعرفت أن هناك رغبة بعدم حضوري، مع أن الشهيد محمد الصدر سألني عن سبب عدم حضوري، هذا فضلا عن الشهيد الصدر نفسه الذي حدثني وجملة من الطلاب، عن زيارة زيد حيدر وما دار في هذا اللقاء[(٥)].

---

(١) الزهيري، المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) البصري:خيرالله، حديث خاص بتاريخ ١٩٩٤/٥/١١دمشق.

(٤) الحكيم، عبد العزيزه حديث خاص بتاريخ: ١٩٩٤/٨/١ طهران.

(٥) الزهيري، مقابلة خاصة، المرجع السابق.

وقد أعرب بعض طلاب الشهيد والمقربين إليه عن انزعاجهم من الطريقة هذه في حمل طلبة العلوم الدينية على فك ارتباطهم بعزب الدعوة، فأفاد الشيخ كامل الكابري بأنه حادث الشهيد الصدر في هذه المسألة، فبرر له الشهيد هذه الخطوات بداعي حفظ الحوزة، مشيراً إلى اعترافات الشيخ صالح الظالمي الذي كان الشهيد يقول انه (ألف قصيدة) في إشارة إلى كثرة اعترافاته[١].

كما أفادني الشيخ طالب السنجري وكان مقربا من الشهيد الصدر أن الشهيد حسين باقر (صهر السيد محمد باقر الحكيم) وأحد المقربين من الشهيد الصدر –أيضاً– قال له انه يفترض فيه فك ارتباطه بالحزب، فكان أن أجابه الشيخ السنجري بأن ينقل للشهيد الصدر أنه مشتبه في هذه المسألة[٢].

وبغض النظر عن ذلك، فإن هناك اعتراضات شديدة برزت تجاه أصل إعلان الفتوى وفك ارتباط الحوزة بالتنظيم، وكان جملة من طلاب الشهيد الصدر في أشد الغضب، من أمثال الشهيد حسين معن، والشيخ ماجد البدراوي، والشيخ خير الله البصري، والسيد عمار أبو رغيف، والشيخ عبد الرضا الجزائري، والشيخ الشهيد خزعل السوداني. وتفيد بعض المصادر أن شباب البصرة كانوا ينظرون إلى حزب (الدعوة) بمثابة المقدس ولذلك كانوا شديدين على الشهيد الصدر، وقد صدرت من بعضهم كلمات غير مناسبة تجاه الشهيد الصدر، فاعتبره بعضهم نظيراً للشيخ علي كاشف الغطاء (الذي يعتبره البعض حليفاً للسلطات الرسمية العراقية)، بل إنه أسوأ منه، لكن حالات الانفعال هذه كانت محدودة، وكان أغلبها يصدر من خارج العراق كما يفيد السيد عبد العزيز الحكيم[٣].

ويفيد الشيخ خير الله البصري أنه والشيخ ماجد البدراوي ناقشا الشهيد الصدر في هذه المسألة، كما أنه يقول: إنه قال للشهيد الصدر إن جدك موسى الكاظم (عليه السلام) خُيّر بين أن يلحق الأذى بنفسه أو شيعته فاختار أذى نفسه، بينما اخترت أذى شيعتك على أذى نفسك فسكت الشهيد الصدر، كما يفيد الشيخ البصري أنه قال للشهيد الصدر: اسمع ما يقوله الشيخ أحمد البهادلي متسائلاً عما فعله الصدر وانه نظير

(١) الكابري، كامل، المرجع السابق.
(٢) السنجري، طالب، حديث خاص.
(٣) الحكيم، عبد العزيز، المرجع السابق.

تصريحات السيد محمد البغدادي حول ما نسب إلى السيد مهدي الحكيم من اتهامه بالجاسوسية، فأجاب بالآية: (وإنما حزاء الذين يحاربون الله ووسوله أن تقطع)[١].

واذا كان قد افترق جمهور الشهيد الصدر إلى فريقين أحدهما: الفريق المنسجم معه في التصورات والعمل، وثانيهما الغاضب من ذلك، فقد كان لأحد أبرز طلابه موقفاً سرياً - إن صح التعبير - إذ فضل السيد كاظم الحائري أن يبقي على ارتباطه بالحزب دونما الدخول في جدل مع الشهيد الصدر في موقفه من علاقة الحوزة بالتنظيم.

ويذكر السيد محمد باقر الحكيم أن الشهيد الصدر صدم صدمة نفسية وسياسية وأصيب بالمرض عندما اعترف السيد الحائري[٢] له ببقاء علاقته التنظيمية بالحزب[٣]، كما ذكر أن الشهيد الصدر لم يكن مقتنعاً لما أبداه السيد الحائري من اعتذار حول فهمه لقرار الشهيد الصدر بضرورة انسحاب طلابه من حزب الدعوة، بل أن السيد الحكيم يحمل على السيد الحائري حملة شعواء في هذه المسألة، ويرى أنه استفاد من موقعه واعتماد الشهيد الصدر عليه للامتداد في الحوزة وجهاز المرجعية وتوظيف ذلك خدمة لحزب الدعوة، والذي أوجب غضب أبناء السيد الحكيم (المرجع) كما يذكر السيد محمد باقر الحكيم[٤].

ويذكر الشيخ الزهيري أنه سمع من السيد الحائري نفسه أن الشهيد الصدر قد تأذى منه للموقف المشار إليه[٥]، كما يذكر الشيخ الزهيري عن الشهيد حسين معن بواسطة السيد علي أكبر الحائري عن الشهيد الصدر نفسه أن سبب غضبه منه هو أنه لم يسمع منه اعتراضاً لقراره ليحترمه ويقدره[٦].

وكنت سألت السيد الحائري شخصياً حول موقفه من قرار الشهيد الصدر بفك ارتباط طلبة العلوم الدينية بالحزب، وموقف الشهيد الصدر منه لعدم الانسجام معه، فلم يجب بشيء وامتنع عن التعليق.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت الفتوى في صيغتها العلنية سبباً لانزعاج حزب الدعوة وكوادره، وينقل الشيخ عفيف النابلسي أن بعض أقطاب حزب الدعوة شكوا الأمر إلى

(١) البصري، خير الله، مقابلة خاصة، بتاريخ ١٩٩٤/٥/١٥ دمشق.
(٢) لم يسم السيد الحائري بل أغفل اسمه واكتفى بالإشارة إليه (بالأخ الطالب الفاضل).
(٣) الحكيم، مجلة المنهاج، المرجع السابق ص ٢٦٣.
(٤) المرجع السابق نفسه ص ٢٨٦.
(٥) الزهيري، مقابلة خاصة، المرجع السابق.
(٦) الزهيري، مقابلة خاصة، المرجع السابق.

السيد موسى الصدر[١]، ولذلك حاول الشهيد الصدر إبلاغ الدعوة بحيثيات قراره وأنه لا يستهدف وجودها، وقد كلف لهذا الغرض السيد عبد الكريم القزويني أثناء زيارته للكويت مروراً بها إلى مكة المكرمة للحج، وذلك للاتصال بالشيخ محمد مهدي الآصفي[٢] ويذكر السيد محمد باقر الحكيم أنه أبلغ الشيخ عارف البصري قرار الشهيد الصدر، وذكر البصري أن الدعوة لا تجد فرقاً بينها وبين الصدر[٣] ولكن نذكر أن الاتصال بالبصري الذي يشير إليه السيد الحكيم كان سابقاً على إعلان الفتوى.

كان السيد الصدر يشعر بالحرج الشديد تجاه معاتبيه، فيجيب أن فتواه صدرت وأعلنت بداعي حفظ الحوزة، التي أخليت من الواعين، فهم بين مطارد وبين معتقل، وهذا ما أجاب به الشهيد الصدر على عتاب الشهيد عبد المجيد الثامر الذي يعد من كوادر الحزب، وكانت له صلة بالشهيد الصدر وأخرى تنظيمية مع الشهيد عارف البصري[٤] وهو جواب سمعه آخرون أيضاً[٥].

ولكن، يبقى من يعترض على الشهيد الصدر في إعلانه فتوى فك ارتباط الحوزة عن الحزب وبهذه الطريقة التي استفاد منها النظام أكثر مما استفادته الحوزة والحزب، إذ كان من الممكن الاقتصار على فصل المستويات العليا في الحوزة عن الحزب[٦].

والمهم، أن الشهادات بمجموعها تفيد أن الشهيد الصدر كان قد أصدر فتواه بداعي حفظ الحوزة والحزب معاً، خاصة وأن أعداداً كبيرة من طلبة الحوزة العلمية اتجهت نحو العمل الحزبي.

هذا، فضلاً عن السياق الأمني الذي مر به الحزب والاعتقالات التي تعرض لها المتهمون بإنتمائهم لحزب الدعوة، وما صاحب ذلك من ظروف وبالأخص الاعترافات التي ظهرت في العام ١٩٧١، والتي تركت تأثيراً كبيراً في نفس الشهيد الصدر، وان كان بعضها اعترافات صورية، إلآ أنه كان يفضّل الصمود والثبات عليها[٧].

---

(١) النابلسي، عفيف، خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمد باقر الصدر ص ٢٧ ط أولى/ دار الهادي بيروت ٢٠٠٤.
(٢)الحسيني، محمد الإمام الشهيد الصدر، المرجع السابق ص ٢٣٩، عن مجلة الجهاد الصادرة عن حزب الدعوة وقد أكد لي ذلك شخصياً السيد عبد الكريم القزويني في حديث خاص بتاريخ ٢٠٠١/١/٢٣ قم.
(٣) الحكيم مجلة المنهاج المرجع السابق ص ٢٨٦.
(٤) الزهيري المرجع السابق.
(٥) النابلسي المرجع السابق.
(٦) الكوراني مقابلة خاصة المرجع السابق.
(٧) راجع النعماني الشهيد الصدر سنوات المحنة المرجع السابق ص ١٠١ وخير الله البصري مقابلة خاصة المرجع السابق.

وفي تسلسل الأحداث يمكن أن نلاحظ أن العام ١٩٧٢ كان بداية لحملة الاعتقالات الواسعة والكبيرة للمتهمين بالانتماء لحزب الدعوة، والتي بدأت في الديوانية، وما رافق ذلك من اعترافات صدرت من بعض المتهمين بحزب الدعوة، وإن كان بعضا من هزه الاعترافات صورياً وتفادياً للقمع والمزيد من التعذيب، إذ عمد بعضهم إلى الاعتراف لهذه الجهة، وحرصاً منهم على إخفاء قدر كبير من المعلومات عن المحققين.

وفي العام ١٩٧٤ تعرض الحزب لحملة من الاعتقالات شملت العدد الأكبر من المتهمين بالانتساب إلى حزب الدعوة، ويذكر السيد محمد باقر الحكيم: أن التفكير العام الذي كان يسود أفراد التنظيم الخاص هو صحة الاعتراف بالانتساب إليه والتكتم مهما أمكن على أكبر قدر ممكن من المعلومات، وان هذا هو أفضل طريق لمواجهة حملة القمع والاعتقالات باعتبار وجود تجربة سابقة مشابهة في السنين الماضية[١]، في قياس منهم على ما تعرضوا له في العام ١٩٧٢، بل ادعى السيد الحكيم أن الدعوة أصدرت قراراً يحمل عناصره على الاعتراف، وكانوا يحملون المعتقلين على ذلك وإن لم يكونوا من أعضاء حزب الدعوة، ويشجعوهم على الاعتراف[٢] إلا أن قيادة حزب الدعوة تنفي ذلك، وتعترف بحصول اعترافات بعضهم المتهمين على الأشخاص الذين أفلتوا من قبضة النظام ونجحوا في السفر إلى خارج العراق أو الأصوات مثلاً[٣]، مثل الاعتراف على الشيخ صبحي الطفيلي، الذي تولى قيادة حزب الله في لبنان أو الحائري[٤].

وفي أواخر العام ١٩٧٣ يطرح الشهيد الصدر على مجلسه الاستشاري فكرة الفصل بين الحوزة والحزب.

وفي أواخر العام ١٩٧٤ يصدر فتواه بتحريم انتماء طلبة العلوم الدينية إلى الأحزاب.

وهنا يمكن أن نتساءل: لماذا تأخر الشهيد الصدر في إعلان فتواه هذه؟!

بالتأكيد ثمة بعد آخر غير الذي هو معلن إذ كان يكفي لفك الارتباط هو ما تقرر في العام ١٩٧٧، فلماذا تأخر إلى العام ١٩٧٤ ليعلن فتواه بذلك، خاصة وان السيد محمد باقر الحكيم يقول إنه أعلم الشيخ عارف البصري بقرار فك ارتباط الحوزة عن الحزب، ثم تلاحقت الأحداث، واعتقل الشيخ عارف البصري[٥].

(١) الحكيم، محمد باقر، مجلة المرجع السابق ص ٢٦٤.
(٢) الحكيم، محمد باقر، مقابلة خاصة، المرجع السابق.
(٣) شبر، حسن، رسالة خاصة منه بتاريخ: ١٩٩٤/٩/١١.
(٤) الزهيري، عبد الحليم، مقابلة خاصة بتاريخ: ١٩٩٤/٨/٥.
(٥) الحكيم، محمد باقر، مجلة المنهاج المرجع السابق ص ٢٨٦.

ولكن يلاحظ على ما يذكره السيد الحكيم أن هناك فاصلاً زمانياً طويلاً بين قرار الشهيد الصدر بفك ارتباط الحوزة عن الحزب والذي كان في أواخر العام ١٩٧٣، وبين اعتقال الشيخ البصري الذي حصل في ١٩٧٤/٧/١٧، والذي أعدم أو تقرر إعدامه بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٣.

فيما كانت الفتوى في أوائل شهر آب من العام ١٩٧٤، أي بعد أقل من شهر على اعتقال الشيخ عارف البصري، وكان قد أبلغ بها وهو في السجن.

وعليه فلماذا تأخر الشهيد الصدر عن إعلان الفتوى واختار وقتاً غير مناسب تقريباً وفق بعض وجهات النظر؟! وكان يمكن أن يعلنها وقائياً قبل هذا التاريخ، خاصة وإن الاعترافات حصلت في صيغتها الشمولية في العام ١٩٧٢؟!

الشيخ النعماني يؤكد أن إعلان الفتوى كان بناء على تهديد السلطات وضغطها، وإلا فإنها ستقوم بتصفية الوجود الإسلامي وخاصة في الحوزة، ولذلك طلبت السلطات إصدار فتوى بهذا الشأن من الشهيد الصدر والشيخ مرتضى آل ياسين والسيد محمد باقر الحكيم[(١)].

وإذا كان الشيخ النعماني لم يذكر -لي- سبب مطالبة السلطات السيد محمد باقر الحكيم بإصدار فتوى بهذا الخصوص والحال أنه لا يعد في المراجع، فإن ما يؤكده يجيب عن تساؤلات -لي- طرحتها على مجموعة من طلاب الشهيد الصدر بخصوص فتوى الشيخ آل ياسين في تحريم انتماء طلبة العلوم الدينية لحزب الدعوة خصوصاً والأحزاب عموماً، وهي فتوى كنت مطلعاً عليها شخصياً.

وربما لهذا المعنى يشير السيد محمد باقر الحكيم، وهو يتحدث عما أسماه قوائم معدة للمزيد من الاعتقالات إثر اعتقالات عام ١٩٧٤، كان ضمنها الشهيد الصدر نفسه والسيد محمد باقر الحكيم أيضاً وآخرين[(٢)].

وقد ذكر لي الشيخ خير الله البصري أنه في مناقشاته مع الشهيد الصدر حول فتواه وإعلانها بهذه الطريقة، أجابه بأنها سر وتكتيك والسر والتكتيك لا يكشف عنه[(٣)] وربما من الجواب ما يؤكده الشيخ النعماني من ضغط السلطات وتهديدها الشهيد الصدر وتخييره بين إعلان فتوى بالتحريم -المشار إليها- وبين تصفية الحزب والحوزة معاً.

---

(١) النعماني، مقابلة خاصة، المرجع السابق.
(٢) الحكيم، محمد باقر، مجلة المنهاج المرجع السابق ص ٢٦٤.
(٣) البصري، خير الله، مقابلة خاصة، المرجع السابق.

ويبدو أن ما كان ينكر فيه الشهيد الصدر هو في الحقيقة محاولة للتهدئة وامتصاص حقد الوسط الحوزوي من جهة والذي كان ينظر بريبة إلى الشهيد الصدر وعلاقته بحزب الدعوة في صيغ عديدة(١)، وامتصاص حقد السلسلة عليه وتربصها به، وذلك بتخفيف الصبغة السياسية والحزبية التي ألصقت به، والدخول في (تقية) إلى أن يحين الظرف المناسب، وهذا ما يفسر عدداً من المبادرات التي تدخل في هذا الإطار دونما قطيعة تامة مع حزب الدعوة، ففي الوقت الذي يبادر فيه إلى فك العلاقة مع حزب الدعوة وإحداث فاصلة مناسبة بينهما، تتصاعد عملية التهدئة مع السلطات عبر زيارات لمسؤولين من أمثال زيد حيدر (عضو القيادة القومية في حزب البعث)، وهو شقيق أحد طلابه -الشيخ أديب حيدر- اللبناني، فضلاً عن قبوله إجراء أحاديث صحفية معه حول بعض المكتسبات التي يتحدث عنها حزب البعث مثل التأميم ومحو الأمية(٢) وكانت السلطات تعرض على الشهيد الصدر -وباستمرار وبطرق شتى- خدماتها وإنها مستعدة للإسهام في طبع بعض كتبه مثل (فلسفتنا) و(اقتصادنا)، إلا أنه كان يتذرع بأن حاجتهما انتفت مع تضاؤل حظوظ الشيوعية والماركسية(٣).

وكان ثمة عدد من طلاب الشهيد الصدر من يستغرب هذه الصيغ للتقارب مع السلطة، بحيث يطلع الشهيد الصدر متحدثاً في بعض صحف النظام ومحاولة إظهاره من قبل السلطات المرجع العربي، في وقت تدافع فيه بعض أجهزة مرجعية الشهيد الصدر عن مثل هذه الخطوات وأنها صحيحة ومتبناة وليست ملفقة من قبل السلطة كما يحاول البعض تصويرها كما هو المعتاد في تفسير مثل هذه الخطوات(٤). ولعل بعض هذه الخطوات وبعض هذا التفكير بما يعد انقلاباً في استراتيجية العمل عند الشهيد الصدر، كان بتأثير وبوحي من أفكار بعض طلاب الشهيد الصدر، من ذوي الهم العلمي المحض، أو من المتعبين أو من المشفقين عليه والخائفين على حياته، أو من المتأثرين بالظرف العام، الذي لا يجد فيه المراقب ثمة بارقة أمل سوى الشهيد الصدر، بعد الصمت المطبق والخذلان الشديد.

---

(١) الحكيم. محمد باقر، مجلة المنهاج، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ، ص ١٦١.
(٢) البصري. الكوراني، النعماني، مقابلات خاصة، المراجع السابقة نفسها.
(٣) النابلسي، خفايا وأسرار من سيرة الشهيد الصدر، المرجع السابق، راجع: ص ٤٩، ص ٥٣، ١٢٤وما بعدها.
(٤) الزهيري، عبد الحليم، مقابلة خاصة، بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٢٤ دمشق. نقله عن السيد محمود الخطيب الذي صرح بذلك.

ولذلك شاء بعض طلابه أن ينصرف الشهيد الصدر -وبشكل أساسي- للبحث والدرس والعمل الحوزوي المحض، شأنه شأن الفقهاء والمراجع الذين لا يشغلهم عن ذلك شاغل، ولا يصرفهم عنه صارف.

وفي هذا الخصوص يذكر الشيخ خير الله البصري أنه كان يلمس هذا التوجه عند أبرز طلاب الشهيد الصدر، إذ يرى السيد محمود الهاشمي ضرورة أن يبرز الشهيد الصدر ويظهر إلى الناس، كما هو المرجع السيد محمود الشاهرودي -مثلاً-، في وقت لا يرى البصري -وهو من المقربين إلى الشهيد الصدر أيضاً- ذلك للشهيد الصدر، بل أنه يأمل منه أن يكون مرجعاً فكرياً ينظّر للمسلمين، على مستوى ما صدر عنه من (البنك اللاربوي في الإسلام) و(مجتمعنا) و(اقتصادنا).. لأنه ليس هناك من يقوم بهذا الدور سواه، في وقت تجد فيه أكثر من واحد ممن يقوم بدور المرجع السيد محمود الشاهرودي وأمثاله[١].

وكان بعض مقربي الشهيد الصدر ومحبيه من يعتقد أن محاولات جهاز السيد الشهيد في دفعه إلى التمحض للبحث العلمي والاتجاه نحو المرجعية أضر بالشهيد الصدر، لأن ذلك مما يستفز السلطة من جهة والمرجعيات من جهة أخرى، كما يعتقده السيد طالب الرفاعي، الذي يذكر أنه قال للسيد محمود الهاشمي: إنه وجهازه ورط الشهيد الصدر في المرجعية التي لم تكن مكتملة العناصر، إلا أن السيد الهاشمي كان يعتقد أن الاتجاه نحو المرجعية يحصن الشهيد الصدر وينفي عنه تهمة السياسي ويلبسه ثوباً دينياً ومرجعياً بعيداً عن وضعه وتاريخه السياسي وربما من المفيد الإشارة إلى أن السيد طالب الرفاعي كان سيئ الظن بعدد من أركان وجهاز السيد الصدر، ويذكر أنه كان يحذر الشهيد الصدر من الشيخ علي الكوراني والسيد محمد باقر الحكيم الذي وصفه أنه حكيمي من قرنه إلى قدمه، والسيدين الحائري والهاشمي.

ويذكر الشيخ عبد الحليم الزهيري أنه كان جالساً في مجلس الشهيد الصدر وقد وفد عليه مسافر من القاهرة، حمل رسالة من السيد طالب الرفاعي، فقرأها الشهيد الصدر، ثم التفت إلى حاملها بشيء من الغضب، لأن الخط ليس خطه، وكانت تحمل التعريض بالسيدين الحائري والهاشمي وأنهما لا ينفعان في مرجعية الشهيد الصدر.

---

(١) البصري، خير الله، مقابلة خاصة، المرجع السابق.

وقد أكد السيد الرفاعي للشيخ الزهيري حقيقة الرسالة، وأنها كانت تحمل ذلك، ولم تكن بخطه، بل أنه أملاها بالهاتف على الشيخ منير الطريحي، وحملها غالب الطريحي، لأنه لم يكن على سعة من الوقت ليكتبها بنفسه[1].

رؤية الشهيد الصدر للعمل على مستوى الاستراتيجية والتكتيك تختلف عن ممارسة جهازه، فهو لم يكن يهدف إلى خلق القطيعة مع الحزب، لأنه يعرف انه ذراعه وانه اقرب الناس إليه، ولم يكن ليدخل في صراع او خصومة مع أكثر الحزبيين تطرفاً، بل كان يحبهم ويحترمهم[2].

ولكن هناك جواً آخر في فضاء جهازه المرجعي، ربما أمعن في تطبيق بعض قراراته بتعسف شديد، وقد ضاقوا ذرعا بالواعين والمحسوبين على حزب الدعوة، إلى درجة لم يبق منهم من يتردد على منزل الشهيد الصدر إلا القليل، كان من ضمنهم الشيخ عبد الحليم الزهيري الذي يذكر انه بقي يتردد على منزل الشهيد الصدر بناء على تشجيع الشهيد الشيخ حسين معن[3] في وقت ابلغ فيه السيد عمار أبو رغيف وهو من طلاب الشهيد الصدر المحسوبين على حزب الدعوة بعدم التردد على منزل الشهيد الصدر، وذلك بعد إطلاق سراحه من السجن في العام ١٩٧٤، ويذكر في هذا المجال انه طلب من الشيخ محمد البهادلي -صهر الشيخ محمد أمين زين الدين المرجع -أن يكون كفيله- لأن إطلاق سراح الموقوفين كان يتم بكفالات- فأشار الشيخ أحمد البهادلي إليه أن السيد عمار أبو رغيف من جماعة الشهيد الصدر وهم يكفلونه فتحدث الشيخ محمد البهادلي مع بعض جهاز السيد الصدر، فأجيب بأنهم لا علاقة لهم بالسيد عمار[4].

هذا، في وقت يشعر فيه هؤلاء الواعون أن هناك انفتاحاً على المحسوبين على السلطة، ممن أخذ بالتردد على منزل الشهيد الصدر، مما يوحي بانقلاب الوضع في دار السيد الشهيد[5].

وقد انعكس هذا التوجه الذي كان يعيشه جهاز الشهيد الصدر المرجعي وتحسسه من المحسوبين على حزب الدعوة على كتابات السيد محمد باقر الحكيم لاحقاً، فادعى أن من جملة ما اتخذه السيد الشهيد من إجراءات: المنع من الحديث عن علاقته بالتنظيم الخاص،

(١) الزهيري، عبد الحليم، مقابلة خاصة بتاريخ ١٩٩٩/٥/١٩ دمشق نقلاً عن السيد طالب الرفاعي.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) البصري، خير الله مقابلة خاصة، المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) المرجع السابق نفسه.

سواء على مستوى التاريخ أو التأييد أو الرعاية، وكان يظهر انفعالاً شديداً من سماع ذلك[١].

وهو ما يعبر عن طبيعة الفهم المتباين بين الشهيد الصدر وجهازه المرجعي، لأن ما يذكره السيد الحكيم مما لا واقع له على المستوى التاريخي، ولا تسعفه المعطيات التاريخية إذ لم يكن بالإمكان الحديث عن حزب الدعوة ودور الشهيد الصدر فيه، بأي مستوى من مستويات، فأين منع الشهيد الصدر؟!

إذ أن الحديث في العراق عن موضوعٍ من هذا القبيل يكلف المتحدث فضلاً عن غيره حياته والسيد الحكيم يعرف ذلك جيداً، فأين منع الشهيد الصدر؟ ومما يؤيد ذلك أن الشيخ النعماني وهو بصدد حديثه عن حزب الدعوة ودور الشهيد الصدر فيه يقول: إنني لم أسمع من السيد الشهيد شيئاً يتعلق بهذا الموضوع، ولعل السبب أن الفترة التي عشتها معه -وهي مرحلة المرجعية الفعلية- قد تجاوزت تلك النشاطات، أو أن الضرورة لم تكن تتطلب ذكر تلك النشاطات، خاصة أن السلطة كانت تحاول اجتثاث المرجعية الدينية من خلال توجيه الاتهامات الحزبية إليها، فكان من الطبيعي أن يتجنب (رضوان الله عليه) طرق هذا الموضوع بجذوره التاريخية وتفاصيله الدقيقة[٢].

وهو ما يؤكد أن منعاً من الحديث عن حزب الدعوة ودور الشهيد الصدر فيه، لم يكن إلا في نفوس بعض أركان جهاز الشهيد المرجعي، ممن ضاق ذرعاً بالحزب والمحسوبين عليه.

ويمكن القول إن هذا التكتيك الذي لجأ إليه الشهيد الصدر لم يفده شيئاً، فلا هو أقنع السلطات ببراءته وسلامة نياته تجاهها، وهو ما تكشفه الأيام اللاحقة، وما انتهت إليه العلاقة بينهما، من استشهاد السيد محمد باقر الصدر واغتياله على يد السلطة العراقية، ولا هو أقنع رجال المرجعية والحوزة في النجف بتغير (محمد باقر الصدر) وأنه ليس ابن الحركة الإسلامية، ولم يعد منتمياً إليها، فقد بقي الحزبي والسياسي، الذي يشار إليه بحذر وباتهام دائمين.

ويمكن أن أشير إلى مفردة واحدة يذكرها الشيخ النابلسي بخصوص بعض المتذمرين من الشهيد الصدر فيقول: (وأذكر بالمناسبة أن السيد محمد رضا الحكيم[٣] كانت علاقته

---

(١) الحكيم، مجلة المنهاج، المرجع السابق، ص٢٦٥.

(٢) النعماني، الشهيد الصدر، سنوات المحنة، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٣) لم يسلم السيد محمد رضا الحكيم من حنق سلطة البعث الحاكم.

بالسيد الصدر سيئة وكذلك في أخيه السيد محمد باقر الحكيم، والسبب كما قيل بأن السيدين من أقطاب حزب الدعوة وهو لا يحب الأحزاب، لا حزب الدعوة ولا غيره.

ورغم أن السيد الصدر أفتى صريحاً بمنشور وزع بالحوزة بحرمة انتساب طالب العلم لأي حزب إسلامي أو غير إسلامي، مع ذلك بقي السيد محمد رضا على حنقه من السيد الصدر[١].

تصعيد العلاقة:

يبدو أن الانفصال عن العمل الحركي في حياة الشهيد الصدر لم يكن إلا حالة طارئة، إذ لم يكن بمقدوره أن ينسلخ عن تفكيره بالإسلام وهمه الكبير تجاهه وتفانيه فيه، وهو يؤمن إيماناً عميقاً بالعمل التنظيمي ونجاعته، وكونه مفصلاً حيوياً في العمل السياسي الإسلامي.

كتب الشيخ النابلسي بما يكشف عن الرؤية الحقيقة للشهيد الصدر في هذا الموضوع: ولما أصبحت على صلة أوثق مع السيد الشهيد سألته عن حزب الدعوة، وعن صلته بالحزب، فأجاب: عن الشق الأول أنه يوجد حزب في العراق اسمه حزب الدعوة، ولا مانع من الناحية الشرعية أن يعمل الإنسان المسلم في إطار حزبي لمصلحة يراها، لأن العمل المنظم مهم في الحياة السياسية، والدليل عليه أن النبي(ص) في بداية الدعوة، كان عمله سرياً، وكان أعداد الدعوة لا يتجاوز العشرين شخصاً وكانوا يجتمعون سراً في دار الأرقم في زقاق مكة، وبما أن النبي (ص) بدأ دعوته بالعمل السري فيجوز لكل مجموعة ولكل إصلاحي إذا خاف على نفسه من الملاحقات أن يعمل عملاً سرياً مع رفاقه وأتباعه، وهذا رأيي في العمل الحزبي، ولكن حفاظاً على طلاب العلوم الحوزوية أفتيت بحرمة العمل الحزبي لحفظ الطلبة من الملاحقة، وبالتالي لحفظ الحوزة العلمية من وحشية النظام وجنونه[٢].

ويشير الشيخ محمد رضا النعماني أن الشهيد الصدر كان يعتقد أن العمل الحزبي في العراق ضرورة، وأن الشباب المثقف لا يمكن أن يستوعب عن طريق الحوزة، لأن طاقاتها محدودة، ولذلك يمكن استيعابهم عن طريق الحزب[٣].

---

(١) النابلسي، خفايا من سيرة الشهيد، المرجع السابق ص ٨٤.
(٢) النابلسي المرجع السابق نفسه ٢٦.
(٣) النعماني، مقابلة خاصة المرجع السابق.

وقد نقل الشيخ الزهيري أنه حدث الشهيد الصدر عن مشكلة ضياع الشباب، وكان ذلك بحدود العام ١٩٧٨، فكان جواب السيد الشهيد الصدر بإمكان استيعابهم عن طريق حزب الدعوة، وأشار إلى ضرورة أن تحل مشكلة الشروط الصعبة للانفتاح على الجمهور، والتي درج عليها حزب الدعوة.

وبالرغم من إعلان الانفصال بين الحوزة والحزب، فإن السيد الشهيد أبقى على بعض الاستثناءات، بحيث يمكن لبعض العلماء البقاء في الحزب إن كان بقاؤهم حاجة حزبية[١] كما يمكن لعدد من الطلاب من المستويات الدنيا الانتماء أيضاً، وبرر السيد الشهيد الصدر ذلك بأنهم لا يمثلون المرجعية[٢].

ويمكن القول: إن موقف الشهيد الصدر تجاه الحزب والعمل التنظيمي بقي على حاله، وما تغير هو طبيعة العلاقة بين الحزب والحوزة، وضرورة الانفصال بينهما، على نحو يبقي مسافة ما، تبدو فيه الحوزة كياناً مستقلاً وتبدو فيه الحركة والحزب كياناً مستقلاً أيضاً، وذلك لحفظهما معا.

وقد كتب السيدِ عبد الكريم القزويني -وهو من طلاب الشهيد الصدر ومقربيه-: فالشهيد الصدر حينما يؤيد هذه الحركات كان يحاول أن تسعى لتطبيق الأهداف السامية وترتبط عملياً بالإسلام، لا أن تتقوقع في إطار الحركة وتعيش أفقها الضيق الذي يعيقها عن رسالتها الخالدة، فالشهيد الصدر يؤيد ويبارك الحركات الإسلامية، لا كما يصوره البعض من أنه مخالف لها، ولكن تأييده مشروط بإلتزامية هذه الحركات بالأهداف الإسلامية النبيلة مع أنه لا يحبذ لأهل العلم والعلماء الانخراط في التنظيمات التي تحدد طاقاتهم وتقييدهم، لأن العالم الروحاني ينبغي أن يكون أباً للجميع وفوق الميول والتنظيمات، وعدم المحبوبية هذه عند الشهيد الصدر هي بمثابة النهي الإرشادي لا النهي المولوي[٣].

ولذلك يمكن القول: إن الشهيد الصدر لم ينفصل عن حزب الدعوة[٤] وإن كان ترك مسافة ما بينهما على المستوى التنظيمي والعضوي، وعلى مستوى التخطيط والتكتيك.

---

(١) الحكيم، مجلة المنهاج، المرجع السابق ص ٢٦٠.
(٢) النعماني، مقابلة خاص، المرجع السابق.
(٣) النهي الإرشادي هو النهي الذي يصدر بداعي النصيحة لا إلزام في مقابل المولوي.. القزويني، عبد الكريم، كتاب الأسئلة والأجوبة الإسلامية عدد (٥) ص ٣٢ ط قم ١٩٩٥.
(٤) البصري، خير الله، مقابقل خاصة بتاريخ ١٩٩٤/٥/١٥.

وعلى هذه الخلفية علق الشهيد الصدر بعد انتصار الثورة الإسلامية تكتيكه، وما قرره من الانفصال بين الحوزة والحزب، وينقل السيد علي أكبر الحائري شقيق السيد كاظم الحائري أن أحد وكلاء الشهيد الصدر -وكان مكلفاً بالإشراف على التنظيم في منطقته- سأل الشهيد الصدر مباشرة عن طبيعة عمله، وقد أجابه الشهيد بتعليق قراره السابق في الانفصال، وان قراره كان مؤقتاً، وبإمكانه أن يجمع بين عمله الحزبي وعمله وكيلاً عن الشهيد الصدر[١].

ويذكر السيد كاظم الحائري أنه وبعد انتصار الثورة الإسلامية جاء السيد محمود الهاشمي إلى إيران وأخبره أن الشهيد الصدر بعث إلى أحد الوجوه البارزة . آنئذ لحزب الدعوة الإسلامية، وقال له فيما قال: إن كلمتي التي أصدرهما حول انفصال الحوزة عن العمل الحزبي قد انتهى أمدها[٢].

ومهما يكن الأمر، فإنه من الممكن القول: إن الشواهد الحالية تؤكد مدى عمق العلاقة بين الشهيد الصدر والمحسوبين على حزب الدعوة، إذ كان معظم الواعين والعاملين للإسلام منهم[٣]، وكان وكلاؤه من المحسوبين على حزب الدعوة والمرتبطين به، بل إنه -الشهيد الصدر- كان يأخذ توثيقاهم في إرسال الوكلاء وتنسيبهم[٤] ولكن شاءت الظروف أن يجوب الشهيد الصدر المداراة والمهادنة مع السلطة من جهة، ومع رجال الحوزة من التقليديين والمتربصين به، مع أنه كان ملتزماً بالحركة الإسلامية في كل مراحله لأنها كانت إحدى نتائج عمره، بالإضافة إلى أنها الوسيلة العملية الحركية للوصول إلى الأهداف..

ولم ينفصل عن الحركة بالرغم من كل ما يقال لا نفسياً ولا فكرياً، ولكنه انفصل حركياً من خلال الظروف المحيطة والضغوط[٥].

ولكن هذه (التقية) التي فرضت نفسها على الشهيد الصدر، في الوقت الذي حفظت فيه لنا حياته وحياة مجموعة من صحبه ورواد الوعي، فإنها أفقدته فاعليته السياسية،

---

(١) الحائري، علي أكبر مقابلة خاصة بتاريخ ١٩٨٦/٤/٢٧ قم.
(٢) الحائري، كاظم، مباحث الأصول، المرجع السابق ص ١٠٢.
(٣) الحكيم، مجلة المنهاج، المرجع السابق ص ٦١.
(٤) الناصري، محمد باقر، مقابلة خاصة، بتاريخ: ١٩٩٤/٥/١١ دمشق.
(٥) فضل الله، محمد حسين، مقابلة خاصة بتاريخ: ١٩٩٤/٤/٢ دمشق.

وقطعت عنه مصادر التمويل المعلوماتي -إن صح التعبير- وبالتالي إشرافه المباشر على العمل السياسي وإمساكه بالمفاصل الحيوية، خاصة في ظل نظام قل نظيره.

وهي تقية لم ترض السلطة عنه، بل زادتها ريبة وتوجساً مع توجهه المرجعي، ولم ترض خصومه التقليديين في الحوزة، بل زاد حنقهم عليه لجهة تصديه إلى المرجعية وانصرافه إلى العمل المرجعي التقليدي.

غير أن هذه الأجواء لم تمنع الشهيد الصدر من التحرك السريع حال رغبته في إعادة نشاطه السياسي وذلك بعد انتصار الثورة الإسلامية، فانه -كما مر- لم يقطع الصلة مع حزب الدعوة، بالرغم من أنا لا نعلم شيئاً عن طبيعة هذه الصلة والآليات التي تتم فيها تفصيلاً.

وعلى أية حال، بدأ الشهيد الصدر يفكر-قبيل انتصار الثورة الإسلامية في إيران- بطريقة مختلفة، وتصاعد عمله مع انتصارها وفي ظل انتصارها، وبدأ يصعد علاقته مع حزب الدعوة، وتم الاتصال المباشر عبر شخصيتين بهذا الخصوص من قيادات حزب الدعوة، أحدهما الحاج مهدي عبد مهدي الذي اتصل بالسيد الشهيد واتفق معه على التواصل وتكريس العمل الموحد[1]، وثانيهما السيد حسن شبر[2] وقد أخبرهما السيد الشهيد بضرورة التنسيق مع ممثله في الخارج وهو السيد محمود الهاشمي الذي أرسله السيد الشهيد لهذا الغرض وقد افلت بجواز سفر أعده له الشيخ عفيف النابلسي عندما كان في بيروت[3] مفضلاً أن يكون ممثل الدعوة في الخارج من غير علماء الدين وهو يشير إلى المهندس محمد هادي السبيتي، إلا أنه لم يفرضه عليهم[4] كما يذكر الحاج مهدي عبد مهدي، إلا أن السيد حسن شبر أكد أن السيد الشهيد كان يؤكد على أن أنقل توجيهاته إلى السبيتي لا إلى الكوراني[5].

ويذكر السيد حسن شبر[6] أن السيد الهاشمي زار الأردن حيث مقر إقامة الشهيد المهندس السبيتي والتقاه لهذا الغرض، كما إلتقاه عدد آخر من العلماء منهم السيد

(١) الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص ٢٦٢.
(٢) الزهيري، مقابلة خاصة، بتاريخ: ١٩٩٤/٨/٥ قم.
(٣) النابلسي، خفايا وأسرار من حياة الشهيد، المرجع السابق ص ١٣٦.
(٤) الخرسان، المرجع السابق ص ٢٦٨.
(٥) شبر، مقابلة خاصة، المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق نفسه.

العسكري، والسيد الحائري والشيخ الآصفي والسيد فضل الله. ويذكر بعض الباحثين في جملة قنوات الاتصال بين الشهيد الصدر وحزب الدعوة الشهيد جواد كاظم الزبيدي[١]، ولا أعرف طبيعة هذه القناة وعلاقتها بالقنوات الأخرى.

كما كلف الشهيد الصدر الشيخ عبد الحليم الزهيري -تلميذه وأحد مقربيه وهو كادر متقدم في حزب الدعوة- بالبقاء على مقربة منه ليتاح له الاتصال به تبليغ قيادة الحزب بالمستجدات والتشاور، وكان هو الرابط بين الشهيد الصدر والحاج مهدي عبد مهدي (أبو زينب)[٢].

كما كان الشيخ الزهيري وسيطاً بين مسؤوله -في حزب الدعوة- الشهيد السيد حسين معن وتلميذ الشهيد الصدر وبين الشهيد الصدر نفسه، حيث نقل إلى الشهيد الصدر تساؤلات الشيخ حسين معن حول عدة قضايا منها: الموقف من إعلان النظام إجراء انتخابات تشريعية وتأليف المجلس الوطني، ومسألة الوحدة مع سورية، واحتمالات قيام حرب بين العراق وإيران، وقد أجاب عنها الشهيد الصدر بأنه لابد من مراقبة نوايا السلطة بخصوص تأليف المجلس الوطني، وإمكانية استثمار الفرصة للمشاركة في الانتخابات والحصول على تمثيل مناسب في المجلس الوطني لو كان النظام صادقاً، فيما استبعد الشهيد الصدر احتمال انجاز مشروع الوحدة مع سورية، واستبعد -أيضاً- نشوب حرب بين البلدين لعدم قدرة إيران على خوضها، وعدم قدرة العراق على افتعالها لخوفه من المد الإسلامي[٣].

ومن باب الاستطراد، يمكن القول: إن توقعات الشهيد الصدر كانت سديدة إلى حد ما، سوى توقعه بخصوص الحرب بين البلدين.

وقد توج التنسيق بين الشهيد الصدر وحزب الدعوة بالدعم المالي الذي يمكن الحزب من إدارة عملية الصراع[٤] وحث طلابه على دعم حزب الدعوة والتنسيق معه في هذا الصدد كما يشير الشيخ حسين البشيري[٥] لأنه كان يعتقد أن حزب الدعوة رصيده[٦] في

(١) المؤمن، علي، سنوات الجمر، المرجع السابق ص١٨٧.
(٢) الزهيري، مقابلة خاصة، بتاريخ ١٩٩٤/٨/٥ دمشق.
(٣) الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص ٢٦٨.
(٤) المرجع السابق نفسه ص ٢٦٧ وص ٢٧٨، وراجع: الحسيني، الإمام الشهيد الصدر، المرجع السابق ص ٢٤١.
(٥) الحسيني، الإمام الشهيد الصدر، المرجع السابق، ص ٢٤١.
(٦) الخرسان المرجع السابق ص ٢٥٦.

المعركة ضد النظام، بل نقل عنه السيد محمود الهاشمي أنه قال: أوصيكم بالدعوة خيراً فإنها أمل الأمة[١].

ولذلك لم يكن يأمل الشهيد الصدر في طلابه ومقربيه أن يقع بينهم الخلاف على خلفية الانتماء الحزبي، إذ بلغه عدم الوئام بين حزب الدعوة وممثله في الخارج السيد محمود الهاشمي، فابلغ الشيخ الزهيري عبر السيد عبد العزيز الحكيم -وكان في العراق- أن يبلغ السيد الهاشمي، أنه لا يرضى بالأثنينية بين حزب الدعوة والسيد الهاشمي فضلاً عن الخلاف، وهو ما تم إبلاغه السيد الهاشمي بالفعل. وعندما وقع الخلاف بين السيد محمد باقر الحكيم وبين الدعوة وكان السيد عبد العزيز الحكيم في تيار أخيه تندر السيد محمود الهاشمي على ما نقله إليه الشيخ الزهيري على لسان السيد عبد العزيز الحكيم من وصية الشهيد الصدر، وطلب منه أن ينقل إلى السيد عبد العزيز الحكيم أنه يقوم بالدور نفسه[٢].

وبالرغم من محاولات تجسير العلاقة بين حزب الدعوة والسيد محمود الهاشمي -ممثل الشهيد الصدر في الخارج- عبر اللقاءات بينه وبين القيادة إلا أن ذلك لم ينتج شيئاً له فائدة على المستوى السياسي، فقد كان السيد الهاشمي محدود الإمكانات، ولم تكن له شخصية ذات بعد سياسي أو قيادي ليفرض نفسه كحاجة سياسية ودينية. هذا على صعيد الخارج، أما على مستوى العلاقة بين حزب الدعوة والشهيد الصدر، داخلياً فقد تصاعدت إلى أعلى مستوى ممكن، وقد تم التنسيق بينهما على مستوى تحريض الجمهور، ابتداءاً بما يعرف بـــ (وفود البيعة) وانتهاء بالتظاهرات في شهر رجب عقيب اعتقال الشهيد الصدر ثم إطلاق سراحه بسبب هذه التظاهرات.

وكان قد اتخذت (لجنة العراق) في حزب الدعوة تعليمات خاصة لمواكبة تحرك الشهيد الصدر -من بينها- جمع وشراء الأسلحة، التحريض على التظاهر والإضراب، وتوزيع المنشورات[٣].

---

(١) نشر تصريح السيد الهاشمي في صحيفة (لواء الصدر) العدد (١٤٤) ٩/٤/ ١٩٨٤،وهي تصدرعن حركة المجاهدين في العراق بقيادة السيد عبد العزيز الحكيم.
(٢) الزهيري، مقابلة خاصة، بتاريخ ٥/٨/١٩٩٤.
(٣) الخرسان، المرجع السابق ص ٢٦٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ولدنا الأعز الباحث الرسالي المفضال صاحب الخلق الرضي والألطاف الغامرة الاستاذ السيد محمد الحسيني أدام الله توفيقه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد حمل إليَّ أخونا الشيخ أبو آمنة رسالتكم الكريمة الملأى بشذاها الفواح، وتنبئ بها المنعشة وآفاقها الرحيبة فسررت بها أيما سرور، وحدثت في نفسي الحب والتقدير وأنك من معادن الأمل ومشاعل المستقبل الواعد.

ولا أكتمك سراً إذا قلت بأني شديد الشوق إلى رؤيتك والاستماع بعذب أحاديثك ونظراتك، ولكن للأسف فاتني [illegible] ضاع فرص كثيرة كان بمقدوري أن أحقق هذه الرغبة مرات باهتة دون عناء، وعلى كل حال فإني تواق إلى لقاء [illegible] لقاءات لعلها تحقق شيئاً من هذا الأوار المستعر وليس ذلك على الله بعزيز.

أخي الكريم:

تصديك لإعادة إخراج كتابك القيم عن الإمام الشهيد السيد الصدر أعلى الله مرقده الشريف - قرار صائب، وخطوة مباركة ليتحول من (الحسن) إلى (الأحسن) والأولى حتى الآن من خيرة ما تداولته الأيدي، مما كتب عن السيد الإمام الشهيد الصدر قده.

وقد بدأت بالفعل بمراجعة الكتاب وأنا على العهد السابق، عازم بعونه تعالى على موافاتك بجملة ملاحظات وتعليقات، ولعل الانشغال بمراسم العزاء الحسيني قد أخرني عن المضي فيما بدأت فيه، ولكني بحول الله وقوته سأقتنص الفرص المواتية لإتمام ذلك وإرساله إليك في غضون عدة أسابيع.

(أرجو الإسراع بإخباري عن السقف الزمني المسموح لي فيه تأخير الجواب)

عزيزي:

بخصوص فتوى الإمام الشهيد رض بعدم جواز انخراط طلاب العلوم الدينية في حزب الدعوة تجد طيّاً سرداً تاريخياً للحدث كما وقع:

كانت الأخبار تصل إلينا أن السلطة قررت قناعتها يوماً بعد يوم

بأن السيد الإمام الشهيد (رض) هدّد بأنه يتزعم بالفعل حزب الدعوة
ووصف ذلك في التلفزيون السعودي... أنها لن تتردد في الإقدام
على خنقه وحرمان الأمة من بركات وجوده.
لقد بدأت أفكر في طريقة مناسبة تنهي هذه المرحلة
الحالية بالخلاص، والظروف والترسبات الحسية...
وكان مما خطر ببالك في هذا أن تقدم استفتاء
خطي لسماحته وبطريقة الكتاب فإن موقفه... الصارم من
منح الحزبية في الحركات سينعكس على السلطة وسيظهر
براءة من التهم المنسوبة إليه...
عرضت هذا المقترح على سماحته في مجلس خاص (عائلي)
دون أن يحضره أحد من خارج هذه الأسرة الكريمة
فلم يجزم بشيء محدد في مقام الجواب.
وصبي خفت راجعاً إلى بغداد... أرسل قدّه ولغترس بخط
في ورقة... كان ~~...~~ قد ترك في
الحال فرأيتها وأرى أن أتت بخطي نص الاستفتاء
الذي كان قد صدرها قرأتها - في ذلك النزاع والتوقيع
عليه باسمه الصريح.
وكان مما قاله لي بأنه أراد أن يخلصني أيضاً من السلطة
الغاشمة.
ولم يكن لسماحة آية الله العظمى الشيخ (رضي آل ياسين قده)
على حد علمت دور في هذه المسألة.
هذا باختصار ما علق بذهني بشأن الفتوى المذكورة.
أما ردود أفعال الحزبيين على ذلك فهي متفاوتة:
حيث أن منهم من استوعب الموقف وانسجم معه، ومنهم من
بدأ بالتشهير والانتقاص والاتهام في ... المحرمة
لم تكن تخطر بباله على بال مصداقاً لقول الشاعر:
أعلمه الرماية كل يوم ولما اشتد ساعده رماني
مع أن التطاول من بعض الحزبيين على السيد الإمام الشهيد العبد (رض)
لم يبتدأ بالفتوى وإنما سبقه بسنتين على الأقل حيث
جاء أحد طلابه من إيران ليقول له: بأن بعض طلابك الذين
كانوا قد سفروا إلى إيران أول ... يقول: أن السيد
بدأ يعمل لمرجعيته ونفسه لا للإسلام!!
وحرصاً على أن تكون الصورة كاملة ... من كل جوانب
... من الإشارة إلى أن هذه الكلمات اللامسؤولة

وردود الأفعال الهابطة قد تبخرت وتلاشت بل انقلبت
إلى إجلال أسى وتبجيل باستشهاده في الثامن من نيسان
١٩٨٠ حيث شكلت وخزاً كبيراً لضمير كل متجري من
أولئك المترعين...
وفي الختام تقبلوا مني خالص الدعوات وأطيب التمنيات
مع رجائي أن لا تنسونا من صالح دعائكم عند تمثيل
الفرج الشريف لمولانا العقيلة زينب (ع) والسيدة
رقية عليهما السلام وفي ظل ... استجابة الدعاء والسلام عليكم وعلى سماحة
السيد الوالد المعظم والأسرة جميعاً والإخوة المؤمنين
من أصدقائنا العراقيين ورحمة مؤيدين

[توقيع]

حسين الصدر
لندن - الجمعة ١٤ محرم الحرام ١٤١٥هـ
٢٤/٦/١٩٩٤

فتوى الامام الصدر

•السيد حسين الصدر

بخصوص فتوى الإمام الشهيد (رض) بعدم جواز انخراط طلاب العلم الدينية في حزب الدعوة تجد طياً سرداً تاريخياً للحدث كما وقع:

كانت الأخبار تصل إلينا أن السلطة قد زاد قناعتها بوماً بعد يوم أن السيد الإمام الشهيد (رض) هو الذي يتزعم بالفعل حزب الدعوة، ومعنى ذلك في القاموس البعثي، أنها لن تتردد في الإقدام على قتله وحرمان الأمة من بركات وجوده.

لقد بدأت أفكر في طريقة مناسبة تنهي هذه المرحلة الحافلة بالهواجس، والظنون والتربصات الخبيثة، وكان مما خطر ببالي في هذا الشأن تقديم استفتاء خطي لسماحته وبطبيعة الحال فإن موقفه الصارم من منع الحزبية في الجوازات سينعكس على السلطة وسيظهر براءته من التهم المنسوبة إليه.

عرضت هذا المقترح على سماحته في مجلس خاص (عائلي) دون ان يكون هناك أحد من خارج هذه الدائرة الخاصة فلم يجزم بشيء محدد في مقام الجواب.

وحين فعلت راجعاً إلى بغداد أرسل قده الفتوى بخطه في ورقة، كان قد ترك في أعلاها فراغاً وأمرني أن أكتب بخطي صيغة الاستفتاء الذي كان قد حررها هو أيضاً في ذلك الفراغ والتوقيع عليه باسمي الصريح.

وكان مما قاله لي: بأنه أراد أن يحصنني أيضاً من السلطة الغاشمة.

ولم يكن لسماحة آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين (قده) على حد علمي دور في هذه المسألة. هذا باختصار ما علق بذهني بشأن الفتوى المذكورة، أما ردود أفعال

الحزبيين على ذلك فهي متفاوتة، حيث أن منهم من استوعب الموقف وانسجم معه، ومنهم من بدأ بالتشهير والانتقاص والاتهام في سلسلة محمودة لم تكن تخطر منا على بال مصداقاً لقول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم ولما اشتد ساعده رماني

على أن التطاول من بعض الحزبيين على السيد الإمام الشهيد الصدر (رض) لم يبتدأ بالفتوى وإنما سبقه بسنين على الأقل حيث عاد أحد طلابه من إيران ليقول له: بأن بعض طلابه الذين كانوا قد سفروا إلى إيران أوائل السبعينيات يقول: أن السيد بدأ يعمل لمرجعيته ونفسه لا للاسلام!!

وحرصاً على أن يكون الصورة كاملة من كل الجوانب لابد لي من الإشارة إلى أن هذه الكلمات اللامسؤولة وردود الأفعال الهابطة قد تبخرت وتلاشت من انقلب إلى جمار أسى ونجيعه باستشهاده في الثامن من نيسان ١٩٨٠ وربما شكلت وخزاً كبيراً لضمير كل متجرئ من أولئك المتسرعين.

وفي الختام تتبعوا مني خالص الدعوات وأطيب التمنيات مع رجاء أن لا تنسونا من صالح دعوتهم أنكم تحت القبات الظاهرة لمولاتنا العقيلة زينب (ع) والسيدة رقية عليها السلام وفي .... استجابة الدعاء والسلام عليكم وعلى سماحة السيد الوالد المعظم والأخوة جميعاً وسائر المؤمنين من إخواننا العراقيين ودمتم مؤيدين[(١)].

حسين الصدر

لندن –الجمعة ١٤/محرم الحرام /١٤١٥هـ

١٩٩٤/٦/٢٤م

نص الحكم الذي أصدره السيد الشهيد الصدر جواباً على سؤال وجه له:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد باقر الصدر –دام ظله– بعد الدعاء لسيدي بمزيد التأييد والتسديد التفضل بالجواب إلى السؤال التالي:

ما هو رأي سماحتكم في موقف الحوزة العلمية تجاه الأحزاب السياسية الدينية كحزب الدعوة وغيره، فهل يجوز الانتماء إليها أولاً افتونا مأجورين:

السيد حسين السيد محمد هادي الصدر

(١) كتبها ضمن رسالة ووجهها للاستاذ السيد محمد الحسيني.

بسم الله الرحمن الرحيم

لايجوز ذلك لاننا لانسمح بشيء من هذا القبيل قد ذكرنا رأينا هذا مراراً إذ أوضحنا أن طالب العلم الديني وظيفته أن يعظ ويرشد ويعلّم الاحكام الشرعية بالطريقة الواضحة المألوفة بين العلماء ومن الله نستمد الاعتصام وهو ولي التوفيق.

١٨شعبان١٣٩٤هـ **محمد باقر الصدر**

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الامام السيد محمد باقر الصدر دام ظله .

بعد الدعاء لسيدي بمزيد التأييد والتسديد ارجو التفضل بالجواب على السؤال التالي :

ما هو رأي سماحتكم في موقف الحوزة العلمية تجاه الاحزاب السياسية الدينية كحزب الدعوة وغيره فهل يجوز الانتماء اليها اولا افتونا مأجورين :

السيد حسين السيد محمد هادي الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجوز ذلك لاننا لا نسمح بشيء من هذا القبيل وقد ذكرنا رأينا هذا مرارا إذ أوضحنا ان طالب العلم الديني وظيفته ان يعظ ويرشد ويعلم الاحكام الشرعية بالطريقة الواضحة المألوفة بين العلماء ومن الله نستمد الاعتصام وهو ولي التوفيق ١٨ شعبان ١٣٩٤

محمد باقر الصدر

فتوى الامام محمد باقر الصدر بحرمة انتماء طلبة العلوم الدينية للاحزاب كحزب الدعوة وغيره

السيد الصدر الأول والتنظيم الحزبي[(١)]

السيد الصدر (رحمه الله) يمنع التنظيميين من التردد على داره

كان السيد الصدر (رحمه الله) قد أبدى رغبته في الفصل بين الحوزة وبين التنظيم الخاص، وكان الأمر قد انعكس على جملة من طلابه الذين انفصل بعضهم عن الحزب وراح يشجع الآخرين على ذلك، وما حدث مع السيد عماد التبريزي (رحمه الله)[(٢)] وبعد ظهور الأمر بشكل صارخ جراء الأحداث الأخيرة. ازداد التأكيد على الموضوع ميدانياً.

وكان جملة من طلاب السيد الصدر (رحمه الله) من أمثال السيد محمد الصدر (رحمه الله) والسيد

عبد العزيز الحكيم والشيخ قاسم العزاوي وآخرون قد تحملوا مهمة فك ارتباط طلبة العلوم الدينية بحزب الدعوة الإسلامية[(٣)]، وكان ذلك بإشارة من السيد الصدر (رحمه الله) نفسه[(٤)] ومن أمثلة ذلك أن السيد الصدر (رحمه الله) أرسل السيد عبد العزيز الحكيم إلى الشيخ راشد الطويرجاوي وكيله في (الحيرة) من أجل ترك العمل مع حزب الدعوة[(٥)].

كما قام السيد الصدر (رحمه الله) بمنع بعض الوجوه المعروفة بانتمائها إلى التنظيم الخاص –لاسيما من صدر منه الاعتراف بذلك– عن التردد إلى منزله من أجل تغيير

(١) عن كتاب الشهيد الصدر للشيخ ابي زيد العاملي.
(٢) وانظر: محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق ١٢٦- ١٢٧.
(٣) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق ١٢٦.
(٤) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق ١٢٧ نقلاً عن السيد عبد العزيز الحكيم.
(٥) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق ١٢٧ نقلاً عن الشيخ خير الله البصري عن الشيخ راشد الطويرجاوي.

الصورة الشكلية لحوزته وإعطائها البعد الديني العام[١]، وذكر أن من شاء من طلاب (اللمعة) فما فوق العمل في ظل مرجعيته فلا ينتسب إلى الحزب، ومن انتسب إلى الحزب فلا يقترب منه ولا يزوره في داره[٢].

وإلى جانب ذلك منع من الحديث عن علاقته بالتنظيم الخاص، سواء على مستوى التاريخ أم التأييد أم الرعاية، وكان يظهر انفعالاً شديداً من سماع ذلك[٣]، الأمر الذي يشكك به آخرون[٤]، ولكنه لا يبدو بعيداً، خاصة أن زيد حيدر (عضو القيادة القومية لحزب البعث العراقي آنذاك) نفسه أكد للسيد جعفر شرف الدين سنة ١٩٧٦م أنهم وضعوا أجهزة تنصت لرصد السيد الصدر (رحمه الله) وكانوا يستمعون إلى الأشرطة أسبوعياً، وعلى مدى عامين (١٩٧٤- ١٩٧٦م) لم يستطيعوا إدانته بشيء يشير إلى وجود علاقة تربطه بفريق ما، فعلموا أنه يتصدى للمرجعية بشكل جدي[٥].

إلا أن رؤية السيد الصدر (رحمه الله) للعمل على مستوى الاستراتيجية والتكتيك كانت- وفق مصادر داخل الحزب- تختلف عن ممارسة جهازه، فهو لم يكن يهدف إلى خلق القطيعة مع الحزب الذي كان يراه ذراعه وأقرب الناس إليه، ولم يكن ليدخل في صراع أو خصومة مع أكثر الحزبيين تطرفاً، بل كان يحبهم ويحترمهم[٦].

وفي إطار إجراءات السيد الصدر (رحمه الله) يكتب السيد عبد الغني الأردبيلي (رحمه الله) رسالة إلى السيد كاظم الحائري يوضح فيها بعض الملابسات ونحن نترجم بعضاً مما جاء في مسوداتها التي بأيدينا:لقد كان للفتوى أثر عميق في بقاء الحوزة العلمية، وبتعبير واضح في بقاء المرجعية الصالحة بل في خلاص أكثر أصحاب يوسف الصديق المودعين في جب كنعان[٧].

في الواقع لم تلق الفتوى أو الأعمال الأخرى ردة فعل من قبل أصحاب أبي صالح[٨]، وإن كان ابو صالح البروجودي نفسه قد اتخذ موقفاً من ذلك.. وليكن معلوماً أنه لم

---

(١) نظرية العمل السياسي عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٢٦٥.
(٢) حدثني بذلك السيد محمد الغروي بتاريخ ٢٤/٧/٢٠٠٤م مقابلة مع السيد محمد الغروي.
(٣) نظرية العمل السياسي عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٢٦٥.
(٤) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٦.
(٥) مقابلة مع السيد جعفر شرف الدين.
(٦) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٥ نقلاً عن الشيخ خير الله البصري.
(٧) يبدو أن المقصود من (يوسف الصديق) السيد محمود الهاشمي، ومن جب كنعان زنزانات البعث.
(٨) البروجردي في رسائل السيد الصدر (رحمه الله) هو الشيخ محمد مهدي الآصفي، ولست أدري إذ كان هو المقصود هنا.

يصدر من سيدنا المفدى ولا من الحقير ولا من أبي صادق ولا من يوسف الصديق[١] أدنى برودة في التعامل، وإنما بعد خروج يوسف الصديق ورفاقه من مدينة كنعان ومن باب التقية منع سيدنا المفدى من عدا يوسف الصديق –وقد منع حتى أبا مصطفى[٢]– من التردد على البراني إلى أجل غير مسمى وطلب منهم أن لا يتعاطوا مع الرفاق بحرارة وقد أوصلت رغبة السيد إلى الرفاق مباشرة أو بالوساطة. وأما سيدنا المفدى روحي له الفداء وجسمي له الوقاء، فإنه وبعد خروج يوسف الصديق من جب كنعان قد أمر بتخصيص مبلغ شهري لعوائل الذين ظلوا قابعين هناك..

إن هذا السيد آية من آيات الله في حسن الأخلاق والتدبير وفي مواجهة المشاكل وفي حل المشاكل العلمية والاجتماعية[٣].

امتعاض نسبي من الفتوى وآخر من طريقة الفصل، ولوم السيد الصدر (رحمه الله)

اعتقد بعض طلاب السيد الصدر (رحمه الله) أنه أخذ يميل في حقبة متأخرة من حياته السياسية وبتأثير من عدد من مريديه والمحيطين به وتلامذته إلى المداراة والمهادنة في العمل السياسي، وهنا اعتقد الشيخ علي كوراني أن هذه المهادنة هي التي قادته إلى إصدار فتوى تحريم انتماء طلبة العلوم الدينية إلى حزب الدعوة في وقت كان يمكن أن يكتفى فيه بمنع انتماء الطلبة من ذوي المستويات العالية في الحوزة دون تعريض الجميع، بحيث توزع الفتوى في وقت كان فيه الدعاة وشيوخ العمل في السجون وفي طليعتهم الشيخ عارف البصري[٤].

وكان البعض يشعر بأن هناك انفتاحاً على المحسوبين على السلطة ممن أخذ بالتردد على منزل السيد الصدر (رحمه الله) مما يوحي بانقلاب الوضع في دار السيد الصدر (رحمه الله)[٥].

(١) يقصد على التوالي: السيد الصدر (رحمه الله) نفسه، السيد محمد باقر الحكيم (رحمه الله)، السيد محمود الهاشمي.
(٢) يبدو أن المقصود هو السيد محمد الصدر (رحمه الله).
(٣) من تراث السيد عبد الغني الأردبيلي.
(٤) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١١٧ نقلاً عن الشيخ علي كوراني وقد ذكرنا مراراً أن التعبير بالفتوى تسامحي.
(٥) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٦ نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.

وقد أعرب بعض طلاب السيد الصدر (رحمه الله) والمقربين إليه عن انزعاجهم من الطريقة التي يتم من خلالها حمل طلبة العلوم الدينية على فك ارتباطهم بالحزب[١] خاصة وأن بعض طلابه قد منعوا من الحضور إلى بيته وحضور مجالسه[٢]، إلا القليل من أمثال الشيخ عبد الحليم الزهيري الذي بقي على تردده بناء على تشجيع من الشيخ حسين معن (رحمه الله)[٣].

وفي هذا المجال كان السيد عمار أبو رغيف قد طالب من الشيخ محمد الهادلي — صهر الشيخ محمد أمين زين العابدين (رحمه الله)- أن يكون كفيله من أجل إطلاق سراحه، إلا أن الشيخ أحمد البهادلي ذكر للشيخ محمد أن السيد أبو رغيف من جماعة السيد الصدر (رحمه الله) وهم يكفلونه، ولما رفع الشيخ محمد البهادلي ذلك إلى جهاز السيد الصدر (رحمه الله) أجيب بأنهم لا علاقة لهم بالسيد عمار الذي أبلغ بعدم تردد على منزل السيد الصدر (رحمه الله)[٤]، الأمر الذي أثار امتعاضه[٥].

وكان جملة من طلاب السيد الصدر (رحمه الله) شديدي الانزعاج مما لحق لهم، منهم: الشيخ حسين معن (رحمه الله)، الشيخ ماجد البدراوي، الشيخ خير الله البصري، السيد عمار أبو رغيف، الشيخ عبد الرضا الجزائري والشيخ خزعل السوداني (رحمه الله)[٦] وتحول قسم من الطلبة المتمسكين بانتمائهم السياسي من درس السيد الصدر (رحمه الله) الى درس غيره[٧].

وفي هذا الإطار تحدث الشيخ كامل الكابري مع السيد الصدر (رحمه الله) حول المسألة، فبرر له السيد الصدر (رحمه الله) هذه الخطوات بداعي حفظ الحوزة العلمية وأشار إلى اعترافات الشيخ صالح الظالمي الذي قال السيد الصدر (رحمه الله) إنه (ألّف قصيدة) في إشارة منه إلى كثرة اعترافاته[٨].

---

(١)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٧.
(٢)انظر مثلاً: نظرية العمل السياسي عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٢٦٥، محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٥.
(٣)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٥ نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.
(٤)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٥ — ١٣٦ نقلا عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.
(٥)سمعت ولمست ذلك من السيد عمار أبو رغيف.
(٦)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٨.
(٧)حزب الدعوة الإسلامية : ٢٠٤.
(٨)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٧ نقلاً عن الشيخ كامل الكابري.

كما أن الشيخ حسين باقر قال للشيخ طالب السنجري إنه يفترض به فك ارتباطه بالحزب، فأجابه الشيخ السنجري بأن ينقل للسيد الصدر (رحمه الله) أنه -أي الصدر- مشتبه (=مخطئ) في هذه المسألة(١).

كما ناقش الشيخان خير الله البصري وماجد البدراوي السيد الصدر (رحمه الله) في هذه المسألة، وقد قال الشيخ البصري للسيد الصدر (رحمه الله): (إن جدك موسى الكاظم عليه السلام) خيّر بين أن يلحق الأذى بنفسه أو شيعته فاختار أذى نفسه، بينما اخترت أذى شيعتك على أذى نفسك) فسكت السيد الصدر (رحمه الله) ثم أضاف الشيخ البصري: اسمع ما يقوله الشيخ احمد البهادلي عما فعله الصدر، وإنه نظير تصريحات السيد محمد البغدادي حول ما نسب إلى السيد مهدي الحكيم من اتهامه بالجاسوسية فأجاب بآية: (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(٢))(٣)، فأجاب السيد الصدر (رحمه الله) بأن الفتوى المشار إليها سر وتكتيك، والسر لا يكشف عنه(٤).

وعاتبه الشهيد عبد المجيد الثامر – وكان على صلة بالسيد الصدر (رحمه الله) ومرتبطاً تنظيمياً بالشيخ عارف البصري (رحمه الله) – فأجاب بأن فتواه صدرت وأعلنت بداعي حفظ الحوزة التي أخليت من الواعين، فهم بين مطارد وبين معتقل(٥).

وكان شباب البصرة- الذين كانوا ينظرون إلى الحزب بقداسة- شديدين على السيد الصدر (رحمه الله) فاعتبره بعضهم نظيراً للشيخ علي كاشف الغطاء- (الذي كان متهماً بعمله إلى جانب السلطات المتعاقبة على العراق)- بل اسوأ منه، إلا أن حالة الانفعال هذه كانت محدودة وكان أغلبها يصدر من خارج العراق(٦).

وقد علق الشيخ عارف البصري (رحمه الله) على الحكم بعد صدوره: (لقد قصم ذلك الحكم ظهري)(٧) ولابد أن يكون هذا الكلام قد صدر منه وهو في المعتقل.

(١)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٧ – ١٢٨ نقلاً عن الشيخ طالب السنجري.
(٢)[المائدة : ٣٣].
(٣)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٨ نقلاً عن الشيخ خير الله البصري.
(٤)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٣ نقلاً عن الشيخ خير الله البصري.
(٥)محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٠ نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.
(٦) محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٢٨ نقلاً عن الشيخ عبد العزيز الحكيم، وما بين((منا.
(٧) حزب الدعوة الإسلامية ٢٠٢ نقلاً عن مصدر تحفظ على ذكر اسمه.

يشار إلى أن الحكم الذي أصدره السيد الصدر (رحمه الله) لم يُغيّر من نظرة الأوساط الحوزية إليه، ولذا فقد بقي السيد محمد رضا الحكيم (رحمه الله) على حنقه -بحسب المصدر- على السيد الصدر (رحمه الله) حتى بعد إصداره الحكم المذكور[١].

لقاء المهندس نبيل شعبان بالسيد الصدر (رحمه الله)

تزامناً مع حكم السيد الصدر (رحمه الله) بين الحوزة والعمل التنظيمي طرح أحد عناصر حزب الدعوة الإسلامية فكرة اقتصار دور الأحزاب الإسلامية على تثقيف الأمة ولزوم رجوعها في أخذ القرارات إلى المراجع الدينية وضرورة عدم اتخاذ القرارات من قبل قيادات الحزب.

ومن هنا قصد المهندس نبيل شعبان السيد الصدر (رحمه الله) والتقى به منفرداً في سرداب منزله وطرح عليه الفكرة التي أثارها بعض العناصر، وأبدى له تألمه من عدم تصدي السيد (رحمه الله) لقيادة العمل ومن تحريمه الانتماء إلى الحزب.

وفي معرض الجواب فصّل السيد الصدر (رحمه الله) بين الموضوعات وبين الأحكام وأشار إلى أن كثيراً من قضايا العمل التنظيمي تتعلق بالموضوعات لا بالأحكام، ويكفي أن يُرجع في الأحكام إلى الفقيه وفي الوقت نفسه يكون تشخيص الموضوعات بيد التنظيم.

أما في ما يتعلق بعدم تصديه (رحمه الله) للعمل الإسلامي فقد مثل (رحمه الله) في جوابه بحياة الإمام زين العابدين عليه السلام وما تعرض له بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والظرف السياسي الذي لم يكن يسمح للإمام عليه السلام بالتصدي على النحو الذي تصدى به الإمام الحسين عليه السلام، وكان تصديه بطريقة أخرى عن طريق الأدعية وغير ذلك.

وفهم المهندس شعبان أن السيد (رحمه الله) يريد أن يقول له إن الظرف لا يسمح بتصديه بشكل واضح، وإنه يقوم بالتصدي بطريقة أخرى[٢].

استفسار السيد كاظم الحائري عن حقيقة الموقف

بعد ذلك كتب السيد كاظم الحائري رسالة إلى السيد الصدر (رحمه الله) يستفسر فيها عن المقصود الواقعي من رأيه هذا، فذكر له السيد الحائري أن المحتملات عنده أربعة:

---

(١) خفايا وأسرارا من سيرة الشهيد محمد باقر الصدر: ٨٤، محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٣٧.
(٢) حدثني بذلك المهندس نبيل شعبان بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠٠٤م.

١ ـــ أن يكون المقصود بهذه الكلمة لحاظ مصلحة في أصل ذكرها ونشرها كتقيّة (وعلى حد تعبير علماء الأصول تكون المصلحة في الجعل).

٢ ـــ أن يكون المقصود بهذه الكلمة أولئك العلماء والطلاب المرتبطون بمرجعيتكم، وإن اقتضت المصلحة إبرازها على شكل العموم.

٣ ـــ أن يكون المقصود بهذه الكلمة فصل طلاب الحوزة العلمية في العراق عن العمل الحزبي درءاً للخطر البعثي الخبيث عنهم، الذي يؤدي إلى إبادتهم.

٤ ـــ أن يكون المقصود بها فصل جميع الحوزات العلمية في كل زمان ومكان عن العمل الحزبي الإسلامي —وعلى حد تعبير الأصوليين تكون القضية قضية حقيقية وليست خارجية — وعلى هذا الاحتمال الأخير يكون تعليقي على هذه الكلمة: أن هذا الإجراء سيؤدي في طول الخط إلى انحراف الحركة الإسلامية الحزبية عن مسار الإسلام الصحيح نتيجة لابتعادهم في أجوائهم الحزبية عن العلماء الأعلام. فكتب السيد الصدر (رحمه الله) في الجواب: (اني قصدت المعنى الأول والثاني والثالث دون الرابع)[١].

السيد الصدر يوضح خلفيات الفصل بين الحوزة والحزب

بعد صدور حكم الفصل بين الحوزة وحزب الدعوة الإسلامية، توجه الشيخ عفيف النابلسي إلى السيد الصدر (رحمه الله)بالسؤال عن حزب الدعوة وصلته به، فأجاب (رحمه الله): (يوجد حزب في العراق اسمه حزب الدعوة، ولا مانع من الناحية الشرعية أن يعمل الإنسان المسلم في إطار حزبي لمصلحة يراها، لأن العمل المنظم مهم في الحياة السياسية، والدليل عليه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بداية الدعوة كان عمله سرياً، وكان أعداد الدعاة لا يتجاوز العشرين شخصاً، وكانوا يجتمعون سراً في دار الأرقم في زقاق مكة، وبما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأ دعوته بالعمل السري فيجوز لكل مجموعة ولكل إصلاحي إذا خاف على نفسه من الملاحقات أن يعمل سرياً مع رفاقه وأتباعه وهذا رأيي في العمل الحزبي. ولكن حفاظاً على طلاب العلوم الحوزوية، أفتيت بحرمة العمل الحزبي لحفظ الطلبة من الملاحقة، وبالتالي حفظ الحوزة العليمة من وحشية النظام وجنونه.

---

(١) مقدمة مباحثات الاصول ١٠١-١٠٢ولم ينشر السيد الحائري رسالة السيد الصدر (رحمه الله(بنصها الحرفي، وأحسب ان فيها عتاباً أبوياً حول بقاء السيد الحائري في التنظيم دون علمه، كما هو الحال في عتبه الموجود في رسائله إلى الشيخ علي كوراني والسيد طالب الرفاعي مثلاً.

وأما ما يشاع عني بأني أسست حزب الدعوة أو أنني زعيم أو مرجع حزب الدعوة، فهذا غير صحيح، وهو يقبلني ويتبنى فكري تماماً كما يقبل المرجع مقلديه ومؤيديه، فكما أني أقبل المقلدين في التكاليف الشرعية، فأنا أقبل المقلدين في الفكر السياسي العام كما أقبلهم في الفكر الشرعي، فما الفرق بينهما.! ولا ذنب لي في هذا التوجه، وهل يكون لي ذنب إذا كثر المقلدون والأتباع ومحبو الأفكار الإسلامية والدولة الشرعية والأطروحة الملائمة للجيل الصاعد؟!

أما أنه عندي حزب وسجلات ومجموعات وأدوات ضاغطة على النظام، فهذا ما لا أعرفه إطلاقا.

تأتيني أسئلة يومياً من العالم الإسلامي وأنا أجيب عليها على المستويات جميعاً، وأبين لها الحق والدليل الشرعي على عملها الإسلامي، وهي تيارات عاملة وناضجة، وبالأمس جاءني من بيروت مجموعة تسألني عن شرعية عملها الإسلامي، فأوضحت لهم الطرق وقلدوني، وهذا هو دأبي[1].

وفي هذا الإطار التقى أحد كوادر حزب (الدعوة) من رجال الدين بالسيد الصدر (رحمه الله) الذي أوضح موقفه قائلاً: أنا معكم ولن أتخلف عنكم لحظة واحدة، غير أني رأيت في الوقت الحاضر أن الحركة الإسلامية لا تؤدي دورها المنشود إلا بدعم المرجعية لها، كما لا غنى للمرجعية عن الحركة الإسلامية، فكل منهما يدعم الآخر وأنا أرى من الآن (أن) التصدي للمرجعية هو الوظيفة الشرعية. وهو المطلوب. والمطلوب منكم دعوة الفكرة. أنا معكم والمرجعية لا تستغني عن الحركة ولا يمكن ان تؤدي رسالتها بدون الحركة، كما أن الحركة هي في حاجة إلى من يسندها ويدافع عنها، ولا يمكن للمحامي والمدافع إلا أن يكونا غير المتهم والمخاصم.. فاستقلال المرجعية اليوم هو من صالح الحركة الإسلامية، ويجب أن يحصل التنسيق الدقيق بين المرجعية والحركة حتى نفوت الفرصة على هؤلاء الظالمين.

أنا فكرت بعد وفاة السيد الحكيم عليه السلام بالمرجعية الموجودة، وهي ضعيفة، وليست بالمستوى المطلوب، فلو ألقت السلطة القبض على السيد الصدر مثلاً، ووجهت إليه تهمة الانتماء أو تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، فلا يمكن أن يدافع عن نفسه،

---

(١)خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمد باقر الصدر ٢٦ – ٢٧.

والمرجعية الحالية كما قلنا غير قادرة على الدفاع عنا أو عن الحركة، فيمكن للحكومة الظالمة بواسطة عملائها ان توجه الدعاية ضدنا باسم الفئوية والحزبية، ومن ثم يجهز على الحركة ويقضي عليها.

وكلف السيد الصدر (رحمه الله) السيد عبد الكريم القزويني أثناء توجهه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج بإبلاغ الشيخ محمد مهدي الآصفي بأن الحكم الذي أصدره ليس ضد الدعوة، وإنما من أجل حفظ الباقي منها[١]. وفي هذا الإطار التقى الحاج مهدي بالسيد الصدر (رحمه الله) وجرى بينهما الحوار التالي:

الحاج مهدي: هل صدر منكم فعلاً ذلك الحكم؟

السيد الصدر (رحمه الله): نعم، ولكن أنا ما أقصدكم أنتم الشباب، أقصد طلبة الحوزة، وليس كل طلبة الحوزة، النتيجة عالم الدين يجب أن يكسب ثقة الأمة، والأمة لا تعطي ثقتها لعالم الدين إذا أحست أن عنده نوعاً من الارتباط بتنظيم أو حزب أو شيء سري غير مكشوف لها، لهذا أردت من الحكم أن ينفتح الطلبة على الأمة.

الحاج مهدي: إن ذلك الحكم قد يستغل

السيد الصدر (رحمه الله): قد، ولكن سرعان ما يزول التأثير.

وقد خوّل السيد الصدر (رحمه الله) في تلك الجلسة -وبمبادرة منه- الحاج مهدي عبد مهدي بصرف ما تحتاج الدعوة من أموال الحقوق الشرعية[٢].

---

(١) مجلة الجهاد العدد (١٢(١٩٨٣م، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٩، حزب الدعوة الإسلامية ٢٠٤- ٢٠٥ ، مقابلة مع السيد عبد الكريم القزويني.

(٢) حزب الدعوة الإسلامية ٢٠٦، نقلاً عن الحاج مهدي عبد مهدي في طهران ١٩٩٥/١٠/٢٨م وانظر: الإمام محمد باقر الصدر معايشة من قريب: ٣٩.

في آفاق فتوى السيد الشهيد الصدر

التنظيم الحزبي في ضوء خط المرجعية

• السيد صدر الدين القبانجي

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يختلف اثنان في أن التنظيم (بمعناه العام) ضرورة لإتقان العمل. سواء على مستوى العمل الفردي أو على مستوى العمل الجماعي.. وسواء في مجال العمل الإسلامي، أو مختلف الأعمال والنشاطات الأخرى. وإذا كان التنظيم محاولة في إتقان العمل - أي عمل كان - فهو إذن أمر قد دعت إليه الشريعة المقدسة حينما طلبت منا الاتقان دائماً. وإذا كان حديثنا عن العمل الإسلامي بالخصوص أي النشاط المبذول لتعميق الوجود الإسلامي، ونشره، أمكن أن ندرس التنظيم فيه مرة على صعيد الحوزات العلمية، ومرة على صعيد الأمة.

التنظيم في الحوزة العلمية:

لم تشهد مراكز التعليم الديني خلال تاريخها الطويل إلا وضعاً تنظيمياً ضعيفاً للغاية، حتى ليمكن القول معه أنها عاشت وضعاً غير تنظيمي تماماً. فالدراسة فيها حرة ومدة الدراسة أيضاً حرة ولا توجد قيود لقبول أو رفض الطالب، وحتى تعيين الأستاذ لا يفرض على الطالب إنما هو يختار الأستاذ الذي يشاء والوقت الذي يشاء. كما أن العمل التبليغي المتجه لإرشاد الناس هو الآخر حر وحتى المرتبات الشهرية التي توزع على طلبة العلوم الدينية لم تكن لها ضوابط وموازين محددة.

الحوزة العلمية أشبه بـــ(جامعة حرة) بمعنى الكلمة، نعم هناك قانون دراسي أخذ مجراه طبيعياً، وهناك عدة كتب دراسية فرضت نفسها تدريجياً، ومع ذلك فالطالب يجد نفسه في فسحة من ذلك كله لو شاء... ولقد كان هناك تساؤل يقول:

« أنه مع هذا الوضع الحر، ومع انعدام أي قانون، وأي رقيب، كيف أمكن للدراسة العلمية في هذه المراكز أن تستمر بل تنمو وتتطور؟ وكيف استطاعت هذه المراكز أن تخرّج العلماء والعظماء والنوابغ؟ وكيف لم تتمزق وتتحلل؟ وما هي الدوافع التي تدفع بطالب العلم الديني - في الغالب - إلى التزام المنهج الشائع والمرسوم، ومواصلة الدراسة خطوة فخطوة، كما لو كان هناك نظام مدرسي دقيق؟ ومن ناحية أخرى: كيف استطاعت هذه المراكز العلمية أن تحصن نفسها عن تسلل النفعيين أو ذوي الأغراض المشوهة، في وقت لا يوجد فيه قيد ولا شرط. ولا رقابة ولا محاسبة؟؟؟».

السيد الصدر أشار يوم سئل عن تفسير ذلك إلى الحقيقة التالية:

« إن (الوازع الديني) و (الدافع الإيماني) لدى طلاب العلوم الدينية والجو الديني الذي تعيشه هذه المراكز العلمية هو الذي كفل لها استمراريتها وحفظ منهجها الدراسي، وحَصّنها من تسلسل المشبوهين والنفعيين - إلى حد كبير.»

يمكن أن نشرح ذلك طويلاً ويمكن أن نضيف إليه عوامل أخرى إلا أن ذلك ليس من مهمة حديثنا هذا.. إنما السؤال الأهم هو السؤال المتعلق بتقييمنا لهذا الوضع العجيب!. لقد سئل بعض العلماء عما إذا كان يجد ضرورة تنظيم الحوزة العلمية فأجاب: «نظامنا اللانظام» وتمشياً مع هذا الجواب هناك تصور سائد يقول:

إن أية محاولة لإضفاء طابع تنظيمي في هذه المراكز هي محاولة غير صحيحة، وغير مجدية، بل إن أي تنظيم فيها هو مدعاة لخطر يحيق بهذه المراكز حيث لا يؤمن أن يقف على رأس هذا التنظيم مهما كان حجمه وشكله - من لا يوثق - به ولا بتجربته، ويجر الحوزة العلمية - بالتالي - إلى نتائج غير محمودة!!

أما نحن فنرى أن هذا التصور فيه كثير من المغالاة - رغم ما فيه من جوانب صحيحة - فالتنظيم - بمعناه اللغوي العام - ضرورة، ويوماً بعد يوم ينكشف أن على الحوزات العلمية أن تبرمج وضعها حتى تكون بمستوى مسؤوليتها العالمية العظيمة وخصوصاً بعد أن تعيش الحوزة العلمية في ظل حكومة إسلامية لا يخشى منها على الوجود الحوزوي، أن عليها أن تملأ كل الفراغات في الدراسات الإسلامية، في التفسير، والتأريخ، والسير،

والفلسفة، والكلام، والعقائد، والفقه، والأصول، والأخلاق، وغيرها، بل وأن تتصدى للنظر في عطاء العلوم الحديثة والاستفادة منها و الرد على الخطأ فيها. وأن عليها أن تعجّل خطوها في تخريج العلماء - في كل تلك المجالات - فلا يكفي الاعتماد على الصدق والتوافقات، أن سعة الحاجة أو سرعة الزمن، لا يسمحان أبداً أن ننتظر في كل مائة عام مفسراً واحداً، أو فيلسوفاً واحداً، أو نقنع بعدد قليل من الكتّاب والخطباء ومعلمي الأخلاق.

ومن ناحية ثانية فالحوزات العلمية من أجل أن يكون حضورها حقيقياً وفعالاً في الساحة يجب أن تنتشر في كل الآفاق ويصل علماء الدين إلى كل منطقة، وإلى كل مركز تجمّع وهذا يدعو بالتأكيد إلى برمجة العمل التبليغي من ناحية والدفع الحثيث نحو التبليغ من ناحية ثانية. إحساساً بهذه الضرورة فقد توجهت الحوزات العلمية في السنوات الأخيرة إلى الأمام في عملية تنظيمٍ وضعها.

لقد أصبح واضحاً أن علينا البدء بعملية تنظيم، لكن مع تلافي الأخطاء، ومع حدود معقولة ومناسبة من التنظيم يحافظ على كل إيجابيات الدراسة الحرة.. لكن ما هي الأطروحة المناسبة للتنظيم الحوزوي؟؟

التنظيم المرجعي:

لقد وجدت أطروحتان هما:

١- التنظيم المرجعي.

٢- التنظيم الحزبي.

التنظيم المرجعي: هو الأطروحة التي عمل على أساسها كل الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام، وسار عليها علماؤنا الأبرار رضوان الله عليهم في القرون الماضية على اختلاف فيما بينهم بالنسبة إلى الفعالية والدقة.

وقد حاول أستاذنا العظيم السيد الشهيد محمد باقر الصدر في (أطروحة المرجعية الصالحة) أن يعطيها أبعاداً جديدة في النظرية تنقذها من الحالة التي وصلت إليها بسبب ظروف التخلف التي يعانيها المسلمون. ووجدنا المرجعية الرشيدة التي قادها الإمام العظيم السيد الخميني كيف أعطتها أبعاداً جديدة في النظرية والتطبيق وبدأت الحوزات العلمية في الجمهورية الإسلامية تتجه بخطوات جادة ومركزة لتطبيقها في مجال الحوزة العلمية. وهناك عدة ميزات لهذا التنظيم:

الميزة الأولى:

يتصدى المرجع الديني، أو عدد من المراجع، أو عدد من الفقهاء، ذوي الوجود الواسع في الأمة، للقيام بمهمة هذا العمل القيادي العظيم، بحيث يصبح المرجع أو المراجع محاور رئيسية في الأمة تقودها في مسيرتها الجهادية والنضالية وتعمل على رفع مستواها في الوعي والثقافة الإسلامية وذلك من خلال سلسلة من المؤسسات الدينية التي تمتاز بالمرونة والقدرة على استيعاب مختلف القطاعات في الأمة وتخلق المحاور المختلفة فيها.

الميزة الثانية:

ومن ناحية أخرى فإن هذا التنظيم ليس تنظيماً سياسياً، على حد الأحزاب والتنظيمات السياسية، إنما هو تيار يتحرك على شكل محاور رئيسية. وقد تكون هذه المحاور شخصيات إسلامية كالعلماء أو مؤسسات علمية وثقافية واجتماعية كالمدارس والجمعيات أو مؤسسات سياسية كالأحزاب والحركات وغيرها من الكيانات السياسية ولكنها جميعاً تتحرك ضمن التيار وحول المحاور الأساسية التي هي المرجع وغيره ممن يمثل خط المرجعية.

وتنظيم الحوزة العلمية يمثل جانباً من مهمة هذا الخط التنظيمي ومن هنا نجد أن هذه الأطروحة في التنظيم لا تهدف إلى عزل طلبة العلوم الدينية عن مهمتهم الرسالية والسياسية معاً وإنما لا تريد أن تضعهم في إطار الأحزاب والتنظيمات السياسية.

الميزة الثالثة:

وتبعاً لذلك فإن هذا التنظيم المرجعي لا يعتمد نظام الخلايا والحلقات المتعارفة في الإطار الحزبي.

إنما يدفع كل الأساتذة وفضلاء الحوزة العلمية بتوجيه طلابها وتربيتهم، كما يدفع كل الطلاب لالتزام نصائح وتوجيهات الأساتذة الدينية، والأخلاقية. وكل هؤلاء وأولئك يستمدون توجيههم من المراجع، وكبار الأساتذة في الحوزة العلمية بحيث يصبحون مؤهلين لهذه العملية القيادية ويدخلون في عملية الصراع مع الكفر والطغيان والفساد والشهوات سواء في خارج ذات الإنسان أو داخله أو في ظل النظام الإسلامي أو خارجه.

أما ما هي صيغة هذا التنظيم؟

لا معنى لحصر هذا العمل التنسيقي بصيغة محددة لا يتجاوزها، نعم الصيغة الطبيعية والمناسبة له هي إحداث لجان مسؤولة تتحمل كل واحدة منها جانباً من الجوانب: الدراسي، أو المالي، أو التبليغي، أو السياسي.. وأيضاً إنشاء مدارس علمية تتخذ منها

الدراسة وضعاً رتيباً ومنهجاً هادفاً إلى وضع الأشخاص في موضعهم الطبيعي من العلمية الرسالية وربما مدارس متخصصة لبعض الجوانب العلمية. وهكذا أيضاً ضبط مدارس السكن حول الطلبة الساكنين فيها ودرجة التزامهم، ووضعهم الاجتماعي والأخلاقي والجهادي والفكري. لقد رأى السيد الصدر أن من المهم إنشاء عدة لجان:

١- لجنة أو لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة العلمية، وهي تمارس تنظيم دراسة ما قبل الخارج والإشراف على دراسات الخارج وتحدد الموارد الدراسية وتضع الكتب الدراسية وتجعل بالتدريج الدراسة الحوزوية بالمستوى الذي يتيح للحوزة المساهمة في تحقيق أهداف المرجعية الصالحة الرسالية.

٢- لجنة للإنتاج العلمي ووظائفها إيجاد دوائر علمية لممارسة البحوث ومتابعة سيرها والإشراف على الإنتاج الحوزوي الصالح وتشجيعه ومتابعة الفكر العالمي بما يتصل بالإسلام والتوافر على إصدار شيء كمجلة أو غيرها والتفكير في جلب العناصر الكفوءة إلى الحوزة أو التعاون معها إذا كانت في الخارج.

٣- لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق المرتبطة بالمرجعية ومتابعة نشاطها الفكري والثقافي وعلاقتهم بالأمة وتحركهم ضمن الخط الأصيل للإسلام خط الجهاد والشهادة.

٤- لجنة الاتصالات وهي تسعى لإيجاد الصلات مع المرجعية إلى المناطق التي لم تتصل بالمركز، ويدخل في مسؤوليتها إحصاء المناطق ودراسة إمكانات الاتصال بها..

٥- لجنة رعاية العمل الإسلامي التي تمارس القيمومة على المؤسسات الإسلامية سواء كانت ضمن جهاز الدولة وخارجها.

٦- اللجنة المالية والتي تقوم برعاية مختلف الشؤون المالية لهذا التنظيم الواسع..»[١].

وفي وقته سعى السيد الشهيد رغم الظروف الخانقة التي كانت تعيشها حوزة النجف الأشرف للبدء بممارسة بسيطة من هذا القبيل. ويمكن من خلال ملاحظة المؤسسات السياسية والثقافية والعلمية التي أوجدتها المرجعية الدينية الرشيدة في الجمهورية الإسلامية وأحيائها للمؤسسات التي أوجدها الرسول الأعظم (ص) كصلاة الجمعة وتحويل المساجد إلى خنادق حقيقية للدفاع عن الإسلام، ورعاية شؤون الأمة وكذلك المؤسسات الثورية كاللجان الثورية الإسلامية وجند حرس الثورة الإسلامية وجهاد البناء وجامعة المدرسين في قم وجماعة العلماء المجاهدين. يمكن من خلال هذه الملاحظة أن نتعرف على الدور

(١) من (أطروحة المرجيعة الصالحة) بقلم الشهيد الصدر.

العظيم لهذا التنظيم الإسلامي الأصيل. وكذلك رعاية المرجعية للعمل الحزبي وعلاقته الوطيدة الصحيحة بها وخضوعه الكامل لها يشير إلى عظمة هذا التنظيم الإسلامي الرائع تنظيم خط المرجعية الصالحة..

التنظيم الحزبي:

هل يسمح (خط المرجعية) بالتنظيم الحزبي في داخل الحوزة العلمية؟ وضمن أية شروط وأية حدود؟ في ضوء (خط المرجعية) هناك أمور أساسية يجب الحفاظ والحرص عليها، ومن خلال هذه الأمور نريد التعرف على العلاقة بين خط المرجعية وبين التنظيم الحزبي في داخل الحوزة العلمية.

١- يحرص خط المرجعية على أن لا تقع الحوزة العلمية تحت هيمنة حزب ما.

٢- المحافظة على الانقياد التام للمرجعية الرشيدة، وعدم التنافس معها، فطالب العلم الديني يتلقى خطه وتوجهه من المرجعية الصالحة الرشيدة، ويرى أبوّتها وقيمومتها على كل الحركات، وكل التشكيلات والتنظيمات.

٣- كما أن طالب العلم الديني يجب أن يحافظ في تحركه بين الجماهير على أبوّته الحقيقية التي تتسع لكل الأمة، ولكل العاملين فيها.

العالم الديني يستطيع التعامل مع الأمة والدخول إليها من الباب الوسيع الذي يمكّنه ويفتح له أكبر وأوسع أرضية صالحة للعمل، وأعلى درجة من الفقه في نفوس الناس.

وهذا بخلاف ما إذا تحرك العالم الديني ضمن الإطار الحزبي.

٤- ويحرص العالم الديني على ربط الشعب بالمرجعية الدينية الرشيدة. ويوجّه الأمة كلها، وكل العاملين معه بهذا الاتجاه، يستوي في ذلك عنده الداخل في إطار تنظيمي أو غيره من الناس.

إن (خط المرجعية) يؤكد على هذه النقاط الأربع كشروط أساسية يتحتم على كل علماء الدين وطلبة العلوم الدينية المحافظة عليها، وقد أكدّها الشهيد السعيد السيد الصدر رضوان الله تعالى عليه مراراً لتلامذته وطلبته، ولا أحسب أنها تحتاج إلى مزيد من شرح وتوضيح. والآن وفي ظل هذه النقاط الأربع هل تستطيع الحوزة العلمية أن تفتح أبوابها للتنظيم الحزبي وتحتفظ مع ذلك بتلك الشروط الأساسية؟؟

وهل يستطيع الشخص المرتبط بالحزب أن لا يتأثر بالأفق الحزبي؟ ولا يحكمه في تقييم الموقف، والأشخاص بل وتقييم الفقهاء والمراجع أنفسهم من خلال رؤية حزبية؟؟ إن ذلك أمر غير مستحيل، لكنه من الصعوبة بمكان بالغ، حتى لنستطيع القول أن تاريخ الأحزاب يدلل على خلافه. وهذا هو ما دعى أستاذنا الإمام الصدر إلى منع كل محبيه والمؤمنين بخطه، وكل طلبة العلوم الدينية، عن الانتماء الحزبي، مهما يكن إسلامياً ونزيهاً ومخلصاً..

فقد لاحظ «رحمه الله» أن السماح بذلك يخل عملياً بالشروط الأربعة التي يجب الحفاظ عليها أكيداً، وجرت في ذلك أحاديث ومباحثات طويلة.

نعم وقد يكون من المستحسن أن يكون لبعض علماء الدين دور قيادي في الأحزاب الإسلامية يضمن لها بقاءها ضمن خط المرجعية وارتباطها بالمرجعية الرشيدة وولاية الفقيه. وهذا شيء لا يعني وقوع خط المرجعية تحت تأثير التيار الحزبي بل وقوع الحزب تحت تأثير خط المرجعية.

التنظيم في الأمة:

في عين الوقت الذي يؤكد (خط المرجعية) على أن تسير الأمة كلها في صفوف (حزب الله).

وفي عين الوقت الذي يؤكد فيه على أن العمل الإسلامي أوسع من الإطار الحزبي ولا ينحصر فيه.

في عين الوقت فإن (خط المرجعية) لا يفترض أن تبقى الأمة في حالة من الفوضى، ولا يعني أبداً أن يعمل كل إنسان بطريقة فردية، ارتجالية، بعيدة عن جهود الآخرين والاشتراك والتشاور معهم.

إن توزيع المهام، وتنسيق الأعمال، وتنظيم النشاطات ضرورة في نجاح أي عمل مطلوب.

أما أشكال التنظيم فهي متعددة، أحزاب أو منظمات، أو اتحادات ونقابات، أو هيئات وجمعيات، وهكذا النظام المدرسي، والنظام العسكري هذه كلها صور للتنظيم، والأمة عموماً لا تستغني عنه بشكل عام، وخط المرجعية لا يرفض واحداً من هذه الأشكال، كما لا يعيّن واحداً منها.

الاستراتيجية الصحيحة:

نعم، إن خط المرجعية يضع استراتيجية خاصة للتنظيم، وبالخصوص التنظيمات السياسية (الأحزاب والمنظمات). هذه الاستراتيجية هي الشرط في صحة التنظيم السياسي حينما يريد السير على خط المرجعية.

وبدون الحفاظ على هذه الاستراتيجية فإن التنظيم سيخلق من المضاعفات والسلبيات أكبر مما يحققه من دور إيجابي. ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية في نقطتين:

١- مسألة القيادة:

يتم بناء الأشخاص في داخل التنظيم - وفقاً للاستراتيجية الصحيحة - على أساس أن القيادة للمرجعية الرشيدة النائبة عن إمام العصر الحجة بن الحسن «عجل الله تعالى فرجه الشريف» من حيث أن: «المرجعية الرشيدة هي المعبّر الشرعي عن الإسلام، والمرجع هو النائب العام عن الإمام من الناحية الشرعية»[1]. وعلى هذا الأساس يكون التنظيم أداة بيد المرجعية الرشيدة، وليس قيادة منافسة لقيادتها، على مختلف الأصعدة في ساحة الأمة. وعلى ذلك فإن القواعد المتلزمة بالتنظيم تستمد شرعية عملها، من المرجعية الرشيدة، وترى أنها هي القيّمة عليها وليست الكوادر القيادية في التنظيم، بل هذه الكوادر القيادية نفسها تنظر إلى المرجعية الرشيدة بوصفها الولي الشرعي عليها، «الراد عليه كالراد على الله».

وهذا يعني أن العامل في الحقل التنظيمي لا يتخذ من أشخاص القيادة، ومسؤولي الحلقات، ولا الإطار التنظيمي نفسه صنماً لا يرى الإسلام إلا من خلاله، ولا يعرف مصالح الإسلام إلا من زاويته، ولا عملاً مخلصاً ولا ثواباً إلهياً إلا في دائرة التنظيم.

٢- الروحية العامة:

أن تكون الروحية العامة للأفراد هي الشعور بالانتماء الحقيقي للإسلام والنظر إلى الانتماء للتنظيم على أنه وسيلة وليس هدفاً وغاية حقيقية. فإن تربية الأفراد داخل التنظيم على هذه الروحية العامة تمثل الضمانة الوحيدة لعدم الوقوع في مرض الاستعلاء على الآخرين، وهكذا مرض احتكار العمل إلا من قناة التنظيم فقط. هذه الأمراض التي تحول إيجابيات التنظيم إلى سلبيات، وتجر بالحركة التنظيمية كلها إلى الإخفاق والفشل في تحقيق

(١) لمحة فقهية (للسيد الصدر) ص١٤.

أهدافها الإسلامية. إذن الأفضلية داخل مراتب التنظيم ليست بالرتبة، إنما بدرجة التقوى، والكفاءة والجهد.

وهكذا الأفضلية على الآخرين خارج الإطار التنظيمي ليست بمجرد انتماء هذا إلى التنظيم وعدم انتماء ذلك، إنما الأفضلية لها مقاييس ثابتة هي التقوى، والكفاءة، والجهد يستوي في ذلك جميع العاملين، ويستوي في ذلك أبناء مختلف الحركات والتنظيمات.

وعلى ذلك فالاستراتيجية الصحيحة للتنظيم تبنى على الإيمان بأن الأمة أكبر من الأطر الخاصة في التنظيم. كما أن العمل الإسلامي هو الآخر أكبر من هذا الإطار بخصوصه، والانتماء إلى هذا التنظيم أو ذاك ليس واحداً من مقاييس المفضل والتفاضل. وفوق كل ذلك ففن القيادة ليست للتنظيم إنما هي للمرجعية الدينية الصالحة.

الخط الحزبي:

شرحنا لحد الآن استراتيجية التنظيم في ضوء خط المرجعية، والذي قد نجد شاهداً له في الوقت الحاضر الحزب الجمهوري في الجمهورية الإسلامية في إيران.

وفي قبال ذلك يوجد بناء آخر للتنظيم، هو ما نصطلح عليه بـــ (الخط الحزبي)، الذي قد تسقط فيه بعض الأحزاب الإسلامية. والأحزاب الإسلامية مدعوّة لأن تسير وفقاً لخط المرجعية، لا أن تنتهج لها نهجاً آخر هو (الخط الحزبي).. أما استراتيجية هذا الخط فتبنى على ما يلي:

١- (المرجعية دور تكميلي):

ينظر الخط الحزبي للمرجعية الدينية لا بوصفها القيادة الحقيقية للأمة، بل بوصفها ذات دور ثانوي وتكميلي، بينما يقوم الحزب بدور القيادة الحقيقية، والتحريك الفعلي للساحة.

«إن المرجعية ما لم تكن تنظيماً حزبياً أو مستندة إلى تنظيم حزبي فليس باستطاعتها أن تكون جهازاً ومؤسسة تحافظ على فاعليتها وجمهورها مع تبدل شخص المرجع..

هذه الأمور تجعل حركة المرجعية في أحسن حالاتها حركة اصطلاحية تبذل جهودها في بناء نفسها وفي توعية الأمة توعية عامة متحاشية تبعات التغيير وطريق ذات الشوكة»[1].

---

(١) انظر العمل الحزبي ص ٥٤ (منشورات حزب الدعوة الإسلامية).

وانطلاقاً من ذلك فإن الخط الحزبي يسعى لربط الشعب بالتنظيم ربطاً محكماً، بينما يكون ارتباطه بالمرجع الديني ارتباطاً شكلياً، فالانقياد للتنظيم وليس للمرجع. والتوجّه هو ما يمليه التنظيم لا ما يمليه المرجع..

وينعكس هذا على الموقف من كل علماء الدين، وطلبة العلوم الدينية، فالحزب هو القائد، وهو الموجّه الحقيقي، بينما هؤلاء هم الأطر والغطاء العام الذي يتحرك تحته التنظيم.

وبشكل عام:«إن هذه المؤسسات كنشاط المساجد والمكتبات والجمعيات والمدارس والمؤسسات والمؤلفات، تصلح أن تكون واجهات للعمل التنظيمي التغييري لا أن تكون بديلاً»[1].

٢- شرعية العمل لا تستمد من المرجعية:

وطالما لا يقبل الخط الحزبي بقيادة المرجعية وقيمومتها على العمل الإسلامي، إذن من أين يستمد شرعية العمل!؟ وبماذا يبرر مخالفته للمرجعية الدينية الرشيدة؟ يحاول الخط الحزبي أن يسلك أحد الطريقين:

الأول: إنكار مبدأ (ولاية الفقيه) فإنه بسقوط هذا المبدأ لا يبقى أي معنى لقيادة المرجعية الدينية، وقيمومتها على العمل الإسلامي.

الثاني: القبول - صورياً - بمبدأ ولاية الفقيه ولكن أي فقيه؟ وبأية حدود؟ الفقيه الذي يسير باتجاه الحزب، وطالما كان متوافقاً معه!!

أما المرجعية الدينية فلا تمثل حينئذ مشكلة بالنسبة لهذا الخط، إذ سرعان ما يعدل الخط الحزبي عنها إلى فقيه يتوافق معه!! وحتى هذا الفقيه لا يستطيع أن يمارس ولايته الحقيقية على الحزب، إذ سرعان ما يتم العدول عنه إلى فقيه آخر ما يزال سائراً باتجاه الحزب.. وهكذا فإن (الخط الحزبي) لا يرى من اللازم - لصحة عمله شرعاً - تأييد المرجعية الدينية له، بل يكفي وجود فقيه واحد يؤيده ويمضيه ويسبغ عليه الشرعية، حتى وإن خالف بذلك المرجعية الدينية.

من المناسب أن نستعرض ما نشر في كرّاس (العمل الحزبي)، فقد استعرض الآراء في العلاقة بين المرجعية وبين العمل الحزبي، ثم ناقشها قائلاً:

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣.

«ومنهم القائلون: بأن العمل الحزبي للإسلام يجب أن يكون بقيادة الفقيه الذي بلغ رتبة الاجتهاد أو بإرادته ورأيه لأن له الولاية العامة على المسلمين».

وجواب هذه الشبهة:

«أن الولاية العامة للمجتهد لا تختص بالأعلم بل تشمل كل مجتهد، فإذا وجد في قيادة العمل الحزبي مجتهد يكون العمل نافذا ولا يقدح فيه بعد ذلك أعمال الولاية من مجتهد آخر، لأن أعمال الولاية المتاخر لا ينقض الأعمال المتقدم من مجتهد آخر»[١].

بل لا يستعصي على الخط الحزبي أن يخالف حتى هذا المجتهد، كما شرحنا، ومن هنا كان إيمان الخط الحزبي بولاية الفقيه إيماناً صورياً محضاً.

٣- (قدسية التنظيم):

ومن أجل أن يحكم (الخط الحزبي) سيطرته على قواعده، بل يحاول أن يفرض قيمومته وولايته على كل الساحة، وكل العاملين، يلجأ إلى إسباغ هالة من القدسية على التنظيم، ويحوّله من وسيلة إلى هدف بذاته، ومن أداة إلى غاية. حتى لتكون المصلحة الإسلامية محصورة في داخل التنظيم، وصيانة الفقيه الولي من الانحراف والخطأ محصورة في داخل التنظيم، والنجاح محصور في داخل التنظيم، والإخلاص محصور في داخل التنظيم، وهكذا، الوعي والتقوى، والنضج السياسي كله في داخل التنظيم. وبعبارة أخرى جامعة:

«إن تطبيق أحكام الإسلام منحصر بالعمل التنظيمي الحزبي»[٢].

ويصبح التنظيم أشبه بذات مقدسة، ومعصومة لا يمكن الخروج عنها.

هذه ملامح ثلاثة لـــ (الخط الحزبي) وطبيعي أنه يمثل انحرافاً، وانزلاقاً، خطيراً إلا أن الأحزاب الإسلامية ليست بالضرورة مدفوعة للسير بهذا الخط، أنها رغم محافظتها على إطارها الحزبي تستطيع السير على (خط المرجعية) وفقاً للاستراتيجية الصحيحة التي يفرضها هذا الخط.

(١) المصدر السابق ص ٥٤ — ٥٥.

(٢) انظر العمل الحزبي ص ٥٢.

رسالة رئيس الأممية الشيوعية للثوار العراقيين

● صالح العميدي

من الوسائل التي لجأ إليها الثوار هو الاحتجاج لدى الضمير العالمي. ففي ١ محرم سنة ١٣٣٩هـ رفع الثوار رسالة احتجاج وطلب تضامن إلى الملك حسين ملك الحجاز وحكومات أمريكا وفرنسا وروسيا وتركيا وألمانيا وهولندا وقعها زعماء ومشايخ عشائر عراقية معروفة وحررت عن شيخ الشريعة الأصفهاني[1] وهناك رسالة قد وصلت إلى الكومنترن (الأممية الشيوعية) في نيسان ١٩٢٣ ويعود تاريخها إلى ٢١ كانون الأول ١٩٢٢ على أثر الاتفاقية الأنجلو – عراقية في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢ بعثها ثوار أبعدهم البريطانيون عن بلاد الرافدين وكانوا يعيشون آنذاك في إيران. وفيما يلي جواب رئيس الأممية الشيوعية على تلك الرسالة[2]:

أصدقائي الأعزاء:

قرأت رسالتكم باهتمام عميق، إن قصة استعباد بلاد الرافدين المأساوية تكشف، في غاية الوضوح السياسة المرائية الغادرة التي تنتهجها الحكومة الإنكليزية، ولكن في أي مكان تصرفت الإمبريالية البريطانية خلافاً لذلك؟ في الهند أم مصر، أم جنوب أفريقيا، إن سياستها واحدة في كل مكان، الأكاذيب والغدر والوحشية والقسوة، وقد قرأت في

(١) الرسالة منشورة في صفحة ٣٨٥ وما بعدها في كتاب الحقائق الناصعة (الجزء الثاني) لمؤلفه فريق مزهر الفرعون.
(٢) وجواب رئيس الأممية الشيوعية في المجلد الثاني من مجموعة الوثائق التي اختارها جان ديكراس.

الصحف، على التو، نبأ اندلاع تمرد واسع في بلاد الرافدين بسبب الأعمال الانتقامية المتواصلة.

إن الأممية الشيوعية ستتابع، بالطبع، مجرى هذا النضال البطولي بأكبر قدر من الاهتمام، إن محاولات الجلادين الإنكليز لن تنحصر، على الأكثر، بإغراق هذا التمرد بدماء شعب الرافدين، بل سيحاولون تقويضه من الداخل عن طريق الأحابيل والخديعة، وهناك إشاعات تفيد أن البريطانيين يعتزمون إصدار عفو عام عن قادة حركة التحرر المبعدين والمسجونين وأنهم على استعداد حتى لأن يسمحوا للوطنيين بالدخول في وزارة الأمير فيصل الخائن.

وإنني لواثق من أن تجربة الماضي سوف تدفعكم لرفض هذه التنازلات المرائية فمن الواضح أن في نية السير برسي كوكس الحصول على أصوات كافية إلى جانب التصديق على المعاهدة بين بريطانيا والعراق ولتأمين حكمه الدموي على بلاد الرافدين.

لقد أشرتم في رسالتكم إلى أن النظام الذي أسسته الإمبريالية الإنكليزية في بلادكم ينتهك مبادئ عصبة الأمم. ومن الواضح أن ثمة سوء فهم هنا فالقوى الإمبريالية المنتصرة ــ إنجلترا ــ فرنسا.. الخ ــ هي التي خلقت عصبة الأمم بعد الحرب وذلك لكي تتمكن من سلب المهزومين بأيسر السبل، وتقف إنكلترا نفسها على رأس هذه المؤسسة اللصوصية، وليس ثمة فرق بين مبادئ عصبة الأمم و«المبادئ السامية» التي تطبقها إنجلترا في بلاد الرافدين بقصف السكان العزل من الجو. وأود أن ألفت أنظاركم إلى سوء الفهم هذا واسمحوا لي أن أطلب منكم شرح ذلك لرفاقكم، كي يتجنبوا العواقب الوخيمة التي ستنجم، لا محالة، من أية فكرة خاطئة يكونونها عن الطبيعة الحقيقية لما يسمى بعصبة الأمم.

إن تحرير بلاد الرافدين لا يمكن بلوغه بمعونة ودعم دول إمبريالية أو عن طريق عصبة الأمم، بل بالنضال المنظم للجماهير الواسعة في العراق ضد المحتلين.

إن إقناع الجماهير بأن وضعها المادي سيكون أيسر وأفضل بطرد الإنكليز، وشجب كل الخونة في بلاد الرافدين باحتقار، وعلى رأسهم الأمير فيصل، هؤلاء الخونة الذين يجمعون ثروات من اضطهاد الشعب وكسب ثقة البلدان المجاورة ــ إن تحقيق ذلك سيضمن النصر النهائي لنضالكم البطولي ضد الإمبريالية الإنكليزية.

إن الأممية الشيوعية التي توجه ملايين العمال والفلاحين الثوريين في إنكلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا.. إلخ تؤكد لكم تعاطفها ودعمها لنضالكم من أجل الحرية.

أيها الأصدقاء الشرفاء.. إن كنتم تعتقدون أن من المفيد المجيء إلى موسكو، فإنني أتطلع إلى لقائكم وإذا جعلت الأحداث مجيئكم مستحيلاً، فأرجو أن تجمعوا وترسلوا الوثائق والمواد والصور الفوتوغرافية حول النظام الإنكليزي في بلاد الرافدين.

وإذا كنتم تعتقدون أن هناك إمكانية لتأليف كراس حول المسألة فسيكون من المفيد نشره باللغات الأوروبية والشرقية..تقبلوا فائق تحياتي القلبية

رئيس الأممية الشيوعية

ولعل ما ورد في كراس (محاولة استجلاء جديدة لتاريخ العراق الحديث) للدكتور صالح جواد الكاظم، وما ورد في الرسالة التي أعدها الأستاذ سامي عبد الحافظ العقبي للدكتوراه (ياسين الهاشمي) والتي نوقشت و لم تنشر. ما يوضح كيفية وصول هذه الرسائل المتبادلة.

ففي الصفحة ٢٤ من كراس الدكتور صالح جاء ما يلي:

وقد جاء في تقارير المخابرات البريطانية في الخامس عشر من نيسان[١] أن هناك عدة دلائل على أن علماء الشيعة[٢] في تجمعهم في كربلاء كانت لهم دوافع أخرى غير التي طرحت.

وإن لدى السلطات العسكرية معلومات قاطعة كثيرة وحسية بأن الكماليين والبلاشفة ينسقون الخطط وأنهم يعملون عبر المدن المقدسة وأن حقيقة كون النجف على اتصال بالوزير الروسي في طهران معروفة أيضاً. وفي الصفحة ٤٨٥ من رسالة الأستاذ سامي عبد الحافظ جاء ما يلي:

استطاع رجال الدين والاستخبارات أن يضبطوا الاتصالات التي كانت جارية بين القنصل الروسي في كرمنشاه وأحد أهالي بغداد المدعو الحاج عباس العطري، إذ إن القنصل المذكور يرسل المفروشات القيمة إلى عباس العطري وهذا بدوره يبيعها ويرسل أثمانها إلى الشيخ عبد الكريم الزنجاني[٣] في النجف لينفقها بنشر الدعوات المناهضة للحكومة في الفرات الأوسط وهكذا تعكس هذه الوثيقة مساعدات روسيا السوفيتية الفتية للحركة الوطنية في العراق.

---

(١) عام ١٩٢٢.
(٢) أبرز الذين دعوا إلى عقد مؤتمر كربلاء هما: الإمام الشيخ مهدي الخالصي وجعفر أبو التمن.
(٣) كان يسكن في محلة الحويش في النجف.

أتاتورك يأمر بتأليف حزب شيوعي وأحد رجال الدين يباركه

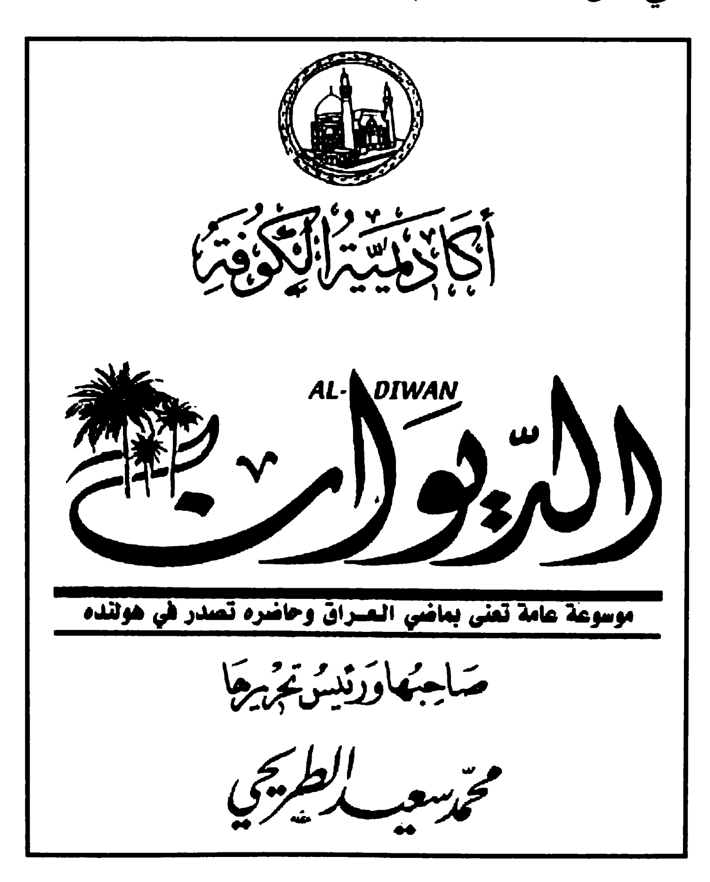
ألّف كمال أتاتورك حزب شيوعي صوري إذ أوعز إلى أحد أصدقائه المقربين وزير الداخلية السابق (حقي بهجت) في سنة ١٩٢٠ بتأليف هذا الحزب ووقع بيان الحزب الشيوعي الذي أرسله إلى بعض قادة الجيش كمال أتاتورك نفسه تحت عنوان أيها الرفيق، ثم أرسل لهم بياناً آخر وقد جاء فيه:

لقد استقر الرأي على تشكيل الحزب الشيوعي التركي ـــ ضمن رقابة الحكومة من بعض الأصدقاء والموثوقين وذلك كتدبير طبيعي ومعقول وبهذا يمكن إرجاع كل التيارات المتعلقة بهذه الأفكار إلى مرجع واحد وقد رأيت من المناسب أن يدخل سراً إلى جماعة المؤسسين للحزب وإلى الهيئة المركزية المؤلفة من ٣٠ عضواً بعض رفاقنا الموثوقين مثل فوزي باشا، علي فؤاد باشا، كاظم باشا، رفعت باشا، أنور بك، وهكذا يكون أصدقائنا هؤلاء الذين هم أبطال أهدافنا القومية وستكون جهودهم وأفكارهم فوق تيارات جميع المحاولات وقد قدمت إلى الأصدقاء بشكل تحريري وبشكل شفرات الرسالة الأولى التي كتبها وزير الداخلية السابق (حقي بهجت) الذي انتخب سكرتيراً عاماً حيث يتوضح مدى إمكانية تطبيق الأفكار والمبادئ الاشتراكية والشيوعية ويجب الانتباه إلى أننا نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى وجود جيش منضبط تمام الانضباط تحت إدارة القواد، لذلك يجب أن ينحصر الفكر الشيوعي في القيادات العليا في الجيش مع تقديم احتراماتنا.

التوقيع كمال أتاتورك

دفع أتاتورك أحد رجال الدين الذي كان من وعاظ السلاطين ومن دعاة الخلافة والدين والذي كان عضواً في المجلس الوطني التركي وهو الشيخ ثروت إلى المناداة بالفكر الاشتراكي وفعلاً صرح عند افتتاح المجلس الوطني: إن الشيوعية موافقة للإسلام فأبو بكر كان شيوعياً لأنه فرّق كل أمواله على الفقراء بعد إسلامه.

استغل أتاتورك هذا الحزب بالتقرب من الاتحاد السوفياتي وتخويفه الغرب واستعمله ورقة رابحة في دعم سياسته لتحرير تركيا وتخليصها من احتلال المنتصرين على الدولة العثمانية مما حدى بالاتحاد السوفياتي أن يمد تركيا بما يقرب من مليون روبل ذهب وبكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر عن طريق البر والبحر فبعث أتاتورك البرقية التالية إلى القادة السوفيات والتي جاء فيها: نحن معكم على نفس الطريق من حيث صراعنا مع الإمبرياليين أن ساحة نضالنا مع الإمبريالية هي في نفس الوقت خط دفاعكم أنتم فنحن نتوقع منكم أن تسندونا وأن تمدونا بالمال والسلاح. (راجع كتاب تركيا وحلف الأطلسي للدكتور أحمد نوري النعيمي ص٥٢ ـــ ٥٤).



من اصدارات اكاديمية الكوفة في هولندة

من تراث شعبنا الثوري

«شيوعي عراقي يقيم الاهازيج الحسينيه في ذكرى كربلاء عام ١٩٦٥»

• صباح البصري

في شهري المحرم وصفر من كل عام يعلن الشعب العراقي الحداد، حيث تغلف الحيطان بالقماش الأسود، وترتفع الرايات السود على أسقف البنايات والجوامع و«الحسينيات» وفي الشوارع والأسواق، وتثبت على السيارات. وترتدي النساء والأطفال ملابس سوداء، كما يعتمر بعض الصبية القبعات السوداء التي خط على مقدّمتها اسم الإمام «الحسين»، أو «يا حسين».. وباختصار شديد: أن شهري محرم وصفر، هما شهرا حداد شيعة الإمام علي بن أبي طالب على مصاب ابنه، أمامهم الحسين الذي استشهد وعائلته وصحبه دفاعاً عن العقيدة والحق، وضرب بذلك مثلاً من البطولة والتضحية والاستبسال، وقد حرص الشيعة خصوصاً والمسلمون عموماً على تخليد انتفاضة البطل المسلم الحسين، والاغتناء بمعاني انتفاضته.

وقد استغل التقدميون العراقيون هذه المناسبة الجليلة، فوظفوا ثوريتها ومعانيها التقدمية لصالح قضية الشعب العراقي الكبرى، في الحرية والديمقراطية، والمناداة بعراق حر وسعيد، كما استغلوا هذه المناسبة العظيمة وسيلة لإيصال شعاراتهم ومطاليبهم التي عجزوا عن إيصالها إلى الجماهير العريضة بالأساليب النضالية السرية، هذه إضافة إلى أن حداد الشعب العراق، وتمجيده الجليل لهذه المناسبة، يدل على أن هذا الشعب لا يضع أبطاله التاريخيين ذوي الصفحات الناصعة البياض على الرف يغطيهم غبار السنين، كما يدل على أن شعبنا العظيم يريد استخلاص العبر والدروس من أبطاله التاريخيين.

زيارة مرد الروس

سنسلط الضوء هنا على «الزيارة الأربعينية»، أو ما تسمى «زيارة مرد الروس» لعام ١٩٦٥، حيث كانت الزيارة متميزة بعدد المواكب (المجاميع) التي زارت مدينة كربلاء من جميع محافظات العراق. حتى قدر عدد زوار الحسين في تلك السنة بما يقارب مليوني زائر، معظمهم من كادحي الشعب. ذهبوا إلى مرقد أمامهم الحسين يشكون الظلم الاجتماعي والاضطهاد الاقتصادي والسياسي ظلم العائلة العارفية، وسرقتها الوطن والتلاعب بمقدارته، حيث جعل النظام العارفي، العراق مكان نهب للاحتكارات العالمية، النظام العارفي الذي مارس الأساليب التعسفية بحق الشعب وحركته الوطنية، والذي قمع الحريات السياسية والديمقراطية، وزج وآلاف المناضلين في غياهب السجون والمعتقلات، وعمل علي تعميق النعرات القومية والطائفية. لذلك فقد وصل الحقد الجماهيري على النظام حداً فاق الوصف.

وكان الحقد والغليان الجماهيري وراء تفجر المظاهرات العارمة التي قامت بها المواكب الحسينية الوافدة إلى مدينة كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين.

لقد تجمعت الجماهير في كربلاء عام ١٩٦٥ بعدد يفوق تجمعها في السنين التي سبقت السنة المذكورة، إلى درجة، لم تسع فنادق المدينة الكثيرة والبيوت والشقق التي يؤجرها أهلها في مثل هذه المناسبات والوافدين فاضطرت ألوف عديدة من الناس أن تقضي الليل والنهار في الحدائق والساحات والشوارع.. وحينما كان المرء ينظر إلى الوجوه قبل موعد الزيارة بيوم واحد، كان يلمس أن شيئاً سيحدث، وأن كلاماً سيقال، وأن شعارات محددة يراد لها أن تعم الشوارع.

لقد كانت وجوه الجماهير تجسد المعاناة والمرارة والعوز.. كانت تجسد استباحة النظام التامة لها، كانت معاناتها من إرهاب النظام واستبداده شديدة الوضوح، كان بمقدور المرء أن يلمس في ذلك اليوم أن المناسبة الدينية عام ١٩٦٥ ستتحول إلى صرخة سياسية عارمة بوجه النظام.. لاسيما وأن جماهير الشعب العراقي الكادحة تعرف جيداً كيف توظف المناسبات الدينية والوطنية في معاداة الأنظمة المتعاقبة، وتحولها إلى سوح نضالية سيظل التاريخ يخلدها سنة بعد أخرى، وكثيراً ما كانت الحكومات الرجعية والدكتاتورية تخشى تلك المناسبات، لذلك كانت تجند لتلك المناسبات الآلاف من أزلام أجهزتها القمعية،

وكانت في عدة حالات تلجأ إلى العناصر الحاقدة في الجيش لقمع الانتفاضات الشعبية. وفي أثناء يوم الطوفان الحسيني، يوم العشرين من شهر صفر، تحركت المواكب الحسينية في شوارع المدينة باتجاه مرقد الحسين، تحركت كما الشلال الهادر، صارخة، محتجة لتهوي بها على الصدور السّمر، وكأنها لم تكن تلطم وترشق الصدور، بل ترشق النظام بوابل احتجاجها وغضبها وصرخة انتفاضتها، وكان هتافها يشق عنان السماء، هتاف كانت تتلوه بنغم إيقاعي على شكل أهازيج، أو تراتيل دينية، إلا أن تلك التراتيل لم تكن سوى.

صف العراق بوحدته

يلي تفهمون وليش تخافون

ليش الجنوب بقوته

يضرب شماله

بس وين العدالة

شعارات طبقية شديدة الوضوح، نافذة التأثير، مباشرة في عدائها للنظام، معبرة عن واقع العراق وشعبه. حسب ظروف معينة، وما يستجد من أحداث وحين تعتقد أن الشعار الفلاني قد سمعته الجماهير المحتشدة على جوانب الشوارع. وهنا يجب الإشارة إلى حقيقة أن تلك المظاهرات الحسينية العارمة التدفق والمسيسة الشعارات والأهازيج لم يخطط لها جميعاً من قبل القوى السياسية العراقية، حيث أن بعض الأهازيج خاصة الشديدة المباشرة منها لم تصدر من قوى سياسية، أو لم يكن وراءها هذا الحزب أو ذك. بل كان وراءها عفوية الجماهير.. وبما أن الجماهير العراقية كانت بطبيعتها جماهير مناهضة للنظام، ناشدة الحرية والديمقراطية. لذلك جاءت معظم الشعارات بما فيها الشعارات العفوية، تعبر عن واقع العراق الاقتصادي والاجتماعي وعن الحالة السياسية في البلد بكل دقة وموضوعية.

لقد كانت ذكرى أربعينية استشهاد الإمام الحسين لعام ١٩٦٥ فرصة تاريخية كبيرة، أمام القوى التقدمية كي تحولها إلى ثورة شعبية عارمة، لو أنها نظرت لها نظرة جديدة ونظمتها تنظيماً حسنا مستغلة بذلك الحقد الجماهيري العارم على النظام العارفي، ولو أنها حركت الجماهير في المحافظات الأخرى، خاصة الجماهير في العاصمة، لكان الأمر الآن

يختلف، ولكان موقع العراق متميّزاً في حركة التحرر الوطني العالمية، إلا أنها ــ القوى التقدمية ــ أضاعت الفرصة التاريخية كما أضاعت الفرص العديدة الأخرى.

لقد كانت الذكرى الحسينية عام ١٩٦٥ تظاهرة سياسية عارمة، حتى أن النظام ذهل تماماً للمباغتة التي أوقعته فيها الجماهير الغاضبة، فراح يتخبط في تصرف عشوائي لأحتواء الانتفاضة.. لذلك تراه يزج بأكبر عدد من أفراده وأزلامه لتطويق المظاهرات الصاخبة، كما اضطر للاستنجاد في بعض وحدات الجيش، علماً أن بعض العناصر المشبوهة، والمتشدقة بالدين، والمرتبطة بالقوى الأجنبية، حاولت جاهدة صرف المسيرة الكبيرة عن معانيها الثورية والوطنية، إلا أن الجماهير ردت على هؤلاء وطوقتهم وأحبطت التنسيق المنظم بين هؤلاء ورجال الشرطة والأمن والاستخبارات العسكرية، ومن الجدير بالذكر أن أزلام النظام من شرطة وجيش استخدموا أساليب إرهابية لقمع المسيرة الحسينية الوطنية، إلا أن إرهاب النظام وبطشه ذهب إدراج الرياح، لا بل زاد ثورية الجماهير وعنادها تصميماً فرفعت شعارات جديدة قذفتها بوجوه أزلام النظام العارفي، فأحبطت أساليب النظام وأولئك. المتلبسين بلباس الدين والمتعاونين مع النظام. ولم تتوان الجماهير عن مواجهة رصاص النظام، فسقط العديد من الشهداء، كما قتل عدد كبير من أفراده والمتعاونين معه.

محتوى الشعارات والأهازيج

تناولت الجماهير العراقية في مدينة كربلاء العديد من الشعارات والأهازيج والتراتيل، التي تنوعت في أهدافها ومضامينها، إلا أن معظم تلك الشعارات والأهازيج كانت دوماً معادية للنظام العارفي، وأن تباينت حدتها في ذلك، مثلاً: ترددت شعارات وأهازيج تتحدث عن تردي الأوضاع الاقتصادية بحلول اقتصادية ومعاشية جذرية للكادحين، كما تطالب بضرورة الاستقلال الاقتصادي للعراق، وانتهاج سبيل التطور الاجتماعي بعيداً عن النظام الرأسمالي العالمي. كما رفعت شعارات تدعو للاهتمام بالتربية والتعليم، والاهتمام بوضع الشباب والطلاب، والوضع الصحي، ومحاربة الجهل والأمية، كما ذكّرت بعض الشعارات الناس بعهد ثورة ١٤ تموز المجيدة، والمؤامرات التي نظمها الأجنبي ضد ثورة الشعب كما ردد المتظاهرون، شعارات تتحدث عن الوضع السياسي المزري، وطالبت

بإطلاق الحريات الديمقراطية، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وإطلاق حرية الأحزاب التقدمية والوطنية، وإجازة الصحف المحظورة..

وتحدثت جملة من الشعارات والأهازيج عن: الظلم والاضطهاد والملاحقات والاعتقالات والسجن دون محاكمة، كما تردد على السن المتظاهرين اسم سجن «نقرة السلمان» شيء الصيت، كما وصف المتظاهرون بهتافاتهم أوضاع المعتقلين في ذلك السجن الأسطوري، ونددت شعارات أخرى بالاضطهاد القومي للقوميات العراقية غير العربية، خاصة القومية الكردية والتركمانية، ورفضت الجماهير التفرقة الدينية والطائفية وتناولت شعارات أخرى قضية الشعب الفلسطيني العادلة، ونادت بضرورة تحرير فلسطين من المغتصب الصهيوني المدعوم من الامبريالية العالمية، كما رفعت شعارات تحيي فصائل الثورة في كل بقعة من بقاع العالم، وتحيي الانتصارات العملاقة التي حققتها البلدان الاشتراكية.

وكان لكل محافظة شعاراتها وأهازيجها الخاصة بها تتميز بمضمونها، ونوعيتها، ودرجة تأثيرها على الجماهير، أو بمباشرتها أو رمزيتها، كما تتميز بإيقاعاتها المختلفة.. وكانت الجماهير المرصوصة على جوانب الشوارع وعلى الشقق وفوق سطوح البيوت، متفاعلة مع المظاهرة وتردد معها نفس شعاراتها.

وعلى الرغم من أكثر المحافظات قد شاركت في المسيرة الكبرى وطافت جماهيرها في شوارع مدينة كربلاء إلا أن بعض المحافظات والمدن كانت قد برزت أكثر من سواها من المحافظات الأخرى.. والمدن التي تميزت أكثر من سواها هي: محافظة الديوانية ثم البصرة، تليها بغداد فالنجف ثم كربلاء.

وكان أهل مدينة الرميثة من محافظة الديوانية قد أرعبوا النظام وحمسوا الجماهير المحتشدة في مدينة كربلاء، وكانوا مستعدين تمام الاستعداد لمواجهة أزلام النظام، ومسلحين، لمعركة دامية دارت بينهم وأفراد الشرطة والأمن، وقد لقوا استطاعوا تحقيق هزيمة شنيعة بأفراد النظام، حيث قتل عدد غير قليل من أفراد النظام، وقد دارت المعركة بالقرب من ضريح العباس علي بن أبي طالب، وقد هتفت الجماهير في أثناء الصدام المسلح: بسقوط النظام العارفي، وسقوط الشعب إلى الثورة، ونادت بعراق تقدمي ديمقراطي حر، ومن شعارات أهل الرميثة.

(كم) شاب نايم بالسجن

نايم ومن جرحه يون

(ابنقرة) السلمان

للظلم عنوان

طاغي وجاير علشعب

عارف جاير علشعب

* * *

شيعتك بالمية ثمانين

حط الرتب شد النياشين

ما همه كل هذا البشر

دايس عليهم بالخطر

شوف الظلم والجور يا حسين

* * *

فرقوا بالوحدة ملايين

احنه أهل ثورة العشرين

ثوار احنه ترى

يا أمريكا وانكلترا

شوف الظلم والجور يحسين

أما شعارات أهل البصرة فقد كانت واضحة في طبقيتها نظراً للتمايز الطبقي الشديد في محافظة البصرة، وظهور العوالم الطبقية بشكل واضح، ومن تلك الشعارات:

نفطنا والكمارك والموانئ

سككنا والضرايب دخل ثاني

وين أرباحها أتروح

تخلي القلب مجروح

يدرون الشعب لو انتفض وثار يسدد ثورته وياه الأحرار

وجاءت شعارات أهل النجف تتحدث عن الحرب التي كان يشنها النظام العراقي ضد أبناء الشعب العراقي في المناطق الشمالية من العراق.. كما تحدثت عن ضرورة أن يسود السلم ربوع العراق، وهي التالي:

صف العراق بوحدته

يلي تفهمون

وليش تخافون

ليش الجنوب بقوته

يضرب شماله

بس وين العدالة

* * *

حلوا المشاكل بالسلم

أحسن وسيلة

خطوة نبيلة

بالقوة هتلر ما ربح

وبالجيش ماله

بس وين العدالة

ونحن حين ندرس الأهازيج الحسينية التي تسمّى «بـــالردّات» نحاول أن نظهر الجانب المشرق منها. فهناك من يرى أنّ هذه الأهازيج تمتاز بالحزن وتصطبغ بالألم إلى درجة

اليأس. غير أن الحزن واليأس لم يشكّلا في هذه الأهازيج إلا اللون فقط، فقد كتبت من أجل غاية سامية، ولتحقّق هدفاً معيّناً.

وكلامنا يعني بالضبط المضمون والهدف. فالمضمون يعني احتواء الوضع الاقتصادي، والسياسي والصراع الطبقي عراقياً وعربياً وعالمياً، فهي تنطلق من الرمز العراقي الخالد الحسين إلى الوضع العربي والعالمي.

أما أهداف تلك الأهازيج فتتجلى في:

١ ــ القضاء على الطائفية بكل أشكالها، فالشعارات التي رددها هي الشعارات ذاتها التي ترددها القوى الوطنية، التي يهدف بها الشعب العراقي بكل فصائله.

أن العربي والكردي والتركماني، المسيحي، والمسلم، السني والشيعي، يهدد السلطة ويتوعدها، ويرفع في شعاراته مشاكل الوطن وهمومه. هذه الشعارات نسمعها هي في الردّات الحسينية.

إنها دعوة مخلصة للوحدة الوطنية، وتجاوز الخلافات بكل أشكالها.

٢ ــ معالجة مشاكل الوطن العربي، فمعاناة العراقي هي معاناة المصري والجزائري واليماني..

أن الحاكم العربي يصبح رمزاً للطاغية المتجبّر المضطهد الشعب، وسيأتي يوم تسقط فيه هذه الرموز ويحكم الشعب نفسه بنفسه.

٣ ــ وقد كانت هذه الأهازيج تطالب بمعرفة العدو من الصديق وبعبارة أوضح نقول أن أمريكا والمعسكر الغربي أعداء لنا، وعلينا أن نحاربهم بكل قوّتنا، وقدراتنا، والاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي هي الصديق الذي يمكن أن يقف معنا.

٤ ــ وكان أحد أهداف هذه الأهازيج هو كشف الخونة والتنديد بهم وأن السلطة ستزول من أيديهم يوما ما، وعليهم أن يأخذوا العبرة من الرموز التي سقطت قبلهم.

هذه هي أهمّ الملامح التي اتّسمت بها الأهازيج الحسينية «الردّات»، ويكفيها فخراً ما تميّزت به من عمق المعنى، وحبكة الصياغة في السهل الممتنع، والنغم الموسيقي الجميل الذي أستلهم منه معظم الملحنين العراقيين. وحين نتناول هذه الأهازيج بالبحث والدراسة، فلأنهما تشكّل أدباً شعبياً مميزاً استطاع أن يثير عزيمة الجماهير من أجل تغيير السلطة وفضح أساليبها، وقد رأينا أن نقدّم الذي عبّر من آمال المجتمع العراقي وطموحاته.

«مجلة الموقف العربي العدد الأولى ١٩٨٥ (دمشق) ص ٦ ــ ١١»

كل الأحزاب العربية .... لينينية!

لا أصل إسلامياً لنماذجنا الحزبية الإسلامية

• السيد هاني فحص

في المشهد الحزبي العربي الراهن والموصول بما استقرّ في الذاكرة من طيوف الماضي، درجة عالية من التماثل، إذا ما دقق فيها المدقق انتهى إلى الاقتناع بأن هناك نمطاً واحداً يجمع الأحزاب كلها ويتكرّر بعناوين وأسماء مختلفة ومضامين تختلف بدورها قليلاً أو كثيراً بحسب المنشأ الايديولوجي للحزب.

أما في ما يخص التنظيم والهيكلية والتراتب والنمو والصراع والتعميم والانشقاق والانقلاب والاقتتال والنقض للذات وللغير والاختزال والغرور وتغليب المتغيرات على الأصول، حتى الانقلاب على هذه الأصول أو تغييبها من الوعي أو التداول. مع جاهزية تبريرية جارفة حتى للبداهات والأولويات، في كل ذلك، تكاد أحزابنا التي عرفناها ونعرفها، تكون واحدة بطبعات مختلفة الألوان والأحجام والمقدمات ووحدة الخواتيم، أي مزيدة ومنقحة في حدود إسقاط تفاصيل وجزئيات وثانويات لا يؤثر إسقاطها أو سقوطها سهواً، في التماثل المنهجي شبه التام بين حزب مؤمن وحزب ملحد؟ بين حزب علماني وحزب طائفي أو مذهبي، بين حزب وطني وحزب قومي، بين حزب قومي وحزب أممي أو حزب قومي أممي، وبين حزب يساري وحزب يميني، بين حزب عمومي وحزب «شخصاني»الخ..

وإذا ما كانت بعض الأحزاب تُظهر في حركتها وسلوكها السياسي درجة من المرونة والانفتاح وقبول الآخر. فهي مرونة الضرورة (ضرورة الالتجاء أو ضرورة الاحتواء) الناتجة عن حال ضعف وانهيار. واقتصار البناء الحزبي على بقايا يعز عليها أن تعلن نهاية

العرض أو الاستعراض، ما يؤدي أحياناً إلى وقوعها في قبضة جهة سياسية غنية أو قوية، تمن عليها بأسباب البقاء ضعيفة لتستخدمها في مناسبات معينة.

هذه الحال الموصوفة والمعهودة تشكّل مآلاً محتملاً، ودائماً لكل الأحزاب التي تأسست أو تتأسس على الشروط والمعطيات نفسها، وتستمر قوية أو ضعيفة أو تتعاقب عليها القوة والضعف دورياً، إلى أن تتفجر أو تنفجر بفعل عوامل داخلية وخارجية متناغمة، وتتحول من مشروع رافعة محلية لمشروعات سياسية وطنية مسموح بها، أو مشروعات عابرة للدولة والوطن والاجتماع الوطني. إلى أدوات ميكانيكية أمنية، ويصبح التعامل معها على أساس القطعة وفي أوقات الحاجة.

ربما كان في وعي بعض الأحزاب أنه من تأسسّه إلى تسوّسه، قد بني على مثال، كالأحزاب الشيوعية التي يُفترض أنها بنيت على المثال اللينيني للحزب الثوري وقد تكون الأحزاب الإسلامية مثلاً: لا حقاً وبعد التأسيس، عادت لتلتمس لها مثالاً لاحقاً وبعد التأسيس، عادت لتلتمس لها مثالاً ومنوالاً تبني وتنسج عليه، ولكن الشيخ حسن البنّا مثلاً أيضاً، لم يكن يحمل مشروعاً حزبياً بالمعنى الحديث للحزب، بل مشروع حركة منظمة تنظيماً مرناً يلائم تركيب المجتمع المصري، حتى لا يدخل حركته في القطيعة ولا يتركها نهباً للفوضى، ولا يخرجها من التنوّع المجرّب تاريخياً في حفظه الاجتماع المصري - الاسلامي، والاسلامي - القبطي.

أما أول حزب إسلامي شيعي حديث فقد تكون في أوائل الستينات بعد الثورة العراقية على العهد الملكي، ومجيء عبد الكريم قاسم إلى الحكم مع ظهيره الحزب الشيوعي العراقي، لقد تكوّن هذا الحزب في كتف الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف، والتي قبلته لا كحزب بل كحالة دينية في مواجهة التطرّف الشيوعي والاستبداد القاسمي.

وعندما تحولت الحركة حزباً تدرج في موقعه من الحوزة، من حاشيتها إلى مقابلها وموازاتها، ما جعل الكثير من المعنيين يرون فيه نقضاً لهذه الحوزة وتاريخها ونهجها وتوجهاتها المعارضة جور الدول على نصاب مختلف عن النصاب الحزبي، وبعدما استوى الحزب على حالته التنظيمية اعتبر حوزوياً بمثابة اختراق غربي لبنيان علمي وفكري وإسلامي مختلف في تركيبه وحيوياته عن الحالات الغربية التي أنتجت أحزاباً كانت محكومة بضرورة التماس فكرها التغييري ونظرياتها الثورية خارج الفكر الديني السائد، بينما الفكر الإسلامي الشيعي خصوصاً، بدليل مواقف النجف في المنعطفات التاريخية، كان جاهزاً للاعتراض والاحتجاج والمساهمة في التغيير الذي لا ينقض أصلاً من الأصول في الفكر والاجتماع وعلى هذا الأساس انتشرت نظرة في النجف وفي العراق وفي الوسط

الشيعي العربي والإسلامي الواسع. بأن الحزب ساهم في زعزعة البنيان الحوزوي النجفي مما امتدت آثاره حتى الآن، ومكن النظام الجائر في العراق أن يرى النجف منحصرة ومختزلة في «حزب الدعوة» ويعتمد ذلك حجة في تدميرها ومنع إعادة بنائها[١].

هل كان حزب الدعوة يبنى على مثال إسلامي في تنظيمه وأدائه، في نشأته وتطوره وآليات حركته وعمله وتحالفاته وعلاقاته؟

ليس هناك مثال يمكن البناء عليه كمثال حزبي في التاريخ الإسلامي أشد وضوحاً حزبياً من الحركة الاسماعيلية، ولا نجد بين هذا الحزب وتلك الحركة وغيرها من الحركات السرية في التجربة الإسلامية، مشتركاً إلا ذلك القدر من الباطنية والغموض يقوم مقام الشرط لسلامة الحركة والحزب ونموّه، شأنه في ذلك شأن أي حزب مهما تكن هويته وأفكاره وأصوله، في حين أن الحركات الإسلامية غير الحزبية التي اختارت معارضة السلطة مسلكاً طوال مراحل التاريخ الإسلامي، لم يكن يعوزها الكتمان للمهم من أسرارها وشؤونها وتوجهاتها، من دون أن يحوّلها ذلك بنياناً مغلقاً ضيق الأفق ونابذاً الآخرين، مع إبقائها على مقدار من العصبية الجامعة التي لا تسقط الآخر، شخصاً أو جماعة أو مذهباً أو اجتهاداً من حسابها.

إذن فلا أصل إسلامياً لنماذجنا الحزبية الإسلامية، أما الدرجة العالية من التماثل بينها وبين الأحزاب الأخرى المغايرة، فهي تأتي من شيء من التعرّف على تاريخ الأحزاب التي كان لها دور كبير في التاريخ الحديث وظروفها وشروطها (الحزب الشيوعي مثلا) خصوصاً إذا لاحظنا أن كثيراً من قيادات وسيطة وكوادر شيوعية عربية غادرت مواقعها لتتنظم في إطار الأحزاب الإسلامية وتتحوّل مصادر رؤية في العمل الإسلامي الحزبي.

ولكن التماثل في أساسه إنما يأتي في الدرجة الأولى من ضرورات تكوينية طبيعية في البناء الحزبي، لا دخل فيها للوعي أو الإيمان أو عدمه أو الاختلاف، والاطلاع على تجارب الآخرين لا يزيد هذه الضرورات إلا وضوحاً إضافياً على اختلاف تستدعيه المغايرة الجزئية بين تجربة وأخرى.

إذن فالحزب، هو الحزب، أيّاً تكن مسوغاته الفكرية والاجتماعية والسياسية والخصوصيات الوطنية التي ترافق نشأته (الغلبة الغربية في المنطقة وفي مصر بالنسبة إلى

(١) ليس أدل على ذلك من ظاهرة انسحاب العلماء كلما تقدموا في عملهم من الحزب لأنهم يعودون من منظور علمي ليجدوا أن النظام الحزبي غير ملائم لبنيتهم المعرفية والإيمانية وتراثهم المرجعي الذي يعتبرونه نظامهم وتنظيمهم، وفي طليعة هؤلاء كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي بلغ درجة المرجعية فقطع مع الحزب قطعاً كاملاً لأن الحزبية تتنافى مع موقعه.

الإخوان المسلمين، حكم قاسم والتطرف الشيوعي في العراق بالنسبة إلى حزب الدعوة، الاحتلال الإسرائيلي للبنان وتوجهات الثورة والدولة الإسلامية في إيران عموماً، وحيال إسرائيل والاحتلال خصوصاً، إضافة إلى الحرب اللبنانية وأثرها في تقصير الأحزاب اللبنانية وقصورها، في ما يعود إلى ظروف نشأة «حزب الله» في لبنان وتنشيط «الجماعة الإسلامية») وإذن فهناك سمات وعلامات، في قوة المورثات الطبيعية، في البناء الحزبي لاتقع في دائرة الإرادة والرغبة في إلغائها أو الخلاص منها.

لقد كان لينين الأكثر عناية بوضع الإطار النظري والعملي للحزب الثوري، ويعتبر في ذلك أباً للجميع، الأرثوذكسيين والتحريفيين معاً، والفرق بينه وبين كارل ماركس وانغلز (الجدّين الفكريين للجميع كذلك) هو أنهما كانا عالمين في الدرجة الأولى وسياسيين في الدرجة الثانية أو الثالثة، ومن هنا كان تصورهما للحزب قائماً على رؤية علمية ذات درجة عالية من العمومية والمرونة، وهذا مالم يجد فيه لينين، بعد دخوله في التجربة وتعقيداتها، شرطاً مواتياً لبناء الحزب الثوري، فتجاوزهما إلى رؤية علمية ذرائعية غير معيارية تنتج أخلاقياتها وتجددها طبقاً للحاجة السياسية ولا تلتزم بنظام قيم معين ولا نظام أفكار، وتبقى مشروعة على التغيير والتكيّف والتكييف والتبرير مهما يكن ذلك موجبا للابتعاد أو الانفصال عن الأصول.

قيادات وسيطة وكوادر شيوعية عربية غادرت مواقعها لتنتظم في إطار الأحزاب الإسلامية وتتحول مصادر رؤية في العمل الإسلامي الحزبي

في ما يأتي أورد نصوصاً من ماركس وانغلز ذات طابع نظري وأخرى من لينين ذات طابع عملي تجريبي، حول الحزب، تكشف أننا جميعاً لينينيون في أحزابنا وبامتياز.

في البيان الشيوعي يقول ماركس وانغلز «الشيوعيون لا يؤلفون حزباً خاصاً معارضاً بالنسبة إلى باقي الأحزاب العمالية وليس لهم مصالح وأهداف متمايزة عن مصالح البروليتاريا وأهدافها» وبعد ١٨ سنة من البيان قال ماركس" «إن الطبقة العاملة لا تستطيع أن تعبّر عن نفسها كطبقة إلا إذا شكّلت حزباً سياسياً متميزاً.. ولكنه يجب أن يكون تنظيماً للطبقة العاملة بمجملها وليس نخبة». وفي عام ١٨٧١ أشار ماركس إلى «ضرورة الابتعاد عن التنظيم القاسي الشديد، وعن كل ما يشجّع صنمية السلطة في تكوين الحزب».

في ١٨٨٠ يقول انغلز: «كلما كان التنظيم متراخياً في ظاهره كلما كان قوياً متيناً في حقيقته» وفي ١٨٨٥ كتب انغلز مؤكداً «أن الحركة الألمانية العمالية لا تحتاج إلى منظمة رسمية» ويقول ماركس وانغلز معاً: «أمامنا فرصة جديدة لنؤكد ونبرهن أننا لا نحتاج إلى

أية شعبية ولا إلى دعم حزب ما أو بلد ما، فنحن بعيدون عن هذه السفاسف، وكيف يمكن أشخاصاً مثلنا يكرهون المراكز الرسمية كرهم الطاغوت أن ينضموا إلى حزب؟ وما الذي يهمنا من الحزب نحن الذين لا نأبه إلى الشعبية ونشك في أنفسنا منذ أن نبدأ ونصبح ذوي شعبية»... والفرق المنهجي بينهما وبين لينين يظهر في النصوصٍ الآتية التي تأتي من لينين متطابقة مع سلوكه العملي المدروس بعناية من تابعيه وناقديه معاً.

يقول لينين (ما العمل؟ ١٩٠٢): «ما من حركة ثورية يمكن أن تعيش من دون منظمة قائدة أو مستقرة تكفل استمرار الحركة الثورية وديمومتها». و«كلما اتسع نطاق العمل الجماهيري العفوي كلما أصبحت الحاجة إلى مثل تلك المنظمة ضرورة ملحّة وكلما أصبح من الواجب أن تكون المنظمة حازمة وقوية التنظيم».

وفي المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي عام ١٩٠٣ قال: «مهمتنا المحافظة على روح الحزب وصلابته». وعام ١٩١٧ في كتابه «الدولة والثورة» يقول: (بدون حزب حديدي وبدون حزب يعرف كيف يراقب الجماهير يستحيل أن يكتب النجاح لنضال من هذا النوع).

ويقول لينين: «إن المركزية المطلقة والتنظيم الدقيق للبروليتاريا هما من الشروط الأساسية لانتصارها» وفي توصيات مؤتمر الحزب بقيادة لينين جاء: **«الوقوف في وجه كل ما يسيء إلى الحزب والدولة وإبلاغ الحزب والدولة بكل خطر يهددهما» و «المحافظة على الانضباط في الحزب والدولة»، «مشاركة الأعضاء لا يجوز أن تحد من صلاحيات القيادات». واقترح لينين «انزال أقصى العقوبات في من يلجأ إلى خلق تكتلات داخل الحزب».**

وفي المؤتمر العاشر (عام ١٩٢١) للحزب الشيوعي السوفياتي تم التأكيد على «الكفاح ضد الانحراف الحزبي والنزعات الإصلاحية والجمود الشيوعي العقيدي»، وفي المؤتمر السابع كان قال: «إذا لم نعرف كيف نتكيّف ونتلاءم وإذا لم نكن قادرين أن نزحف على البطون بين الأقذار فلن نكون ثوريين». وفي الجزء الثاني من كتابه «الايديولوجيا السوفياتية المعاصرة» يقول: «يجدر بنا أن نربط بين الاخلاص للأفكار الشيوعية وبين الاستعداد لعقد التسويات العملية الضرورية والمراوغة والمهادنة والتقدم بخط لولبي وتراجع استراتيجي». والحمد لله.. وطالما أن الإنجاز حجم وفاعلية، بصرف النظر عن طريق الوصول وكيفيته، والمضامين القيمية للعمل مستبعدة، فإن التطهرية تمسي دعوى من الدعاوى لا دليل عليها.

موقف الشيعة من الشيوعية في العراق

• جيل كيبيل

السيد الصدر استعار البنية التنظيمية من الشيوعيين واسلوب المواجهة من الأخوان المسلمين!!

بالعودة إلى المسار السياسي في العراق الحديث، رأينا أن انقلاباً عسكرياً حصل في تموز/يوليو من العام ١٩٥٨، أحل عصبة من الضباط، على رأس السلطة، ويقودهم اللواء عبد الكريم قاسم، وكان الأخير متحدراً من زوجين مختلطين ـــ والده سنِّي ووالدته شيعية، وكان اللواء قاسم يعتمد، بصورة خاصة، على الشيوعيين الذين اجتذبوا أغلب فرقهم من الجماعات الشيعية الفقيرة في ضواحي بغداد ومن الجنوب. أما بالنسبة للأمانة العامة للحزب فكان القائم بها سيداً ـــ أي من سلالة الرسول ـــ يعود بنسبه إلى مدينة النجف الأشرف: والحال أن معظم أعضاء اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي العراقي وكوادره كانوا منبثقين من هذه الجماعة، أي الشيعة. ولم يكن النظام، في حينه، يضمر العداء العرقي حيال الشيعة، وإنما راح يصطدم برجال الدين من كبار ملاكي الأراضي حين أعلن الإصلاح الزراعي. ولما كان آية الله الحكيم الأكبر حريصاً على تجنب الصراع المباشر مع النظام، الذي أخَلَّ بالأسس التي قام عليها العقد التأسيسي للعلاقات بين رجال الدين والأمير، أخذ يشيع من مكتبة بأن الإصلاح الزراعي يغتصب شرائح الإسلام، بمثل

ما انتهكها قانون العائلة ــ الذي يمنح المرأة حقوقاً مساوية للرجل ــ وبالمقابل، أذاع بنفسه «فتوى» يَصِمُ فيه الانتماء إلى الحزب الشيوعي بالكفر: عندئذ، احتدمت الحرب الأيديولوجية من أجل كسب نفوس الشيعة، بين آية الله الكبرى وبين السيد الذي يقود الحزب الشيوعي. ولما حل انقلابيو العام١٩٦٣، في السلطة وأحلوا البعث لفترة وجيزة، وأقبل الضابط الناصري عارف يتولى زمام السلطة، وبعد انقلاب الدولة الأخير الذي ركز نظام البعث في رأس الدولة العام١٩٦٨ وأخذ نجم صدام يتألق في فلك الحكم، جعل هؤلاء (انقلابيون) يهمشون الشيعة على الصعيد العرقي. ولما لم يكن من الضباط المتآمرين شيعة يمثلوهم في الحكم الجديد، فقد راق للأخيرين أن ينظروا إلى إخوانهم بالمواطنية (الشيعة) على أنهم طبقة تجار (كانت أفادت من رحيل اليهود القسري عامي ١٩٤٨-١٩٤٩) وقد سحقتها التأميمات المتوالية، في حين كان الحزب الشيوعي العراقي الذي يضم أعداداً كبيرة من الشيعة إلى صفوفه، قد أحاله القمع الوحشي إلى العدم. أما مدينة النجف الأشرف فلبثت مركزاً لإعداد رجال الدين للعالم الشيعي في ما يتجاوز الإطار الوطني (وكان الخميني نفي إليها من قبل شاه إيران بين الأعوام ١٩٦٣و١٩٧٧، ونضج أثناءها تفكيره في الحكم الإسلامي، من خلال محاضراته التي ألقاها على طلابه ومريديه). غير أن سياسات العلمنة ومصادرة الأملاك، والحجز على رؤوس الأموال التي مضت تمارسها السلطات الحاكمة في حزب البعث، جعلت تقلص إلى حد كبير النفوذ الذي كان للطبقة الدينية ورعيتها في المجتمع العراقي.

وفي هذا الإطار بالذات نشأ حزب سياسي إسلامي شيعي، مستقل عن الطبقة الدينية التي يعتبرها هرمةً وعاجزة عن التصدي للمحن. وقد أنشئ هذا الحزب نهاية الخمسينيات، إبان سقوط الملكية في العراق، وكان يتمثل بمفكره ومنظره السيد محمد باقر الصدر رجل الدين المولود في الثلاثينات، والمتحدر من عائلة كبيرة ضمت أعداداً من آيات الله، إلا أنه كان من الفتوَّة بمكان بحيث عجز عن التصدي للملكية. ولما كان الأخير مفتوناً بالنمط الذي اعتمده الحزب الشيوعي العراقي في تنظيمه، ومهتماً بمقدار افتتان الشبان الشيعة بحزب الدعوة، فقد رأيته يستعير من الأول بنية التنظيمية ومن الثاني نموذجه المصري

(للإخوان المسلمين السنة) وأسلوبه في المواجهة. وكانت غاية هذا الحزب إنشاء دولة إسلامية توتاليتارية، وفيها يصير الحزب مؤتمناً على الملك الذي يكون خير تعبير عن الإسلام. ولسوف تأتي هذه الدولة بعد معركة ثورية يخوضها أنصار الحزب للإطاحة بالنظام الكافر، بعد مرحلة من التوعية والتحريض وبعد ازدراع خلاياه في الجماهير. وسوف يكون على هذه الدولة أن تحل الشريعة بالشورى أو بالاتفاق الرضائي بين الغلماء، ريثما يعود المهدي المنتظر المعصوم عن الخطأ. بيد أن هذا الإقران الهجين بين الماركسية الثورية والترعة المهدية الإسلامية سرعان ما أشاعا الالتباس في صفوف الحزب عينه: وما لبثت الطبقة الدينية أن أطلقت عليه حرباً شعواء، لجعله أعضاءَه في حِلّ من الاعتماد على المرجع، كما جردت السلطة الحاكمة عليه حملة قمع شديدة حتى اضطر محمد باقر الصدر، آخر المطاف، إلى الانفصال عنه، والدخول ظاهرياً إلى كنف عائلته الدينية. وبرغم ذلك، أمكنه أن يصدر كتابين بين الأعوام ١٩٥٩و١٩٦١، على الطراز العصري، وبما يفترق كثيراً عن أسلوب العلماء المتكلف وهما: فلسفتنا واقتصادنا. ولما كان هذان الكتابان منطبعين بالعقيدة الإسلامية وبالصبغة الاشتراكية، على السواء، فقد عرفا رواجاً قلَّ نظيره في العالم العربي ــ الإسلامي، ولاسيما في الوسط السني. ولا يزال كتاب اقتصادنا إلى يومنا هذا، المرجع لكل المدافعين عن النظام المصرفي الإسلامي، باعتباره ضمانتهم الاجتماعية والدينية.

(الفتنة: حروب في ديار المسلمين، ترجمة نزار أورفلي، دار الساقي لندن٢٠٠٤).

الحزبية الإسلامية تكرر خطأ النخب القومية واليسارية
حوار مع الدكتور وجيه كوثراني

لا بد من ولوج باب الديمقراطية حتى لو ابتذلت وأسيء استخدامها
ليست هناك مرجعيات حضارية منفصلة

يرى الدكتور وجيه كوثراني أن مجتمعاتنا العربية بحاجة إلى ثقافة جديدة، ليست خطاباً سياسياً تعبوياً ويعني بها جملة من القيم التي تستوعب وتستدخل جملة من المسلكيات والمنهجيات في التعامل وفي النظر وفي التفكير. ولا يعتبر أن مقولة الصراع الحضاري بين العرب واليهود مقولة قائمة وواقعية معتبراً أن المشروع الصهيوني مشروع استعماري وصل إلى مأزقه، لأنه لم يعد يستطيع أن يعيد إنتاج حياته على مستوى الشعارات التي أطلقتها الصهيونية في مطلع هذا القرن. وفي جانب آخر يرى كوثراني، أن ليست هناك مرجعيات حضارية منفصلة عن بعضها البعض، وأن الحضارات الإنسانية عبارة عن تفاعل وتداخل الحضارات، معتبراً أن الحضارة العربية الإسلامية لا يمكن البحث عن مرجعيتها في تجربة المدينة أو في قبيلة قريش فقط، وهي بالتالي نتاج تفاعل حضاري.

كوثراني يحاول من خلال هذه المقابلة إدراج الحركات السياسية العربية على المستوى الإسلامي (الأصولي) والقومي وغيرهما من البنى المتشكلة من أحزاب وطنية واشتراكية وليبرالية ضمن السياق نفسه، وإن ما وقعت فيه الأحزاب القومية من فخ الوصول إلى

السلطة تقع فيه اليوم الحركات الأصولية في عدد من الدول العربية والإسلامية والذي تمثل بالمسار الذي يعبر عنه بعملية القفز على المجتمع وآماله وقيمه وأفكاره مما جعل حركة المجتمع في جهة وحركة النخبة في جهة أخرى.

لا نريد أن نزيد أكثر مما قاله وجيه كوثراني الباحث والمؤرخ المعروف على الصعيدين اللبناني والعربي، والذي قدم خلال أكثر من ربع قرن الكثير من الكتب والأبحاث المتعلقة بالمجتمع العربي والإسلامي وهي أبحاث تجعل صاحبها بين الذين حاولوا التجديد على هذا المستوى ونترك للقارئ متعة متابعة الحوار.

س- يرى البعض في تعثر التجربة اليسارية والقومية على المستوى السياسي والاجتماعي في الوطن العربي سبباً من أسباب بروز الإسلام السياسي والحركات الأصولية، إلى أي مدى تنسجمون مع هذه المقولة؟

ج- هذه الفرضية لاتنسجم مع الواقع كلياً، إذ ينبغي أن يميز بين الإسلام السياسي والحزبية الإسلامية، بمعنى أن الإسلام السياسي لم يكن وليد ظروف تعثر التجربة القومية واليسارية، بل كان موجوداً وفاعلاً في معظم مراحل التاريخ الإسلامي القديم، إذ أن تجربة النهضة العربية أو الخطاب النهضوي العربي حمل من قبل المفكرين الإسلاميين أمثال الأفغاني وعبده ورشيد رضا مشاريع سياسية، كذلك فإن بروز حركة الإخوان المسلمين كان قبل تعثر التجربة اليسارية أو القومية، في حين أن صعود بعض الحركات الإسلامية المتطرفة في أواخر السبعينات وغضون الثمانينات والتي تؤمن بالتغيير عن طريق العنف، وترى بأن كل مشاكل المجتمع هي نتاج عجز التجربة اليسارية أو القومية عن حلها، هذا الصعود يمكن أن يكون نتاجاً لفشل تجربة الدولة العربية ومأزقها التنموي والثقافي، وهذه الحركات هي ما أدعوها «الحزبية الإسلامية الجديدة».

أي أن هذا المأزق هو أحد عوامل بروز الحزبية الإسلامية الجديدة، من هنا ينبغي التمييز بين الحزبية الإسلامية الجديدة والتي يسميها البعض حركات الأصولية الإسلامية، أنا أبدي تحفظاً على هذا المصطلح، فهناك تمييز بين الحزبية الإسلامية وبين الأصولية وبين ما يسميه السؤال الإسلامي السياسي كمصطلح عام، فالإسلام السياسي كمصطلح عام

يمكن أن نراه كما قلنا في كل التعبيرات الإسلامية التي حملت مشروعاً سياسياً منذ عصور الخلافة الأولى مروراً بعصور السلطنة وحتى الدولة العثمانية، فالإسلام السياسي موجودة في كل مراحل التاريخ الإسلامي، أما الحزبية الإسلامية المعاصرة والتي اتخذت المنحى الانقلابي، فهي ظاهرة جديدة، نشأت في سياق أزمة الدولة العربية وفشل الايديولوجيات.

الحزبية الإسلامية

س- هناك ظروف معينة، ربما اجتماعية وتاريخية ساهمت في بروز هذه الحالة الحزبية الإسلامية وعبر التاريخ كانت موجودة أثناء حكم الدولة العثمانية والعباسية والأموية، ما هي الأطر العامة الاجتماعية والسياسية التي ساعدت على خلق هكذا حالة؟

ج- في الواقع أن الطرح السياسي في إطار الإسلام كان موجوداً منذ التجربة الإسلامية الأولى، وهناك صراع سياسي قائم بين المجموعات الإسلامية وبين الفرق الإسلامية والتكتلات الإسلامية وحتى الآن في الفترة التي يتوجه السؤال لدراسة أوضاعها وظروفها، ثمة ظروف سياسية اقتصادية واجتماعية وثقافية ينبغي أن تدرس لفهم نشأة هذه الحزبية الإسلامية الجديدة، طبعاً التحزب موجود طيلة التاريخ الإسلامي وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مصطلح غير مصطلح الأحزاب أي مصطلح العصبية فالعصبيات هي مظهر من مظاهر الصراع السياسي على السلطة في التاريخ الإسلامي، أما في المرحلة المعاصرة هناك مفهوم جديد للحزبية فالحزب في المفهوم الجديد هو تنظيم سياسي يعبر عن مجموعة مصالح قد تكون طبقية كوضع العديد من الأحزاب الغربية. قد يعبر الحزب عن مصالح رأسمالية أو عن طبقة وسطى أو طبقة عمالية، وفي أوضاعنا العربية والإسلامية مفهوم الحزب ومصطلح الحزب حاول أن يتخذ هذا المعنى أو هذا البعد ولكن بما أن مجتمعاتنا لم تتطور وفقاً للنموذج الرأسمالي الصناعي الغربي، أي وفقاً لهيكلية الطبقات فظلت الفئات الاجتماعية مندرجة مع بنى اجتماعية تقليدية: القبيلة، العائلة، الطائفة، المذهب... الخ، كل هذا يشكل هياكل وبنى موجودة في تاريخنا الإسلامي، وقد نشأت على موازاتها أو في داخلها بنى وهياكل اجتماعية حديثة فجاءت الحزبية العربية والإسلامية بشكل عام تعبيراً

عن هذا المجتمع الهجين المتشكل من بنى رأسمالية تابعة ومن بنى تقليدية قديمة، لذلك من الصعب جداً تعريف الحزب العربي أو الإسلامي على قاعدة المفهوم الغربي الحديث.

س- بالتالي يمكن القول أن الأحزاب الإسلامية هي امتداد من حيث البنية الحزبية والمفهوم للأحزاب القومية واليسارية، ومن حيث التجربة تشابه كبير بينهما في مجتمعنا العربي والإسلامي؟

ج- في هذه الملاحظة الشيء الكثير من مقاربة الواقع، فكما أن نشأة الحزبية القومية واليسارية عندنا، حملت بصمات مجتمعنا كما هو بما فيه من حداثة ومن تقليد ومن معطيات المجتمع، كذلك الحزبية الإسلامية الجديدة حملت معها أيضاً البصمات نفسها مع فروقات بسيطة هي أنه عندما نشأت الحزبية الإسلامية الجديدة في السبعينات والثمانيات بشكل أساسي كانت المدن العربية الكبرى تعج بالنازحين من الأرياف وبالعاطلين عن العمل كنتيجة لفشل مشاريع التنمية وبرامجها التي قامت بها الدول العربية، فالأحزاب القومية واليسارية كانت تطمح لحل مشكلة التنمية لكن جاءت تجربة الحكم على مستوى الدولة بنتائج غير واعدة، لا بل أعطت نتائج ضعيفة، دعت الحزبية الإسلامية في الأوساط الاجتماعية التي تتطلع إلى حل بعد فشل التجربة القومية واليسارية وبالتحديد فشل تجربة الدول العربية الحديثة في المشاريع الانمائبة، بالإضافة إلى ذلك هناك «نخب» الأحزاب الإسلامية، فهذه الأحزاب ليست متشكلة فقط من أزمة البؤس في المدينة العربية الحديثة، هذه النخب والقيادات والكادرات تتطلع إلى السلطة من ضمن المفهوم الحزبي القومي أو اليساري، حيث كان «النخبوي» يتوهم أنه عن طريق وصوله إلى السلطة يمكن أن يقوم بكل هذه المشاريع، هنا تكرر الحزبية الإسلامية، بمعنى من المعاني، الخطأ الذي ارتكبته النخب القومية واليسارية خصوصاً في أمر استعجالها للوصول إلى السلطة ورهانها على أن مشاكل المجتمع العربي الاقتصادية والاجتماعية والانمائية والثقافية تحل بمجرد وصولها إلى السلطة ومجرد رفع شعار أو مصطلح ايديولوجي مختلف عن السابق، بهذا المعنى هناك تعاطي بين بنية ومفاهيم الحزب القومي اليساري والحزب الإسلامي.

ثقافة ومنهج جديدان

س- الثغرة الأساس إذن في التطلع للوصول إلى السلطة وتجاوز المجتمع عبر مفهوم الانقلاب أي أن السلطة أولاً ومن ثم حل المشاكل الاجتماعية وقضايا التنمية؟

ج- نعم هناك نوع من القفز فوق المجتمع وآماله وقيمه وأفكاره، هناك قفز سريع، فتكون حركة المجتمع في جانب وحركة النخبة في جانب آخر، لذلك لا بد من نفس طويل في بناء المجتمع عبر مؤسسات أهلية، لا بد من ثقافة جديدة، والثقافة الجديدة ليست خطاباً سياسياً تعبوياً، إن الخطابات كثيرة لكن لا نلمس فعلاً أن هناك ثقافة جديدة، والثقافة الجديدة أعني بها في المجتمع جملة من القيم التي تستوعب وتستدخل جملة من المسلكيات والمنهجيات في التعامل وفي النظر وفي التفكير، هذه المسألة لم يهتم بها الحزبيون القدامى ولا الحزبيون الجدد مهما كانت يافطاتهم الايديولوجية، هناك نوع من الهوى والهاجس المتسرع للسلطة لأنه عبر السلطة يعتقد أن كل المشاكل ستحل، فمثلاً التجربة الإسلامية في الجزائر، توصلت الديمقراطية للوصول إلى السلطة، وداعبت أحلام المقترعين بأن بإمكانها حل مشاكل الجياع والعاطلين عن العمل وقضايا التنمية.

أيضاً إسلاميو السودان توسلوا انقلاباً عسكرياً لحل مشاكل المجتمع السوداني، هذا وهم، ما ينقص الحزبيون بشكل عام وهو النفس الطويل ومنهجة التغيير الاجتماعي، منهج التعامل مع المجتمع.

س- في ظل الصراع الذي تشهده معظم الدول العربية بين السلطة والحركات الأصولية أو الحزبية الإسلامية المعارضة، والذي يأخذ غالباً شكلاً دموياً وقطعياً، وتأسيساً على ما ذكرتم، كيف يمكن أن تتلمس هذه القوى والحكومات والمجتمع المستقبل أو الحل؟

ج- هذا الصراع بين الحركات الإسلامية والحكومات هو صراع تفتيتي ولا مصلحة فيه لأحد، وحل الأزمات التي تعانيها المجتمعات العربية كأزمة التمثيل وأزمة التعليم وأزمة الشباب وأزمة التنمية ينبغي مواجهتها بشجاعة، وفي رأيي مدخل هذه الموجهة هو التنسيق والتعاون أو الاتحاد العربي ولا يمكن لدولة عربية واحدة أن تحل مشاكلها دون تعاون وتنسيق، فلا بد من التعاون والتنسيق حتى يستطيع الجميع مواجهة المشكلة نفسها لأنها لن

تبقى محصورة في إطار جغرافي معين والمطلوب تعاوناً اقتصادياً على مستوى الاستثمارات المشتركة، لا تنسيقاً «آنياً» كما يحصل غالباً.

مستقبل المنطقة

س- في ظل التسوية وتبعاتها بين العرب وإسرائيل وعلى مستوى المنطقة كيف تنظرون إلى الخريطة الحضارية المستقبلية في المنطقة؟

ج- أنا لا أميل كثيراً إلى استخدام هذه المصطلحات الكبيرة، اليهود كانوا دائماً وأبداً جزءاً من الحضارة السامية، فأنا أعتبر اليهود قبل وجود الصهيونية جزءاً من الحضارة العربية السامية، ووقائع وشواهد التاريخ تدل على ذلك. قبل الإسلام وبعد الإسلام كان اليهود جزءاً من الحضارة العربية السامية، أما الصهيونية فهي حركة شوفينية عنصرية نشأت كردة فعل وكنتيجة لنشوء القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر وكنتاج ايديولوجي فكري وكردة فعل أيضاً على العنصرية الأوروبية اللاسامية التي عاملت اليهود كساميين ونبذهم من مجتمعاتها لذلك أنا أتحفظ على هذا المصطلح «الصراع الحضاري بين اليهود والعرب».

التحديات

س- كيف يمكن أن ننظر ونستكشف خريطة الصراع الحضاري في المنطقة العربية وفي أجواء التسوية السلمية بين العرب وإسرائيل؟

ج- برأيي ليس هناك صراع حضاري فالمشروع الصهيوني هو مشروع استعماري وقد وصل إلى نهاية أزمته لأنه لم يعد يستطيع أن يعيد إنتاج حياته على مستوى الشعارات التي أطلقتها الصهيونية في مطلع القرن والتي ظلت العنصر الذي يضخ الدم في المشروع الصهيوني وهو التوسع الجغرافي والحاق الأراضي بإسرائيل في ظل التسوية.

الآن أمام العرب تحديات كبيرة وهي من نوع آخر مختلف عن التحديات التي حكمت العقل السياسي العربي مرحلة طويلة من الزمن وهي أن الصراع بين الدولة العربية

وإسرائيل هو صراع السلاح والتسلح، كانت حرب الخليج - المأساة - نهاية هذه المرحلة، كان هناك قرار دولي وغربي بأن إسرائيل يجب أن تبقى متفوقة على مستوى السلاح فالتحدي العسكري من هذه الناحية حسب رأيي قد انتهى.

التحديات الأخرى التي أمل أن يستوعبها العرب ويكونوا في مستواها هي التحديات الثقافية والعلمية، والديموغرافية والاقتصادية والتكنولوجية، ولكن بشرط، وذلك هو شرط الاتحاد العربي والتعاون بين العرب، هناك إمكانيات وخبرات عربية هائلة على مستوى التكنولوجيا والعلوم البحتة والإنسانية، وكلها موجودة في المراكز الغربية أو متهمشة في الداخل لمصلحة بيروقراطية عربية فاسدة، ومداخل الاتحاد العربي ليست سياسية سلطوية كما كانت سابقاً. الوحدة أو الاتحاد يتم عبر طريق المواصلات وتبادل السلع والاستثمارات المشتركة، من هنا تبدأ ولا بد أن تقضي هذه الخطوات إلى الوحدة السياسية كما حدث في تجربة أوروبا، (ذات القوميات المتعددة والصراعات التاريخية الدموية) وإذا قيض للعرب أن يلجوا هذا المدخل فإن الصراع العربي الإسرائيلي يصبح هامشياً، فالحروب استترفتنا وعطلت الديمقراطية والتنمية بل عطلت في كثير من الأحيان التفكير.

س- هناك حديث وتخطيط لمشروع هو سوق الشرق أوسطية، أخوة شرق أوسيطة أو أخوة عربية - إسرائيلية، والإسرائيليون يروجون ويحضرون لها عبر الكلام عن العقل الإسرائيلي والثروة العربية المادية،هل ترون إمكانية لذلك خصوصاً أنه يبدو بديلاً عن أي إمكانية لمشروع عربي كان ممكناً؟

ج- ممكن طرح السؤال بالصيغة التالية: الغرب يسميها سوقاً شرق أوسطية، لماذا نغرق نحن بالتسميات والاصطلاحات ولا ننتبه إلى المضمون، يمكن أن نسميه نظاماً عربياً أو سوقاً عربية أو إسلامية بدل أن نسميها شرق أوسطية، هنا كلمة شرق أوسطي دلالة على أن إسرائيل ستصبح جزءاً من المنطقة لكن تركيا وإيران جزءان من المنطقة أيضاً. إذن الوضع الطبيعي أن تتعاون هذه الدول في المنطقة مع بعضها في إطار سوق مشتركة، فهل

تستطيع إسرائيل بإمكاناتها الديموغرافية والتكنولوجية المحدودة أن تغير وجه هذه السوق إذا اتحد العرب وإذا انضمت تركيا إليها، وكذلك إيران.

إنه مشروع قوة إقليمية، أنا في رأيي لا خوف من هذا النظام فيمكن للعرب والمسلمين أن يحولوه بإمكاناتهم الواسعة وبقدراتهم الكبيرة إلى سوق عربية وسوق إسلامية شرط أن يتعاونوا وينسقوا فيما بينهم «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم».

س- ذكرتم خلال الحديث إشارة إلى موضوعة الديمقراطية، ونلاحظ اليوم أن هذا المصطلح يأخذ حيزاً كبيراً من خلال خطاب المثقفين في الوطن العربي وكأنه الحل السحري للأزمات التي نعيش في مستوياتها المتشعبة، عن أي ديمقراطية تتحدث، وهل هي ممكنة؟

ج- إن الديمقراطية ليست كلمة سحرية أو تعويذة لها نتائج سريعة بمجرد أن نطلقها، أرى إن الديمقراطية حاجة ماسة لابد من ولوج بابها بمناهجها وأساليبها وأجهزتها ومؤسساتها لا بد من ولوج باب الديمقراطية من باب حسناتها وسيئاتها لأنه وفي نهاية المطاف حتى لو ابتذلت أو أسيء استخدامها فهي التي ستتيح لمجتمعاتنا العربية أن تثمر شيئاً إيجابياً، فالاستجابة للتحديثات لا بد لها من حرية وخصوصاً حرية تعبير إبداء رأي وتمثيل. فمجتمعاتنا العربية محبطة وبائسة ومقيدة وعاجزة، لا بد من فكّ أسر الإنسان العربي حتى يستطيع أن يتحرك، ربما يتحرك بشكل خاطئ في البداية ولكن في نهاية الأمر مجتمعاتنا زاخرة بالطاقات والفاعليات فلا بد لحركة الديمقراطية أن تنتج الإيجابي في النهاية.

الديمقراطية والشورى

س- هناك تيار صاعد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية هو الحركات الإسلامية والتي تطرح من خلال شعاراتها الشورى في مواجهة الديمقراطية، هل تصح هذه الإشكالية؟

ج- إشكالية الديمقراطية والشورى تعالج بوجهتي نظر متناقضتين في الظاهر ولكن متفقتين في المنهج، أقصد بذلك أنه عندما يطرحها الليبراليون العرب يصرون على أن

المسألة الديمقراطية مسألة غربية وهي من إنتاج تجربة غربية وهذا صحيح، ولكن يصر الليبراليون العرب أنه حتى نطبق الديمقراطية في مجتمعاتنا ينبغي أن نطبقها ضمن مرجعيتها الليبرالية، يعني أن نحدث نوعاً من القطيعة بين تاريخنا الذي هو تاريخ عشائر وقبائل.. الخ، وبين المجتمع الحديث.

إن الديمقراطية يجب أن تطبق في المجتمع الحديث الذي يسمونه مجتمع مدني، وهكذا فالليبراليون يتوخون هذه القطيعة مع المجتمع الإسلامي، ويقولون هذه هي مواصفات الديقمراطية وهناك ضرورة أن تتحول مجتمعاتنا إلى مجتمعات نموذجية للمجتمع الغربي، أي حالة تماثل حتى يصبح تطبيق الديمقراطية، ويضيفون أن الشورى ليست الديمقراطية، أصل الشورى في المرجعية التراثية كما يقول «الجابري» بينما الديمقراطية مرجعيتها غربية، هنا الإسلاميون يقعون في الخطأ المنهجي نفسه يقولون الكلام نفسه، إن الديمقراطية مرجعيتها غربية وإن الشورى مرجعيتها إسلامية وينبغي أن نعود إليها وهي مرتبطة بتطبيق الشريعة وليست مرتبطة بمفهوم الأمة وسيادة الشعب، إن برأيي أن الخطابين لا يصيبان الحقيقة من الناحية الواقعية التاريخية أولاً: لدي ملاحظة حول مصطلح المرجعية ليست هناك مرجعيات حضارية منفصلة عن بعضها البعض، أنا أؤمن بتفاعل الحضارات الإنسانية وتداخلها، والحضارة العربية والإسلامية هي نفسها نتاج تفاعل حضاري، الحضارة العربية الإسلامية لا يمكن البحث عن مرجعيتها في قبيلة قريش أو في تجربة المدينة أو تجربة مكة، فهذه التجارب كلها تجارب تاريخية محصورة في الزمان والمكان بمجرد تغير المكان والزمان تغيرت الحضارة والثقافة أو تحولت أو تنوعت أو تبدلت، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية يثبت ذلك بدءاً من حادثة الخندق كيف حفر الرسول(ص) الخندق، أليس بإشارة من سلمان الفارسي، بعد ذلك تعريب الدواوين والتي هي بيزنطية، وفي العصر العباسي اقتحمت الثقافة الفارسية الحضارة العربية، وعلى مستوى الفلسفة كان الفارابي المعلم الثاني وأرسطو المعلم الأول.. الخ، ليس هناك في تاريخ الحضارات من مرجعيات، نحن نرتكب الخطأ الذي ارتكبه «الأوروبيون الذين يؤمنون بالمركزية الأوروبية» إنهم يقولون أن الحضارة الأوروبية مرجعيتها اليونان، ولكن الدراسات تثبت أن الحضارة اليونانية

كانت متأثرة بحضارة مصر ومتأثرة بحضارة بلاد ما بين النهرين وبلاد كنعان وحتى في التاريخ القديم، كان حوض البحر المتوسط اطاراً لتفاعل الحضارات وليس اطاراً لانفصالها، ليس هناك حضارة يونانية لوحدها أو كنعانية لوحدها أو مصرية لوحدها أو آرامية أو بابلية لوحدها، هذه الحضارات كلها كانت تتفاعل فيما بينها في العصر القديم وفي العصر الوسيط، فالحضارة العربية الإسلامية هي حضارة توليف وصهر، فكيف اليوم والمعرفة تخترق كل بيت وكل عقل، والإنسان المسلم لا يعيش لوحده، يعيش عبر الكتاب والتلفزيون ووسائل الإعلام وأي كتاب يصدر في باريس بعد أسبوع يكون موجوداً في مكتبة من مكتبات بيروت، كيف يمكن أن نتكلم عن مرجعيات حضارية منفصلة.

من هنا ينبغي التأكيد والتشديد على أن الحضارة الغربية ليست حضارة مادية فقط، الجانب المادي هو وجه من وجوه الحضارة الغربية هناك فلاسفة غربيون روحانيون.

الذين ينتقدون الحضارة الغربية الآن والذين يواجهونها في أهم نقد معرفي ليسوا من الإسلاميين بل هم قطاع من المفكرين الغربيين أنفسهم مهما تحدث الإسلاميين عن نقد الحضارة الغربية لن يصلوا إلى مستوى نقد «فوكو» للحضارة الغربية وأعود إلى مسألة الشورى والديمقراطية فأنا أتحفظ على آراء الليبراليين والإسلاميين معاً، أقول لا بد من تزاوج بين الشورى والديمقراطية دون الوقوع في فخ المصطلحات. مع تلاقح الحضارات وتفاعل المفاهيم يمكن للشورى أن تمثل دلالات جديدة نحن بحاجة إليها ولو كانت من الغرب، فلا يمكن أن تفهم الشورى كما كانت في العهد الإسلامي الأول وإلا وقعنا في استبداد النخبة (أهل الحل والربط)، ألم ينحرف تطبيق الشورى بسبب الحكم الفردي في التاريخ الإسلامي فتحولت البيعة إلى بيعة قسرية، وهذا ما أطلق غليها الفقهاء «الملك الغموض».

لقد بدأ مفكرو النهضة الذين قالوا إن الشورى تساوي الديمقراطية، وأنه يجب أن نقتبس المؤسسات الديقمراطية لأنها نتاج فكر إنساني وتجربة إنسانية تلتقي مع دين الفطرة. لقد بدأ هؤلاء المفكرون بداية صحيحة.. لكن لسوء الحظ عرقلتها التجربة القديمة ولا زالت بعض القطاعات الإسلامية تصر على عرقلتها اليوم.أجرى الحوار: علي الأمين (مجلة النور)

الحركة الوطنية الشيوعية الإسلامية

• محمد بلال أشمل

"المسلمون المنسيون، الإسلام اليوم في الاتحاد السوفيتي"، هو عنوان الكتاب الذي ألفه "ألكسندر بينيجسين" A.Bennigsen المدير بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، و "شانتال لوميرسييه كيلكيجاي" Chantal Lemercier Quelquejay الأستاذة المحاضرة بأروقتها. وكما يقول ناشر الكتاب " هذا العمل مخصص لدراسة أحوال مسلمي الاتحاد السوفيتي الذين نسوا من لدن إخوانهم في الدين بالعالم الإسلامي؛ أولئك الذين يشكلون في أيامنا ثاني مسلمي العالم من حيث العدد، ويستحوذون على الاهتمام في إطار المشكل الإسلامي العام، حيث تدفع حيويتهم الديموغرافية والاقتصادية والثقافية والدينية أيضا، لأن يعطوا، كرة أخرى، مكانة هامة داخل الحركة الفياضة للنهضة الإسلامية، ويشكلون لهذا السبب، أحد المشاكل الرئيسية في الاتحاد السوفيتي اليوم".

صدر الكتاب عن دار "ماسبيرو" بباريز عام ١٩٨١ ويقع في ٣٠٦ صفحة من القطع الصغير، مرفقة بأربع خرائط توضيحية وبيبلوغرافيا، ويحفل بمعطيات هامة عن شؤون الإسلام والمسلمين؛ تفصح عنها فصول متعددة تداخلت فيها الجغرافيا بالتاريخ في تآلف محكم، حتى لتغري الباحث بتتبعها في مظانها وعرضها كاملة غير منقوصة. ولأن المقام لا يسع لذلك، حسبنا صحائف عن الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية فيما كان يسمى، منذ وقت قصير، بـــ"الاتحاد السوفيتي"، على أن يرجع من يشاء إلى الكتاب الأم ففيه بقية

لمستزيد. وصنيعنا هذا آت من كون أن الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية عبرت عن " وجهات نظر كانت جريئة حقا، ثورية حقا، تستند بالفعل

على تحليل ملموس لواقع ملموس" كما يقول محمد عابد الجابري. "إنها وإن كانت أهميتها اليوم تكمن أساسا في قيمتها التاريخية، كما يضيف الأستاذ الجابري، فهي مع ذلك ، بل وبسبب ذلك، تشكل تراثا يجب إحياؤه واستلهامه، ومن ثم الانتظام فيه نوعا من الانتظام في عملية إعادة البناء المطلوبة من الماركسيين العرب" (وجهة نظر، نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، البيضاء ١٩٩٢ ص ١٧٥).

إن ظاهرة الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية بـــ"الاتحاد السوفيتي" ظاهرة فريدة في التاريخ، عمرت سنوات عدة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٨، وخلفت آثارا لا تمحي على تطور الحركة الوطنية لدى المسلمين "السوفيت". كانت هذه الحركة ثمرة إيديولوجية وعملية لجماعة من المثقفين الشباب الوطنيين؛ خاصة تتاري الفولغا، بالإضافة إلى ممثلين من جميع القوميات المسلمة التي ناضلت قبل الثورة في مختلف التنظيمات السياسية يسارية أو يمينية. وأغلب قادة هذا الفصيل ينتمون إلى البورجوازية أو الأرستقراطية، والتحقوا بصفوف الحزب الشيوعي الروسي(البلشفي) ما بين عام ١٩١٧ و عام ١٩٢٠، وظلوا في النفوذ ما يقرب من عشر سنين، بعضهم عمل في موسكو كمساعدين لـــ"ستالين" (١٨٧٩-١٩٥٣) في شؤون القوميات Narkomnate ، والبعض الآخر ناضل داخل جمهورياتهم حيث شكلوا الجناح اليميني ذي الأغلبية في الأحزاب الشيوعية المحلية. وقد حاول الشيوعيون الوطنيون المسلمون التوفيق بين الماركسية اللينينية الروسية والشروط التاريخية والاجتماعية والثقافية للإسلام، ولكنهم فشلوا وتمت تصفيتهم من طرف "ستالين" بين عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٨ وقد خلفوا ميراثا غنيا للحركة الوطنية الإسلامية (ص٥٧-٥٨).

١- من هم الشيوعيون الوطنيون؟

باستثناء أذربيجان، لم يكن هناك من بلاشفة مسلمين قبل فبراير ١٩١٧، ومع ذلك، قبلت عضوية ملايين من الأشخاص، معظمهم من قدامى المناضلين الوطنيين الراديكاليين في الحزب الشيوعي الروسي ما بين فبراير ١٩١٧ ونهاية الحرب الأهلية عام ١٩٢٠. بعضهم انضم إلى الحزب بشكل فردي، والبعض الآخر أتى من الحزب الشيوعي الروسي

(البلشفي) كتنظيمات سياسية كاملة . ومن بين هؤلاء كان هناك حزب "الإرادة" Hummet الأذربيجاني وحزب "ألاش أوردا" الكازاخستاني، والجناح اليساري لـ"الميلي فرقة" Milifirka القرمية، وفي آسيا الوسطى وجد البخاريون والكييفيون الشباب. لم يكن لدى هؤلاء سوى مفهوم عائم عن الماركسية؛ إذ لم يكن يهمهم مذهبها الاجتماعي والاقتصادي، وكان توجههم نحو البلاشفة لأسباب عملية محض:

- عدم الفعالية السياسية لقادة الجيش الأبيض، وعدم تفهمهم للمشكل الوطني للمسلمين،
- سعي "ستالين" رئيس شؤون القوميات إلى استقطاب الزعماء الرئيسيين للجناح اليساري للحركة الوطنية،
- وعد "لينين" الغامض للمسلمين بحق"الاستقلال" في "أطروحات أبريل"،
- الأمل في ثورة أكتوبر فما هذه الأخيرة إلا الخطوة الأولى نحو تحرر العالم الإسلامي، وأن الشيوعية ستسمح للمسلمين بالانتصار على المستعمرين بمن فيهم الروس، - الاعتقاد الساذج في أن ثورة أكتوبر ستكون استمرارا للحركة الإصلاحية للمجددين في الأراضي الإسلامية.

إن الذين التحقوا بالحزب الشيوعي من هؤلاء ، تبنوا الماركسية كعقيدة رسمية دون أن يمنعهم ذلك من البقاء أوفياء لولاءاتهم الوطنية القديمة. ولم تكن الشيوعية لديهم سوى وسيلة لتحقيق طموحاتهم في الاستقلال الذاتي أو التحرر أو المساواة على أقل تقدير. بعبارة أخرى، لم يكن انخراطهم في الحزب سوى تاكتيك سياسي، وليس التزاما إيديولوجيا. ومع ذلك، ينبغي الاعتراف أنهم، وقد أصبحوا شيوعيين، كانوا يتصرفون كماركسيين حقيقيين وليس فقط كرفاق طريق. هذا الوضع لم يكن يمنع الروس من تصفية بعضهم كلما ظهر لهم أن التحالف معهم لم يعد له من داع. وقد كان أهم منظري الشيوعية الوطنية الإسلامية ينحدرون من أصول تنتمي إلى جميع مناطق "الاتحاد السوفيتي" سابقا أمثال "سعيد سلطان علييف" (١٨٨٠-١٩٣٩) و "كالمذان إبراجيموف" (١٨٨٧-١٩٣٨) من تتار الفولغا، و "تورار ريسكولوف" (١٨٩٤-١٩٣٨) و "أحمد بايترسون" (١٨٧٣-١٩٣٧) و "علي بوكاينيكوف" (١٨٦٩-١٩٣٢) من كازاخستان، و "فايز الله خودجاييف" (١٨٩٦-١٩٣٨) من أوزبكستان و "ناريمان ناريمانوف" (١٨٧٠-١٩٣٣) من أذربيجان (ص٥٨-٦٣).

٢- إيديولوجية وبرنامج الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية:

تأسست الشيوعية الوطنية الإسلامية على المسلمات الآتية:

- انتقال التعارض الماركسي التقليدي حول "البروليتاريا ضد الرأسمال" إلى مستوى أممي، وأصبح الأمر يتعلق بـــ"أمم بروليتارية ضد العالم الصناعي"،

- أولوية التحرر الوطني على الثورة الاجتماعية،

- حينما تنجز قوة استعمارية الثورة الاشتراكية، ولتكن روسيا على سبيل المثال، فإنها لا تكف عن أن تكون لأجل ذلك قوة استعمارية قامعة. من هنا عدم الثقة في القوى الاستعمارية الأوروبية بما فيها بروليتاريتها،

- ينبغي على الثورة الشيوعية في الشرق أن تكون حركة تحرر وطني، وأن تبنى من طرف المسلمين بمفردهم دون تدخل الروس أو باقي الأوروبيين رغم اعتراض هؤلاء.

ويمكن إيجاز البرنامج السياسي للشيوعيين الوطنيين في ست نقاط:

١- يمثل الإسلام ميراثا ثقافيا عظيما، وينبغي أن يُكفّ عن تقديسه. غير أن المحافظة على قيمه الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ينبغي أن تظل قائمة، وينبغي أن تصرف الحملة المضادة للدين إلى الصراع ضد العناصر الأكثر محافظة لرجال الدين، والقضاء على العادات والتقاليد البالية التي شوهت طوال قرون عديدة نقاء الإسلام الديموقراطي وصفاءه.

٢- ينبغي التصدي، وعلى جميع المستويات، لتأثير الحضارة الأوربية الروسية لغة وثقافة،

٣- ينبغي حماية الأراضي الإسلامية من الاستعمار الروسي وطرد المستوطنين الروس والأوروبيين،

٤- تشكيل الشعوب المسلمة أمة واحدة مقسمة إلى دويلات عدة، لكن عدد هذه الدويلات ينبغي أن يتقلص؛ فدولة في الفولغا المتوسطية والأورال، وتركستان الموحدة، والقوقاز الشمالي الموحد، ودولة في أذربيجان، وهذه الدول ينبغي أن تتوحد في دولة إسلامية كبرى هي الجمهورية الطورانية كما يقول "سلطان علييف".

٥- ينبغي أن يتوفر المسلمون على حزب شيوعي خاص بهم يضم لجنة مركزية منتخبة تتبع مبدئيا الخطوط الكبرى لبرنامج البلاشفة مع الحفاظ على استقلاليته في الحركة فيما يخص انتخاب وترقية الكوادر.

٦- ينبغي أن يرحل "الكونترن" عن أوروبا ويوجه دينامية الثورة باتجاه الشرق، فتركستان هي التي ستصبح قاعدة انطلاق الثورة في اتجاه آسيا بأكملها والشيوعيون المسلمون هم الذين عليهم نشر الشيوعية في الشرق وليس الروس (ص٦٤-٦٥).

٣-تدمير الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية:

يرجع تاريخ الصراعات الأولى للشيوعيين الوطنيين الإسلاميين، مثل "سلطان علييف" و "تورار رايسولكوف"، مع "لينين" و "ستالين" وقادة بلاشفة آخرين، إلى عام ١٩١٩. كان هؤلاء يدافعون عن أطروحاتهم في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق (موسكو: نوفمبر-دجنبر ١٩١٩ ١٩٢٠) والمؤتمر الأول لشعوب الشرق (باكو سبتمبر ١٩٢٠) وفي المؤتمر الأول لشيوعيي الشعوب التركية (موسكو : يناير ١٩٢١). كل ذلك كان بدون جدوى. كان القادة البلاشفة مقتنعين أن الثورة الشيوعية في الغرب، ينبغي أن تكون لها الأولوية المطلقة، وأن الثورة في الشرق ينبغي أن تخضع بصرامة للنموذج الروسي. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن من الممكن أن يكون هناك إلا حزب شيوعي واحد في الاتحاد السوفيتي وهو الحزب الروسي، وبأسلوب روسي واحد للماركسية. وأول أزمة انفجرت بين "ستالين" والشيوعيين المسلمين كانت عام ١٩٢٣ عندما تم توقيف "سلطان علييف" لأول مرة، وطرد من الحزب بسبب نزعته الوطنية. وحينما رأى الشيوعيون الوطنيون المسلمون بعد عام ١٩٢٤ أن حلمهم بتركستان الموحدة ينهار بسبب السياسة الستالينية لآسيا الوسطى، اتجهوا إلى النشاط النصف السري. وفي عام ١٩٢٨، أوقف "سلطان علييف" للمرة الثانية، وعمل "ستالين" آنئذ على التدمير المنظم للحركة الشيوعية الوطنية المسلمة. وقد دامت هذه العملية عشر سنين، قضي خلالها على الانتليجينسيا المسلمة التي تنتمي إلى فترة ما قبل الثورة. وقد بدأت حملة التطهير في القرم، حيث تمت محاكمة "قيلي إبراهيموف" السكرتير الأول للحزب الشيوعي التتاري في يناير من عام ١٩٢٨، وتوبعت تصفية أعضاء "الميلي فرقة". وقد امتدت موجة التطهير حتى شملت طرطستان، وبلاد الباشكير؛ حيث تمت تصفية جميع قادة "الأوبكوم" Obkom التتاري والباشكيري للحزب الشيوعي، ورؤساء اتحاد الكتاب والمكتب الحكومي للنشر، ورؤساء جامعتي قازان وأوفا، بل وحتى الاتحاد التتاري لجمعية "بلا إله". أما في أذربيجان، فقد بدأت حملة التطهير عام ١٩٣٣ بعد موت "ناريمانوف". وحوالي عام ١٩٣٧-١٩٣٨

أعدم تقريبا جميع قياديي الحزب الشيوعي الأذربيجاني من قدماء أعضاء "الإرادة". وفي كازاخستان تصادفت حملة تصفية قدماء قياديي "ألاشا أوردا" مع بدايات تنفيذ برنامج توطين الرحل بالإكراه الأمر الذي ترتب عنه تدمير البلاد وخسارة آلاف الأرواح. وفي آسيا الوسطى، تم تطهير الأحزاب الشيوعية المحلية ما بين ١٩١٩ و١٩٣٨ من جميع قدماء البخاريين الشباب، بل وأيضا من جميع المثقفين من فترة ما قبل الثورة.

وهكذا وعشية الحرب العالمية الثانية، لم يعد هناك من وجود للمعارضة الوطنية المسلمة كتنظيم داخل الحزب الشيوعي الروسي (البلشفي). لقد تم تدمير هذه المعارضة بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٨ من طرف حملة تزاوج بين الدعاية والضغط الإداري، ومختلف الإجراءات البوليسية؛ فجيل ما قبل الثورة من المثقفين المنتمين إلى أصول برجوازية وأرستقراطية، والذين شاركوا في حركة "المجددين" تلك الحركة التي قدمت المساعدة للشيوعية بعد عام ١٩١٧، هذا الجيل لم يبق لهٔ من أثر، فلقد اختفى نهائيا (ص٦٥-٦٦).

خـــاتمـــة

ملفات الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية في روسيا قبل الثورة وخلالها وبعدها، تنطوي على تاريخ طري للدم الإسلامي المراق، أعلن عن بداية فصله الأول مع قدوم جحافل الغزو الروسي للأراضي الإسلامية، وأعلن عن نهاية فصله الختامي تدمير آخر تمثيل للمعارضة الوطنية الشيوعية المسلمة عام ١٩٣٨ من طرف "ستالين". وما بين البداية والنهاية، شهدت الشعوب الإسلامية هبة عظيمة للذود عن هويتها الحضارية و الثقافية، ومنع أراضيها وخيراتها من غصب الطمع الإمبريالي الروسي. وكان لا بد لهذه الهبة الفائرة من تنظيم وتأطير في أحزاب سياسية وتنظيمات دينية كلما اشتد أذى الروس وبلغ أقصى مداه. وهكذا ظهرت الحركة الوطنية الإسلامية أول مرة في نهاية القرن التاسع عشر في بلاد التتار، بعد مخاضات عسيرة ومرورها بمراحل طويلة، كمرحلة الإصلاح الديني

والثقافي والسياسي، حتى استطاعت معها تحقيق بعض المكتسبات السياسية خاصة فصيلها المتميز في العالم الإسلامي آنذاك وهو الحركة الشيوعية الوطنية الإسلامية بتأسيس أحزاب وتنظيمات شيوعية وليبرالية ودينية (الزوايا).

غير أن الحركة الوطنية الإسلامية، بجميع فصائلها وأجنحتها، ووجهت بحملة تصفية مدروسة بعناية من طرف "الأخ الأكبر" الحزب الشيوعي الروسي؛ حيث تم إعدام رموزها المشرقة، والإجهاز على أعلامها البارزين... فهل تشهد الشعوب الإسلامية، فيما كان يسمى بـــ"الاتحاد السوفيتي" سابقا، مع بداية النهضة الإسلامية الجديدة، هبة أخرى لتحقيق ما كان يدعو إليه "سلطان عليف" و "تورار رايسولكوف" و "أحمد بايترسون" و "عبد الرؤوف فيترات" و "فائز الله خودجاييف" وغيرهم..؟

تشكيل الحزب الشيوعي العراقي

ذهب إلى موسكو شاب عراقي متحمس بعد سماعه بالثورة الروسية وهو عاصم فليح ، وحين عاد إلى بغداد أسس أول حزب شيوعي في بغداد وكان يقوم بتوزيع المناشير السرية المنددة بالاستعمار والمتناولة للأوضاع السياسية آنذاك. وقد اقتنى الحزب مطبعة رونيو ووضعها عند طباخ الملك علي الذي انتمى إلى الحزب فكانت المطبعة في حصن حصين بعيد عن الشبهات وكانت دار الملك علي تطل على دجلة بجانب الكرخ قرب دار الإذاعة. ويقال أن الطباخ حاول أن ينظم عبد الإله في الحزب الشيوعي! وكان الشيوعيون يستخدمون الزوارق الصغيرة (البلم) في توزيع منشوراتهم بدءاً باستلامها من المطبعة في دار الملك علي وذلك تجنباً للملاحقة لأن السير في الشوارع يعرضهم إلى ملاحقة الشرطة. وتعرض عاصم فليح إلى الضرب المبرح والإهانات مرة أمام وزارة العدلية وبسبب ذلك ترك العمل في الحزب الشيوعي ، وقامت الحكومة بمراقبة نشاط الشيوعيين وكشفهم، وكان المكلف بتعقبهم ومضايقتهم هو معاون الشرطة عبد الرزاق العسكري الذي يمت بصلة رحم إلى جعفر العسكري. وذات يوم استطاعت الشرطة إلقاء القبض على حسن عباس الكرباسي وهو يحاول لصق منشور للشيوعيين على جدار دار

الدكتور صائب شوكت في شارع أبي نؤاس فحكم عليه لمدة ثلاث سنوات. وظلت المطبعة بعيدة عن أعين الرقباء ومستمرة في طبع جريدة الحزب (القاعدة) وقد اشتدت الرقابة على مهدي هاشم، وكان مهدي هاشم يستخدم صديقاً له اسمه حميد كاشف الغطاء وهو معلم متقاعد، وكان واجبه أن يوصل ما يُراد طبعه إلى الطباخ، فألقي القبض عليه واما بالتهديد أوالاغراء بتعيينه مفوضاً في الشرطة وكل الذي طلبوه منه هو أن يأتي إليهم بكل ما يرسله مهدي هاشم للطبع ليستنسخوه ثم يأخذه بعد ذلك إلى الطباخ ليكون مستمسكاً بيد الشرطة عند المحاكمة، وهذا ما قام به الشخص المذكور حيث ظهر مقال في القاعدة وصورة منه عند الشرطة، وعلى إثر ذلك كبست المطبعة والقي القبض على الطباخ الذي أنكر صلته بهم وادّعى عدم علمه بالموضوع ثم ألقي القبض على مهدي هاشم وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة سنوات. ونفيه خارج العراق إلى إيران لأن أصله من قفقاسية الإيرانية. ولو أن إيران لم تعترف به، وقد عُين حميد كاشف الغطاء مفوضاً بنجمة واحدة. واستأجروا له دار ملاصقة للدار التي يتردد عليها مهدي هاشم لتسهل عليه المراقبة . وعلى إثر ذلك اختفى النشاط الشيوعي فترة من الزمن. وقد جاء بعد هذه الحادثة عبد الحميد بعد أن طرد من روسيا وحاول أن يعمل له كتلة شيوعية غير أن الشرطة العراقية استطاعت استخدامه ضد الشيوعيين كما فتح مكتبة لبيع الكتب في شارع الأكمخانه، وأخيراً لما أُفتضح أمره أخذ ينشر علناً منشورات ضد الشيوعيين . وظل الحزب الشيوعي عديم النشاط والفاعلية حتى مجيء (يوسف سلمان — فهد) من موسكو وقد تخرج من مدرسة اللغات الشرقية التي تخرج القاعدة للأحزاب الشيوعية وبعث في الحزب الحياة من جديد ، وأسسوا مطبعة وأصدروا جريدة سرية باسم (الشرارة) على غرار النشرة الذي كان يصدرها لينين وهي (الاسكرا) أي الشرارة. وقام فهد بنشاط مدروس وموجه لنشر المبادئ الشيوعية والاتصال بالطبقات العمالية والفلاحين وبعض المثقفين وبآلاف المعلمين المنتشرين في القرى والأرياف.

مقطتف من كتاب النجف أو مقهى الحشاشين

جدل حول الدين

• حنّا بطاطو[١]

خلال سنوات عدم الاستقرار التي تلت «وثبة» العام١٩٤٨ و«انتفاضة» العام١٩٥٢، حاولت الطبقات الموجودة في السلطة أن تستفيد من الدين للإبقاء على الناس في قبضتها ولصد تقدم الشيوعية. ومن الأمور ذات المغزى في هذا المجال أن المبادرة بهذا الخصوص جاءت من ممثلي القوة الإنكليزية وليس من غيرهم. وكتب ضابط الاستخبارات البريطاني ب.ب.راي في رسالة مؤرخة في ٢٠نيسان (أبريل)١٩٤٩، موجهة إلى مدير الشرطة السرية العراقية، يقول: «لن تقتلع الشيوعية من جذورها بما يمكن أن نسميه «الطرق البوليسية» وحدها... ولن تفعل قوات الأمن، من عندها، إلا القليل لاجتثاث الشيوعية، ولن تستطيع أكثر من المراقبة وانتظار نموها، ثم تطبيق إجراءات تصحيحية». وكان من بين الطرق «التصحيحية» التي أوصى راي بها ما سماه «المعالجة الدينية». وأصبح أكثر تفصيلاً وتحديداً فقي قوله: «إن الشيوعية معادية للدين أصلاً... وعلى الرغم من أنه يبدو أن الشيوعيين في العراق بذلوا جهدهم لعدم إثارة مسألة الدين، فإنه يبدو أن هذه المسألة قد تفيد الحكومة ضدهم»[٢]. ويبدو أنه في متابعة لهذا الخط قام السفير الإنكليزي في العراق، السيرجون تروبتيك، في وقت لاحق وفي ٦تشرين الأول (أكتوبر)١٩٥٣ تحديدا ــ بإقامة اتصال مباشر مع «المجتهد» الشيعي الأكبر، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء،

---

(١) العراق ٢:(٣٦١-٣٦٥) (٣٨١-٣٨٧) (٣٩٦-٤٠١).

(٢) Letter No. SF6/2 of 20 April 1949 from P.B.Ray C/O A.H.Q. Detchment. R.A.F. Baghdad, British Forces in Iraq, to Bahjat al-Atiyyah, director. C.I.D. Baghdad.

إذ زاره في مدرسته في النجف وناقش معه ــ كما ذكر الشيخ لاحقاً ــ مسألة «العدو المشترك» الذي «انتشرت دعايته السوداء ــ التي لا يدعمها أي منطق أو برهان ومن دون الإفادة من مالٍ أو رعاية أو رفعة محتد ــ على نطاق واسع إلى درجة أن خلايا عديدة تضم شباباً مندفعين ومتحمسين تنمو اليوم في هذه المدينة نفسها، التي هي مركز الإسلام والقدسية»[1]. ويقال إن السفير بذل جهده خلال المحادثة لكي يفرض اقتناع الشيخ بأن «محاربة الشيوعية تعتمد على إيقاظ «العلماء» والقادة الروحيين... وتحذير الشباب من هذه المبادئ التي تطيح بأوضاع العالم.. وعلى توجيههم الصحيح في المدارس والنوادي»[2].

ولم يكن الشيوعيون غافلين عن محاولات تعبئة القوى الدينية ضدهم، ولهذا فقد تجنبوا بطريقة مدروسة توجيه حتى أصغر إساءة إلى معتقدات الناسِ. والواقع أنه منذ العام١٩٢٩، أي منذ زوال الحزب اللاديني، ابتعد الشيوعيون كلياً عن موضوعِ الدين. وعلى العموم ففي العام١٩٥٤، وفي عزلة سجن بعقوبة التي كانت تضم قسماً كبيراً من النواة الصلبة لكادر الحزب جرى جدول فريد من نوعه حول الموضوع، وليس عدلاً ألا ندرجه بشيءٍ من التفصيل.

ويجب أولاً أن ونوضح أن الجدل دار بالتحديد حول مسألة «الأربعينيات الحسينية»، وهي المسيرات الاحتفالية بذكرى عودة رأس الحسين، حفيد الرسولِ، في اليوم الأربعين لمقتله في ٢٠صفر. في هذه الاحتفالات، التي تجتذب إليها دوماً حشوداً كبيرة من الحجاج، تتنافس مجموعات من البلدان الرئيسية في مابينها على تمثيل الحدث المأساوي، ويقوم مئات من المؤمنين بضرب أجسادهم بالسلاسل والسيوف كفارة عن الآلام التي عاناها الحسين.

ويبدو أن الجدل انطلق من ملاحظات عابرة حول «الأربعينيات» وردت في مقالة منشورة في صحيفة السجن السرية «كفاح السجين الثوري» بتاريخ٢ شباط (فبراير)١٩٥٤. وكتب صاحب المقالة يقول:

«كثيراً ما يعبر المفكرون الأحرار والثوريون الشرفاء عن مفاهيم إقطاعية... من دون أن يعرفوا ذلك. وهذا ما يحصل لأن خيوط الفكر والثقافة الإقطاعيين تمتد عميقاً في الزمنِ الماضي... وتخترق كل مجالات الحياة... وما زال بإمكانك في هذه الأيام أن تقابل ثورياً

(١) «محاورات الإمام المصلح كاشف الغطاء الشيخ محمد حسن مع السفيرين البريطاني والأميركي» (النجف١٩٥٤) ص٤-٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٥-١٦.

مأخوذاً بسحر تقاليد بالية... يعلق ــ مثلاً ــ أهمية كبرى على حضور الأربعينيات الحسينية... وفي حين أنه قد يلجأ إلى هذه الجموع المحتشدة على أمل التسلل بينهم وجمع التواقيع لحركة السلام، تجده خالياً من أية رغبة في تحرير الجماهير من التقاليد القديمة المهترئة التي يرتبطون بها، ناسياً بذلك أن اجتذاب حشود واسعة إلى احتفالات العزاء هذه يشكل ــ بحد ذاته ــ كسباً كبيراً لأعداء الشعب»[١].

وظهر رد مطول على هذا الموقف في «كفاح السجين الثوري» بعد أكثر من ثلاثة أشهر، مع أن المسألة نوقشت كثيراً في عنابر السجن خلال هذه الفسحة الزمنية. وجاء الرد يحمل توقيع «الرفيق نصير» وعنوان «ما هو موقفنا تجاه المسيرات الحسينية؟»[٢].

وكتب «نصير» يقول:

«أثارت هذه المسألة الكثير من الخلاف داخل تنظيمنا... والمشكلة هي ما إذا كان علينا أن نحارب هذه المسيرات ونستهدف وضع حدّ لها، أم كان علينا أن نسعى إلى تحويلها من سلاح في أيدي الأعداء إلى سلاح للحركة الثورية؟ أشعر أنه لكي نستطيع التغلب على هذه المشكلة لابد من أن نأخذ في اعتبارنا أن هذه المسيرات موجودة بغض النظر عن رغبتنا... وتدل المؤشرات على أنها لن تزول أو تتراجع في المستقبل القريب. وعلى العكس من ذلك، فإنها تزداد نمواً سنة (!!!)[٣] ومن المؤكد أنها سوف تستمر حتى بعد إقامة الديمقراطية الشعبية في العراق. والواقع أنها استمرت في الوجود في روسيا لمدة خمسة عشر عاماً بعد تأسيس السلطة السوفييتية. إننا بمهاجمتنا لمعتقدات يجب ــ عند الحاجة ــ أن ندافع عنها بدلاً من أن ننبذها للتو، إنما نعزل أنفسنا عن جماهير الشعب الكادحة».

ثم، إذا كان يستحيل اجتثاث المسيرات الحسينية، فهل نستطيع تحويلها إلى شيء مفيد؟ أو، ولطرح سؤال أكثر صلة بالموضوع: هل من مصلحتنا ــ في الوقت الراهن على الأقل ــ إضعاف هذه المسيرات، وخصوصاً مسيرات كربلاء والنجف؟ معروف أن بإمكان الشيوعيين ــ والثوريين عموماً ــ أن يؤثروا على قسم من الجماهير وإقناع هؤلاء بالامتناع عن الذهاب إلى كربلاء والنجف والكاظمية. فهل يصح أن نفعل ذلك؟ أنا لا أعتقد ذلك، وللأسباب التالية:

(١) «كفاح السجين الثوري»، السنة١، العدد١٣ بتاريخ٢ شباط (فبراير)١٩٥٤،ص٨.
(٢) «كفاح السجين الثوري»، السنة٢، العدد٣ بتاريخ٣٠ أيار (مايو)١٩٥٤، ص٥-٧.
(٣) إشارات التعجب هذه أضافها محررو صحيفة السجن.

(١) قال لينين: «إفعل حيث توجد الجماهير» وأنا أشك في أنه يمكن للجماهير أن تتجمع بأمثال هذه الأعداد في مكان آخر من العراق غير أماكن الحج هذه...

(٢) في بلد كالعراق، تمنع قوانينه الرجعية والفاشية التجمعات والتظاهرات إلا لأغراض دينية... إن من واجبنا أن نفكر جدياً بالاستفادة من هذهِ الإمكانات القانونية لصالح الحركة الديمقراطية ولقضية السلام. وخوفاً من إثارة غضب الدوائر الرجعية فإن الحكومة ستتردد طويلاً قبل التدخل بشأن المسيرات..

(٣) لقد استغل دستوريّو نوري السعيد[1] وأتباع صالح جبر[2] المسيرات بطريقة خاصة... ونجحوا مؤخراً في بعض البلدان، بشق[الحجّاج] إلى جناحين. في ظل هذه الظروف، أليس من واجبنا وضع الجماهير ضد هذه العصاباتو وضد أسيادها؟

(٤) إن تاريخ حركتنا الثورية... يمثل ـــ بحد ذاته ـــ شهادة على أهمية هذه الاجتماعات كوسيلة لإثارة الجماهير ضد الامبريالية... في أمثال هذه المناسبات يوزع «أنصار السلام»منشوراتهم ويجمعون التواقيع وينشرون أفكارهم... وأنا بنفسي لا أنسى... كيف أن [هذه المسيرات] خدمت في بلورة هتافات التجميع... التي سهلت وغذت الانتفاضة الشعبية في تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٥٢...

وهناك كذلك جانب آخر لهذه المسألة... [فكر بالفائدة التي يجنيها] الفلاح الذي لا يفكر أبداً بالذهاب إلى البلدة المجاورة لقريته، ولكنه قد يمشي مئات الكيلومترات لزيارة كربلاء... إن أُفقه يتسع بالتأكيد... وقد يتخلى عن بعض التغيرات التي تزدهر في بيئته الاقطاعية ويتوقف عن الاعتقاد بخرافات «الملالي»[3] الجهلة... وسيعرف كذلك، وإن مصادفة، أن هناك مسلمين آخرين في العالم الواسع، وسيسمع عن مشاكلهم...ونضالاتهم..ثم، ألم يَثر الحسين على الظلم... ألن يثير هذا فيه إحساساً أكبر بظلم الأوضاع التي يعيشها؟... كل هذا بالإضافة إلى ما سيسمعه من الثوريين...

بناء عليه، فإن الخط الصحيح بالنسبة إلينا هو تحويل المسيرات إلى سلاح للحركة الثورية دون تجاهل محاربة الممارسات والتقاليد الأكثر رجعية المترافقة معها».

وكان لمحرري «كفاح السجين الثوري» الذين كانوا ـــ طبعاً ـــ أعضاء في لجنة القيادة الحزبية داخل السجن، اعتراضات كبيرة على ما كتب «الرفيق نصير»، ورأوا أن

(١) الإشارة إلى حزب نوري السعيد: حزب الاتحاد الدستوري.
(٢) حول صالح جبر، رئيس الوزراء السابق، انظر الجول ٧-٤ في الكتاب الأول (العراق) لحنا بطاطو.
(٣) رجال دين.

ملاحظاته كانت «خليطاً من المفاهيم الخاطئة من الناحيتين المبدئية والواقعية». وأضاف المحررون:

«أولاً، لقد وضعنا الرفيق أمام خيارين: فإما ان نعارض المعتقدات الدينية أو نؤيدها، وإما ان نستفيد منها أو نسعى إلى إبادتها. إننا نتساءل ما إذا كان هذا تفسيراً واقعياً ومبدئياً لموقفنا المعروف تجاه معتقدات الناس؟ هل نحن ملزمون فعلاً بالاختيار بين هذين الخطين؟

ثانياً، لقد دهشنا... من الطريقة التي يطبق بها تعاليم لينين على المسيرات الدينية...

ثالثاً، في ما يتعلق بـــ«فائدة» هذه الاحتفالات... يجب القول بأن كل أولئك الذين يهتفون بشعارات ثورية في أمثال تلك المناسبات لا يتعلمون هذه الشعارات على ضريح الحسين بل من ثوريين يصلون إليهم في مصانعهم أو قراهم وعبر تأثيرات ثورية بعيدة عن مقام الحسين.

وأخيراً، فإن الاستشهاد بالحسين حول الظلم، الذي يفضله الرفيق نصير، هو أيضاً أمر يستحق الرفض[١].

ووصل الجدل على صفحات «كفاح السجين الثوري» إلى نهايته بهذا الإعلان الحاسم. وكان المحررون يقصدون بعبارة «موقفنا المعروف تجاه معتقدات الناس» السياسة الطويلة الأمد للشيوعيين العراقيين، القاضية بتجنب توجيه أية إساءة إلى الدين أو إلى القوى الدينية والامتناع، بشكل عام، عن الحديث عن هذا الموضوع في العلن مهما كان الثمن.

هل كانت هذه السياسة تمثل هجراً لمبادئ لينين؟ لا، على الإطلاق. لقد وسم لينين، كما فعل إنجلز، بـــ«الحمق» أي هجوم مباشر على الدين في ظل ظروف غير مؤاتية. وأضاف لينين:

«على الماركسي أن يكون مادياً، أي عدواً للدين، ولكن أن يكون مادياً جدلياً، أي مادياً لا ينظر إلى محاربة الدين بطريقة تجريدية، ولا على أساس الوعظ الرتيب، والبعيد، والنظري البحت، بل بطريقة واقعية، على أساس الصراع الطبقي الجاري بالممارسة العملية والذي يثقف الجماهير وأفضل مما يفعل أي شيء آخر».

وبكلمات أخرى، وفي رأي لينين، فإن النضال الشيوعي ضد الدين «يجب أن يرتبط بالممارسة الفعلية للحركة الطبقية، التي تهدف إلى اقتلاع الجذور الاجتماعية للدين»[٢].

---

(١) «كفاح السجين الثوري»، السنة٢، العدد٣ بتاريخ ٣٠أيار (مايو)١٩٥٤،ص٦.

(٢) Lenin Marx, Engels,Marxism (Moscow,1951),pp. 274,277,279-280, and Lenin, Col-lected Works, XV(Moscow,1963), 403,405, and 407-408.

البلشفية...و«علماء» المدن المقدسة

في مطلع العشرينات كانت كلمة «المجتهدين»[١] الشيعة في المدن المقدسة ما زالت تشكل قانون لأتباعهم. وكان السلطان الذي يدعونه لأنفسهم بلا حدود. وكان الأكثر حذراً منهم يستنكفون ـــ بالطبع ـــ عن أمور السياسة. ولكن المبدأ الشيعي يقول بأن كل شيء يشكل جزءاً من العالم الروحي، وهو يقع ـــ بالتالي ـــ ضمن دائرة اختصاص المجتهدين.

وبشكل عام، فإن الانشط سياسياً من المجتهدين لم يكونوا كبارهم، بل المجتهدين الأقل منزلة[٢]، وخصوصاً من كان منهم ابناً لمجتهد أكبر. وحافظ أبناء «العلماء»[٣] وأحفادهم على نفوذ بين الناس وعلى احترام في عائلاتهم، وإن لم يكونوا هم أنفسهم علماء.

وكان السيد محمد الصدرو ابن المجتهد الأكبر حسن الصدر، والشيخ محمد الخالصي، ابن المجتهد الأكبر الشيخ مهدي الخالصي، من أكثر علماء العشرينات السياسيين حيوية. وكان من شديدي النشاط أيضاً ميرزا محمد رضا، ابن ميرزا محمد تقي الشيرازي، كبير مجتهدي عصره.

وشارك السيد محمد الصدر الذي أصبح في ما بعد رئيساً لمجلس الأعيان ورئيس وزراء العراق ـــ بدور قيادي في الانتفاضة العراقية للعام١٩٢٠، التي كان معلمها البارز المصالحة بين السنة والشيعة، والتبشير المتقن والمنظم بالجهاد ضد البريطانيين بين القبائل، كما كان الصدر عضواً مهماً في التنظيم العراقي القومي الذي اتخذ مقراً لنفسه في «المدرسة الأهلية» في بغداد، والذي كان يقود الانتفاضة[٤]. وبالإضافة إلى هذا كله، فقد كان له نفوذ واسع عند والده[٥]. أما الشيخ محمد الخالصي فكان في العام١٩٢٠ «أحد الأشخاص الأكثر انشغالاً بقضية الاستقلال العربي»[٦]، وقدوصفته السكرتارية الشرقية للمفوض السامي بأنه «القوة المحركة التي ليس والده، الشيخ مهدي، إلا آداتها»[٧].

---

(١) مشرعون شيعة ورجال دين لهم سلطة اتخاذ القرارات.
(٢) كان الاختلاف الأساسي بين المجتهدين الأقل منزلة وكبار المجتهدين يكمن في إمكانية تحدي قرارات الفئة الأولى منهم.
(٣) تعبير عام يطلق على الضالعين في علوم الدين.
(٤) Iragi Police (J. F.Wilkins)File No. 7 on «Sayyid Muhammad bin Hasan as-Sadr».
(٥) Great Britain, (Confidential) Personalities. Baghdad and Kadhimain, p. 28.
(٦) المصدر السابق.
(٧) Great Britain, Orientl Secretary of the British High Commissioner, Iraq, (Secret) Intelligence Report No.17 of1 September1922, para.838.

ولم يكن دور ميرزا محمد رضا في حركة الاستقلال أقل أهمية. وكان والده، الذي أصبح صاحب السلطة الدينية الأعلى للطائفة الشيعية وأصدر خلال العامين١٩١٩و١٩٢٠ فتاوى عجلت بحدوث الانتفاضة، «يقاد كلياً» بيد ابنه(١).

ولم يكن هؤلاء الرجال ــ ميرزا محمد رضا والشيخ الخالصي والسيد الصدر ــ إن أردنا التحدث بدقة، «قوميين»، بل كانوا مدافعين عن النظام القديم وعن النفوذ العريق لطبقتهم ضد ما رأوا فيه قوة كافرة منتهكة.

ومن المثير للاهتمام ــ إن أمكن الاعتماد على المعلومات الموجودة في ملفات الشرطة السياسية البريطانية ــ ان هؤلاء كانوا أول من يقيم اتصالات مع ممثلي السلطة البلشفية من العراقيين. ويبدو هذا الأمر مؤكداً بوضوح على الأقل حالة ميرزا محمد رضا.

وكان ميرزا محمد معروفاً بأنه عبر عن اهتمامه بالأفكار البلشفية منذ وقت مبكر يعود إلى آذار (مارس)١٩٢٠. وناقش يومها علناً، وفي النجف، محتويات كتاب عربي عنوانه «مبادئ البلشفية» يتركز موضوعه على التوافق بين البلشفية والإسلام(٢). وبعد ثلاثة أشهر أو نحو ذلك، وخلال الانتفاضة العراقية سمي ميرزا محمد ــ وحسب غرترود بل(٣)ــ رئيساً للحركة العراقية للتحرر من البريطانيين، و«عاملاً من أجل القضية البلشفية في كربلاء»، وذلك في برقية مفتوحة صادرة عن البلاشفة في رشت(٤). ومن المحتمل أن تكون هذه إشارة إلى نشاطاته في العام١٩٢٠ كرئيس للجمعية العراقية العربية التي وقفت ــ كما ذكرنا آنفاً ــ إلى جانب التعاون مع مصطفى كمال والبلاشفة. وكان ميرزا يتراسل مع الزعيم التركي، وقد سعى إلى إيجاد شيء من التنسيق بين جهود الكماليين وجهود حركة الاستقلال العراقية. وهناك دلائل تثبت أن المساعد الميداني لكمال التقاه في منزله في كربلاء يوم١٧ نيسان (أبريل)١٩٢٠(٥). وتم خلال الاجتماع حساب القوة التي «يعتمد عليها» من رجال ومال والمتوفرة بين الموصل والبصرة. وبحثت كذلك الأفكار والقوانين البلشفية من حيث توافقها مع الشريعة الإسلامية، وذلك ــ على ما يبدو ــ بهدف إقناع الرأي العام المسلم بجواز التعاون مع البلاشفة. وحضر الاجتماع عدد من

---

(١) Iraqi Police (J.F.Wilkins) File no. 283 on «Mirza Muhammad Rida»; and Great Britain, Review of the Civil Administration of Mesopotamia (Command 1061) (1920),p.144.

(٢) Iraqi Police (J.F.Wilkins) File no. 283.

(٣) السكرتيرة الشرقية للمفوض السامي.

(٤) Great Britain, Review of the Civil Administration, pp.144-145 وتقع رشت في منطقة جيلان الإيرانية التي كانت مسرحاً لحركة ثورية في الفترة ١٩٢٠-١٩٢١.

(٥) ملف الشرطة العراقية رقم٢١٣ حول «مصطفى كمال باشا»، والملف رقم٢٨٣ حول «ميرزا محمد رضا».

رؤساء القبائل المهمين الذين أقسموا على «الوقوف في وجه البريطانيين حتى الموت». وأفيد عن إرسال مصطفى كمال، في وقت لاحق، لعشرة ضباط برئاسة المقدم أسعد الدين بك إلى كربلاء[١]. وهذا ما أدى في حزيران (يونيو)١٩٢٠ إلى نفي ميرزا محمد إلى إيران. ولكن عزم ميرزا محمد لم يكل، وعندما شعر بالمرارة لقمع الانتفاضة العراقية في تشرين الأول (أكتوبر) راح ينتقل من جامع إلى آخر في طهران مدافعاً عن التفاهم مع البلاشفة وداعياً إليه. وبالإضافة إلى هذا، فقد قيل إنه نظم في آذار (مارس) ١٩٢١، ومن خلال صهره السيد أبو طالب، جمعية في الكاظمية بهدف كسب القبول لفكرة التعاون الإسلامي ـــ البلشفي[٢].

وأسهم تطوران في تعزيز مرامي ميرزا محمد. كان أحدهما محاولة الإنكليز فرض معاهدة على العراق في العام ١٩٢٢، الأمر الذي استثار معارضة شرسة وخصوصاً من جانب العلماء، وكان من نتائج تلك المعارضة انضمام السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي إلى ميرزا محمد في المنفى. ثم، وفي أواخر السنة نفسها، بدأت تتشكل أزمة جديدة بين مصطفى كمال والحكومة البريطانية، وكانت الأزمة هذه المرة تدور حول محافظة الموصل الغنية بالنفط. وتبع ذلك حشد مكثف للقوات التركية عند حدود العراق الشمالية.

وشكلت هذه الأحداث ـــ على ما يبدو ـــ الأداة الفاعلة لإقامة سلسلة من الاتصالات بين البلاشفة والعلماء العراقيين في إيران. ولقد أكد أحد عملاء الحكومة أن السيد محمد الصدر كتب إلى والده رسالة من طهران يوم ٢٧ كانون الأول (ديسمبر)١٩٢٢ يخبره فيها انه قابل ممثلين سوفييتيين وناقش معهما الوضع العراقي وأعطاهما «الرزمة» التي كانت معه[٣]. وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) التالي ـــ واستناداً إلى تقرير آخر ـــ تلقى الشيخ مهدي الخالصي رسالة من ابنه ينصحه فيها بأن يجتمع، مع آخرين، مع الوزير السوفييتي المفوض في إيران، الذي أعلن ان روسيا السوفييتية ستساعد تركيا في حالة اندلاع حرب حول العراق. وأضاف الابن أنه قد تم التوصل إلى اتفاق وأنه سيرسل الشروط «للحصول على موافقة العلماء في النجف»[٤]. وكان في هذا إشارة واضحة إلى اتفاق أفيد عن عقده في طهران في منتصف كانون الثاني (يناير)١٩٢٣ بين الوزير المفوض السوفييتي بوريس شومياتسكيي وممثل عن مصطفى كمال وقادة الجمعية

---

(١) ملف الشرطة العراقية رقم٢١٣ حول «مصطفى كمال باشا»، والملف رقم٢٨٣ حول «ميرزا محمد رضا».
(٢) ملف الشرطة العراقية رقم٢٨٣.
(٣) ملف الشرطة العراقية رقم٧ حول «السيد محمد الصدر بن حسن الصدر».
(٤) ملف الشرطة العراقية رقم٥٢ حول «الشيخ مهدي الخالصي».

المسماة «جمعية بين النهرين»[١] التي كانت قد تشكلت قبل وقت قصير بهدف «تحرير العراق»[٢]. وذكر أن الشيخ محمد الخالصي وميرزا محمد رضا كانا من الأعضاء البارزين في الجمعية. ولم يرد في السجلات أي ذكر على الإطلاق لمواد الاتفاق، ولكن يحتمل أن الهدف منه ــ إن تم التوصل إليه فعلاً ــ كان التنسيق بين النضال الوطني العراقي وتحركات مصطفى كمال وتأمين شكل من أشكال المساعدة البلشفية.

ولكن يبدو أن الخالصي الأب كان يحذر أي تعاون مع البلاشفة، وطلب من ابنه في رسالة مؤرخة في شباط١٩٢٣ إعلام «الجمعية الإسلامية الروسية»[٣] أن العلماء لم يطلبوا مساعدتها[٤]. وفي وقت سابق، عندما وصلت نسخ من بيان موال للبلاشفة أرسلها إليه ابنه، ومررت إلى العديد من المجتهدين، وعلقت في صحن جامع الكاظمية، انزعج الخالصي الأب كثيراً وعبر عن عدم موافقته على البلاشفة. ولكنه وضع ختمه في آذار (مارس)١٩٢٣ على فتوى تحرم المشاركة في أي عمل معادٍ للأتراك. وهي حركة تبدو متوافقة مع خط الاتفاق المذكور آنفاً.

بعد مرور خمس وثلاثين سنة على هذه الأحداث، ليل٢٠حزيران (يونيو)١٩٥٨، كنت جالساً إلى جانب الشيخ الخالصي، الابن، في مجلسه بجامع الكاظمية القديم، وكان يملي عليَّ بعربية فصحى متأنية ما قال إنه «حقيقة ما حصل» في إيران في شتاء١٩٢٢ ــ ١٩٢٣. كان، طول الوقت، يقطع كلامه بحركة حية من رأس مهيب يزدان بعمامة بيضاء ضخمة، وكان يلمس بين الحين والآخر لحيته الحمراء الطويلة التي وخطها الشيب متأملاً، ويلقي عليّ وعلى أتباعه نظرات غير مباشرة من وراء زجاج نظارتيه المعتم، بينما كان هؤلاء يدخلون إلى مجلسه ويخرجون منه على مدى الساعات التي استغرقتها المقابلة. وكان الأتباع يصغون لمدة ربع ساعة أو ثلثها، ثم يقبلون يدي العالم أو ينحنون إجلالاً له ويغادرون بهدوء. واستمر الأمر على هذا المنوال حتى منتصف الليل. ولم أكن أتوقع رؤية الزوار. وكنت قد أرسلت كلمة من خلال ابن أخيه أقول فيها أني سأتشرف بلقائة إذا كان يستطيع استقبالي والرد على عدد من الأسئلة المتعلقة بـــ «دوره في الحركة الوطنية العراقية». ويبدو انه اعتقد ان المناسبة تحتاج إلى جمهور مستمع من أتباعه. وتحدث الشيخ مطولاً وبرغبة ظاهرة عن حياته، وحياة أبيه، ودورهما في انتفاضة العراق، وعن الدين

---

(١) أي جمعية بلاد ما بين النهرين.

(٢) ملف الشرطة العراقية رقم٢٨٣ حول «ميرزا محمد رضا».

(٣) لم أعثر على أية إشارة أخرى إلى هذه الجمعية في كل الملفات التي تفحصتها.

(٤) ملف الشرطة العراقية رقم٥٢.

والفلسفة و«أوهام» ماركس والماركسيين. ولم أتمكن من سؤاله عن الأمر الذي قادني إليه إلا في نصف الساعة الأخير من المقابلة. ولم يكن مستعداً لأسئلتي وأخذ ـــ إلى حد ما ـــ على حين غرة. وبينما كنت أسجل روايته أمامي انتابني شعور قوي بأني لم أحصل إلا على قسم من القصة فحسب.

قال الشيخ: «بعد نفينا إلى إيران، وفي الجزء الأخير من عام١٩٢٢، شكلنا جمعية باسم «التنظيم الأعلى لممثلي العراق في طهران»[1]. وأضاف ان الجمعية عملت علناً وكانت لها صحيفتها المسماة «لواء بين النهرين»[2]، ولهذا فقد عرفت الجمعية أيضاً باسم «جمعية بين النهرين». وكان هدف الجمعية الترويج لقضية تحرير العراق. وكان من أعضائها السيد أبو القاسم الكاشاني[3] وميرزا رضا الأيرواني ـــ ولعب كلاهما دوراً ناشطاً في أحداث العراق عام١٩٢٠ـــ وميرزا محمد رضا ـــ الذي قابلناه سابقاً ـــ والزعيم الديني المعروف السيد محمد البهبهاني وشقيقه ميرزا علي البهبهاني، الذي هو اليوم[4] عضو في مجلس الأعيان الإيراني، ومصدق السلطنة، الذي كان يومها وزير خارجية إيران، وأمير سليمان ميرزا، الذي كان زعيم الحزب الديمقراطي في إيران. وتابع الشيخ قائلاً:

«كان سليمان ميرزا على اتصال مع الروس، واعتاد أن يقول لنا ان الروس سيساعدون العراقيين إذا ما ثاروا ضد الإنكليز لاستعادة حريتهم. وكان هناك تبادل للرسائل بينه وبين لينين، ولقد أراني بعض رسائل لينين إليه، وكتب لينين يقول انْ ليس لدى البلاشفة مخططات حول الشرق، وان كل ما يرغبونه هو تحرير البلدان الشرقية من العبودية والحكم الاستعماري، وانه ليست لديهم نية للتدخل في شؤوننا الداخلية أو معارضة مسلمي العراق في دينهم. نقلت إلى أبي كل ما كتبه لينين دون أي تعليق من جانبي. وما قيل عن والدي كان صحيحاً. زكثيراً ما حذر جمعيتنا من إقامة أية اتصالات مع الروس، وكان تواقاً إلى أن تحافظ الجمعية على صفتها الاستقلالية. ولكني لم أجتمع أنا شخصياً بالروس أبداً. ولقد طلب السفير شومياتسكيي مراراً أن يراني. وكان له مساعد أرمني روسي، اسمه أبريسوف، سعى مرات ومرات، من خلال سليمان ميرزا، إلى إقناعي بمقابلة السفير، ولكني رفضت بإصرار... صحيح أن وكالة «تاس» بثت بعض المقالات التي نشرتها صحيفتنا «لواء بين النهرين»، ولكنها فعلت ذلك من دون معرفتي أو إذني... إني مدرك

(١) عملياً، كانت الجمعية تضم أعضاء إيرانيين أيضاً.
(٢) كانت الصحيفة تنشر بالعربية والفارسية.
(٣) لعب الكاشاني دورا هاما في الحياة السياسية الإيرانية في الخمسينات.
(٤) يوم تأليف كتاب (العراق) لحنا بطاطو.

ان توفيق السويدي كتب تقريراً عني إلى وزارة الخارجية العراقية عندما كان قائماً بالأعمال في طهران زاعماً ان لدي اتصالات مع السفير الروسي. ولكن هذا كله زائف! يعترفون لك بالجميل! لقد أنقذت أنا حياة ذلك الرجل في العام١٩٢٠... لعنة الله على السياسة».

إن مما يثبت أن الشيخ الخالصي امتنع عن رواية القصة كاملة ان والده كان قد عبر عن إجلاله للينين في تلك الأيام، وهو ما نشرته الدورية السوفييتية «نيو تايمز» (الأزمنة الجديدة) في سنوات الخمسينات نصاً، إذ كتب الشيخ مهدي الخالصي يقول:

«إن الشرق الذي أيقظتم ينتظر لحظة ترجمة أفكاركم الصائبة حول تحالف الأمم الشرقية، وحق كل فرد وكل أمة، كبيرة كانت أم صغيرة، مثقفة أم متخلفة، بالحياة والاستقلال، إلى واقع حي»[١].

بعد العام١٩٢٣، سجلت محاولة أخرى لكسب علماء الشيعة إلى جانب قضية التعاون بين الدول الإسلامية وروسيا السوفييتية. وفي٣٠تشرين الأول (أكتوبر)١٩٢٦ شكلت في طهران جمعية اسمها «اتحاد العلماء» بناء على تعليمات الشيخ عبد الكريم اليزدي، من قم في إيران. وكان لهذه الجمعية فروع في قم وتبريز وخراسان، وكانت على اتصال بعلماء النجف وكربلاء والكاظمية[٢] وهناك ما يدل أيضاً على أنها كانت على ارتباط بجمعية بين النهرين[٣].

ودعا برنامج «اتحاد اعلماء»، الذي وصل إلى الكاظمية في٧تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٢٦ من الشيخ جواد الجواهري، وقرئ في بيت العالم السيد محمد الصدر يوم ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٢٦، إلى إقامة ارتباط أوثق بين علماء إيران والعراق، وتشكيل جمعيات دينية توكل إليها مهمة إنعاش الإسلام عموماً وتعمل في إيران والعراق على تحسين العلاقات مع تركيا وروسيا السوفييتية. ودعا البرنامج أخيراً إلى إشراف المجتهدين على هذه الجمعيات بصفتهم الزعماء الدينيين للشعب[٤].

وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن البلاشفة أوحوا بفكرة «اتحاد العلماء». وكان جعفر أبو التمن زعيم الحزب الوطني، قد أجرى استطلاعات بخصوص هذا الاتحاد، وأعلن في اجتماع خاص انه عرف ان الفكرة أوحي بها «من قبل السوفييت عبر سياسيين

---

(١) New Times NO.17 OF23 April1955,p.13.

(٢) ملف الشرطة العراقية رقم١٨٦٨ المعنون «اتحاد العلماء».

(٣) Letter of4 july1927 from Wilkins to B.H.Bourdillon, counselor to the high commissioner, in Iragi Police File NO.1738.

(٤) ملف الشرطة العراقية رقم١٨٦٨.

إيرانيين معينين»[١]. ومن الأمور ذات المغزى بهذا الخصوص أن ج .س. أغابيكوف، الذي كان في الفترة١٩٢٨-١٩٢٩ رئيساً للقسم الشرقي من «الإدارة السياسية لدولة كل الاتحاد» (OGPU)[٢] في وزارة خارجية روسيا السوفييتية، كتب في العام١٩٣٠، وبعد ردته عن خدمة بلده، يقول إن «العمل في قمّ» ــ حيث ولدت مبادرة تشكيل «اتحاد العلماء» كما رأينا ــ كان «ذا أهمية حيوية» بالنسبة إلى موسكو نظراً لــ «الاتصالات التي لعلماء الذين في قم مع علماء الدين في مدينتي النجف وكربلاء المقدستين في العراق». وان ممثل الــ «خلويكوم»[٣] في تلك المدينة تمكن «بفضل معرفته التامة بالفارسية وعلاقات أعماله واسعة النطاق من التسلل بالعمق إلى حياة علماء الدين المحليين»[٤].

مفاتحة في طهران

في آب (أغسطس)١٩٢٨، ومن خلال مكتب القنصلية السوفييتية في كرمنشاه، التقى عراقي، اكتفى بمجرد التصريح عن أنه كان سكرتير وزير الأشغال العامة في العراق، بزاسلافسكيي، السكرتير الأول للسفارة السوفييتية في طهران. واستناداً إلى تسجيل بالاختزال لمحادثتهما فإن السكرتير العراقي أخبر المسؤول السوفييتي بوجود حزب وطني ثوري في العراق يتمتع بتأييد واسع في أوساط الأنتلجنسيا العراقية وضرب جذورا عميقة بين أبناء المدن والقبائل. وأضاف السكرتير العراقي أن وزراء عراقيين عديدين كانوا أعضاء في هذا الحزب، وأن الملك فيصل نفسه كان يعلم بوجوده ويتعاطف معه. وكان هدف الحزب هو الحصول على الاستقلال التام للعراق، ولهذا فإن من الضروري إخراج الإنكليز من البلد. وتوجه الحزب الآن إلى الاتحاد السوفييتي طلباً للتأييد المعنوي لأنه مقتنع بأن السوفييت لابد وأن يتعاطفوا طبيعياً مع كل حركات التحرير. ثم طلب السكرتير العراقي الإذن بإرسال بضع عشرات من الشباب أعضاء الحزب إلى الاتحاد السوفييتي لدراسة الشؤون العسكرية، وطلب ضمان السفارة بأن يسمح للحزب ــ إن احتاج الأمر

---

(١) ملف الشرطة العراقية رقم٩٤ حول «جعفر أبو التمن». ويتضح من التمعن في ملف أبو التمن المزدحم أن بعضاً من موثوقيه المقربين كانوا يعملون في الخدمة المأجورة للاستخبارات البريطانية.

(٢) OGPU تعني «الإدارة السياسية لدولة كل الاتحاد». وكانت هذه الإدارة تعرف قبل العام١٩٢٣ بالرمز GPU فقط. وقد حلت في العام١٩٢٢ محل الــ«تشيكا» الأبكر، أي «اللجنة الاستثنائية لكل الروسيا». وكانت مهمتها الرئيسية هي «حماية النظام الثوري» في الأراضي السوفييتية.

(٣) منظمة صناعة القطن التي يديرها السوفييت.

(٤) G.S.Agabekov.G.P.U. Zapiski Chekista («The GPU. The Memoirs of a Chekist») (1930).p.159.

ـــ بشراء أسلحة من الحكومة السوفييتية، لأنه سيحتاج إلى هذه الأسلحة تهيئة لانتفاضة في العراق.

وظهرت تفاصيل هذا اللقاء، أول ما ظهرت، في مذكرات آغابيكوف[١]، الرئيس السابق للقسم الشرقي في «الإدارة لدولة كل الاتحاد» (OGPU). في العادة، تؤخذ المذكرات التي تحمل هذا الطابع مع «رشة ملح»، أما في هذه الحالة، وفي ما يخص العراق، فتبدو هذه المذكرات دقيقة إلى حد كبير، ومترابطة ـــ كما سنرى ـــ مع الروايات الواردة في ملفات الاستخبارات البريطانية.

وبالعودة إلى رواية آغابيكوف، فإن مستشار السفارة السوفييتية، لوغانوفسكيي، سارع إلى رفع تقرير موسكو حول المفاتحة العراقية. ولفت الانتباه إلى حقيقة أن ممثل الحزب العراقي لم يطلب أية معونة مادية، وذكر أنه خرج شخصياً بانطباع يشير إلى أن الحزب جدي الأهداف. وتوسل لوغانوفسكيي تلقي تعليمات بهذا الشأن لأن العراقي ينتظر رداً. وجرى تقييم المسألة في موسكو بعناية. ولوحظ ـــ عموماً ـــ أنه على الرغم من أن السكرتير العراقي تحدث عن رجال نافذين في الحزب فإنه لم يعط أية أسماء. ونظراً لهذا التكتم وخوفاً من الاستفزاز فقد تقرر ـــ كإجراء أولي ـــ الحصول على معلومات إضافية حول برنامج الحزب ونفوذه وتركيبته. وعهد بهذه المهمة ـــ واستناداً إلى آغابيكوف دوماً ـــ إلى القنصل السوفييتي في كرمنشاه والممثل المقيم لـــ «الإدارة السياسية لدولة كل الاتحاد» في إيران. ولم تتسلم موسكو المعلومات المطلوبة حتى الوقت الذي غادر فيه آغابيكوف موسكو، أي حتى تشرين الأول (أكتوبر)١٩٢٩.

وكشفت الاستطلاعات التي أجراها البريطانيون لاحقاً أنه كان لوزير الأشغال العامة[٢] في العام١٩٢٨ سكرتيران، وأن كليهما كانا خارج العراق في آب (أغسطس) من تلك السنة. وأظهرت السجلات ـــ عموماً ـــ أن أحد السكرتيرين، وهو صهيون زلخا، قد ذهب إلى فلسطين ومصر، ولكن لا يبدو أنه ذهب إلى إيران. وعلق ج.ف. ويلكنز[٣] قائلاً: «لا يعقل أن يعهد هؤلاء الذين هم مسلمون في أكثريتهم بأي شيء إلى موظف يهودي خجول»[٤]. وكان السكرتير الآخر، وهو السيد محمد بن عبد الحسين،

---

(١) Agabekov, GPU. Zapiski Chekista, pp. 195-196.

(٢) كان وزير الأشغال العامة في العام١٩٢٨ عبد الحسين الشلاش، من مواليد النجف وأحد أغنى تجار العراق.

(٣) كان ويلكنز رئيساً للخدمة الخاصة البريطانية، وكان رسمياً «نائب المفتش العام للشرطة».

(٤) Secret Report of11 May1931 by J.F.Wilkins towing Commander H.Graham of British Air Staff Intelligence.

وتوجد مقتطفات من هذه الرسالة في ملف الشرطة العراقية رقم٩٤ حول «جعفر أبو التمن»، والملف رقم ٤٦٢ حول «ياسين باشا الهاشمي» والملف رقم١٧٤٧ حول «رشيد عالي الكيلاني».

قد عبر الحدود إلى إيران يوم١٩ تموز(يوليو) وعاد إلى بغداد يوم٢٦ آب (أغسطس)١٩٢٨[١]، وكان هناك احتمال كبير بأن يكون هو الشخص الذي أشارت إليه مذكرات آغابيكوف.

وتأكيداً لهذا الرأي كان باستطاعة ج.ف. ويلكتز الاستشهاد بمقالة نشرها السيد محمد في صحيفة «العراق» بتاريخ ١٨ شباط (فبراير)١٩٢٩[٢] تحت عنوان «التنافس الأنكلو ــ روسي وتأثيره على يقظة شعوب الشرق». وفي المقال، يؤكد السيد محمد أن «روسيا السوفييتية تتبع الآن سياسة تساند شعوب الشرق. وما من دولة أخرى فعلت هذا قبلاً... وتقف روسيا السوفييتية، إلى جانب الشعوب الشرقية وتدعمها معنوياً ومادياً». ويضيف: «لقد أخذ الشرق يتحرك، وهو مصر على تدمير نظام الحياة القديم والمهترئ، وعلى استحداث طرق جديدة وتقدمية... ولكن قوى أوربا تقف في طريقه وتؤخر تقدمه. وهذا هو السبب في أن الشرق استدار باتجاه موسكو... وإذا استمرت سياسة الاستعمار دون أن تتغير فإن هذا التوجه سيدوم، وستنتهي الأمم الضعيفة إلى تسليم نفسها إلى أحضان السياسة السوفييتية». وكانت نهاية المقال ــ عموماً ــ ذات لهجة مختلفة. قال السيد محمد: «حيث إن الظروف أوجدت منافساً قوياً للاستعمار الأوروبي، فلا بد للشرق من أن يتعرف إلى طموحاته.. ولا يمكن للتنافس السوفييتي ــ الغربي إلا أن يرتد لفائدة شعوب الشرق»[٣]. هذا المقال، الذي يبدو أنه كان من نتاج كتابة جماعية على الرغم من أنه حمل توقيع السيد محمد بن عبد الحسين، يلقي بعض الضوء على ما ربما كان أحد الأهداف الكامنة وراء التقرب من السلطات السوفييتية. وكان العالم المعروف السيد محمد الصدر ــ الذي كانت له يد في كتابة المقال ــ قد جعل هذه النقطة شديدة الوضوح عندما أسهب حولها غداة نشرها، أي يوم١٩ شباط (فبراير)١٩٢٩، وقال إن «نشر أمثال هذه المقالات الموالية للروس كان محسوباً لحث البريطانيين على تلطيف سياستهم تجاه العراقيين»[٤]. وما نريد قوله هنا هو احتمال أن يكون قد قصد جعل البريطانيين يعرفون بنشاطات السيد محمد بن عبد الحسين في إيران.

---

(١) السيد محمد غادر مرة أخرى إلى كرمنشاه في ١٦ آذار (مارس)١٩٢٩، ومنها إلى طهران، ثم عاد إلى العراق في٢١ آذار (مارس)١٩٢٩. ملف الشرطة العراقية رقم٨٩٧ حول «السيد محمد بن عبد الحسين».

(٢) أنظر: «العراق»، العدد ٢٦٩١ في ١٨ شباط (فبراير)١٩٢٩.

(٣) هناك حالات سابقة ظهرت فيها مقالات موالية للروس في الصحف العراقية. أنظر مثلاً الصحيفة القومية «الاستقلال»، العدد٧٣٦ بتاريخ ١٤ كانون الأول(ديسمبر)١٩٢٥.

(٤) ملف الشرطة العراقية رقم٨٩٧ حول «محمد بن عبد الحسين».

لقد آن الأوان للعودة إلى هوية الحزب الذي أجرى محمد مفاتحته مع السفارة السوفييتية لحسابه. يبدو أن البريطانيين، وعلى الرغم من شكّهم أيضاً بتورط حزب الشعب، كانوا أكثر ميلاً إلى الاعتقاد بأن الحزب الوطني هو «الحزب الوطني الثوري» الذي ورد ذكره في مذكرات آغابيكوف. لقد كان حزب الشعب أكثر بقليل من تجمع للمصالح الشخصية، وكان بقيادة ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني. أما الحزب الوطني، فعلى الرغم من كونه أصغر من حزب الشعب وليس بفاعليته دوماً، فقد كان ــ وبفضل تكريس مؤسسه جعفر أبو التمن لنفسه وعدم قابليته للفساد ــ حزباً فريداً تماماً بين أحزاب تلك الأيام العراقية من حيث إنه كان يتحرك بفعل العواطف المثالية وليس بدافع الفائدة الخاصة. ويجد الرأي القائل بأن الحزب الوطني كان هو «الحزب الوطني الثوري» ما يؤكده في الاعتبارات التالية[١]:

١- فور عودته من مهمته في إيران، عرج السيد محمد بن عبد الحسين على جعفر أبو التمن في زيارة قصيرة، وقيل[٢] يومها ــ عموماً ــ إنه سلم أبو التمن رسالة من الشيخ الخالصي الذي كان منفياً في إيران، كما أوردنا سابقاً.

٢- في يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر)١٩٢٨، غادر عمر الحاج علوان، وهو عضو بارز في الحزب الوطني، إلى إيران بهدف مزعوم هو إحضار زوجته الإيرانية من هناك، ولكنه كان في الواقع ــ واستناداً إلى تقرير مؤرخ في ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ــ يحمل رسائل من أبو التمن إلى الشيخ الخالصي وإلى القنصل الروسي في كرمنشاه[٣]. ونذكر هنا بأن هذا الأخير كان هو المسؤول الذي ذكره آغابيكوف في مذكراته بالعلاقة مع توجيهات الحكومة السوفييتية، بطلب مزيد من المعلومات وتوحي الإشارات المتكررة إلى الخالصي بأن «جمعية بين النهرين» وعلماءها كانوا متورطين في المسألة أيضاً.

٣- في٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عاد عمر الحاج علوان من إيران، وأفيد ثانية عن أنه جلب معه رسائل من القنصلية السوفييتية في كرمنشاه إلى أبو التمن[٤].

٤- في ٣نيسان (أبريل)١٩٢٩، كتب ضابط فرع الخدمة الخاصة البريطانية في البصرة، الذي كان في مهمة في مدينة الأهواز الإيرانية، يقول إنه علم أن القنصل الروسي

---

(١) حيث أني عجزت عن العثور على النص الكامل للرسالة المؤرخة في١١ أيار(مايو)١٩٣١، والتي قدم بها ج.ف. ويلكتر تقريره النهائي إلى مقر قيادة استخبارات أركان الجو البريطانية، ولم أعثر إلا على مقتطفات منه، فإني سأورد هنا المعلومات ذات الصلة التي وجدتها في ملفات الشرطة المختلفة والتي أدت إلى استنتاج ويلكتر.

(٢) تقرير بتاريخ ١ أيلول (سبتمبر)١٩٢٨ في ملف الشرطة العراقية رقم٨٩٧ حول «محمد بن عبد الحسين».

(٣) ملف الشرطة العراقية رقم٩٤ حول «جعفر أبو والتمن».

(٤) ملف الشرطة العراقية رقم٩٤.

هناك كان «ناشطاً بشكل خاص» في ما يتعلق بالعراق. وقيل بأن القنصل كان على اتصال بجعفر أبو التمن عبر وساطة أشخاص يتظاهرون باستشارة طبيب روسي يعيش خلف القنصلية، هناك اتصال داخلي بين بيته والقنصلية[١].

٥- وأخيراً، يتحدث تقرير يحمل تاريخ ١٤ أيار (مايو)١٩٢٩ عن اجتماع عقد بين العالم السيد محمد الصدر وجعفر أبوالتمن، أطلع خلاله الصدر القائد القومي على رسالة من القنصلية الروسية في طهران تتعلق بتاجر اسمه حاجي يعقوب خانوف كان سيأتي إلى العراق لحساب القنصلية. وقيل إن الاثنين اتفقا على مساعدة خانوف هذا[٢].

تبدو الدلائل الواردة حتى الآن وكأنها تشير إلى أبو التمن. وكانت التقارير الواردة حول اتصالاته بالقناصل السوفييت مستمرة وآتية من مصادر مختلفة. وعلى العموم، فإن السيد محمد بن عبد الحسين، وسيط الاتصال الأول، كان في حزيران (يونيو)١٩٢٤، مع ياسين الهاشمي، من بين «المحركين الأوائل» لتشكيل حزب الشعب[٣]. وعلى الرغم من أنه فك شراكته مع الهاشمي بعد ذلك بمدة معينة، فإنه عاد إلى الارتباط به في العام١٩٢٨. وأكثر من هذا، ففي يوم١٤ تموز (يوليو)١٩٢٨، أي قبل خمسة أيام من مغادرة السيد محمد للعراق، أفيد أنّ الهاشمي انتدبه للذهاب في مهمة سياسية إلى إيران[٤]. وأضاف تقرير لاحق أن الهاشمي عهد إليه برسائل موجهه ميرزا محمد رضا الشيرازي والسيد أبو الحسن الكاشاني وسليمان ميرزا والشيخ الخالصي[٥]، وهو ما يعيد «جمعية بين النهرين» إلى الصورة ثانية.

ومن الممكن، طبعاً، أنه كان لحزب الشعب والحزب الوطني كليهما يد في هذه المسألة بالإضافة إلى جمعية بين النهرين. ولابد من الغشارة هنا إلى أن الحزبين كانا متقاربين في ما بينهما علناً خلال هذه الفترة، وهو التطور الذي بلغ ذروته في تشكلهما لجبهة موحدة وتوقعهما لـــ «ميثاق إخاء» ليلة٢٢-٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٣٠ بهدف الإطاحة بالمعاهدة الأنكلو ـــ عراقية للعام١٩٣٠[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ملف الشرطة العراقية رقم٨٩٧ حول «السيد محمد بن عبد الحسين».

(٤) المصدر السابق. وجاء في مدخل على صلة بالموضوع في Abstract of Intelligence (Para. 794 of21 July1928) أن الهاشمي كان «منشغلاً بشيء ما» في إيران و «قد تكون له اتصالات بالبلاشفة».

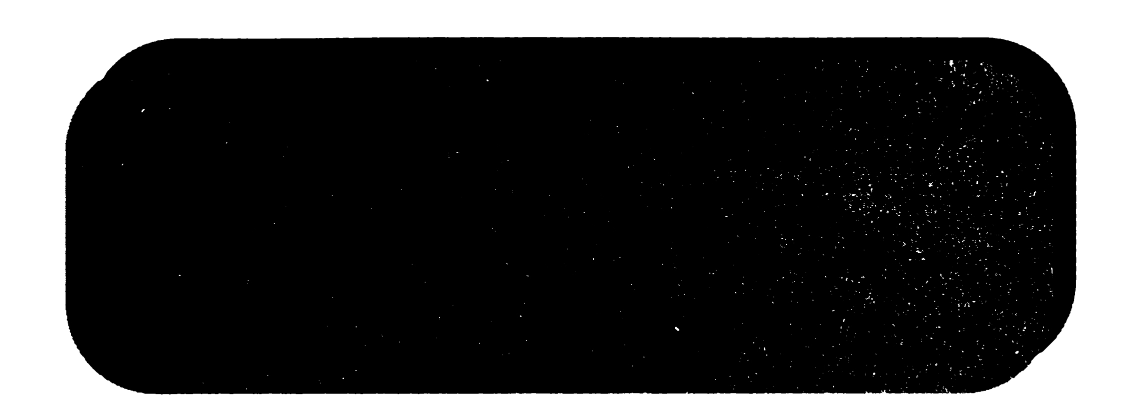
(٥) ملف الشرطة العراقية رقم٨٩٧.

(٦) كان حزب الشعب في ذلك الوقت قد توسع بضمه عناصر جديدة وإفساح المجال أمام «الإخاء الوطني».

يبقى هنالك مظهر محير جداً، وهو أن السيد محمد بن عبد الحسين لم يكن على ارتباط بالهاشمي فقط، بل كان أيضاً على اتصال بالقصر الملكي عبر خاله باقر واحد العين، نائب كبير الأمناء في البلاط، وهو اتصال كان تعبير ــ عموماً ــ في العشرينات مضموناً. فهل علينا، بالنظر إلى هذا العامل، إعطاء مزيد من الأهمية لقول المبعوث لسكرتير السفارة السوفييتية زاسلافسكيي إن الملك فيصل كان يعرف بوجود «الحزب الوطني الثوري» العراقي ويتعاطف معه؟ وبكلمات أخرى، هل كان الملك يعرف ــ بشكل أو بآخر ــ بمهمة السيد محمد؟ كل مايمكن قوله هو أن السنوات ١٩٢٧-١٩٢٩ شهدت ركوداً شديداً في العلاقات بين الملكية العراقية والحكومة البريطانية. وجرى يومها امتحان قوة جدي بين الملك فيصل والمفوض السامي السير هنري دوبس. وكانت «عَظْمَةُ الخلاف» هي السيطرة على الجيش العراقي، حيث أصر الملك على المسؤولية العراقية الكاملة عن الدفاع عن البلد، كما أراد استبدال نظام الخدمة العسكرية التطوعية بنظام للخدمة الإلزامية. و لم يكن الإنكليز يستجيبون لأي من المطلبين. و لم يكن الملك قد شعر طيلة مدة وجوده في العرش أنه أكثر عجزاً سياسياً وأكثر خيبة أمل بالسياسات البريطانية مما هو عليه الآن[1]. وفي ٢٧تشرينالثاني (نوفمبر)١٩٢٨، أعرب الملك عن قنوطه بكلمات واخزة أمام الزعيم الهندي المسلم محمد علي. وعندما اشتكى هذا الأخير من الصعوبات التي واجهها لكي يسمح له بالدخول إلى العراق رد الملك قائلاً إنه لا يعرف شيئاً عن ذلك، وإنه لا سلطة حقيقية له وإن السلطة الحقيقية موجودة في مكان آخر. وأضاف أن البريطانيين لم ينفذوا أياً من الوعود التي قدمت له ولوالده، وكان والده سجيناً في قبرص، وكان شقيقه، الملك علي، بلا مكان يعيش فيه، بينما لم يكن هوحراً في مملكته نفسها[2]!

(١) Secret letter dated 6 March 1928 from J.F.Wilkins to K.Cornwallis, adviser to the minister of the interior. من اجل نص الرسالة راجع الصفحات ٣٦٥-٣٦٧ من الكتاب الأول.

(٢) (Secret) Supplement to the Abstract to Intelligence, No. 48 of 1 December1928, para.3.



• عصمت السعيد

لقد كان العراق احدى الدول التي صوتت لقبول الاتحاد السوفيتي في عصبة الأمم وعددها٣٤ من مجموع خمسين دولة، وفي ذلك ما اثبت حسن نوايا العراق تجاه الشعب الروسي، ولكن التبادل الدبلوماسي لم يتم بين القطرين لعدم وجود روابط اقتصادية أو مصالح مشتركة بينهما أسوة بالبلاد الاسكندنافية وامريكا الآتينية التي ليس لها من يمثلها في العراق رغم حسن علاقتها بهم.

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية انضمت روسيا إلى الحلفاء، واحتاجت إلى مساعدات حربية فأرسلت لها المواد المطلوبة عن طريق البصرة، وبناء على ذلك وصل وفد روسي إلى العراق لتسهيل الشحن، وتم على أثر ذلك التبادل الدبلوماسي بين البلدين في سنة١٩٤٥.

والجدير بالذكر ان الشيوعية ظهرت لأول مرة في الشرق الأوسط في فلسطين بين سنتين١٩٢٩-١٩٣٠ وقد حذر نوري السعيد الشعب العراقي مراراً ضد اخطار الشيوعية والصهيونية ومبادئها المستوردة، ويشهد على ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقد في مجلس الوزراء في٢٤و٢٥ يناير سنة١٩٤٧ إذ ثبت في محاضره وجود تعاون وثيق بين الشيوعيين والصهاينة في العراق.. امثال يوسف سلمان وابراهيم شميل، ويعقوب وافرايم اسحاق، الذين قاموا ببث المبادئ الهدامة بين الطلبة وقد وردت اسماؤهم في ملفات الأمن.

وعندما ظهر بوضوح ان السفارة السوفيتية اصبحت مركزاً لتمويل الاضطرابات التي عصفت بالعراق قررت الحكومة العراقية قطع العلاقات الدبلوماسية بينها وبين روسيا

السوفيتية فانتقل موظفو سفارتهم إلى سفارة روسيا في دمشق ومن هناك ظل النشاط الهدام والمؤامرات الخفية تسري في المنطقة بأسرها.. ويكفينا ذكر ما قام به حزب "توده" في ايران وكيف اصبحت المبادئ المستوردة تهدد الأمن في تركيا.

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فقد استطاع ان يتسرب إلى الشرق الأوسط عن طريق السفارات لتمويل الخلايا الشيوعية في البلاد العربية... وفي الوثائق السرية التي توصلت اليها دائرة الأمن في العراق ما يثبت أن الاتصال بين الشيوعيين في اسرائيل والعراق كان متينا ولاغرابة فيما ذكرنا، فتاريخ روسيا منذ ايام القياصرة يبين لنا جلياً بأن غايتها القصوى هو فرض سيطرتها على المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج. وقد تضاعفت جهود السوفييت على اثر اكتشاف منابع البترول فيها ـــ لقد لمس العراق هذه الحقيقة منذ البداية وبناء على ذلك بادر ياسين باشا الهاشمي بوضع قانون يحرم الشيوعية في العراق وقد اضيف إلى هذا القانون ايضاً بنود اخرى تدين الصهيونية والفوضوية على حد سواء.

ومما تقدم تبين لنا بوضوح ان المد الشيوعي كان يهدد المنطقة بأسرها وان الحكام الواعين فيها كانوا على حذر ويشعرون بهذا الخطر الداهم على الدوام... ولذا رحبت تركيا وايران وباكستان بمشروع الميثاق الدفاعي لاتقاء شر التوسع السوفييتي في الشرق الأوسط.

ويقول نوري السعيد بأن عناصر الشعب كانت ومازالت تبث الاشاعات المغرضة للقضاء على التضامن في الأمة العربية... ويذكر على سبيل المثال الكذبة المشينة التي اعلنها وزير خارجية السوفيت شيبيلوف امام مجلس الأمم المتحدة يتهم فيها العراق بالاتفاق مع اسرائيل على تقسيم الأردن.

وان فيما تقدم ما يصور باختصار مشاعر السوفييت تجاه حكام العراق. وما يشنونه من دعايات هدامة للقضاء على سد منيع يعوق امتداد سطوتها على المنطقة. (كتاب نوري السعيد: ٢٦٤-٢٦٥، لندن ١٩٩٢).

اثر التحريفية على الشعب العراقي

● كمال مجيد[1]

لقد أصيب الشعب العراقي عموماً والشيوعيون بصورة خاصة بأفدح المصائب جراء تصرفات الحزب السوفياتي المعادية للشعوب وللحركة الشيوعية. اذ اقترح الحزب السوفياتي، عن طريق حزب تودة الايراني، على الحزب الشيوعي العراقي المنشق على القبول بالخط السوفياتي الجديد والاتفاق مع كتلة عزيز شريف (كتلة وحدة الشيوعيين) المعادية لفهد. فقرر الحزب العراقي عقد كنفرنسه الثاني في خريف١٩٥٦.

ويقول عامر عبد الله، عضو اللجنة المركزية منذ ١٩٥٤، في مقابلة له (راجع١٧، عامر عبد الله، مقابلة في مجلة الابواب، العدد٢، منشورات دار الساقي١٩٩٤، الصفحة١٧٩) بان ربط سياسة اللجنة المركزية بالسياسة الجديدة للحزب السوفياتي كان قد تم في هذا الكنفرنس وذلك حين تم انتخابه عضواً في المكتب السياسي. فيقول: «يومها كتبت الوثيقة التي ركزت على حق تقرير المصير للشعب الكردي... كذلك طالبت، بعد ادانة النظام بشدة، بالانتقال السلمي إلى الاشتراكية، تأثراً باجواء وطروحات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي.». أي انه استخدم حقوق الشعب الكردي وادانة النظام بشدة بغية التغطية على سياسة السير وراء التحريفية السوفياتية.

وفي خطاب القاه مندوب الحزب الشيوعي العراقي في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب السوفياتي في موسكو، اكد المندوب العراقي على «ايد الكنفرنس (الثاني للحزب العراقي

---

(١) بروفسور الهندسة في جامعة كارديف ببريطانيا، والبحث من كتاب نواقص الماركسية المعاصرة وأسباب عدم تطورها (لندن٢٠٠٠).

سنة١٩٥٦) بالاجماع قرارات المؤتمر العشرين واستنتاجاها النظرية الهامة». واعتبر الكنفرنس المؤتمر العشرين «انعطافاً تأريخياً غير مجرى الاحداث». وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي العراقي فان: «قرارات واستنتاجات ذلك المؤتمر كانت ذات اثر بعيد في حياته ونشاطه». أي بحلول المؤتمر الثاني والعشرين للحزب السوفياتي، قبل العراقي الخضوع لسياسة التحريفية السوفياتية بصورة كلية.

ونتيجة "الاثر البعيد" لهذه السياسة على نشاط الحزب الشيوعي العراقي انتهى هذا الحزب في مستنقع الانتهازية ودفع الثمن نتيجة لذلك، بما في ذلك حياة الألوف من اعضاء الحزب ومؤيديه. ونتيجة لهذا "الاثر البعيد" على حياة الحزب ونشاطه الهار الحزب سنة١٩٦٣، ثم انشق على نفسه ثم الهزمت فلول الكتلتين إلى انحاء العالم وبريطانيا بصورة خاصة.

لقد نشر عامر عبد الله جزءاً من مذكراته وفيه يشير إلى سفرة قام بها سنة١٩٥٧ إلى موسكو وقابل تيريوشكين، المسؤول عن شؤون آسيا وافريقيا في اللجنة المركزية للحزب السوفياتي واخبره حول امكانية الثورة المسلحة في العراق بمساعدة الجيش. فجن جنون تيريوشكين لعدم تمسك الحزب الشيوعي العراقي بسياسة " الطريق السلمي". فوبّخه تيريوشكين: «تقولون في تقريركم ان عضوية حزبكم صغيرة لا تتجاوز الألف عضو.. اذن فالاجدى ان تركزوا جهودكم على التوعية والتثقيف وان تصرفوا النظر عن انقلابات القصور...» ويستمر عامر:«وقد بدا واضحاً، الهم (أي السوفيات) كاتنوا مصممين على اقناعنا بتعديل وجهتنا وبالتزام الطريق الصحيح الذي يعتقدون انه الاصوب والاجدى لحزبنا وشعبنا، ولكنهم اذ وجدونا متمسكين بمواقفنا بعناد وحزم لجأوا الى التحذير، فوصف الرفيق (تيريوشكين) توجهنا بأنه «توجه خطر» وبأننا نسترشد بـــ «افكار خطرة»!. (راجع١٨، نجم محمود، المقايضة ـــ برلين ـــ بغداد، منشورات الغد، لندن الصفحة١٠٨).

تؤكد هذه التصريحات لعامر عبدالله على ان الحزب الشيوعي العراقي كان حتى سنة١٩٥٧ يتمتع ببعض من الاستقلالية بالرغم من قرارات الكنفرنس الثاني للحزب، مما حث الحزب السوفياتي، عن طريق تيريوشكين، على المزيد من الضغط بغية اجبار الحزب العراقي، عن طريق "التحذير" على الرضوخ. وهذا ما حدث فعلاً.

فبعد ثورة ١٤تموز وارتفاع شأن الحزب "الشيوعي" العراقي والتفاف «اغلبية الجماهير» حوله في طول العراق وعرضه الحّ السوفيات على الحزب العراقي بضرورة تأييد

عبد الكريم قاسم بصورة كاملة ودون تردد. ففي كانون الثاني١٩٥٩ سافر وفد اللجنة المركزية للحزب العراقي إلى موسكو لحضور المؤتمر الحادي والعشرين، الذي افتتح في١٩٥٩/١/٢٧، والقاء كلمة فيه باسم الحزب الشيوعي العراقي الا ان الحزب السوفياتي رفض كلمة الحزب العراقي لعدم تطابقها مع سياسة الحزب السوفياتي ازاء التأييد المطلق لشخص عبد الكريم قاسم (ذلك الزعيم الذي سيطر على الحكم عن طريق "انقلاب القصور" حسب تيريوشكين). فتم تأجيل موعد القاء كلمة الحزب العراقي لمدة يومين الى ان اجبر الوفد العراقي على القبول بالاوامر السوفياتية. فيقول بهاء الدين نوري، عضو المكتب السياسي لحزب الشيوعي العراقي آنذاك:

«كان ذلك على سبيل المثال، في شباط١٩٥٩، حين اخرت القيادة السوفيتية القاء كلمة الوفد العراقي امام المؤتمر الحادي والعشرين للحزب السوفيتي طوال يومين كاملين، بسبب خلو تلك الكلمة من الاشادة بشخص قاسم واصرار القيادة السيوفيتية على تضمينها هذه الاشادة. وقد رضخ الوفد العراقي دون الاقتناع وسمى في كلمته عبد الكريم قاسم بـــ «ابن الشعب البار». (راجع ١٩ صدى القاعدة، العدد٤، ايلول١٩٨٩).
لاحظ: لم يملك الحزب الشيوعي العراقي حتى حق تقديم كلمة بأسمه بطريقته الخاصة.

ثم قرر الحزب الشيوعي العراقي تبني سياسة المشاركة في حكومة عبد الكريم قاسم، (راجع٢٠، اتحاد الشعب مقالة باسم هيئة التحرير بعنوان: مساهمة الحزب الشيوعي في مسؤولية الحكم اصبح ضرورة وطنية ملحة،١٩٥٩/٤/٢٨). وجاء هذا القرار طبقاً لرغبات اغلبية الجماهير العراقية التي خرجت في مظاهرات مليونية في اول آيار (مايس) وهي هتف: «الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيم». الا ان قرار الحزب ومطالبة الجماهير المليونية جاء مخالفاً لرغبات التحريفية السوفياتية. فتلقى الحزب الشيوعي العراقي مذكرة سرية من اللجنة المركزية للحزب السوفياتي، يقول بهاء الدين نوري: «ان المذكرة سلمت الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في أيار او حزيران... وقرئت من قبل اعضاء القيادة الحزبية. وكانت فحوى المذكرة تخطئة موقف الحزب الشيوعي العراقي في حملته للمشاركة في الحكم واعتبارها تطرفاً يسارياً واقتراح ايقاف حملته الدعائية لتسليط الضغوط على قاسم» (راجع١٨، الصفحة٢٣٧). ويقول نجم محمود: «...من المرجح ان تكون المذكرة قد سلمت الى قيادة الحزب الشيوعي العراقي قبل يوم١٩٥٩/٥/٢٢، وهو ما يفسر تغيير موقف الحزب فجأة وبدون سابق انذار، حين اصدر المكتب السياسي للحزب في اليوم المذكور قراراً بايقاف الحملة التثقيفية للمشاركة في الحكم، نشرته

صحيفة (اتحاد الشعب في اليوم التالي)». (نفس المصدر١٨، الصفحة٢٣٧). الامر الذي يؤكد على الرضوخ الكلي للحزب الشيوعي العراقي لقرارات التحريفية السوفياتية. وكلف هذا الرضوخ الشعب العراقي الوف الضحايا من قتلى وجرحى وسجناء ومشردين. لقد ادرك المستعمرون وعملاؤه في حزب البعث والحركات الاسلامية الجديدة التي تشكلت خصيصاً لمحاربة الشيوعية، عدم استقلالية قرارات الحزب الشيوعي العراقي بل انسحابه الى الوراء في قمة المد الثوري للشعب العراقي. فقرر المستعمرون المبادرة بالهجوم العنيف، وبدون رحمة، وقاموا باغتيال الالوف من خيرة ابناء الشعب العراقي حين وقف الحزب الشيوعي مكتوف الايدي، لا يقوم بشيء سوى حضور مراسيم دفن القتلى التي اصبحت عادة يومية في كل انحاء العراق وفي الموصل وكركوك وبغداد بصورة خاصة. استمرت الحالة بهذا الشكل الى ان انتهت بانقلاب ١٩٦٣/٢/٨وذبح الالوف من الشيوعيين والمستقلين مع القاء القبض على الوفٍ آخرين وايداعهم في السجون.

وبهذا الخصوص كتب بهاء الدين نوري قائلاً:

«في الظروف الحساسة والبالغة الدقة والخطورة التي مرت على الحركة الشيوعية في العراق ابان عهد قاسم، مارست القيادة السوفيتية التدخل المباشر لحمل قيادة ح. ش.ع. (الحزب الشيوعي العراقي) على اتباع نهج يميني خاطئ ازاء سلطة قاسم... وعلى سبيل المثال، في أيار — حزيران١٩٥٩، حين انتقدت القيادة السوفيتية مطالبة ح. ش.ع. بالمشاركة في السلطة بذريعة ان هذه المطالبة تطرف يساري لقد كانت الغالبية الساحقة من العناصر القيادية في ح.ش.ع. تميل إلى انتهاج سياسة ثورية تفضي إلى استلام السلطة. لكن الجميع كانوا يقدسون رأي القيادة السوفياتية، وكانوا مستعدين للأخذ بها علمياً حتى وان لم يقنعوا بها، فيما كانت القيادة السوفيتية تشجع فقط على دعم نظام قاسم وليس على انتزاع السلطة للشيوعين انفسهم». ثم يقول: «وهكذا فان قيادة الحزب السوفيتي تشارك بقسط كبير في تحمل المسؤولية عن دفع ح.ش.ع. على الانحراف اليميني وبالتالي عن اضاعة الفرصة التأريخية امام السيوعيين في عهد قاسم». (راجع١٨).

هكذا انتهى الحزب الشيوعي العراقي في مستنقع التبعية ففقد ثقة الشعب وانتهى بتسليم اعضائه الى قصر النهاية حالما سيطر البعث الفاشي على الحكم في ١٩٦٣/٢/٨.

والظاهر ان بهاء الدين نوري، عضو المكتب السياسي سنة١٩٦٠، كان له بعض العطف تجاه الحزب الشيوعي الصيني، فنشر في جريدة اتحاد الشعب في الفترة بين٨و١٨ مايس الترجمة العربية لمقال «تحيا اللينينية» للحزب الصيني، علماً ان الحزب العراقي كان

على علم بوجود خلاف بين الحزبين الصيني والسوفياتي منذ١٩٥٧ حين حضر عامر عبدالله وجمال الحيدري موسكو، كما ذكر اعلاه، اذ اجتمعت في تلك السنة وفود من الاحزاب الشيوعية العالمية هناك لبحث النتائج السيئة التي احدثها المؤتمر العشرون للحزب السوفياتي. وكان ماوتسي تونغ نفسه يقود الوفد الصيني. فقيام بهاء الدين بنشر مقالة صينية خطرة فيجريدة الحزب الرسمية كان بمثابة الوقوع في الشرك فيقول:

«في تشرين الاول١٩٦٠ ارسلت على رأس وفد الحزب للمشاركة في الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية المنعقد في موسكو. ودون أي طلب او رغبة مني قرر المكتب السياسي للحزب ابقائي في الخارج (للدراسة). وفي وقت لاحق جرت تنحيتي من المسؤوليات القيادية وجمدت عضويتي في الحزب بتهمة مشاركتي في تكتل يميني مزعوم. اضافة إلى اتهامي أنا شخصياً بأني لم انفذ السياسة المرسومة، ولم انحيز بالقدر الكافي إلى جانب الرفاق السوفييت ضد الرفاق الصينيين في مناقشات الاجتماع العالمي للاحزاب الشيوعية». (راجع٢١، بهاء الدين نوري، صدى القاعدة، العدد١، السنة الاولى كانون الثاني١٩٨٩). أي ان الحزب "الشيوعي" العراقي اخذ يسير مع الحزب السوفياتي بصورة كاملة فحشر نفسه إلى الجانب السوفياتي في خلافاته مع الصينين حول الانتقال السلمي إلى الاشتراكية والقرارات التحريفية الاخرى للحزب السوفياتي المذكورة اعلاه. وقد جاء هذا الحشر من قبل الحزب العراقي في ظروف حرجة جداً بالنسبة للشعب العراقي حيث كانت ثورة الردة في مرحلة متقدمة، اذ اتفق البعث مع الناصريين والاحزاب الاسلامية والقومية الاخرى بغية قتل الشيوعيين كل يوم في الموصل وكركوك وبغداد وحين قرر الحزب الكردي لمصطفى البارزاني وجلال الطالباني حمل سلاح الشاه واسرائيل بغية اعلان العصيان المسلح ضد عبد الكريم قاسم لاسقاطه ولذبح الشيوعيين بالجملة كما حدث بعد سنتين واربعة اشهر عن اجتماع موسكو للاحزاب الشيوعية. لقد كان الحزب الشيوعي العراقي في غنى من هذه المهاترات السوفياتية التي اثرت تأثيراً سلبياً سيئاً على الشعب العراقي المصاب بخيبة الامل والتشاؤم في تلك الايام، حيث كانت مئات العوائل العراقية، الشيوعية، لا تستطيع النوم ليلاً في بيوتها خوفاً من الاغتيالات الجارية كل ليلة.

وبعد سيطرة التحريفية السوفياتية على مقدرات الحزب الشيوعي العراقي والاحزاب الاخرى التي انحازت اليها، اقترح الاتحاد السوفياتي على الشيوعيين في البلدان والعالم العربي بالاخص القيام بحل احزابهم والدخول في الاحزاب الحكومية فيقول زكي خيري،

عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي منذ١٩٥٨، وهو يتكلم عن فكرة حل الاحزاب الشيوعية:

«ووقع الشيوعيون الجزائريون في نفس الخطأ الذي وقع فيه رفاقهم المصريون اذ حلوا حزبهم تضامناً مع بن بلة». (راجع٢٢، زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، مركز الحرف العربي، الطبعة الثانية١٩٩٦، الصفحة٢٥٧). ويعلل زكي خيري هذا التصرف للحزب الجزائري بالاعتماد على بانيماريوف، عضو المكتب السياسي للحزب السوفياتي والمسؤول عن العلاقة مع الاحزاب الاجنبية، الذي قال «لأحد الرفاق العرب البارزين: لماذا تبقى في الوجود احزاب شيوعية ضعيفة التأثير على الحياة السياسية في بلادها؟ مما يثبت ان السيد بانيماريوف كان يجهل مبادئ الماركسية حول دور الاحزاب الشيوعية في تنظيم الطبقة العاملة.

وكذا الحال مع الحزب الشيوعي العراقي. فبعد اعلان حكومة عبد السلام عارف في ١٤تموز١٩٦٤ عن تأميم بعض المشاريع الاهلية بعد إعلان برنامج حزب "الاتحاد الاشتراكي العربي" لم يتوان المركز الحزبي للشيوعيين في بغداد عن اعلان الرغبة في انضمام الشيوعيين العراقيين الى صفوف هذا الحزب الجديد لعبد السلام عارف. ويقول زكي خيري (نفس المصدر٢٢ الصفحتان٢٥٧و٢٥٨): «وقد توسع في هذه الرغبة ونظر لها الاجتماع الموسع للجنة المركزية (للحزب الشيوعي العراقي) المنعقد في آب١٩٦٤ في براغ بقيادة عزيز محمد والذي انتخب عزيز محمد سكرتيراً أولاً للحزب الشيوعي العراقي. واعلن الاجتماع ضرورة توسيع اطار هذه المنظمة «الاتحاد الاشتراكي» لتشمل جميع القوى الثورية في البلاد وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي. وفي هذه الحالة يمكن للاتحاد أن يتطور في ظروف ديمقراطية واسعة ليصبح اداة لتحقيق تحالف شعبي واسع.. وان يتحول بالنتيجة إلى شكل سلطة سياسية شعبية قادرة على تطبيق برامج تقدمية جريئة تستهدف تحولات عميقة في الاقتصاد وبناء المجتمع وتنظيم الدولة». وهكذا استرسل اجتماع آب١٩٦٤ بالاوهام». أي أن الحزب الشيوعي العراقي، بكامل لجنته المركزية الموسعة ادرك منذ١٩٦٤ نهاية دوره في الحياة السياسية العراقية ونظر بصورة جدية الانضمام إلى حزب الحكومة التي كان يترأسها شخص جاهل مثل عبد السلام عارف!

ثم الح برجنيف على ضرورة مشاركة الحزب الشيوعي العراقي في حكومة الجبهة البعثية ـــ "الشيوعية" المضرة بمصلحة الشعب العراقي فيقول عامر عبدالله (راجع٢٣، مجلة الأبواب، العدد٣، دار الساقي١٩٩٤، الصفحة٢١٧) وهو يتكلم عن اجتماع اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي العراقي: «غير ان عزيز محمد مالبث ان وصل حاملاً توصية من موسكو مفادها انه ينبغي أن نتفاهم مع النظام الذي كان، في حينها يزايد بشعارات يسارية. فالسوفيات كانوا يرون ان الاتفاق هو المهم وما عداه تفاصيل، وانطباعهم كان أن البعث سيتجاوب مع مطالبنا خصوصاً أنهم يقدمون على سياسة نفطية جديدة».

وبخصوص الجبهة مع البعث الفاشي يقول باقر ابراهيم، عضو المكتب السياسي حينذاك، في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه «دراسات في الجبهة الوطنية» (راجع٢٤، الملف العراقي العدد١٠٤ لندن آب٢٠٠٠م، الصفحات٣٧-٤٠): «وبالطبع فإن الاتحاد السوفياتي مارس ضغطاً آخر على القيادة الشيوعية من أجل نصحها للتوصل إلى حلول مرنة ومقبولة لموضوعات الجبهة.. وهنا اختلف مع الذين يشجبون هذه النصائح من جانب السوفيات أو يعتبروها تدخلاً في الشؤون الداخلية للحزب الشيوعي...» مما يدل على انشقاق الاراء داخل الحزب الشيوعي حول الضغط السوفيتي. ويؤكد باقر ابراهيم على ان الحزب الشيوعي لم يكن خاضعاً للضغط السوفيتي وحده بل كان ايضاً معرضاً بين تموز١٩٦٨ وحتى اعلان الجبهة في ايلول١٩٧٣، أي لمدة خمس سنوات إلى «الكثير من الملاحقات والاغتيالات والتصفيات في قصر النهاية» إلى درجة أن «المركز القيادي في الحزب، في بغداد قد خلا لفترة غير قصيرة من اعضاء القيادة عدا بعض عناصرها وهم، زكي خيري وباقر ابراهيم وعدنان عباس ونزيهة الدليمي. وكانوا لا يستطيعون التحرك إلا بصعوبة بالغة».

يقول أيضاً: «ان موقف قيادة الحزب الحاكم، كان معروفاً ومعلناً، وليس فيه أي غموض أو التباس، وهو أن حرية الحزب بالوجود والعمل، مشروطة بالموافقة على التحالف ضمن اطار الجبهة ولا يوجد أي خيار آخر سوى التصفية».

أي أن التحريفية السوفيتية الخائنة وحدت جهودها مع البعث الفاشي لاخضاع الحزب الشيوعي العراقي واستسلامه إلى مجرم الحرب صدام حسين وجلاوزته والقبول بقيادة الفاشية وسيطرتها على الحزب التحريفي العراقي ومن ثم تصفيته.

لقد كان هدف البعث واضحاً وهو القضاء على أثر الشيوعية (حتى بشكلها التحريفي) من العراق. فيقول عادل درويش وكريكوري الكساندر في كتابهما (راجع٢٥، Adel Darwish and Gregory Alexander, Unholy Babylon, Victor Gollancz Ltd, London 1991) في الصفحة ٢٠٦:

«ولقد اقنع صدام حزب البعث على دعوة الشيوعيين لتشكيل حكومة الجبهة الوطنية وسمحت هذه الخطوة باظهار العراق وكأنه يطبق سياسة واعية ضد الغرب والتي ضمنت

معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفيتي الذي جهز السلاح لبغداد. ولكن وفي نفس اليوم الذي وقع فيه الرئيس ميثاق الوحدة الوطنية مع الشيوعيين، وزع صدام نشرة بين اعضاء جهاز حنين بعنوان «كيف نقضي على الحزب الشيوعي».

وفي خلال خمس سنوات من عمر الجبهة تمكن البعث الفاشي من كشف كافة اسرار الحزب الشيوعي والتعرف على كل عضو فيه، كما اجبر الحزب الشيوعي على التخلي عن كافة المنظمات الجماهيرية، التي لم تكن ملكاً للحزب على أي حال، مثل نقابات العمال واتحاد الطلبة والشبيبة ورابطة المراءة والجمعيات الفلاحية، واجبرهم ايضاً على حل المنظمات الشيوعية في الجيش، بل اجبر الحزب الشيوعي علي حمل السلاح البعثي للهجوم على الحزب الديمقراطي الكردي وتقديم اعضاء الحزب، دفاعاً عن الفاشية، إلى الموت، بغية قتل الاكراد. (راجع٢٦ زكي خيري، صدى السنين في كتابات شيوعي عراقي مخضرم، ١/١/١٩٩٦، ستوكهولم، الصفحتان: ٦٨,٣٦٥ وغيرهما).

وفعلاً انضَّم الحزب الشيوعي العراقي إلى هذه الجبهة المشؤومة وكانت هذه العملية جريمة كبرى بحق الشعب العراقي لا لكونها ثبتت البعث الفاشي في الحكم فحسب بل لان الحزب الشيوعي رفع سلاح البعث وقام بقتل عدد كبير من ابناء الشعب الكردي دفاعاً عن الفاشية. (للتفاصيل راجع كتابات احمد باني خيلاني، عضو اللجنة المركزية، وزكي خيري وبهاء الدين نوري في المصدر رقم٣). هكذا دخل الحزب الشيوعي في مستنقع الجريمة وفقد احترام الشعب العراقي إلى الأبد. ثم أن قيام الحزب بتسليم نقابات العمال والمنظمات الجماهيرية إلى الحكومة افقده جماهيره فاضطر قادة الحزب إلى مغادرة العراق إلى الاتحاد السوفياتي وثم إلى البلدان الاستعمارية. اما الباقون فقد تمت تصفيتهم أو طردهم من العراق. ويؤكد باقر ابراهيم على تصفية الحزب ويصفها بـــ«الهجرة الشاملة... وتم تحويل الحزب إلى حزب مهاجر لتنفيذ هذه الوجهة، ومعها قطعت عملياً، كل الجسور مع الداخل...» (نفس المصدر٢٤).

أي كان البعث بحاجة إلى خمس سنوات للقضاء على الحزب فدخل في الجبهة لاتمام مهمته وليس لتحقيق اية مصلحة وطنية او قومية او تقدمية بينما تمكنت التحريفية البرجنيفية المجرمة باستغلال جهل قادة الحزب التحريفي العراقي وتقديم الحزب كعربون إلى البعث بغية الحصول على صفقات بيع الاسلحة إلى البعث الفاشي ونيل الملايين من الدولارات البترولية وهذا ما حدث!، بينما يعتقد باقر ابراهيم «ان الجبهة قد استبعدت التصفية المبكرة لحزب طيلة السنوات الخميس المذكورة» ولهذا «تم القبول بخير الشرين»

(نفس المصدر٢٤) بل اسوأ الشرين، ذلك لأن الجبهة انتهت «بتصفية» الحزب الشيوعي العراقي بصورة كلية وتحويله «إلى حزب مهاجر» في اوربا إلى درجة ان اضطر الحزب إلى ربط مساعيه «لمواصلة هذه السياسة بتعليق الآمال على القوى الخارجية المعادية وعلى «حلولها» وتأييد الحصار والعدوان الامبريالي المستمر على العراق». (نفس المصدر٢٤). وكنتيجة مباشرة للسير وراء التحريفية السوفيتية ودخول الجبهة التي ادت إلى «الهجرة الشاملة» قام الحزب التحريفي العراقي بتأييد القوات "المتحالفة" في قصف العراق عن طريق الدخول في المؤتمر "الوطني" لاحمد الجلبي وتأييد الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي المنكوب وذلك منذ يوم اعلانه في٥/٨/١٩٩٠ حتى مؤتمر الحزب في١٩٩٧.

لايمكن تفسير ما قام به الحزب الشيوعي بأية طريقة منطقية سوى انه كان ينال الملايين من الدولارات من الحزب السوفياتي بعد ان جعل من نفسه عميلاً للتحريفية المعاصرة. ففي تصريح لاناتول سميرنوف، الموظف في اللجنة المركزية للحزب السوفياتي، إلى مجلة الوسط اللندنية، (راجع٢٧ العدد١٥ في١١/٥/١٩٩٢) يقول بأن «الحزب الشيوعي العراقي كان يستلم ٣٥٠ ألف دولار سنوياً من الحزب السوفياتي وقد بلغ مجموع ما استلمه الحزب العراقي ٤,٢ مليون دولار، بما في ذلك ما قبضه عزيز محمد شخصياً والبالغ ٥٥,٧٤٩دولار في٢٤/٢/١٩٨٧ ومئة الف دولار اخرى في١٢/٩/١٩٨٨».

ان ماورد اعلاه من الحقائق التي قدم معظمها قادة الحزب الشيوعي العراقي انفسهم يثبت لنا بان التحريفية السوفياتية المعاصرة لعبت دوراً كبيراً في خلق المصائب المدمرة للشعب العراقي المظلوم. وبالطبع اشترك الحزب الشيوعي العراقي في تنفيذها وتقع عليه وعلى كافة اعضائه مسؤولية كبيرة ايضاً.

استمرت جرائم التحريفية السوفيتية بحق الشعب العراقي حتى يوم سقوطها في نهاية ١٩٩١، اذ شاركت حكومة غورباجيف، في مجلس الامن بكل حماس البلدان الاستعمارية الغربية، والانكلو ــ امريكية بصورة خاصة، في فرض كافة القرارات المجحفة بحق الشعب العراقي المنكوب، بما في ذلك قرار الحصار الاقتصادي دون قيد أو شرط والقرار٦٨٧ الذي جرد السيادة السياسية والاقتصادية من الشعب العراقي المنكبوب. وقد ايد الحزب الشيوعي العراقي الحكومة السوفيتية حتى النهاية بحجة الديمقراطية والتعددية والبريسترويكا وكلاسنوست. ولهذا فقد هذا الحزب احترام الشعب بصورة كلية.

ما الثورة الدينية؟
«قراءة في كتاب ما الثورة الدينية؟ لدرويش شيخان»

• الدكتور وائل غالي

أوجز القرن العشرون تاريخ الإنسانية في نوعين من التمرد على الواقع: التمرد اللاديني والتمرد الديني..

وأحياناً ما كان الاثنان يتبادلان المواقع في الوقائع وقد برز في القرن الحادي والعشرين نوع ثالث مركب من التمرد والتحرر وقيود الواقع.

وقد لا يبرز من الأكيد أن التمردين قد كشفا عن عيوب وسلبيات جوهرية لم تعد غائبة حتى عن الأنصار وفي هذا البحث استعراض للجانب السالب أكثر من الجانب الموجب ذلك أن السالب وإبرازه إلى التحليل هو بداية التركيب الممكن اللاحق بل لابد من إعادة النظر الجذري في فكرة التركيب والتأليف لأن العالم والإنسان قد أصبحا في القرن الجديد أكثر تعقيداً وأكثر عمقاً من الإجراءات والأدوات التي كانت سائدة طوال الألفية الثانية من تاريخ الإنسانية ونحن في حاجة أكثر من غيرنا إلى إبداع مقولاتنا وتصوراتنا دون الانفصال عن العالم ودون الانفصال عن أنفسنا في آن، وفي الحاجة التي قد تظل تطاردنا إلى زمن قادم طويل.

إن الزلزال العميق الذي أحدثته الثورة الإيرانية في مجال الفكر والقيم والعادات دفعت لإعادة النظر في العلاقات بين الحضارات. وأثارت الأسئلة: هل الحضارات عوالم متضاربة جغرافياً؟ وهل تنتمي إلى ثقافات مختلفة؟ هل هي أقطاب متشابكة الواحد في الآخر؟

وكيف نخلق تصورات متداخلة؟ ثم ماذا تعني الثورة الإسلامية؟ ماذا يعني هذان المصطلحان؟ حين نثير فكرة الثورة، فنحن نستحضر مجموعة من الأفكار، نتذكر الثورة الفرنسية وعصر التنوير وإعلان حقوق الإنسان، ثم نتذكر نابليون بونابرت (عقل العالم) القادم على حصان أبيض، نستحضر الضرورة التاريخية.

وأما فلسفياً، ففكرة الثورة تستعيد القوى السلبية، ماذا يعني مصطلح الإسلام؟ هل تعني هذه الكلمة: الخضوع إلى الإرادة الإلهية؟ القرآن؟ ظاهرة الكتاب المقدس؟ الاكتشاف. الذهن النبوي؟ إن دورة النبوة تدور في ذهننا منذ آدم والإنسان الأول. فقد خلق في صورة الإله، وذلك حتى محمد (ص) على هذا الأساس هناك حدث يجري في ما بعد التاريخ هو عبارة عن تحالف إنساني مع الإله.

إن هذين المصطلحين، الثورة من جهة والإسلام من جهة أخرى، ينطويان على ملامح أنطولوجية، وهي تكون المحور المركزي للصراع الفكري العربي والإسلامي والدولي منذ (عهد الثورة الاسلامية)، هل نعود إلى قيم أخرى تولّد نوعاً جديداً من الهارموني؟ والفرق بين هذين المحورين هو الأساس في التعارض بين العالمين، أي الإسلام والثورة.

فهو ليس تنافراً في الآراء أو المنهج ولكنه فرق أساسي في إعادة الدين إلى الإنسان والدنيا إلى نفسها، ثم إن هناك سؤال آخر يفرض نفسه وهو: ماذا عن الفكر الغربي الذي لا يتوقف عند حدوده الجغرافية ويعبر القارات الأخرى حتى أصبحت هذه القارات نطاقاً لفكر (كوكبي) يمثل كل شيء في حياتنا الخاصة، كما في حياتنا العامة، في عبارة (الثورة الإسلامية) أي من المصطلحين الأكثر فاعلية والأكثر تعريفاً؟ الثورة أم الإسلام هل الدين هو الذي يتغير إلى الثورة؟ أم العكس؟ وفي هذه الحالة هل تصنع الديانة انتماء؟ وبمعنى آخر، كيف تمثل ديانة ما أيديولوجية سياسية معينة؟ ليست الثورة هي التي تحولت إلى إسلام، ولكن الإسلام -إسلام البعض- هو الذي تحول من دين ودنيا إلى دين وأديولوجيا.

وهو -إسلام البعض أحياناً- قد زعم أنه دخل التاريخ لمحاربة الكفار، بمعنى آخر ظهر كأيديولوجيا منافسة للأيديولوجيا اليسارية وما فعله محمد أنور السادات في مطلع السبعينيات دليل تاريخي على ذلك ومن هنا فالإسلام في مأزق وهو المأزق الذي تشير إليه صورته في الغرب، ولكن تبقى هناك عدة أسئلة ملحة من بينها السؤال الجوهري: لماذا لا

تجد الثقافات الأخرى البعيدة عن التاريخ الغربي مخرجاً غير اللجوء إلى قواعد اللعبة الغربية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وتلك استحضر تحليلات الفيلسوف الإيراني المعاصر (درويش شيجان) ١٩٣٦ وأناقش أطروحته كما وردت في كتابه (ما الثورة الدينية) وهو الكتاب الذي كان قد صدر في عام ١٩٨٢ في باريس في فرنسا عن دار مطبوعات اليوم للنشر في اللغة الفرنسية.

وقد كان أستاذاً للغة الهندية وآدابها والفلسفة المقارنة في جامعة طهران في إيران، وكان مديراً للمركز الإيراني لدراسة الحضارات، وهو تلميذ في مدرسة هنري كوربان (١٩٠٣- ١٩٧٨) الفلسفية الاستشراقية وقد كانت مهمة هنري كوربان الأساسية أن ينشر ويترجم ويفسر النصوص المجهولة في الغنوص الإسماعيلي والإسلام الإيراني بخاصة.

وكانت هذه المهمة –في منظور كوربان– تتطابق مع المصدر الأصلي للسياق الفلسفي واللاهوتي الغربي وكان السؤال المركزي: كيف ينمو الوجود الإنساني الخاص بالمؤمن؟ وكانت إجابة هنري كوربان أن خاصية المؤمن قد هزمه البعث، فالمحور الرئيسي في كل فلسفلة عند هنري كوبان هو (البعث) وهو البعث الذي يجده عند كارل بارت والسهروردي والمولى شيرازي.

وفي كتابه (ما الثورة الدينية؟) حاول درويش شيجان أن يقف على الجذور الفلسفية الدفينة للثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. وقال: إن هناك قطاعاً عريضاً من الإنسانية لم يدخل الأفق الثقافي الذي فتحه عصر العلم والتكنولوجيا. ولم يعرف هذا القطاع العريض العلوم الطبيعية، أو التقدم، أو الأزمات التي خلقها السقوط الميتافيزيقى الغربي. كذلك لم يعش الحلول التي نتجت عنه. فهذه الإنسانية العريضة لم تشارك في حركة التاريخ بسبب الاستعمار. لكن هل التغريب هو السبب الآخر في ذلك؟

يستحضر درويش شيجان مخطوطات ١٨٤٤ أي مخطوطات، ماركس ما قبل ماركس - حيث يقول كارل ماركس ان لودفيج فويرباخ هو الذي اتجه الاتجاه الجاد والنقدي لجدل جيورج فيليهيم فريدريش هيجل، وإن همه الأساسي يقع أولاً في أنه - أي فويرباخ قد برهن على أن الفلسفة - في معنى هيجل - ليست إلا ديانة متطورة في الفكرة.

ثانيا، إنه مؤسس المادية الحقيقية والعلم الحقيقي والمبدأ الحقيقي للفلسفة، يقول ماركس إن نفي الإنسان هو الجوهر. ونفي الجوهر هو التصور. وإلغاء التصور هو الفكرة المطلقة. ولكن ما هي الفكرة المطلقة؟ كيف يمكن أن تتخلى الفكرة عن نفسها؟ يستخلص ماركس - حسبما يرى شيجان - أن كل هذه التحولات للمنطق - عند هيجل - في الفلسفة الطبيعية ليست إلا الانتقال من التجريد إلى التأمل. وهو تحول صعب لكل مفكر مجرد.

كذلك يرى ماركس أن هيجل يرى أن العمل الوحيد الحقيقي الذي عرفه ويعترف به هو العمل المجرد للذهن. بينما يقول كارل ماركس: إن الإنسان كائن طبيعي في المقام الأول. وهو كائن وشيء، في الوقت نفسه. ويتفاعل في النهاية بشكل ملموس. ولا يمكن أن يتفاعل بشكل آخر إلا إذا كانت الطبيعة بالنسبة للإنسان (طبيعة انثربولوجية). فإذا نظرنا إلى الشمس أنها شيء بالنسبة لزهرة تؤمن لها الحياة، فليست الزهرة شيء بالنسبة للشمس التي تعبر بدورها عن القوة الخلاقة للحياة.

ومن هنا يتوصل درويش شيجان إلى أنه ليست هناك أشياء نقية. ثانياً، أن العلاقة بين الشيء والطبيعة هي التي تحدد طبيعة علاقات الإنتاج.

ثالثا وأخيرا أن هذا الجدل هو الحقيقة التاريخية لطبيعة الإنسان ومن هنا أمكن تفسير هذه النقاط قبل ان يصل إلى الطريقة التي عرف بها ماركس الحضارات غير الغربية. إذا اكتشف الكائن نفسه واعتبرها عملية مجردة للذهن وأنها نشاط إنساني، يتبع من ذلك أن أساس الكائن هو النشاط الملموس. ويتبين أن النشاط الملموس هو الذي يضم الإنسان والطبيعة معا. هذا النشاط يسميه ماركس - حسبما يقول درويش شيجان - البرا كسيس. وهى في النهاية الوساطة الجدلية بين الإنسان الطبيعي والطبيعة الأنثربولوجية. وهي تعمل بشكل أن تحول العالم يعني تحول الإنسان نفسه. ويضيف ماركس في كتابه (رأس المال) حسبما يورد درويش شيجان - إن العمل هو فعل الإنسان على الطبيعة. والإنسان نفسه يلعب دور القوة الطبيعية في مواجهة الطبيعة. فالقوة التي تتمثل في الأيدي، الساق، الرأس يضعه في حركة تكون المادة مفيدة لحياته. في الوقت نفسه الذي تتفاعل الحركة مع الطبيعة الخارجية ويعيد تشكيلها، فهو في الواقع يغير من طبيعته الخاصة. إن الطبيعة الإنسانية والوعي هما بالتأكيد الجزء المكمل للطبيعة نفسها.

ويشغل مكانة أساسية باعتباره براكسيس. وهذه البراكسيس جدلية في جوهرها. وهي التي تخلق علاقات الإنتاج. وهذا العمل المكمل للطبيعة هو الذي يربط بين الذات والموضوع. ويعرف علاقات الإنتاج. كما أن ذلك ينعكس في الوعي. والإنسان - الموضوع في النشاط الملموس هو الذي يحدد الوعي. فجوهر الإنسان كما يقول ماركس في أطروحته السادسة عن فويرباخ، ليس تجريد الإنسان المنعزل. في الواقع هو مجموعة علاقات اجتماعية. هذه المجموعة تكون قاعدة الجوهر الإنساني. فإذا كانت البنية التحتية لكل المجتمعات يمكن أن تنشط من طريق البنية الفوقية - أي من طريق الأيديولوجيا - فالخيال ليس إلا الظروف المادية المعكوسة والمترجمة بداخل فكر الإنسان. وكلما كان النسق الاجتماعي — السياسي وعلاقات الإنتاج متساوية، تبقى المجتمعات ثابتة بشرط أن تصبح القوة الجديدة المنتجة المتحررة من هذا التوازن الجديد غير متسقة مع علاقات الإنتاج. فيظهر السقوط أو الثورة والتحول من المهنة اليدوية المانيفاكتورة، ثم من هذه الأخيرة إلى الصناعات الكبيرة. وحسب أراء فريدريش إنجلز كل الصراعات كان محورها الأساسي الربح الاقتصادي. كلما ابتعدت الأيديولوجيا عن القاعدة الاقتصادية، كلما ترجمت إلى ديانة أو فلسفة بسبب (المحطات — الوسيطة)، والترابط الموجود بين الشكل والوضع الاقتصادي -الاجتماعي.

ومن كل هذا أمكن درويش شيجان أن يستشف أن عملية (التخفي) هي التي تخلق الوعي الأيديولوجي الزائف. وإذا كان هناك صراع طبقات لأنه يوجد علاقات إنتاج، ويوجد علاقات إنتاج لأنه توجد براكسيس فإن البراكسيس تبدو كذبذبة مستمرة بين الطبيعة والإنسان. والبراكسيس تنبع في النهاية من وضع إنتوبيولوجي لنوع الإنسان الذي- عبر نشاطه الملموس في الطبيعة - أنتج التاريخ. فالإنسان يحقق جوهره في التاريخ. وهذا الجوهر هو السبب الأساسي في كل الخسائر وأزمنة الثورات التي تأسست عليها المجتمعات. ويقول كارل ماركس: إن المجتمع البرجوازي هو المنظمة التاريخية للإنتاج الأكثر تطورا واختلافاً، وإن الفئات التي تعبر عن هذه الأوضاع هي التي تسمح في الوقت نفسه بفهم البنية وعلاقات الإنتاج لكل نماذج المجتمعات التي اختفت نتيجة الإفلاس الأيديولوجي.

إن تشريح الإنسان هو مفتاح لتشريح القرد. ومن هنا يستخلص درويش شيجان أن التاريخ طبيعي مثل الطبيعة التاريخية. وبين مراحل تطور هذين العنصرين والذي لا يمكن

تفرقتهما، ليس هناك فرق نوعي. وهذا الاتجاه يتطلب مراجعة الماضي على ضوء الحاضر. وذلك بدقة تسمح للفكر بعملية (المطابقة). فليست مصادفة أن منح انجلز ماركس لقب (داروين التاريخ).

ومن هنا كان تعليق حنا أرند. ومن هنا كان تقويمها ليس فقط العمل الحقيقي ولكن المواقف الفلسفية الأساسية لماركس وانجلز. كان من المعروف أن حركة التاريخ والطبيعة يمثلان حركة واحدة. وبالنسبة لماركس، فالعمل ليس قوى تاريخية وحسب ولكن أيضاً هو قوى طبيعية بيولوجية محررة. وعملية التاريخ هي ثورة على القاعدة المادية. وترتكز رؤية الإنسان على هذه القاعدة. وفي محاولة لنقد الموقف الديني عند فويرباخ ينتهي ماركس إلى الأطروحة الرابعة حول فويرباخ بالقول بأن عملية ازدواج العالم نفسه إلى عالم ديني وآخر واقعي لا تؤدى إلى أي حل منطقي. ومن هنا يصبح هناك ضرورة حتمية للممارسة بمعنى أن مسألة معرفة ما إذا كان الفكر الإنساني يمكن أن يتوصل إلى حقيقة موضوعية إنما هي ليست مسألة نظرية ولكن هي مسألة ممارسة. وذلك كما هو وارد في الأطروحة الثانية حول فويرباخ . فالحقيقة لا تنبع من النظرية حيث إن وجهة النظر هذه تقودنا إلى الأيديولوجيات حيث يقيم الإنسان بطريقة استاتيكية كإعكاس للمعرفة المجردة والغريبة عن البراكسيس.

ويضيف البعض حول موضوع نظرية المعرفة في العصور القديمة والعصور الوسطى أنه لم يكن هناك تفكير حول النشاط أو أن النشاط في شكله البرجوازي والمجرد كان معزولاً عن الهدف أو الموضوع. وما حققه الفلاسفة على مدار التاريخ هو أساسا تفسير العالم بطرق مختلفة. ولكن الأهم هو: كيف يمكن تغييره؟ وهذا هو ما توصل إليه ماركس. فتحول العالم يعنى الثورة، بمعنى إسقاط النظام وإلغاء التناقضات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والتي هي مصدر الأيديولوجيا للطبقات السائدة.

وإذا كان درويش شيجان قد أطال الحديث حول تصور الإنثربولوجيا عند كارل ماركس واستخلص الإشكالية الفلسفية لفكره، فإن ذلك كان بهدف بيان علاقة ماركس بالفلسفة الغربية بعامة، وبهيجل والمثالية الألمانية بخاصة.

وقد أراد درويش شيجان أن يقول: ليست الأطروحات النظرية لدى ماركس هي التي ظهرت في التاريخ ولكن الذي ظهر هو شكل من الماركسية الدوجماطيقية المستوحاة من اللينينية – الماركسية التي في أحسن حال بانت في البيان الشيوعي في طابع النبوة: (إن

تاريخ المجتمعات حتى يومنا هذا، هو تاريخ صراع الطبقات). وبدا مذهبا وأصبح المفتاح السحري لكل التفسيرات. وأصبح هناك عدة نتائج ايديولوجية مباشرة: البرجوازي هو رمز القوى، والبروليتاريا رمز الملاك المحرر والثورة هي القيام من الأموات والمجتمع بدون طبقات هي اللجنة المفقودة. وهكذا تقترن الرومانسية الثورية باتجاه نضالي. والفكرة الشائعة أن الفلسفة لا يمكن أن تنفى بدون تحقيقها ولا يمكن تحقيقها بدون نفيها تمثل شكلاً من أشكال الأمل. فشكل الماركسية المستوحاة من الثورات وصراع الطبقات، تحمل على الاعتقاد بأن أي تقدم ينبع من النقلاب الاجتماعي هكذا قامت مكونات العقل في زماننا، ثم البنية التحتية بداخل إطار العادات والتيارات السياسية والدينية والعلمانية التي تحاول التكامل في الإطار الاجتماعي- السياسي.

وتتجه بعض التيارات في الحضارات التقليدية ضد الغرب. فتنطلق من المذاهب المتطرفة أو باسم العادات الدينية. وهذه العادات بدأت في الظهور إما في شكل سياسي أو حتى فلسفي. ومن خلال المنظور السوسيولوجي يحاول درويش شيجان تفسير القيم التي في جوهرها تخرج عن البراكسيس الاجتماعي - الاقتصادي. فطوباوية المجتمع الموحد (أي بدون طبقات) هو الإطار الثابت للثورة سوا، أكانت هندية أم بوذية أم صينية أم إسلامية. فإذا دخل هذا الإطار في البنية التحتية الأيديولوجية في زماننا خضع إلى قوانين أخرى إلى الإطار الديني الذي كان ينتمي إليه في البداية. وبداخل هذا الإطار، يمكن أن يكتسب المضمون التقليدي صدى جديداً لا معنى جديداً. ويمكن أن تكون الأفكار المتداخلة أصلية. قد تكون دينية في البداية. ثم تدخل في شكل أيديولوجي. إن أسباب هذا التدرج يعدها درويش شيجان كثيرة ويذكر منها ثلاثة:

أولاً: هو يذكر أن أشكال الأفكار لا تظهر في شكلها الأساسي وإنما في الشكل المتطرف. فمثلا حين أصبح اليسار الحقيقة الجاهزة الماركسية أو الثابت الماركس اللينيني اللاإنساني فهو ارتبط بالمثالية الألمانية.

ثانياً: الأشكال المعروضة تكون بنى أيديولوجية.

ثالثاً: كل هذه الأشكال المجردة من النقد، تؤذن في الوقت نفسه بالتدخل والتفسير الديني. ومن هنا تخلق شكلاً فلسفيا جديداً. ومن خلال هذا الشكل الفلسفي هل تندرج عملية التغريب؟ ومن جهة أخرى، فإن نقطة التلاقي للشكل السائد هل هو التغريب؟ فهو يقتصر على الفكر العربي. ويتخفى بالإبهار الذي يمارسه على العقل والمضمون الحقيقي

للأفكار التقليدية. تصير وصية الماضي بالنسبة للشكل الفلسفي السائد مادة غير فعالة. وإذا كان تدخل الحرية والديمقراطية والجمهورية وحقوق الإنسان هي الفتوحات الممنوعة في الحضارات التقليدية والتي في طريقها إلى التمذهب فان الحلول التي تقترحها لا تقتصر فقط على علاج البؤساء في زماننا، ولكنها تخلق أيضاً إنساناً جديًدا في مجتمع مجرد من الصراع الاجتماعي. ولهذا السبب البسيط بدا كل شيء مسبقاً ومكتوباً في الكتب المقدسة. فمضمون الكتاب المقدسة لا يستطيع بهذا المنطق إثباتها إلا إذا أشبع الاحتياج المادي والروحي في الوقت الراهن. والإشباع يتم أكثر من أي مدرسة أو مذهب آخر. كذلك التقاليد - بالقياس لهذه الأفكار المعروفة - في المنطق نفسه. ومنها تدخل في صراع الأيديولوجيا. وتصبح هي نفسها مذهباً جديداً. وبمعنى أخر، تتعارض المبادئ التي تبرهن في التحليل الأخير على ضرورة التقاليد. وإذا كانت الايدولوجيا تميلُ إلى تقديس الأفكار القديمة، فالأديان المناضلة تحافظ على أعرق الأفكار المقدسة.

وكان ماكس هوركهايمر قد سبق أن قال: يوجد اتجاه عام لإحياء النظريات القديمة بغرض تأصيل فلسفي للتراتبية. ولكن التحول من العقل الموضوعي إلى العقل الذاتي بتعبيرات هيجل —لا يؤدي إلى صدام، وإن كان العقل الذاتي قد أخفى القاعدة الفلسفية للمعتقدات الدينية التي تكون جزءا أساسيا من الثقافة الغربية. وإذا كانت هذه القاعدة ضعيفة ، فهذا معناه أن الإنسان قد قام بتحول ثقافي. وكان من المفروض أن يقوده إلى غزو العالم من طريق خلق اتصال كوكبي. وهذا يعني أن جدلية هذه الأديان القديمة بالنسبة لانبثاق الإنسان الجديد لم تكن إلا حواراً للإنسان مع نفسه. ومن خلال موضوعية العالم الديني ليس هناك غير النتيجة التالية وهي: سقوط المقدسات في حضن التاريخ والخلاصة أن كل الأوهام تقع في البنية الأيديولوجية وأقرب مثال أو نموذج لهذا الوعي الزائف هو على شريعتي. وهو من أهم منظري الثورة الإيرانية الإسلامية.

أفكار علي شريعتي:

يقول درويش شيجان إن على شريعتي هو مفكر النموذج الأيديولوجي الذي أراد تحويل أفكار الشيعة إلى قوة تاريخية. ومشروعه هو استحضار البعد الأيديولوجي في مواجهة التحدي الغربي، فضلاً عن أن الايدولوجيا رؤية للعالم ومحاولة للرد على التساؤلات التالية: كيف أنت؟ ماذا تفعل؟ ماذا نفعل؟ كل هذه القضايا تتلخص في: ما هو العمل والفعل؟ كيف يمكن تغيير النظام القمعي القائم؟ كيف يمكن التحضير للثورة

العالمية؟ بالنسبة لعلى شريعتى من الضروري أن نفصل بين الايدولوجيا والثقافة. لأنه يرى أنه إذا كانت الثقافة لا تفعل سوى أنها تقدم أية الله، فبالمثل تحضر الأيديولوجيا مناضلين دينيين المجاهدين، أي المقاتلين وليس الفلاسفة أو العلماء أو أساتذة الجامعة. إنه يرسم خريطة للفكر والمعتقدات الدينية يرى فيها المسلم الواعي الإسلام حاملا صورة الإسلام في ذهنه. لا تقتصر على كونها معتقدات دينية ولكنها أيضاً مدرسة للفكر الأيديولوجى. وبالنسبة لشريعتى كذلك، الإيمان الحقيقي هو الانتماء إلى مدرسة لها فكر معين. وهى بالتالي الموازى لأيديولوجيا أو محور أساسي ترتكز عليه المعتقدات، أي الأيديولوجيا. إن البنية التحتية - حسب أراء شريعتي - هي في الواقع (رؤية للعالم)، سواء، أكانت ماركسية أم مادية أم وضعية أم دينية. كذلك كل فكر (طائفي) هو أيديولوجيا مناضلة. وكل بنية تحتية رؤية للعالم. وأن يكون الإنسان بدون (رؤية للعالم) يعنى أن يكون بدون حماية ذهنية وأن يكون بدون رباط. فـ (رؤية العالم) هي محاولة لتفسير الكائن. وهي، في الأيديولوجيا الإسلامية، الرؤية التوحيدية. وترتكز هذه الرؤية للعالم على ثلاثة أعمدة: الإنسان وهو المحور المركزي- والتاريخ والمجتمع. والثلاثة الأعمدة تكون البنية الفوقية الأيديولوجية. وفي محاولة لإثبات العلاقة بين رؤية العالم والأيديولوجيا، دلل علي شريعتي على ذلك بعمر الخيام واستخلص من فكره أنه -أي عمر الخيام - انعكاس ايديولوجى لرؤية العالم.

هناك إذن ثلاثة أعمدة تقوم عليها أيديولوجية علي شريعتي - حسبما يحلل درويش شيجان - هي الإنسان والتاريخ والمجتمع. أولا يتضمن تصور الإنسان عند علي شريعتي الأسطورة الإسلامية وبعضا من فلسفة هيجل. ويعتقد علي شريعتي أن الإنسان كائن يعيش في المنفى. وذلك بمعنى أنه إنسان يعيش خارج الجنة. ويتجمع فيه عملية جدلية تجري بين الأرض والذهن. ثانياً، أين يبدأ التاريخ؟ فإذا كان أدم هو النموذج الأصلي (الأسطوري) للإنسانية وتركيب القوى المتعارضة، ورمز السقوط الزمني، في التاريخ، يبدأ كل ذلك مع الجيل الأول لآدم، ومع كفاح الولدين هابيل وقابيل. فقتل هابيل يعتبر اللا عدل والمحرك الأول للحركة التاريخية ككل. فهو يعتبر أساس اللامساواة والمعارضة والصراعات. ويضع في الاعتبار كل القوى التي تكون أساس فلسفة التاريخ. في الوقت نفسه تعارض الصراعات أنظمة المجتمع: النظام الزراعي والنظام الرعوي. إن التاريخ كما يقول شريعتى هو مسرح للمعركة بين معسكر قابيل ومعسكر هابيل. وعندما نتأمل

الحرب بين القاتل والمقتول، بين القامع والمقموع، فإننا نتأمل تحول النظام الزراعي للملكية الخاصة على المدى البعيد إلي الشيوعية البدائية الرعوية. ويختفي الإيمان ولا يبقى إلا نظام قابيل.

ثالثاً، وبالنسبة للمجتمع، فهو لا يعرف غير البنية التحتية التي تتمثل في قابيل وهابيل اللذين بدورهما يكونان التاريخ. وينتج عن هذا بنيتان تحتيتان متحركتان في التاريخ: البنية الماركسية، الإقطاعية، البرجوازية، الرأسمالية. وهو لا يعتبر غير البنية التحتية الأيديولوجية التي ترتكز على قطبي التناقض والبدائية، قطب قابيل لم يتضمن ثلاثة وجو ه: (السلطة السياسية المطلقة، السلطة الاقتصادية والاستغلال، والسلطة الدينية).

وفى مواجهة هذا القطب يتعارض القطب الهابيلى. والله مع الشعب حسب القرآن: (الشعب هو عائلة الله). ومن ثم تنتمي الحكومة إلى الشعب كممثل لله لا المدعين بالتمثيل السياسي. كذلك فالدين هو قضية الشعب وليس احتكار مؤسسة مثل الكنيسة. إن كلمة الشعب أو الناس لها معنى عميق ومتميز في الإسلام. لأن ليس هناك غير الشعب الممثل الوحيد لله ولعائلته. ومن هنا يركز على شريعتي على أن كلمة الناس هي كلمة مفردة ولكن لها معنى جمعي. إن القرآن يبدأ بالإلهية. وينتهي بالناس كما هو عند هيجل. العقل المطلق هو الذي يتجسد في الروح البروسية. فالمجتمع يتجسد في الناس. هو التصور الذي يعترف به القرآن بعد الإلهية. يستمر في عرض وجهة نظره فيقول: إن المعركة بين قابيل وهابيل هي المعركة نفسها القائمة بين عبادة الأوثان والديانة الموحدة. وهذا الصراع سوف يستمر حتى نهاية الأزمنة. والسقوط بدون عودة يختلط مع الثورة العالمية. فالنتيجة هي إقامة العدل والمساواة.

والانقلاب يقود إليه التاريخ من طريق الحتمية. بالنسبة لعلي شريعتي، الفلسفة الشيعية هي فلسفة التاريخ وفلسفة جميع فرق الإسلام. ويتحتم على الشيعة أن ترتكز رؤيتهم على التاريخ وفلسفة التاريخ وأن تؤمن بحتمية التاريخ والانقلابات التي بدأها الأنبياء تستمر كذلك بعد الأنبياء قام الأئمة بالوظيفة حتى الإمام الثاني عشر أيضاً يتوجب على الإنسان المنتمي أن يتتبع قضية النبوة حتى الثورة العالمية التي تنقلب على نظام قابيل وتقيم العدالة.

إن نبي الإسلام –حسب آراء علي شريعتي– كان له مهمتان هما إبلاغ الرسالة وتأسيس الأمة. فالأولى قد انتهت. والثانية كان يجب أن تحقق في الثلاثة قرون التي أعقبت توالي الأئمة الاثني عشر. ولكن مساء التاريخ يتغير. وسار في طريقين مختلفين لكن هل

صحيح أن السنة ديانة طبقة الحكام، بينما الشيعة بالعكس تبقى ديانة المحكومين والمقموعين؟ والأول كان إسلام الخليفة: القمع والاستغلال. والثاني كان إسلام العدالة والحرية. انتصر الخليفة في التاريخ. ولم يستطع الإمام أن يحقق ذاته التاريخية، ويضيف علي شريعتي أن العصر الذي نعيشه يقع ما بين (الاحتجاب الأكبر) وعودة الإمام الخفي.

أين الحرية إذن في إسلام شريعتي؟ فهي فترة المسؤولية المباشرة للشعب والتي ينتخب فيها الشعب ممثلاً: الإمام الخفي. وكيف يجيء عصر الحرية القادمة في إطار الحتمية التاريخية؟ الهدف النهائي هو الانقلاب على التميز الاجتماعي. ومن الطبيعي أن يتم ذلك من طريق انتفاضة الشعب ضد الأقوياء في ثورة عالمية. الإحياء يعود بمعنى أن الإمام الموعود والمنتظر والمصلح هو باعث العدالة ومحرر شعوب العالم.

وهو -في الحقيقة- هو الذي ينتظرنا، الثورة تسبق الإحياء. ويجب الإمام بما أن انتظاره ليس إلا الانتفاضة: إن هذا الانتظار هو الفتنة التي تعتبر اجتماعياً ثورة عالمية، ولكن هنا أيضاً -مثال للخلط بين الأسطورة والتاريخ- فهي ثورة تختلط مع العودة. إن الشيعة عند علي شريعتي هي إذن الشيعة الممزوجة بطوباوية ثورية. أما فيما يتعلق بمعنى الإسلام والذي يعني -في منظور درويش شيجان- الخضوع للإرادة الإلهية يقيم علي شريعتي الخضوع على شكل من أشكال العبودية. ولكن هذا لا يعني الثورة ضد نظام قابيل؟ فالإسلام ثورة ضد كل الانحرافات والقمع ورفض النظام القمعي ملمح من الطاعة نفسها، وبالتالي يجب الخضوع إلى الرب وفي الوقت نفسه يجب معارضة أي نظام قمعي.

إن هذه الأفكار -حسبما يحلل درويش شيجان- تفسر وبدون شك وجهة النظر الأساسية لشريعتي. وقد تركت أثراً كبيراً في الشباب.ولعبت دوراً أساسياً في الثورة الإيرانية، وأمكن درويش شيجان اختبار وجهات النظر هذه في ضوء السياق المقارن كالتالي:

أولاً: إن فكر شريعتي يمثل فكراً أيديولوجياً بالمعنى الكامل للمصطلح وأمكن شيجان الكشف عن الأوهام الخاصة بالبنية التحتية الأيديولوجية (وحشية) نظام قابيل -و(مثالية)- مجموعته الخاصة: النظام الهابيلي ومحاولة جمع كل الأبعاد المختلفة في وحدة واحدة كذلك في النظام الديني، السنة تتعارض مع الشيعة. وفي النظام السياسي يظهر الحكام في مواجهة المحكومين وفي النظام الاجتماعي الطبقات تتعارض مع المساواة ومن هنا يبدو الفكر ضد الجدلية وهي ليست فقط أخطاء في نقد الأسس ولكنها أيضاً الوظيفة

الرمزية للعقل تحل محلها المطابقة. ومن هنا نصل إلى أن قابيل بقي كما قال هابيل حين ناقش الأيديولوجيا أن (السبب الرئيسي والوحيد لكل ما هو سلبي في التاريخ). ثانياً إن فكر علي شريعتي مثال نموذجي للخلط بين النصوص الثقافية فهو يخلط بين الأسطورة والتاريخ فخلق آدم في القرآن الكريم (سورة البقرة الآيات من ٢٨ على ٣٢):

(هوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ).

هل هذا حدث أسطوري؟ لقد خلق آدم للأبدية كممثل للرب على الأرض. فهو الوحيد الذي قبل حسب الميثاق (الأمانات) والذي رفضه الآخرون. كل هذه الأحداث ترمز إلى فكرة الإنسان كنموذج أصلي للبشرية. وعلي شريعتي يقبل هذه الرؤية للإنسان. ولكنه يضيف أن كل إنسان تركيبة جدلية للأرض والروح. والإنسان تصل الطبيعة فيه إلى وعي النفس. وهي فكرة هيجل. وهكذا نشعر بأننا نبقى في الأسطورة. ولكن من خلال الحدث الأسطوري، يغير شريعتي أحياناً الكشف. ويعتبر موت هابيل نقطة بداية في التاريخ. ويدخل بكل قوة في التخطيط التاريخي. ولقد تحولت الأسطورة تاريخيا ليس بسبب المقدسات- ولكن بسبب تغير في مضمون العقائد. وكانت الفكرة عند آدم عن الواقع المحمدي أنها في الإسلام النقطة البدائية في دورة النبوة. ثم هي في الشريعة النقطة الأولى في دورة ولايات الإمام. وهى كذلك في نهاية زمن الحقيقة وعودة الإمام الثاني عشر وهو المهدي. وعلي شريعتي يرجع إلى الدورات الأساسية. ويلغيها لأن الإنسان المناضل هو الذي يقوم بهذا الدور بعد الاحتجاب الأكبر. ويلتقي الاحتجاب والحتمية العلمية – التاريخية. ولكن علي شريعتي يبحث عن حتمية التاريخ في أول حلقة في هذه السلسلة وهي موت هابيل. وفي النهاية يرى درويش شيجان أن أيا كان رأي شريعتي، فالرؤية الدورية للنبوة في الإسلام لها علاقة بدورة الهبوط والصعود. وهى بنية كبرى في روح التقليدية.

والنتيجة في النهاية - كما يستخلصها درويش شيجان — هي أن تاريخاً يبدأ مع أدم. وهو يرمز إليها بسير الشمس في اتجاه الجنوب. وهنا نصل إلى نقطة الذروة لدورة النبوة التي هي المحطة النهائية للنبي في الإسلام: ختام الأنبياء. فالأنبياء السابقون على محمد (ص) ليسوا إلا أباطرة. إلا أن محمد(ص) هو الفاتح الإجمالي. هذا بالإضافة إلى أن دورة الولايات عند الشيعة تبدأ بالدقة مع الغرب، وعند السقوط نحو الغرب. والخيال يرمز إلى أن الإمام يتظاهر بينما الشرق والغرب يتعارضان. إن لكل من هؤلاء الأنبياء دورة لنبوة تنتمي إلى إمام حول دورة الاحتجاب. وهذه تبدأ من جهة أخرى مع سقوط الشمس نحو الغرب. كذلك فإن الأنبياء أصبحوا أوضح مع تصاعد الشمس ومع عودة الإمام الثاني عشر والعودة إلى الأصل. هكذا يكون التطابق والثورة على دورة التطور الروحي. قد تكتمل. كذلك ينحدر الوالي من ولايات الوالي ويوجد بين الدورتين (تجانس كامل): التجانس العقائدي لمحمد (ص) في الإسلام والإمام المهدي الذي يختتم دورة النبوة. ان انتظار الإمام هو الذي يكشف عن الحقائق. ويجعل من الشيعة ديانة الانتظار العقائدي ومحمد (ص) كبصمة للنبوة والواقع المحمدي. ومن خلال زاوية المعرفة الروحية، يبدو الشيعة البعد الخفي للإسلام ويمثل تعارض السنة مع الشيعة، النظامين السوسيولوجيين: القامع والمقموع. يقع زمن التنجيم (بين الأزمنة). وذلك بمعنى (الزمن الذي تسيطر عليه المعرفة الروحية للإمام الثاني عشر ويسمى صاحب الزمان).

ويقول هنرى كوربان - .أستاذ درويش شيجان كما أسلفنا في مقدمة الكلام - في سياق الحديث عن القرن التاسع عشر ان النبوة ظهرت مع آدم واختفت مثل الشمس بعد الغروب. وبدأت النبوة الخفية مع علي وهو الإمام الأول. وتقدمت من إمام إلى إمام، مثل القمر في ظلام الليل، حتى ظهور الفجر مع الإمام الأخير. ان هذه الليلة إذن هي وجوديا (زماننا). ذلك الزمن (بين الأزمنة) فمثله كمثل زمن اختفاء الإمام. فهي إذن ليلة الرموز وليلة الخفاء الضروري والنتيجة أن كل الأحاديث تدعى شرح الشيعة من طريق القوانين الخاصة بالسببية التاريخية فجوهر الفكر والموضوع في الوعي الشيعي أن زمن الإمكانات يبقى بين الأزمنة.

ويستوحي الزمن من العالم الخيالي والروح ولا نصل إليه إلا بكشف الحجاب، والخروج عن الزمن والتاريخ الدنيوي. كذلك عودة الإمام بالثورة العالمية يرجعه شريعتي إلى الصراع بين نظامين سوسيولوجين ولا يمكن أن نستخلص مفهوما دينيا دون الرجوع

إلى تفاصيل العالم الذي ينتمي إليه النص. ويضع درويش شيجان في الاعتبار علم العقائد فهذا المصطلح لا معنى له إلا في إطار دورة النزول والصعود فكل شيء يكتسب التعريف الحقيقي من أنه يتجه نحو الآخرة. وبالتالي يقتبس علي شريعتي غالبية المستويات الماركسية. وإذا أعطى تعريفات جديدة، لا يبقى غير تشكيلها في البنى نفسها التي يبحث عنها. وفكرة روية العالم الإسلامي الذي يتحقق من طريق الإنسان والتاريخ والمجتمع هي الأيديولوجيا الإسلامية التي تحاول الوصول إلى المجتمع المثالي وهي طريقة هيجلية مجردة من نظام العقل وجهاز المنهج المسمى بالجدلي.

فالفكرة المطلقة تترجم إلى مصطلح إسلامي، كذلك الماركسية تتوصل إلى المستويات الاجتماعية-الاقتصادية دون أي اعتبار للمعنى الفلسفي للبراكسيس إن مستويات هذه الماركسية تتأثر بفكرة معينة تظهر باستعمال مصطلحات البنية التحتية والبنية الفوقية والحتمية التاريخية، ويقال إنها علمية: علاقات جدلية، شيوعية، بدائية إلخ يستعمل شريعتي الأدوات المنهجية بحق وبدون حق، وأخيراً فإن علي شريعتي الذي يعادي الماركسية يستعمل بدقة كل المادة الثانوية في الماركسية.

إن إسلامه الأيديولوجي مشوه بالرغم من الدوافع الدينية والأسباب الاجتماعية-الاقتصادية حيث إن رغم عدوانيته ضد الغرب، إلا أن شريعتي يعاني إثر التغريب اللاوعي.

فمن جهة لا يستطع أن يتجاوز الرؤية المخفضة للبنى التحتية والفوقية، ومن جهة أخرى فهو لا يتصور اجتماعية البعد المقدس للإسلام في التاريخ، يجعلها تأخذ الصفة الدنيوية، وهناك مثال لإثبات إلى أي مدى انخفضت المفاهيم التقليدية بمعاونة الأيديولوجيا على مستوى المواضع المشتركة.

يترجم علي شريعتي رؤية العالم بالكلمة الفارسية JAHAN- BINI وحتى إذا لم يكن علي شريعتي هو أول من استعمل هذا المصطلح، فهو يلعب دوراً خاصاً في نظامه المعرفي ويتمتع هذا المصطلح بوظيفة ثقافية قديمة في الفكر الإيراني.

كان مرتبطاً بالرؤية الكونية وبالنسبة له فهو مرتبط بالنظرة التأملية للحكيم يعد اللعب بالنظرات بمعنى إنسان مفتوح على فضاء اللعبة التي تساعد الصفات الإلهية على الانتشار حول مرايا العالم إن ما يدور في وعي علي شريعتي - من منظور درويش شيجان- هو أن كل الرموز التقليدية تنحدر من القوالب أو البنى وهكذا يخلط علي شريعتي بين هيجل من

جهة ويجرده من الجهاز التصوري لنظام العقل وفينو منيولوجيا الروح وبين ماركس من جهة أخرى -صاحب نظرية البراكسيس وبين الإسلام من جهة ثالثة المبدأ والميعاد.

فالفكر لا يخلو من موضوع الفكر أو مكان الفكر. وتنشغل الرموز التقليدية بالسلوك. وتقدم (حلولاً) سهلة لجميع المشاكل وفي الوقت نفسه هي مخرج للمأزق الذي تواجه الحضارات التقليدية. فهي تثير (النكهة الأيديولوجية المباشرة) الذي يرجع إليها A.laowi محلل الأثر الكبير عند فرانس فانون في العالم الثالث. فإن العنصرين اللذين بينيان كل اتجاه أيديولوجي يكونان: الحوافز العاطفية من جهة، والتغريب (؟) اللاوعي من جهة أخرى، والجهاز العقلي والحديث الذي تصنعه الأيديولوجيا الماركسية المسطحة. إن مذهبة الأديان تخفى وراءها خطر ثورة السلوكيات اللاوعي للجمع. إن الفكر الأسطوري- الديني هو فكر ضد النقد غير المذهبي ويقوم بتحويل وتوحيد الأشياء المتجانسة وتطابق الكل مع الجزء من طريق السببية وتراتبية الأزمنة والفضاء والأنواع المختلفة قد يكون من المحال استعادة الإلهة المفقودة. وما نريد إقامته على الأرض ليس إلهياً إنما هي أقنعة تخفي وراء وجوهها التناسخ في التاريخ فلا نجده في الصورة الأولية البريئة ولكن في أصولها المزيفة ونجري وراء الرموز المزيفة ونخلط بين المشاركة الأسطورية مع الجمع الهيستيري أي ذلك جمع الذي لم تعد الوحدات المتجانسة لجماعة المؤمنين ولكن الكتلة الذرية وبقايا المجتمع المدني والصناعي وتتمتع باللغة الشمولية لعصرنا الحالي وتعد بالجنة على الأرض لا تقودنا هذه المعطيات النقدية وصور الديانة في إطار الخيال إلى وضع جديد.

بالعكس نتجه نحو مقارنة مع الأديان الشمولية في العصر كل هذه المتغيرات لا تقودنا إلى مجيء الإنسان الجديد الكامل كذلك في كتاب جوستاف لوبون الشهير -الذي يستحق القراءة أكثر من مرة- يشرح فيه كيف تقدر في بعض الظروف كتلة من الناس الحصول على صفات جديدة قوية ومختلفة من فرد لآخر. إن الروح الجماعية تعكس إذن القدرة على خلق جمع نفساني (يوقع تحت سيطرة قوى اللاوعي) ويشكل الاتجاهات الثقافية للناس وتكون النتيجة محو الفردية وتغرق في التجانس حيث يسيطر اللاوعي، كل هذه العلامات تشير إلى حدث مهم هو الرجوع إلى المستويات النفسية القديمة وذلك من طريق الحدث الوحيد وهو أن يكون الإنسان جزءاً من المجموع ويهبط إذن الإنسان درجات عديدة على مقياس الحضارة وفي العزلة، يمكن أن يكون إنسان أو في مثقفا في

جمع فهو غريزي. وبالتالي فهو بربري عنده القسوة والشدة وأيضاً الحماسة وبطولة الإنسان البدائي إن هذا التراجع، وتنشيط الرصيد الوراثي يتميز بالاندفاع والحركة والانفعال، والجمع يجسد وتنشط العصور البدائية بداخل كل منا. ومن هنا جاذبية الصور وانفجار الخيال كذلك تلفت النظر الأشياء المستبعدة وهناك أيضاً نقطة اصطدام الشعارات المصورة والتي تتفاعل مع الجمع والصيغة الساحرة في المجتمعات القديمة حين قام سيجموند فرويد بتحليل كتاب (لوبون)، كشف عن الأساس الشهواني وحلل التراجع في إطار نظريته عن العشيرة البدائية يبدو الجمع كأحياء للعشيرة البدائية وبالمثل فالإنسان البدائي يعيش افتراضيا بداخل كل فرد، كذلك كل جمع إنساني يستطيع إعادة تكوين العشيرة البدائية ويضيف سيجموند فرويد في هذا السياق أن قائد الجمع يتجسد دائماً في الأب البدائي والجمع يريد دائما أن تسيطر عليه قوة غير محدودة وهي متلهفة إلى أعلى مراحل السلطة.

هذا الأب البدائي هو مثالية الجمع الذي يسيطر على الفرد، بعد أن يستوي إلى مكان مثالية الأنا كذلك الفرد الذي ينغمر في الجمع، يتراجع في الوقت نفسه نحو القبيلة البدائية. ويتخلى عن مثالية الأنا. ويلتحق بمثالية الجماعة التي يجسدها القائد.

ومن جانبه يؤكد كارل جوستاف يونج على أن كل رد فعل عاطفي جماعي يعني تراجعاً ما فكل عاطفة تتعلق بالعقل الإنساني تحجب بدقة غريزية يترك فيها المثقف الباب مفتوحا لتدخل الغرائز البدائية. وهي السبب في التراجع نحو المستويات القديمة.

إن الأمم والجماعات المنظمة الواسعة هي - من وجهة نظر علم النفس - غير معتدلة، غبية- أو وحوش لا أخلاقية، مثل هؤلاء (الغطائيات، وهو نوع من الحيوانات) حيث المخ صغير بشكل غير عادي وهم أقرب لمرض هستيريا معينة، وجشع غريب وقسوة عمياء.

وأما كونراد زخارياس لورينس فيحلل هذا التراجع من الزاوية البيولوجية ويشير إلى أن علم نفس الجموع هو شكل من أشكال دراسة (الحماسة النضالية) وبالنسبة له فالجوهر هو الحاجة الفطرية إلى الإنسان فئ الانتماء إلى جماعة مرتبطة بشكل دقيق وتكافح من أجل المثالي الأصلي والذي يتميز (بنقص بارز) هذا الاتجاه يفسر لنا تكوين مجموعة من الشباب للبنية الاجتماعية التي تعيد بناء المجتمعات الإنسانية البدائية، بحيث لا تكون تحت المراقبة أو مشروطة، أو حتى أسوأ من ذلك بمعنى استرجاع الشعارات.

وهذا الاتجاه (ميال إلى الانحراف بشكل مأساوي) ثم يلاحظ لورنيس أن كلمة (الحماسة) تعني في اليونانية أن إنساناً يمتلكه الرب كذلك في اللغة الألمانية تعني كلمة BEGEISTERUNG أن الروح GEIST يسكننا أو يراقبنا، فخطر الامتلاك هو غالباً شيطان ينتهي بأن يسكننا بدل أن تسكننا الآلهة، وأن ما كان محتملاً هو آلية الانفجار الوراثي هو شيء محتوم يمكن -إذا كان له شروط مختلفة عن طريق الاتجاه المانوي وشعارات العصر- أن يصبح فعلاً خطراً، ومن جهة أخرى يضيف لورنيس أن القادة السياسيين يغرقون في الفن الخطر لصنع المانيكان غير العادي لإطلاق شكل خطير للحماسة النضالية وحين تتحول القشعريرة المقدسة سنخفض العقل النقدي والاعتبارات الأخلاقية إلى الصمت بانقلاب كامل لكل القيم.

ويصل الفكر الأيديولوجي والمسئوليات الأخلاقية المستوى الأدنى كل هؤلاء الكتاب قد نجحوا في لفت نظر درويش شيجان نحو ظاهرة وحيدة وهي الرجوع إلى المستويات السفلى للروح والعقل. وهي نتائج خطيرة لأي تنظير في الفكر كذلك الأحداث في إيران خلقت (بنية انفعالية) مميزة ففي تحرك المجتمع نحو ضمير التراجع، وتخلق مناخ الاغتراب عند إنسان الزمن. وفي خلال عدة أشهر نجد أنفسنا نعيش حياة القبائل ونواجه السلوكيات البدائية مثل الهجوم بالحجارة، والسقوط، والاغتصاب مع خلق جو كابوسي، بشكل أن البعض اعتقد بأننا نعيش في عالم غير واقعي حيث كل شيء ممكن.

أما نوربير إلياس فيدرس عاطفة الإنسان في العصور الوسطى ويحلل أفعال العنف ويلاحظ درويش شيجان أن هذه الحساسية القديمة هي أحد الأسباب الكبرى التي تدفع الطبقات المتطورة في المجتمع على الهجرة. وإذا كان تطور العادات - حسب أراء نوربير إلياس- يقوم على (اقتصاد غريزي) جديد وعلى الأنا الأعلى الاجتماعي الضخم فإن تلاقي الأساس العريق يتعارض مع العملية الطبيعية للتحرير.

يشعر قطاع عريض من الشعب تجاه العدل والموت بجدارة الإنسان ويتجه الاتجاه نفسه لكل إنسان واعي في عصرنا، كذلك هناك جزء كبير من الشعب يراقب هذه الغرائز، على شكل خوف ذاتي داخلي يتناسب مع ذوق واتجاه الإنسان الحديث وبالنسبة لجزء آخر كانت التفرقة بين القطاع والعام والخاص عملية مستهلكة، تشبه التفرقة بالنسبة للإنسان الديني بمعنى أن الدين كان عبارة عن عملية خاصة وليست مركبة لجهاز دولي لا يمكن أن يكون علمانياً ولكن ما هي الآفاق المستقبلية للثورة الإسلامية؟ كانت العادات المرفوضة

ترجع للظهور فجأة. كانت هناك عادات أخرى قد اختفت تحت ستار الممنوعات الجديدة: اختفاء المرأة وراء الحجاب، ثم تسلل الكحل في الخفاء، بينما غريزة الموتى حطت من البلاد جنة الشهداء وبشكل أو أخر كنا نسهم في حركة مغايرة لعملية الحضارة ولقد تخلق (أفق نفسي). كان يعطى الانطباع بخيبة الأمل على كوكب غير معروف كانت ترجع إلى الأرثوذكس وكان كل إنسان متهم. لأنه لا يعترف بانتصار الرب كان يحتمل التخلص منه في أقرب فرصة ممكنة ويقول نوربير إلياس: إن الإيمان والدين دائما في تحضر مواز للمجتمع والطبقة الاجتماعية التي تمارس هذه الديانة ويقول كذلك إن انفجار الديانة التي تدخل بقوة في أحشاء الأيديولوجيا الحديثة تحطم الحواجز والمعايير الثقافية والبنى العضوية التي تحتفظ بالأشكال الرمزية للعقل التقليدي فهي تتزوج الأشكال المتطرفة للأيديولوجيا الشمولية وتصبح نسخة دينية من الفاشية.

أما المضمون العاطفي بتفخيم الدين لا يستطيع البلورة في البنى التي يمكن أن تقوده تاريخيا إن الدين يستطيع الإسهام في الإغناء الروحي للإنسان، ولكن لا يستطيع المطالبة بإدارة النظام الاجتماعي.

ويدعو درويش شيجان إلى الاعتراف بأن الشكل السائد في الوقت الراهن هو التناقض بين (المعايير الثقافية) في المجتمعات التقليدية: أي أن كل ديانة تدعى بالخروج عن التاريخ تصبح شمولية تتبنى القطاع العام أكثر من الخاص إذن كل محاولة لتحقيقها تاريخياً وفي صورة عامة تنقلب إلى مستوى الأيديولوجيا الشمولية.

إن الوعي المتطور لدى الإنسان اليوم قد يتزلها ولا تحتمل (البنى العاطفية) التي يخلقها التراجع نحو الأشكال القديمة للوعي. (العقل الديني بين الوجه والقناع، العصور الحديثة ٢٠٠٠).

الشيوعية تحت مجهر الاسلام

• مؤيد بلاسم متعب العبودي

الفصل الأول: ظـروف النشـأة والتكـوين LAPREMIER CHAPITRE: الشـيوعية تعريـف وفكـرة ونظـام (l'apparition et l'histoire)

يمكننا الفصل بين الشيوعية كفكرة وهدف، والماركسية كفكرة ومنهج، حيث أن الشيوعية هي الهدف من الماركسية وتعني قيام مجتمع الملكية الجماعية للثروة ووسائل الإنتاج، بينما تحدد الماركسية أساليب الوصول إلى المرحلة الغائية من الكفاح البشري المتمثلة بالشيوعية وبذلك نرى أن مرحلة الشيوعية هي الغاية من الفكر الماركسية . ويعتبر سان سيمون الأرستقراطي الفرنسي واحدا من أوائل المفكرين الذين نذروا أرواحهم وأفكارهم للتبشير للشيوعية كحل لأزمات زمانه[١].

كما يمكننا اعتبار بيير برودون أبو الشيوعية الفوضوية ، وفي كتابه (الملكية هي السرقة) يدعي بأن أصحاب الثروات والملكيات الشخصية هم لصوص مغتصبين للثروة المشتركة بين الناس وهذا يدفعهم إلى أن يغتصبوا السلطة ويحتكرون الشريعة والقانون لأجل الحفاظ على ما سرقوه . ولذلك فانه يحارب كل نظام ممكن للدوله ويدعوا إلى

(١) عرفت جماعته باسم السان سيمونيين وقد حاول نشر أفكاره في العالم اجمع ورحل هو وعدد من أنصاره الفرنسيين إلى مصر لتسويق نظريته ثم كانت النتيجة آن أمن اكثر أنصاره بالإسلام.

إلغائها والتعويض عنها بنظام شكلي للحكومة لأجل حفظ الأمن والقانون فقط . وقد كان يتباهى بأن يسمى خطه الفكري (الشيوعية الفوضوية)، وقد ساد هذا الاتجاه في فرنسا أيضاً ثم ظهر روبرت أول الإنجليزي الذي ضرب المثل الأعلى لرجل المال المؤثر على نفسه ، فظهرت بظهوره نزعة (الاشتراكية العاطفية)إذ انه أخذ يعمل مع عمال مصنعه ويقسم الربح بينهم بالتساوي ، ثم أقترح الاشتراكيون العاطفيون سنة ١٨٣٥ إقامة تعاون بين طبقة العمال في كل أرجاء العالم.

ولذلك فقد أسس روبرت أول (رابطة الطبقات في كل الأمم) .لقد كان سبب تذمر العمال إدراكهم انهم لم يجنوا أية فائده من التقدم الصناعي الذي عم أوربا الغربية بعد الثورة الصناعية . وفي أربعينيات القرن التاسع عشر ظهر كارل ماركس وكان حينها مجرد صحفي ألماني يهاجم أحيانا ثوار الشيوعية والاشتراكية في زمنه من مجلة رايخ زيتونج ويصفهم بأنهم (أبطال مزيفون يدعون إلى النضال العشوائي ويكرهون التفكير والثقافة المعمّقة ويحاولون ستر عجزهم باتهام العلم). لكنّه تأثّر بالاشتراكية فيما بعد نتيجة تعرّفه على انجلز ولقائه بقادة النقابات العمالية ورابطة الطبقات الأممية . أدّعى ماركس وانجلز الدعوة إلى الأشتراكيه العلمية ـــ كما أسميا نظريتهما ـــ ووضعا نظرية مادية جدلية ومادية تاريخية ونظرية للاقتصاد السياسي وفسّروا من خلال ذلك الماضي والحاضر والمستقبل، وهي نظريات تتبنّ الفكر المادي البحت وتهدف إلى إنشاء المجتمع الشيوعي المثالي وتحمل تصوراً جدلياً للعالم وتعطيه تفسيراً مادياً وهي بذلك تلتقي مع الإسلام في إعطاء العالم تفسيراً، لكنه عندها تفسير مادي بينما تفسير الإسلام للعالم كان ولا يزال واقعياً.

الشيوعية تـــأريخ وقضــــية: Lecomunism l'affaire et l'histoire:

في القرن التاسع عشر، وسط مجتمع يعج بالاستغلال والاستعمار ظهرت الماركسية ،وكان كل شيء يمهد لها ،كانت أوربا القرن التاسع عشر قد أدارت ظهرها للكنيسة المسيحية وامتلأت أرضها وسمائها بصرخات المحرومين من عمالها. ولذلك فقد كانت بحاجة إلى فكر شمولي جديد بعد بزوغ الانقلاب الصناعي الكبير والذي جعل(الأغنياء يزدادون غنىً والفقراء فقراً) . وكان كبار الرأسماليين يسيطرون على موارد الثروات

سيطرة مطلقة وتنتج مصانعهم الإنتاج الضخم الذي يغرق الأسواق بينما لا يتمتع العمال البؤساء الذين يمدون الآلات بدمهم وعرقهم ألا بثمن زهيد لا يسد الرمق ولايردّ شتاء أوربا القارص . أما الدولة فقد تواطأت تحت أسم القانون مع رجال المال على امتصاص كل قطرة من دم العمال ثم رمتهم كنفاية بعد أن استهلكت قوتهم وتمكنت الأمراض من أجسامهم ويكفي أن نعلم أن بعض الأطفال كانوا يشاركون آبائهم وأمهاتهم العمل ستة عشر ساعة في اليوم الواحد ويتناولون طعامهم وهم أمام الآلة. كانت المشكلة الأساسية هي سوء توزيع الثروة الفظيع بين قلة من الرأسماليين ـــ تبلغ السدس أو السبع من نسبة السكان ـــ تسيطر على نصف الثروة القومية وبين أكثرية من المحرومين والمستضعفين لا يملكون ما يقيم أودهم[١] وبالتأكيد أن الإنسان إذا تعرض إلى الظلم يتجه إلى القانون ليحميه سواء كان سماويا أو ارضيا ، ولكن قوانين أوربا كانت رأسمالية تبيح الحرية المطلقة لمالكي راس المال . أما الدين المسيحي فقد ملّ المفكرون من دكتاتورية كنيسته ، وملّ الناس من لعبة الحروب الصليبية التي جرّت الويلات على ملايين البشر باسم الدين بينما كان الرابح الوحيد فيها نبلاء أوربا وزمرة من القساوسة المتعصبين . وكان لاتصال الناس بالشرق الإسلامي وزيادة معرفتهم بعقيدته السهلة وترجمة القرآن الكريم سببا مباشراً لجعل الفلاسفة ينتقدون عقيدتهم المعقّدة التي تلغي العقل وتعين محاكماً للتفتيش تحاسب العلم والعلماء . كانت كنيسة البابا علاوة على تكفيرها وحرقها لكل من يناقش وحدةالأقانيم الثلاث – الأب والابن والروح المقدس – تجبر الناس على الادعاء بان المسيح ابن الله ، فكيف لأبناء عصر النهضة أن يقرّوا بهذا التحريف .

من جهة أخرى فقد كان للحروب الدينية بين المذاهب المسيحية –البروتستانت والكاثوليك – ومذابح الهوكونت في فرنسا اكبر محرك على نقد هذا الدين، ثم إضافة إلى هذا الفساد العقائدي عند رجالات الكنيسة كانت الفضائح الأخلاقية للرهبان والراهبات قد هزّت ضمير كل عاقل فضلا عن كل شريف ،تلك الفضائح التي سخر منها الأدباء والروائيون (انظر مثلاً رواية[٢] الأحمر و الأسود لستاندال – إضافة إلى كارثة كرسي الاعتراف وصكوك الغفران وقرارات الحرمان التي كانت تبيع رحمة الله في السوق وتجعلها

---

(١) ديو ليل برنز فصل الاشتراكية من المثل العليا عن دراسة لجوزيا موني .

(٢) انظر رواية (lerouge et lenoire)للروائي الفرنسي ستاندال التي تنتقد قسيس –كرمز ديني – يرتكب عمليات زنا وقتل بشعة .

خاضعة لقانون العرض والطلب . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .كان كبار الباباوات والقساوسة يزدادون طغياناً ومالاً وفساداً بينما كان أبناء الشعب

وصغار القساوسة يحترقون غيظاً وفقراً وجوعاً .وهكذا كانت سلطة المال وسلطة الدين وسلطة السياسة قد اجتمعت كلها على الجموع المستضعفة ، إذن لم يعد غريبا بعد ذلك أن ترتفع صيحة–اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس –. ثم تكون الردة من دين الكاثوليك والبروتستانتية إلى دين ماركس. أي أن الماركسية هي نتيجة لفساد الوضع الاقتصادي والفكر الديني الأوربي من جهة وشيوع فلسفة الإلحاد والثقافة اليونانية الوثنية في عصر النهضة من جهة أخرى ، وبالتالي الحاجة إلى عالم افضل والى نظام سياسي- اقتصادي شمولي جديد يعالج مشاكل ذلك العصر على كل الأصعدة .

كان ماركس يعيش في حالة الاكتشاف لما حوله ثم تحليله ونقده بعنف مستنداً في ذلك على فكره التركيبي الفلسفي وإيمانه بجدليّة (هيكل)، ثم إن لقائه بفردريك انجلز عام ١٨٤٣ م حدثاً هامّاً إذ فتح الباب أمام ماركس لاعتناق الشيوعية بحماس بعد أن وجد في انجلز مفكراً تحليليّاً عميقاً في الحقل الاقتصادي ليعلنا بذلك بفترة عن انبثاق الاشتراكية العلميّة كما سمّياها ،وليصرح ماركس بعدها قائلاً [اقتصرت أعمال الفلاسفة على تفسير الكون تفسيرات مختلفة، والمهم الآن تحويله وتغيره].

وفي الفصول القادمة سنستخدم اصطلاح الشيوعية للدلالة على الماركسية لأنها المشروع الفكري المطروح اليوم باسم الشيوعية ، كما أنها تشكل معارضاً أساسيا للفكر الإسلامي المحمدي الأصيل.

الفصل الثاني :ـــ الفكر الشيوعيlalapensé communist

محتوى الفكر الشيوعي .....

يتلخص محتوى الفكر الماركسي في النظريات الثلاث آلاتية :

١. نظرية المادية التاريخية : وقد أسهب في مناقشتها الصدر الثاني في اليوم الموعود

٢. نظرية المادية الجدلية : وقد ناقشها السيد الصدر الأول في فلسفتنا

٣. نظرية الاقتصاد السياسي .وقد ناقشها الصدر الأول وقد تركنا مناقشتها لأنها نظرية اقتصادية بحتة وهي ليست موضوعنا

أولا: نظرية المادية التاريخية materiel Latheorité de l’historique:

تدرس هذه النظرية التطور العام الكلي للمجتمع ؛ أي أنها تدرس المجتمع من خلال

التحوّلات التاريخيّة التي تطرأ عليه. وتربط الماركسية بين العوامل المادية للإنتاج وتعتبرها عوامل حاسمة لتطور التاريخ ويعتبرها الشيوعيون قانون علمي يقيني الحدوث يفسر التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية في العالم كله دون استثناء ،أما مفاهيمها الأساسية فهي:

أ-المادية: وبحسب هذه النظرية يفسر الشيوعيون التاريخ داخل إطار المادية الفلسفية ويعتبر ماركس سببين لأقرار الصفة المادية للتاريخ هما :

١ -إن أسلوب الإنتاج هو أساس الحياة الاجتماعية ،أي أن كل تغير أو تطور اجتماعي مهما كان نوعه يرتبط بأسلوب ووسائل الإنتاج. لكننا نعرف جميعاً بان وسيلة الإنتاج نفسها هي طريقة عملية لبرمجة الفكر النظري وقولبته في إطار تطبيقي إذ أن فعالية الوعي هي التي تصنع وسيلة الإنتاج وليس العكس ،وفعاليّة الوعي الإنساني والتفكير هي فعاليّة لاماديّة بكلّ تأكيد. إننّا لا يمكننا أبدا تحسين وتطوير كيفية الإنتاج ووسائله إلا بالتّفكير وبالتالي فأنّ الفكر والوعي هما العاملان المحددان لتطور الاقتصاد وليس العامل المادي. لاينكر أحد أن الماركسية رائدة في مجال ربط الاقتصاد بالتاريخ الاجتماعي ، لكنّها بالغت جدّاً في ردّ كلّ تغيير أو تحوّل تاريخي إلى الاقتصاد ، إلى درجة زعمت معها أن اختراع - جوتنبورج – للمطبعة ساعد في القضاء على الكنيسة لأنها نشرت الكتب الإلحادية ، مثلما عجّل ظهور طاحونات الهواء في القضاء على الإقطاع وظهور البارود في اوربا على دخولها عالم الثورة الصناعية ، بينما كانت الصين تستخدم المطبعة والبارود وطواحين الهواء قبل اوربا ولم ينتشر فيها الإلحاد ولا الثورة الصناعية ولا انتهى الإقطاع إلا مع ظهور ماو تسي تونك في أربعينيات القرن العشرين.

٢- السبب الثاني لاقرار الماديةَ هو استقلال الواقع عن الوعي ،أي أن الوجود الاجتماعي هو ما يؤثر في الوعي ويحدّده .وهذا السبب يضرب المادية الفلسفية في الصميم إذ انه يعتمد على الوجود الاجتماعي – أفراد المجتمع – وليس على الطبيعة المادية كما يؤمن الشيوعيون . وكما نعلم إن الوجود الاجتماعي مطبوع على الفكر ، وهذا ضد تبني الماركسية لاصالة المادة .فلا معنى إذن للمادية الشيوعية بهذا.

ب- الحتمية التاريخية: يعتبر ماركس أن كل نظرياته قوانين شمولية جازمة ،ولذلك فانه اعتبر أن التاريخ يتطور حسب مراحل، ويرى ذلك تطوراً لتاريخ الطبيعة المادية للمجتمع ،بينما اعتبر أن المجتمع الإنساني ككل يسير باتجاه الاشتراكية حسب الضرورة الطبيعية . وان سير التاريخ محددٌ كلياً إلى درجة اعتبره معها مقيداً بقوانين وقواعد لا يحيد

عنها أبدا اسماها — قوانين الطبيعة . إن هذه النظرية تدمج بين القوانين الاجتماعية والحتمية التاريخية ، وترى بان التاريخ قبل ماركس كان يعيش في فترة الضرورة العمياء حيث أن تطور الأحداث كان حتميا ولكن بدون تدخل الإنسان حتى جاء ماركس و(فتح عينيها) لتبدء معه فترة الحرية مع بزوغ فجر الماركسية والتي تنتهي حتماً وبدون شك بالفردوس الشيوعي الموعود تبعا لمقولة (من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته).

ويؤكّد انجلز على ضرورة القفزة من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية . فكان أن انتحرت الحرية على أيدي جلاوزة - الكي.جي.بي - المخابرات السوفيتية قبل تحقيق الفردوس الماركسي الموعود ، بل انتهى المطاف مع هذا الحلم الشيوعي بأن احرق عشرة ملايين شيوعي بطاقاتهم الحزبية قبيل سقوط الإمبراطورية البروليتارية .إن فرضية الحتمية التاريخية تقسم التاريخ إلى مراحل اقتصادية تاريخية مهمة من المشاعية البدائية ،العبودية، الإقطاعية ،الرأسمالية والإمبريالية ثم الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا واخيرا الشيوعية. وحسب تنبوأت ماركس وانجلز فان الثورة الاشتراكية لا بد أن تحدث في الدول المتقدمة الصناعية الرأسمالية مثل ألمانيا والولايات المتحدة وبريطانيا قبل غيرها لكنها حدثت في دول متأخرة جدا ـــ حسب التصنيف الماركسي ـــ كمرحلة الإقطاع في الصين وروسيا ،على عكس قوانين ماركس ونظرياته الحتمية.

إن الملاحظ المدقق يرى أن قوانين الحتمية تقتضي التلقائية"بالضرورة" كنفي النفي وتطور وسائل الإنتاج ومن الواضح انه لايمكن للحزب الشيوعي أو أي فرد أو جماعة تغيير القوانين الكونية القهرية ، كما لايمكن للحرية والضرورة أن يتركبا معا في قانون أو نظرية افتراضية من مستوى الحتمية (١) . أن الوعي البشري ليس ضروري الإنتاج دائما - كما هو الحال في القوانين الكونية العامة - لأنه يعني الحرية وهي تنافي الضرورة حتى بالفهم الماركسي .إن المجتمع لا ينتقل إلى الاشتراكية إلا بإعمال الوعي وليس بالقوانين الضرورية فقط .

إذن تصبح المرحلة الاشتراكية غير ضرورية الوجود ، باعتبار أن أهم أسبابها ــوهو الوعيــ ليس ضروري الوجود ، ومعه يتعين القول بالتلقائية طبقا للقوانين المادية الماركسية.

ج ــ التفاؤلية: تعتبر هذه النظرية إن كل مرحلة من مراحل التاريخ هي افضل من التي سبقتها،كما تعتبر إن الطبقة العاملة تتطور مع كل مرحلة تاريخية ، فالمزارع في عصر

الإقطاع هو افضل حالا من العبد،والعامل في المصنع الرأسمالي هو افضل بدوره من المزارع ، وهكذا تفترض أن البروليتاري الاشتراكي سيكون افضل حالا من العامل ، وتبالغ لتعتبر أن كل تطور للبشرية قبل مجيء كارل ماركس بنظرياته وفرضياته كان تطورا غير واع تقوده الضرورة العمياء في بحر التناقض الجدلي، وسيكون هذا التطور واعيا لو طبّقنا أفكار ماركس ورفضنا غيرها . وتعتبر أن أي مخالفة للتجريد الرياضي الماركسي لم ولن يحث أبدا. إن هذه الفرضية تعجز عن الإجابة المقنعة لسؤالنا : لماذا كان التطوّر التاريخي تطوّرا صاعدا نحو الأفضل قبل الماركسيّة رغم كونه غير واع ،ولماذا يصبح واعيا إذا طبّق أفكار مارس حصرا؟!.

إن الأدلة التي عرضها السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سرّه) ـــ في موسوعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) الكتاب الرابع ـــ اليوم الموعود ـــ تعتبر أدق بكثير و أقوى من مادية ماركس ،وتمتلك إجابات مقنعة حول التخطيط الإلهي لتطور البشرية . فتعتبر أن القوة الواعية التي أدارت العالم - وهي الله جلّ جلاله ـــ وطورته نحو الأفضل هي نفسها التي تقوده اليوم ، وان جميع رسالات الأنبياء كانت لأجل دفع البشرية ككل نحو التكامل الواعي لاصلاح الأرض وما عليها ، وان الغاية من المخطط الإلهي لتاريخ البشرية هي تحقيق السعادة المطلقة على سطح هذا الكوكب وفي هذه الدنيا فضلا عن الآخرة ، ويبين السيد الشهيد الصدر الثاني كيف أن المجتمع الإنساني يتكامل باستمرار حتى يصل إلى عصر الظهور ـــ اليوم الموعود ـــ حيث تتكامل كل التجارب البشرية ويصل العقل الجمعي لها إلى إدراك واع يكفر بكل نظريات الشرق والغرب الوضعية القاصرة ويؤمن بتطبيق حكم الله وحده ليدركه الإلهي المقدس بظهور المصلح العالمي وهو الإمام المهدي(عج) ، وهذا ما يحتاج إلى تكامل البشرية التام في كافة المجالات والاستعداد الكامل لاحتضان المصلح العالمي المؤيد بقوة السماء ونصرة أهل الأرض ليصلح ما أفسده الظالمون على اختلاف أيديولوجياتهم "" ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس "" وليحقق العدل وينصف المستضعفين والكادحين مصداقاً للنبؤة الإلهية :{ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين} صدق الله العلي العظيم.

د ـــ الاقتصادية التاريخية : وهي قاعدة المفهوم المادي للتاريخ إذ يعتبر الماديون أن أسلوب الإنتاج هو العامل المحدد لكل حياة اجتماعية. وهكذا وقع في ماركس في أخطاء أستاذه (هيجل) عندما أكد على أن العامل الفكري هو أساس التغير في التاريخ بكل

خطواته إذ جعل ماركس العامل الاقتصادي هو العنصر الحاسم في تطور التاريخ. إن الماركسية تعتبر أن الدور الأساسي للعلاقة بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو لقوى الإنتاج.

تؤمن الماركسية بان تطور قوى الإنتاج يحدد حسب العلاقة الجدلية داخل عناصر الإنتاج وحسب التأثّر والتأثير بين علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج ،والنتيجة أن تستبعد هذه النظرية الدور الإنساني وهو الفكر الفعّال للإنتاج كما نعتقد لان الإنسان هو الذي فكر في كيفية تطوير الإنتاج ،ليصنع ويطوّر آلة الإنتاج وطريقته ،وليس طريقة الإنتاج هي التي صنعت الإنسان. إن تجربة العامل الشخصية ليست كافية لتطويره ،فلا بد من إرشاده وتطوير مؤهلاته وزيادة خبراته بواسطة التعليم المهني ،بالإضافة إلى اطلاعه الكافي على مستحدثات التقنية في عصره .

يعتقد أقطاب الشيوعية أن القاعدة العمالية –البروليتاريا –هي التي تصنع الوعي الفكري للنخبة الماركسية ،بينما يرينا التاريخ أن ماركس نفسه كان بورجوازياً وانجلز رأسماليا وسان سيمون أرستقراطيا ولينين نبيلاً ،كما يكذّب ذلك كله قول لينين (إن الطبقات العاملة لا تستطيع إذا تركت لنفسها أن تصنع وعياً) .

إن المبالغة في تضخيم دور الاقتصاد في حركة تطور التاريخ سيعود بنا حتما إلى الماديّة الميكانيكية التي ترفضها كل الفلسفات العقلانية ، كما أنّ تأكيد المادية التاريخية على الحتمية تجعلها فكرة جبرية تسلب أي إرادة حرة للإنسان وتقيّد سلوك المجتمعات بنظريات أثبتت فشلها بجدارة. بينما مازال الشيوعيون القدامى يتكلمون عن اغلب بل جميع النظريات العتيقة بشكل تجريدي كما لو كانت معادلة رياضية.

(تركنا الحديث عن صراع الطبقات إلى بحوث المادية الجدلية لانه بالأساس موضوع جدلي)

المادية التاريخية: لقد بدت المادية التاريخية في تأكيدها على جعل الصراع الطبقي أساسا لكل أحداث التاريخ كنظرة جزئيّة تركّز على عامل واحد وتهمل ما سواه وتنطبق على تركيب اجتماعي خاص ومرحلة زمنية خاصة به وتحاول من خلالهما أن تعمّم تحليلها على كلّ المجتمعات وكافّة المراحل الزمنيّة واعطت لنفسها الحقّ في التنبؤ للمستقبل رغم أن التنبؤات لم تكن يوماً ولامرة في صالحها.

إن صيغة الصراع الطبقي التي تستند إلى المادية التاريخية والجدلية ربما تلائم مجتمع اوربا عام ١٨٧٠ بصورة محدودة ،لكنها تعتبر الآن نظرية متخلّفة اجتماعيا،إذ أن التطور التقني في الغرب الصناعي حوّل مركز الثقل إلى الجهاز الفني والإداري ،كما إن تقدّم المواصلات واتّساع نشاط البنوك والتأمينات قد أدّى بدوره إلى ظهور طبقة وسطى جديدة هي طبقة المستخدمين ،ولم تتفتت هذه الطبقة الوسطى إلى قسمين مع البروليتاريا وأخرى مع البرجوازية كما تنبا ماركس بل أصبحت طبقة جديدة تضم عددا كبيرا من موظفي الإدارة العامة. ومن جهة أخرى فان الدول الحديثة وتشريعاتها أصبحت اكثر تجاوبا مع مطالب الحركة العمالية ، واستخدم العمال للمطالبة بحقوقهم الأسلوب السلمي وتركوا ماركس وثورته الاشتراكية لمنظّري الحزب الشيوعي. كما إنّ نظريّة الإفقار الشيوعي أصبحت مجرد كلمة مهملة بين اسطر قديمة على أوراق صفراء .

(الفصل الثالث) نظرية المادية الجدلية: Latheorité udielectique materiel

ادعت الماركسية لنفسها الحق و القدرة على تفسير الكون و الحياة تفسير مطلقاً ، وحاولت وضع قانون شمولي على ضوء فلسفتها المادية ومفهومها الجدلي لكنها و بدافع النظرة الحزبية حاولت تبرير كل أخطائها وكتمت أي صوت معارض في حدود سلطتها عليه فتفجرت جميع تجاربها فشلاً ذريعاً وتعتمد المادية الجدلية في رؤيتها الشمولية للعالم على شيئين

أولا : تأكيدها على أصالة المادة

ثانياً : اعتماد الجدل (الديالكتيك) وبهذه النظرية أقام ماركس فلسفته وبها فسر التاريخ تفسيراً مادياً وارجع كل شئ في الاقتصاد إلى أدوات الإنتاج، وقال بفائض القيمة، وبها اصبح للماركسية نظره إلى الحياة وتفسيراً للكون ونظام للمجتمع كما هي للدين .

يعتبر ماركس أن المادة هي اصل الكون ،وان الفكر لاحق عليها وتابع لها[1]،ويعتبر أن كل شئ وراء المادة وغير محسوس ماديا لا أهمية له . وهكذا ألغى دور الدين من الحياة،

---

(١) يعتقد ماركس أن الفكر ينتج عن ما يسميها العصارة الدماغية الصفراء وبذلك يعتبره هرمونا دماغيا تفرزه إحدى خلايا المخ ،فيا للعلم و الاشتراكية العلمية !!

حيث انه بهذا ينكر ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) عالم الغيب في المصطلح الإسلامي وهو بذلك يقع في تناقض يخالف الأساس المادي الذي بنا عليه الفكر الفلسفي في للماركسية لانه يناقش وينكر وجود أشياء لاعلم يقضي له بها.

إن ماركس يعتقد أن المادة هي الطبيعة نفسها وان الأصل في وجود الكون هي المادة أو الطبيعة ثم ظهر فيما بعد نتيجة لتطور الطبيعة وجود الإنسان ووعيه وشعوره ،ولاشك أن فهم ماركس للمادة بالأساس كان خاطئا حسب النظرة العلمية إذ إن تتابع ظهور النظريات والاكتشافات العلمية بين مدى تخلف النظرية الماركسية حول أصالة المادة أحرج أرباب الفكر الشيوعي حتى اجتمع تسعة وعشرون عالما شيوعيا في منتصف القرن العشرين ليضعوا أسسا جديدة للماركسية بعد أن أوضح العلم الحديث أن الذرات الجوهرية للعناصر الكيميائية هي مؤلفة أصلا من أشياء اصغر هي الإلكترونات ونواة تقسم بالتالي إلى بروتينيات ونيترونات نستطيع تفجيرها بالالتحام أو الانشطار النووي لنحصل منها على طاقة وليثبت لنا بان اصل المادة بالأساس طاقة .

ولكي يتراح الحرج حاول لينين أن يناور ويتهرب من فكرة ماركس الأساسية حول المادة ليقول بان المادة هي مقولة فلسفية من شانها أن تحدد الحقيقة الموضوعية كما تبدو للحواس و تؤثر عليها.

فكان أن كذّب لينين ماركس ثم عاد العلماء الماركسيون ليتنازلوا اكثر ويعتبروا أنّ التوحيد بين المادة والفكر من مفاهيم المادّة المنحطّة . وهكذا يكذّب بعضهم بعضا ويتناظرون حول أشياء لاعلم لهم بها من دون دليل أو بينة أو هدى أو كتاب منير ! إن الخطأ الكبير للماركسية كان قولها بان المادة لامتناهية في الزمان والمكان ؛ وهي لاتاتي ــ كالعادة ــ بحجج فيزيائية علميّة بل تأتي بحجج فلسفية همّها الرئيسي التخلّص من مقولة للعالم بدئا في الزمان لكي تتخلّص بالتالي من موضوع وجود الخالق الذي سبق وجوده وجود العالم .والى اليوم يعجز أرباب الماركسية عن تعريف المادة والطاقة والحرارة والكهرباء والفكرة ، لأنّ هناك الكثير من المفاهيم التي ندركها ولا يمكننا أن نعثر لها على أي مصداق خارجي في العالم المادي يمكن أن نحسه . وقد اثبت العلم الحديث أن ما تقع عليه الحواس من المواد يمثل (٧ ./.) بينـــما هناك (٩٣ ./.) لاتقع علية الحواس .ومن الطرائف التي يتندر بها الناس على هذا المستوى المتردّي للفكر المادي أن معلما شيوعيا كان يحاول أن يروّج لفكره بين التلاميذ ، فاخذ يوضّح لهم كيف أن قطعة الطباشير

موجودة لأنه يراها بعينه ويلمسها بيده كما يرونها هم فأيـــده الطلبة بذلك ، ثم قال لهم : إذن فالله غير موجود لأننا لم نره بأعيننا .فقام أحد الطلبة النجباء قائلا : (أنني لا أرى عقلك يا أستاذ ..انظروا أيها الطلبة لهذا المعلم المجنون —انه لا يملك عقل).

الجدل : ledielectique:

– حسب المنطق الصوري الشائع يعتبر الجدل طريقة من طرق المناظرة بين آراء متناقضة ، وبين النفي والإثبات تدور المناظرة حتى تصل إلى نتيجة تنتصر فيها إحدى الآراء المطروحة وتنبثق عن الصراع الفكري وجهة رأي جديدة توفق بين الآراء بعد إسقاط تناقضاتها . لكن مع هيجل ، اصبح الجدل قانونا كليا يشمل مختلف الحقائق ،فالتناقض ليس في الرأي اوجهة نظر فحسب ، بل هو ثابت في صميم كل شئ ، يحتوي على نقيض ونفي له ، أي أن الفكرة تحتوي بداخلها على نفيها وهو – (أ) ثم يجتمع الضدان في تركيب واحد ويجري بينهما صراع لتخرج فكره جديدة هي ب ، وتحتوي ب بداخلها على نقيضها _ب لتنتج ج وهكذا دواليك .

هذه هي فكرة هيجل عن الجدل ، تبنّاها ماركس في ما بعد ليصنع فلسفته الماديّة _ التي استقى جزءاً كبيراً منها من فيورباخ الملحد _ في تصميم جدلي _ ديالكتيكي _ خاص ليجعلها قانونا للفكر وللواقع معاً ، وبحكم هذا المنطق فان كل موجود هو مجتمع مع نقيضه ، فهو ثابت ومنفي وموجود ومعدوم وإيجابي وسلبي وباق وفان وحي وميت بنفس الوقت . كما تبنّت الماركسيّة الحركة الجدليّة (الديالكتيكية) وزعمت أن جميع قوانينها صحيحة مائة بالمائة قبل أن تثبت واقعيتها في المجالات العلمية والاقتصادية .إن الماركسية – وقبلها هيجل ـــ أنكرت مبدا عدم التناقض و لم تفهمه بشكل صحيح تحقيقا لماديتها لتجعل التناقض محوراً أساسياً للصراع بين الأضداد والتناقض داخل الأشياء لتستدل على أبدية الصراع، وبالتالي تستغل ذلك سياسيا لتدعم نظريتها حول صراع الطبقات.

وفات الماركسية والهيجلية التمييز بين نوعين من التقابلات في المنطق الصوري – الارسطي – (الذي رفضته الماركسية مطلقا لانه يؤمن بمبدأ عدم التناقض) وحسب هذا المنطق فان مبدأ عدم التناقض يقول بان النقيضين لايجتمعان ولا يرتفعان ،فلا يمكن أن يكون الإنسان حي ويميت في نفس الوقت أو وغير موجود معاً ، كما لا يمكنه أن يكون

في حال ثالث بين هذين الحالتين- الحياة والموت أو الوجود والعدم - بينما يقرّ بان الضدين ممكن أن يجتمعان ولا يمكن أن يرتفعان معا ،أي انهما يمكن أن يجتمعان كالنور والظلام مثلا ولا يمكن أن يرتفعان. ان الماركسيين وهيجل خلطوا بين الأضداد والنقائض للاستدلال على نقض مبدأ عدم التناقض، أي انهم استدلوا على نقض عدم التناقض بمبدأ اجتماع الأضداد وهو بحث آخر ومورد مختلف كما بينا. فحتى المنطق الصوري يقر بجواز اجتماع الأضداد، هذا بالنسبة إلى اجتماع الأضداد أمّا بالنسبة لقيام الصراع بين الأضداد أو النقائض فقد ميّز المنطق الأرسطي الصوري بين صراعين :

الأول: الصراع بين أضداد ونقائض خارجية

الثاني: الصراع بين أضداد ونقائض مجتمعة والأمر الأول لاعلاقة له بالتناقض الجدلي — الديالكتيكي- مطلقاً لأنه لايعني اجتماع النقيضين ،بل وجود كل منهما بصورة مستقلة عن الآخر في العالم الخارجي وقيام صراع بينهما يؤدي إلى نتيجة جديدة فالمنضدة الخشبية مثلا نتجت عن عملية ما حدثت بين الخشب والإنسان وهذا يتنافى مع مبدأ عدم التناقض لان الإنسان والخشب لم يجتمعا في وحدة واحدة وانما وجد كل منهما بوجود مستقل ومجال خاص واشتركا في عمل متبادل حصلا به على نتيجة معينة كما انه لا يبرر الاكتفاء الذاتي أو الاستغناء عن سبب خارجي فشكل المنضدة مثلا لم يتكون بسبب صراع داخلي بين نقيضين أدّى إلى تطوّر الشكل الخشبي إلى المنضدة بل حصل بعملية خارجية قام بها عنصران مستقلان عن بعضهما هما كتلة الخشب وتدخّل الإنسان الذي حوّل ذلك الخشب إلى منضدة .

أن هذا الصراع ليس من مستكشفات الديالكتيك الماركسي بل هو أمر واضح يقره كل فيلسوف الهي أو مادي، منذ زمن أرسطو إمام المدرسة الميثافيزيقية -كما يسميه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) - والى اليوم .فان العمليات المشتركة للأضداد الخارجية ليست كشفاً للديالكتيك ولانقضاً للمنطق الميتافيزيقي ولا شيئاً جديدا على الساحة الفلسفية بل هو حقيقة تقررها كل الفلسفات بوضوح وليس فيها ما يحقق أغراض الفلسفة الماركسية التي تستهدف تحقيقها على ضوء الديالكتيك[1]. من جهة أخرى فقد اعتبر الشيوعيون بان الطبيعة والحياة عموما في حالة تطور مستمر وهذا

(١) فلسفتنا ص٢٣٧.

لاخلاف عليه لكنهم آمنوا بان التطور البشري لا يتحقق إلا على أساس التناقض وبالتالي أوجبوا رفض فكرة عدم التناقض والأخذ بالديالكتيك –الجدل –كبديل قسري ليفسروا الحركة التطورية للطبيعة والمجتمع على أساس التناقض الجدلي وفي ذلك يقول (ماوتسي تونك):"القضية هي عمومية التناقض أو الوجود المطلق للتناقض معنى مزدوج الأول هو أن التناقض قائم في عملية تطور كافة الأشياء والثاني هو انه في عملية تطور كل شيء تقوم حركة أضداد من البداية حتى النهاية حيث يقول انجلز "الحركة نفسها تناقض.

وهكذا يربط الشيوعيون ربطاً قسرياً لا انفكاك له بين الحركة والتطور الطبيعي وبين التناقض بينما يقول الواقع أن حركة التطور الطبيعي نفسها لايمكن فهمها لا بمبدأ عدم التناقض، لأن الشبهة القائلة بوجود تناف بين التطور الطبيعي ومبدأ عدم التناقض تستند إلى أساس وفهم خاطئ، يخلط بين القوة والفعل كما أشار سيد فلاسفة الإسلام الشهيد محمد باقر الصدر[١]، إذ أن الحركة في كل فعل هي إثبات بالفعل ونفي بالقوة.

بينما يقول الشيوعيون بان البيضة تحتوي بداخلها تناقضا بين صفة البيضة وصفة الدجاجة ، يتطور هذا التناقض داخل البيضة لتصبح البيضة فرخا والفرخ دجاجة ،لكن هذه الشبهة مردودة لان البيضة في دورها الأول تمتلك صفة البيضة فقط وامكانية التحول –في المستقبل –إلى دجاجة ، أي أنها بيضة بالفعل ودجاجة بالقوة . أي اجتمع في البيضة إمكان الدجاجة وصفة البيضة كما أوضحنا لا صفة البيضة وصفة الدجاجة معا كما زعم الجدليون الماركسيون .

وهكذا نستدل أن المتناقضان لو كان ممكنا اجتماعهما في شي لما حصل تغير أو تبدل لذلك الشي من حال إلى حال ولما وجد بالتالي تطور أو تكامل في الواقع الطبيعي أو الاجتماعي .فلا يمكن لأي أحد -مهما كان جدليا –تصور إمكانية أن يتطور الشي ولا يتطور في نفس الوقت ،فباعتبار أن ذلك غير ممكن ولا يجوز فلسفيا ،كما لا يملك مدّعوه له مصداقا في الطبيعة لذلك فقد آمنّا بمبدأ عدم التناقض كمبدأ عام ،وتبـّين ضعف وبطلان مبدأ التناقض الذي يبني عليه الماركسيون نظريتهم الأساسية في الجدل.

(١) فلسفتنا ص٢٣١.

صراع الطبقات (leconflit desetapes)

بعد أن جعل الماديون الجدليون مبدأ عدم التناقض أساسا لكل حركة أو تطور ،ودمجوهما معاً لصنع قانون المادية الديالكتيكية المتطور على أساس الجدل المادي الهيجلي أبداً ودائما ، اعتبروها ناموساً أبدياً للعالم والكون واستثمروها في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع فجعلوها سنن الطبيعة أو قوانين الطبيعة الحتمية كما يسميها ماركس قائمة على أساس الصراع بين النقائض ،ليشنوا حرباً على الدين والأخلاق باسم الصراع المادي ضد الميتافيزيقيا والرجعية وعلى أموال الآخرين باسم الصراع الطبقي وعلى الفكر المخالف لهم سواء كان ليبرالياً أو قومياً باسم الصراع السياسي ضد الليبرالية وعلى الفلسفات الأخرى باسم الصراع الفلسفي ؛ وليطبّقوا شعارهم الأثير (من ليس معنا فهو ضدنا).لقد آمنت الشيوعية سلفا بقانونها الجدلي الذي يتفق مع مخططاتها السياسية ثم فتشت حولها في الميادين العملية وصفحات التاريخ وأشكال الطبيعة من دليل يدعمه وافترضت أن العالم يسير طبقا للتناقضات الماركسية المحتواة في داخله ويتخذ في كل دور من أدواره شكلا اجتماعيا جديدا ينسجم مع الوجود الطبقي الغالب في المجتمع ثم يبدء الصراع بعد ذالك على أساس التناقضات المحتواة في داخل ذلك الشكل : وقد ظلت الماركسية تحد دائما على تحليل المجتمع الرأسمالي بشكل صراع حاد بين الطبقة العاملة من جهة والطبقه الراسماليه من جهة أخرى ، ثم يدفع هذا الصراع بالحركه التطورية للمجتمع لتحل التناقض الرأسمالي حين تتحقق الثورة الاشتراكية وتسلم السلطة إلى الطبقة العاملة الممثلة للحزب الشيوعي المؤمن بالمادية الجدلية والتاريخية والاقتصاد الاشتراكي لتبدء مرحلة دكتاتورية البروليتاريا وكما فسرت المادية الماركسية المجتمع الرأسمالي به الكيفية فإنها شملت كل مراحل التاريخ البشري وتدعي إن أساس التطور التاريخي للمجتمع الإنساني ككل هو صراع النقائض الذي مر شرحه ، فتعتبر أن الصراع الجدلي داخل المجتمع الشيوعي أدى إلى ظهور عصر العبيد ثم حدث نفس الشيء داخل عصر العبيد ليظهر عصر الإقطاع ثم يؤدي التناقض والصراع الجدي بين ملاك الأراضي والمزارعين إلى ظهور عصر الراسمالية ثم تفترض بان الصراع بين طبقة الراسماليه وطبقة العمال سيؤدي إلى انفجار الثورة الاشتراكية لتبدء فيما بعد دكتاتورية البروليتاريا التي تقود المجتمع نحو مرحلة الشيوعية ليعم السلام والسكون في كل ربوع العالم ، وبذلك ينتمي صراع الطبقات وتم

العالم اللاطبقيه الشيوعية، وتنطفى شعلة الصراعات الطبيعية في المجتمع الاشتراكي الموعود وتتلاشى الحركة التناقضيه مطلقا ، فإذا زال التناقض الطبقي يتحرر المجتمع من قيود الجدل وينتهي قانونه الجدلي ليصبح فلكلورا فكريا من عصور عتيقة. لقد بدت الشيوعية بتفسيرها هذا اقرب إلى الحلم الطوباوي منها إلى الفكر السياسي الناضج . كما أن تركيزها على عامل الصراع الطبقي جعلتها نظرة تجريدية تميل إلى اعتبار التعميم ذي الطابع الاستنتاجي النظري و التحليلات المجردة اكثر أهمية من الفكر و الممارسة الواقعية .وإظهارها كنظرة جزئية تركز على واحد وتهمل ما سواه ،كما أن بعض تحليلاتهم يمكن أن تنطبق على تركيب اجتماعي خاص ومرحلة زمنية خاصة به تحاول من خلالها أن تعمم تحليلها على جميع المجتمعات وكافة العصور والأزمنة .

إن تركيز الماركسية على صراعٍ النقائض وبالتالي صراع الطبقات كفيلة بان تنشر على الكون والحياة رداء اسود قانياً،وانه لا فرق في النهاية بين فكرة الصراع البروليتاري عند ماركس عن فكرة الصراع البرجوازي الحيواني عند دارون.

دكتاتورية البروليتاريا ladectatorité de laprolitaria

يهدف الشيوعيون إلى قيام الثورة الاشتراكية الممهدة لظهور دكتاتورية البرولتاريا ومن ثم الوصول إلى المجتمع الشيوعي المثالي الذي يطبّق شعار : من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته.

ويؤمنون بان ذلك يتم من خلال العنف والإرهاب وباسم الثورة ولا يتردد زعماؤهم عن التوعد باضطهاد كل فكر يختلف عن الفكر الشيوعي .وفي ذلك يقول لينين " إن المفهوم العلمي للدكتاتورية الشيوعية ليس شيئاً آخر غير السلطة التي لاتحدّها قيود شرعية ولا تعترضها مبادئ والتي تقوم مباشرة على العنف ".

فحسب المادية التاريخية ينبغي أن يستمر الصراع الطبقي بين أصحاب رأس المال والطبقة العاملة حتى يصل العامل إلى مرحلة مادون الكفاف لتنفجر حينذاك الثورة الاشتراكية العنيفة وتصادر كل الملكيات الخاصة وتقضي على النظام الرأسمالي والنخبة المتخمة وتؤسس دكتاتورية البروليتاريا بنظامها الاشتراكي البوليسي الصارم لتضمن تحول الجميع قسرا إلى الشيوعية فكرا وملكية . وخلال ذلك يبقى العنف مطلبا ضروريا عند

الماركسيين لتغيير العالم بواسطته وللقضاء على كل خصومهم المتمثّلين بكل من يخالفهم الرأي و حسب نظرية صراع النقائض ، لان الصراع بنظرهم يعتبر قانونا أساسيا من قوانين الطبيعة ولذلك فانهم يعتبرون أنفسهم في صراع مستمر مع كل فكر أو عقيدة أو حزب آخر يخالف مبادئهم المادية – الجدلية - . وكل تصريح للقادة الشيوعيين المعاصرين بأنهم يحترمون الفكر الآخر يكذّبه قول لينين " إننا لم نمنع الفتك والإرهاب قط مبدئيا كما يمكننا اعتبارهما من ضروريات الكفاح التي لا غنى عنها ". إن دكتاتورية البروليتاريا التي يعدنا بها الشيوعيون ترفض أي فكر أو رأي آخر وتعتبر أن أي كلمة معارضة أو حتى نصيحة تعارضها أو تعارض مبادئها الشيوعية جريمة وخيانة كبرى؛ ولذلك فأنها تضطر إلى تكوين أجهزة القمع والقسر كجهاز الكي جي بي الذي درب الآلاف من مجرمي نظام صدام والى تأميم جميع الصحف ووسائل الإعلان إذ يقول فردريك انجلز{إن البروليتاريا بحاجة إلى الدولة لا من اجل الحرية بل لقمع خصومها ويبقى الجهاز الخاص بالقمع ضروريا}. كما لايجد الشيوعيون أي ضير في تأكيد كون دكتاتوريتهم الموعودة تضطهد وتسحق كل من ليس بروليتاريا وتعتبر أن رسالتها في الحكم هي الصراع الدموي كما يعرّف لينين هذه الدكتاتورية البروليتارية {إن الدكتاتورية البروليتارية هي الصراع العنيف وهي الصراع الدموي} وهكذا تصبح الدولة الاشتراكية التي يهدف إقامتها الشيوعيون ــ أداة تسلطية بيد السلطة المركزية للحزب الشيوعي لقمع كل الطبقات ماعدا البروليتاريا وإذا حسبنا طبقة العمال الكادحين ــ في كل دولة نجد أنها اقل من ١% غي الدول المتأخرة ١٠% في الدول الكبرى وهي بكل القياسات أقلية ،فهكذا تصبح الدولة بيد أقلية تقمع سائر أبناء الشعب قمعا لاهوادة فيه .كما يقول لينين (في مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية يظل القمع ضروريا) وهذا يدفعنا للتساؤل مع السيد الشهيد محمد الصدر الثاني في اليوم الموعود : (يدعي الشيوعيون الديمقراطية فكيف تتحد أو تجتمع ديمقراطية الحكم التي يدعونها مع دكتاتورية البروليتاريا ثم إن البروليتاريا هي أقلية في كل دولة فكيف يرضى العقلاء بان تضطهد الأقلية الأكثرية)ولا ينكر الشيوعيون إصرار هم على العنف والقسوة والإرهاب كوسيلة للتغيير المنشود، إذ يقول لينين {إن دكتاتوريتنا لا تخشى من أن تلجا إلى العنف والى القسر، وان تمارس ذلك من خلال الدولة ، لان الطبقة التقدمية ــ والمقصود بها الشيوعيين ــ التي كانت تتعرض لاضطهاد

الرأسمالية تملك الحق في استعمال القسر لأنها تستخدمه لمصلحة الجماهير. }ولاجل ذلك كان القادة الشيوعيون على الدوام من دعاة الترويج لنظرية العنف الثوري التي عمت مختلف البرامج الداخلية للأحزاب اليسارية والقومية كل ذلك يدفع الشباب المتحمس إلى استخدام الإرهاب المسلح والعنف لتحقيق آمال ماركس ولينين.

الأمميّة:LeNationalité

إن الفكرة الشيوعية تقوم على أساس الانتماء والتحزب لطبقة البروليتاريا والطليعة الشيوعية بدلا من الانتماء إلى الأوطان والأديان والقوميات حيث يقول ماركس وانجلز في البيان الشيوعي توضيحا للفكرة { إن العمال لاوطن لهم ، وأننا لا نستطيع أن نأخذ منهم ما ليس لهم }. تعتبر الماركسية المصلحة العامة للعمال فوق كل مصلحة، وترى بان أي مصلحة غير مصلحتها تصب في صالح الطبقة المعادية لها وللعمال وهي الطبقة البورجوازية ، كما إن المادية التاريخية التي يعتنقها الماركسيون تقول بان اصل كل العقائد الوطنية أو الدينية هي وسائل الإنتاج كما أوضحنا أن الماركسية حينما تبنت هذه الفكرة عاملت كل المجتمعات الإنسانية ــ على اختلاف ثقافاتها ــ بنظرة واحدة على أساس مشترك مثلما فعلت حينما جعلت المسيحية النسخة النموذجية لكل الأديان ولا يخفى أن الميل الوطني والاثني ــ القومي ــ هو نتيجة قوى طبيعية وغريزية وجهتها الأحكام الأخلاقيةلاجيال كثيرة دون أن تكون واعية كل الوعي لهذا التوجيه لان الباعث على وجود القومية والوطنية هو الميل الطبيعي والتوجيه الأخلاقي للمجتمع ، لذلك فقد أعطت الفكرة الأممية للشيوعية أثرا سلبية بدلا من أن تساعد على انتشارها عالميا واعطت الفرصة للرأسماليين باتهام اليساريين بالعمالة للاتحاد السوفييتي { دولة الدكتاتورية البروليتارية } كما أن الإنسان العادي يشعر غريزيا بأنه لا يستطيع تجاهل الشعب اوالامة التي ينتمي إليها حتى إذا كان له في نهاية المطاف مصالحا مشتركة بينه وبين سائر البشر ولذلك نجد أن الإسلام باعتباره ــ دينا سماويا ومنهجا متكاملا للحياة أكد على احترام العلاقات الإنسانية بصورة عامة بحيث لا يدفعنا ذلك إلى تهميش الانتماء الوطني أو القومي، وبالعكس، ي معادلة موضوعية جديرة بالتأمل والتطبيق.

(الفصل الرابع) : الشيوعية والإسلام Lecommunisme et L'Islame

يمكننا أن نجمل هذا الفصل في موضوعين: أولا:نظرة الشيوعية إلى الدين ، وهي تحمل منظارين أيضا.

الأول : الإلحاد والثاني اللادينية.

ثانيا : موقف الإسلام من الشيوعية كعقيدة وهدف ووسيلة.

أولا : نظرة الشيوعية إلى الدين : إن الدين ،بكل أنواعه ، لامكان له مطلقا في المجتمع الشيوعي، لانه ــ حسب اعتقاد الماركسيين ــ يستمد أصوله من شعور الإنسان البدائي بالعجز أمام الطبيعة ومن الاستغلال الرأسمالي للعمال والكادحين . حيث يصور لنا الشيوعيون أن الدين مخدر للمظلومين ومسلٍ لهم ومثبط عن المطالبة بحقوقهم التي يغتصبها الرأسماليون. كما إن المعتقدات الدينية غالبا ما تشتمل على اعتقادات غيبية (ميتا فيزيقية) لاتتلائم مطلقا مع الجدل المادي (الديالكتيك) كذلك فان الهدف من الفكر الشيوعي هو قيام مجتمع يتصف بصفات اشتراكية ولا يؤمن إلا بالشيوعية كعقيدة و وسيلة في الحياة والعمل . وقد كان من شروط الانتماء إلى الحزب الشيوعي السوفييتي الإيمان بصورة مطلقة بالفكر المادي ، ومعلوم أن الفكر المادي يلغي كل العقائد الغيبية . ويعتقد اكثر الكتاب الماركسيين أن الدين يلعب دورا رجعيا ، وان الإيمان بعالم آخر يعطي الطبقات الرأسمالية سلاحا لإخضاع الجماهير الشعبية المضطهدة عن طريق وعدهم بعالم افضل ــ الآخرة ــ خارج هذا العالم ــ الدنيا ــ ، وان هذا يدفع الناقمين إلى السكون بانتظار العقاب الإلهي في العالم الآخر ، كما انه يدعو الناس الابتعاد عن السياسة تبعا لمقولة الإنجيل التي ينسبونها إلى السيد المسيح (عليه السلام): {ما لقيصر لقيصر وما لله لله} . معلوم إن هذا الكلام ممكن أن ينطبق على الأديان المعاصرة لماركس و انجلز الكاثوليكية و البروتستانتية والأرثوذكسية و اليهودية _ لكن لايمكن أن يلتقي مع إسلامنا الحنيف أبدا ، ذلك الدين الذي جاء به اعظم ثوار الإنسانية وبشر به وبقرآنه الذي يعتبر مسؤولية الإنسان ــ كل إنسان ــ استخلاف الله في الأرض وأعمارها ، والذي ربى اعظم ثوار الإنسانية وفقرائها ــ ماديا ــ في نفس الوقت، كعلي بن أبي طالب (ع) وسائر أهل البيت (ع) والصحابة المنجبين (رض) . إن النظرية الماركسية حول اصل الدين تختلف

اختلافا جذريا مع نشوء الإسلام . فالإسلام دين الفقراء والثائرين . ولو طبقنا المادية التاريخية على الإسلام لوجدناها تفترض أن أثرياء المجتمع العربي هم الذين صنعوا الإسلام ليلهي فقرائهم عن المطالبة بحقوقهم ويا للعجب ، فالحقيقة هي عكس ما يتصورون ، لان الإسلام العزيز في بدايته لم ينظم إليه إلا الفقراء والمستضعفون . وبقي كذلك على طول الخط ملجا للثوار والمظلومين . وللأسف الشديد إن الماركسيين ــ واغلب العلمانيين تقريباــ يجعلون من المسيحية الكنسية نموذجا جاهزا لكل الأديان بدون تفحص ولابرهان ، لقد كتب ماركس في مقالته عن هيجل وصفا للدين بأنه نفثة المخلوق المضطهد وشعوره بالدنيا التي لاقلب لها ...انه أفيون الشعوب ، ولا شك إن ماركس تأثر بمحيطه الديني حيث بعض رجال الدين المنحرفين والذين يدعون الفقراء إلى الهدوء والسكون تقديم الخد الأيسر للضرب بعد الخد الأيمن ... الخ. كما أن حادثة تحول والدي ماركس من اليهودية ــ حيث كان والده حاخاما يهوديا ومه من سلالة الربانيين الهولنديين ــ إلى المسيحية عندما كان عمره ستة أعوام حدثا مهما حفر انطباعا سيئا في أعماق كارل ماركس إذ إن تحوّل والديه كان لضرورة اقتصادية ولضمان مصالحهما في الدولة والمجتمع الألماني . لقد ظل راسخا في فكر ماركس أن الديانات والعقائد جميعا هي انعكاس لمصالح الفرد الاقتصادية . إن نظرة ماركس للدين بقيت منذ صغره مليئة بالحقد والمرارة من الدين ورجالاته ، ولذلك فانه يتهم الدين بأنه وعي مزور ، وان دوره يقتصر على التسلية والعزاء والاسكار عندما يصفه بأنه مخدر أو أفيون الشعوب . وهكذا ظل أنصاره ــ الشيوعيون ــ يتباهون بموقفهم من الدين ولا يجدون حرجا من إعلان الإلحاد والتباهي به ، واعتبارهم إن الأديان جميعها من مخلفات الماضي التي يجب ألا نرجع أليها ، أن الأديان هي وسائل الإخضاع الروحي كما أن الدول والأنظمة الرأسمالية وسائل الإخضاع الاقتصادي .إننا نعتقد أن نظرة ماركس جزئية سلبية ،وانه ليس من حقه إطلاق التعميم على كل الأديان ، فعندنا إسلامنا العزيز عقيدة ووسيلة ، وثورة لاتهدء أبدا في مواجهة الطغاة والمستكبرين وهو ثورة بحد ذاته على كافة أنواع الظلم والاستغلال الروحي منها والمادي.

النظرية الإلحادية: واصحاب هذه النظرة من الشيوعيين يوجبون رفض الدين جملة وتفصيلا وإلغاؤه من الحياة ومعاقبة من يروج أو يساعد على الدعوة الدينية . وقد كانت هذه النظرة هي السائدة في كل الأحزاب الشيوعية حتى وقت قريب ، لكن مع تعاظم

الصحوة الإسلامية في الشرق وتنامي الوعي الإسلامي مع ظهور مفكرين إسلاميين مثل سيد قطب والإمام الخميني والصدرين والشهيد مطهري وشريعتي وغيرهم . كل ذلك دعى الشيوعيين في البلاد الإسلامية إلى تغيير نغمة محاربة الدين . لقدكان للاتحاد السوفيتي الدور المثالي في الحرب على الأديان ، يقول لينين :إن الحرب على الدين يعتبر ألفباء الماركسية وكل نظرية مادية . ولذلك فقد حوربت الأديان في الاتحاد السوفيتي حربا لاهوادة فيها . فقد انشا الشيوعيون متحف الإلحاد العلمي ودفعوا الشباب في منظمات الشيوعية إلى السخرية من الدين .لكن حربهم ضد الإسلام كانت أعتى واشد ،لان المسيحية دين صوفي ثومائي يدع السياسة وشؤون البلاد والمجتمع للحكام ، ولا يتعرض للنظم الاجتماعية أو لاصلاح المجتمع على أساس افضل مما هو عليه وهو دين يوصي بإعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله أي الاهتمام بالآخرة والعمل لها على حساب ترك الدنيا لاصحابها من قياصرة ورأسماليين.أما الإسلام فهو نظام يجمع الدنيا و الدين معا يدعو إلى العدالة الاجتماعية {وَإذا حَكَمتُم بَينَ الناسِ أن تَحكموا بالعدل{ -} إنّ اللهَ يأمرُ بالعَدلِ وَالإحسان { ويرفض الظلم والظالمين }ويلٌ لِكُلِّ جبّارٍ عَنيدٍ {ـــ } وَما للظالمينَ مِن أنصار {-} وَلا تَركَنُوا إلى الذينَ ظَلَموا فَتمَسَّكُمُ النارً{ -} إنّي لا أرى الموتَ إلاّ سَعَادةً ولا الحياةَ معَ الظّالمينَ إلا بَرَماً {ويهتم بالدنيا والآخرة معا } وَ لا تنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا { ـــ } رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً {. ويفرض علىالاغنياء الخمس والزكاة لا باعتبارهما صدقة إحسان بل واجب شرعي . إن كل ذلك يدفع بالمسلمين لمواجهة التجبر الشيوعي ، فكانت النتيجة إعدام الآلاف بل والملايين من المسلمين ودفن الكثير لهم في ثلوج سيبيريا وأماتة البقية بالتجويع والحصار الاقتصادي، وكمثال لذلك في التركستان وحدها قتل الشيوعيون ١٠٠٠٠٠مسلم ونفوا٣٠٠٠٠٠واماتواجوعا ٣٠٠٠٠٠٠ ثلاثة ملايين مسلم في سنة١٩٣٤فقط .ولقد كانت سكان منطقة القرم عام ١٩١٧خمسة ملايين مسلم ، ونتيجة حروب الإبادة والنفي الشيوعي ضدهم اصبحوا عام ١٩٤٠ أربع مائة ألف مسلم ولا يسعنا في هذه العجالة سرد كل معاناة مسلمي الاتحاد السوفيتي المنهار .كما أن الدستور السوفيتي ينص على معاقبة وسجن كبل من يلقن الأطفال العقائد الدينية في المدارس حسب المادة ١٢٢ منه.كما إن دستور ١٩١٩ينص على حرية ممارسة الشعائر الدينية والدعاية الإلحادية . ومعرف أن هذا الأمر يفرق بين حرية التدين وحرية الإلحاد ، فالتدين مقصور على ممارسة

الشعائر فقط ــ دون الدعوة والإرشاد ــ هذا إن صدقوا في حرية الشعائر . أما الإلحاد فان معاهد ومدارس واعلام ومنظمات ودوائر الحكومة كلها تروج له . لقد كانت خطة القيادات السوفيتية نشر الإلحاد وإنشاء أجيال جديدة من البشر لا يعرفون الله الامن أعدائه ولا الدين إلا من شتائم الملحدين ، ولكن رغم ذلك أصبحت هذه الأجيال أكثر إيمانا وتعلقا بالله والأديان ، وكان ان انقلب السحر على الساحر واصبح الطلبة والشباب اكثر تعلقا بالدين ــ بعد أن تخلص الدين من المرائين و الانتفاعيين والمتاجرين به ــ واصبح اغلب الشباب يبحث في المعتقدات الدينية عن الحلول المناسبة لمشكلاتهم الروحية ... وصدق الله العظيم حيث يقول {فطرة الله التي فطر الناس عليها }. إن الإلحاد الذي انتشر في اوربا القرن الثامن عشر كان سياسيا وموجها بالأساس ضد سلطة الكنيسة وجهل قساوستها المتعنتين وتحالفهم الظالم مع الأباطرة والمستعمرين والملوك الظالمين ، أما الحاد القرن التاسع عشر فقد كان على أسس علمية ــ أي من تناقض العلم الحديث مع الكاثوليكية والبروتستانتية ــ أما الحد الشيوعية فيسمى الحاد القرن العشرين كما يؤكد روجيه جارودي المفكر الفرنسي الكبير الذي أعلن تحوله من الشيوعية ــ حيث كان سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ــ إلى الإسلام الحنيف *.

إنّ الحاد الماركسية لايجد مبررا علميا يستند عليه إلا أفكار ماركس ــ المتخلّفة علميا – وأفكار شيعته الشيوعية .ومن الطريف إن الشيوعيين الأوائل في كومونة باريس اصدروا قرارا ــ ثوريا ــ بمنع الدين وتحريمه ، كما أن البلانكيين اصدروا قرارا بمعاقبة كل من يمارس الشعائر الدينية علنا . إما ماركس فيعتبره ــ كما ذكرنا آنفا ــ مخدرا و وعيا مزورا .أما لينين فيعتبر مسالة الإلحاد والإيمان شخصية بالنسبة لعامة الناس ،لكن بالنسبة للعناصر الشيوعية يصبح الإلحاد ضروريا. كما يجمع كل الشيوعيين على أن جميع آثار الدين ستنتهي مع ظهور المجتمع الاشتراكي بحيث سيصبح مجرد ذكريات أثارا قديمة من عصر الرأسمالية.

النظرة اللادينية: عندما اصطدم الشيوعيون في المشرق العربي والإسلامي بالمجتمع وجدوا انه من الصعب جدا غرس الماركسية اللينينية أو الماوية ، وقادهم هذا إلى إعادة النظر في فكرة النموذج الواحد للثورة الاشتراكية والمجتمع الأممي الشيوعي الخالي من الدين، و وجدوا أن كل ما بناه ماركس وزملاؤه مستوحى كليا من صميم الواقع الغربي وبما يناسب التقاليد الغربية وحدها ــ بشهادة روجيه جارودي*ــ كالفلسفة

الالمانيةالهيجلية والاقتصاد السياسي الإنجليزي مع ريكاردو سانشيز والاشتراكية الفرنسية مع سان سيمون .كما أن عمق صلة المسلمين بإسلامهم وجه إحراجا وصعوبة كبيرة لمنظري الشيوعية الذين يدعون المؤمنين إلى التخلي عن إيمانهم والتصديق بنظريات مادية غربية مصدرها ماركس وانجلز واتباعهما الشيوعيين .لذلك فقد وجدت القيادات الشيوعية في العالم الإسلامي أن استخدام التكتيك المرحلي مطلوب لإيجاد قاعدة جماهيرية يمكن الاعتماد عليها .لذا فقد أطلق الكثير من الأحزاب الشيوعية شعار التخلي عن الإلحاد واعتبار مسالة الإلحاد والإيمان مسالة شخصية.بل قد تساعد الأحزاب الشيوعية أحيانا بعض الحركات الإسلامية لاجل ركوب الموجة ، مثلما فعل حزب تودة بقيادة نور الدين كيا نوري عندما جعل أنصاره يرفعون صور الإمام الخميني في المظاهرات المليونية التي شهدتها إيران ضد الشاه المقبور ، في حين كانوا يتآمرون مع الكي جي بي الروسي لتدبير انقلاب دموي واقتطاف ثمار الثورة الإسلامية الفتية ـــ التي خضبت بدماء شهداء الإسلام ـــ لإنشاء نظام شيوعي موال لروسيا السوفيتية. وفي مصر أعلن بعض القياديين الشيوعيين تأييدهم لحرية التدين، وقرروا إعادة تفسير الدين وقصصه .بما يناسب أفكار ماركس وانجلز ، بينما اخذ البعض يرائي في العبادات الواجبة ، كالسيد خالد محيي الدين الذي حرص على الاعلان عن أداءه فريضة الحج والتصريح بكونه يؤدي الصلاة ويؤمن بالإسلام كعقيدة – وطبعا لا يؤمن به كشريعة لانه يؤمن بالنظام الماركسي أو كما يسميه الاشتراكية العلمية كما إن الحزب الشيوعي العراقي منذ بداية التسعينات أبدى مرونة كبيرة في تعامله مع الحركات والشخصيات الإسلامية في المعارضة العراقية، كما حرص على توزيع منشورات تدين جريمة النظام السابق باغتيال السيد محمد محمد صادق الصدر، كما انه يحرص اليوم على مجاملة وتهنئة أبناء الشعب العراقي وتعزيته بكل مناسبة دينية .لقد حدث هذا التحول ـــ التكتيكي ـــ بعد مؤتمره الأخير الذي عقده في كردستان العراق وعلى أثره تقرر التظاهر باحترام الدين و تقوية فكرة العلمانية داخل المجتمع العراقي. إننا إذ نؤكد على أهمية تعزيز الوحدة الوطنية في عراق اليوم ، لكن ذلك لاينفي كون الفكر الماركسي كفكر مادي يتبنى الجدلية والمادية وهو يخالف العقائد الإسلامية بصورة جذرية. بالإضافة إلى انه يقف حائلا ضد كل نهضة إسلامية جديدة بسبب استماتة الشيوعيين القدماء والمعاصرين في الدفاع عن العلمانية بل واغلب الأفكار الغربية المستوردة و معاداة ربط الدين بالمجتمع ـــ كما شرّعه الله تعالى ـــ والغريب أنّ اكثر الشيوعيين الذين تخلّوا عن الشيوعية اصبحوا فجأة ليبراليين وتغريبيين متشددين ـــ مثل

شيوعيي الجزائر والمغرب ــ بينما بقي من بقي متحصناً ومدافعاً عن حياض الماركسية التي خر عليها السقف من فوق وفرّخت في أعشاشها العنكبوت.

إننا نعتبر أن الإسلام هو الشريعة الإلهية الخالدة التي شرعها الله لاسعاد البشرية وهو النظام المتكامل الذي لا يأتيه الباطل أبدا لا من بين يديه ولا من خلفه ، وكل اجتهاد أو رأي وضعي قابل للخطا اوالصح بنسبة معينة ولكنه بالتأكيد قاصر عن إدراك الحقيقة الكاملة، وان التشريع الإسلامي مناسب لكل زمان ومكان، وهو حق الله المطلق باعتباره احكم الحكماء مطلقا ، فمن يرفض الإسلام منهجا للدنيا لايمكن أن يقبله للدين إلا إذا كان مغالطا أو خاطئا أو مشتبها .لان كل عاقل إذا أراد أن يشغل جهازا جديدا أو يصلحه بالطريقة الصحيحة فلا بد له من أن يستعين بالشركة التي صنعته لتعلمه ــ بواسطة خبراؤها أو كراسات نسميها كتالوج ــ .كذلك الإنسان لا يمكنه أن يشرع القوانين والشرائع الحقة إلا بوحي الله وتسديده . إن الإيمان بالإسلام دينا وبالماركسية منهجا في الحياة يتناف مع طبيعة الإسلام لانه عقيدة تفرض الإيمان بالغيبيات كما انه منهاج متكامل للحياة وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا الترقيع ولا المساومة { أَفَتؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ وَ تَكفُرونَ بِبَعض {ــ} أفَحُكم الجاهِليّةِ يَبغُونَ وَمَن أحسَن مِنَ اللهِ حُكماً لَقوم يُؤمِنُون {كما إن صريح القران الكريم يشير إلى شمولية التشريع لكل نواحي الحياة {وَنَزّلنا عَلَيكَ القُرآنَ تِبياناً لِكلّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحمــــــــةً وَبُشرىً لِلمُؤمِنين} .

نظرة الإسلام إلى الشيوعية كعقيدة وفكرة و وسيلة:

• يهدف الشيوعيون إلى إقامة المجتمع الشيوعي المعتمد على أفكار ماركس ولينين وماو تسي تونج وإضرابهم،وهذا المجتمع يصادر كل الملكيات والحريات الفردية وصهر الجميع في بوتقة المجتمع الشيوعي المرتكز على القيم المادية، وهم بهذا يتصورون إمكان إسعاد الإنسانية وضمان المستقبل المشرق للبشر جميعا ، عن طريق توزيع الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية بتطبيق شعار من (كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته) . وهنا تلتقي الشيوعية مع الإسلام في سعيهما لتحقيق السعادة والعدالة لجميع البشر، لكنها تصر على كون هذه السعادة تنحصر بالمادية والحاجات الاقتصادية وإلغاء الملكية والحرية الفردية. والشيوعية الماركسية بهذا تؤكد على تامين الجانب المادي المحسوس و الملموس من المستقبل وتهمل بقية جوانب سعادة الإنسان كفرد أولا وكمجتمع ثانيا، بينما يعتبر

الإسلام أن التخطيط الإلهي* لإنشاء المجتمع البشري السعيد يقوم على التوازن في تحقيق الحاجات الإنسانية جميعها سواء كانت مادية وروحية أو فردية واجتماعية ،ولجميع الطبقات والأعراق بدون استثناء.

ولا يحصر إمكان توفير السعادة والعدالة ضمن نطاق معين كما تصورت الماركسية ، إن التخطيط الإلهي حسب الفكر الإسلامي يهدف إلى تربية الإنسانية أفرادا ومجتمعات تربية واعية وهادفة ــ من خلال الرسل والأنبياء والائمة ــ للوصول إلى المجتمع المعصوم الذي يتكامل فيه البناء الأخلاقي والاقتصادي للفرد عموديا والمجتمع أفقيا ، وفي هذا المجتمع القائم على أسس إسلامية مهدوية أصيلة يعطى للفرد حقوقه كاملة مع وجوب التزام ذلك الفرد بحقوق المجتمع عليه ، وتتحقق فيه كل مظاهر العدالة الاجتماعية والرفاه على كافة الأصعدة.

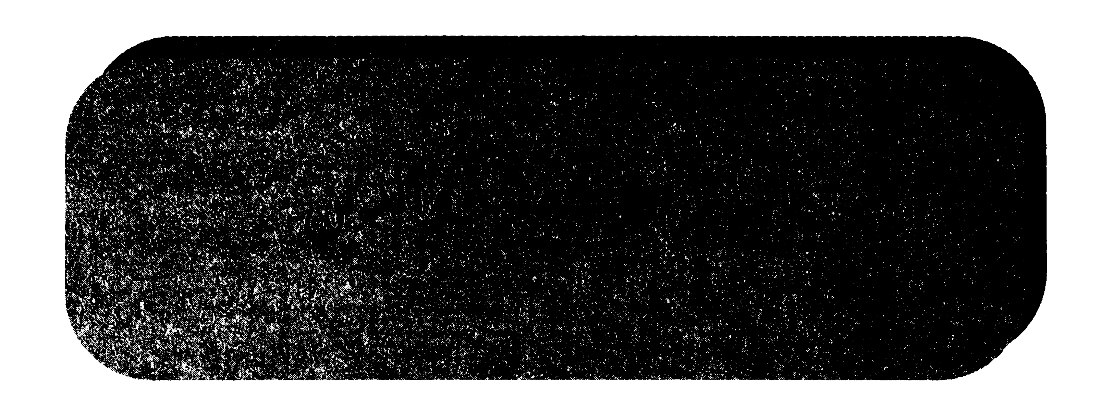
إن اصل المشكلة التي تهدف الماركسية إلى حلها تتلخص في القضاء على المبدأ الرأسمالي القائل بجعل المصلحة المادية الخاصة مقياسا ومبررا وهدفا في الحياة . مما يجعل القلة من الرأسماليين تستغل عامة الناس، وهكذا تشخص الملكية الفردية الخاصة كسبب جوهري لاخطاء الرأسمالية ولذلك فأن الشيوعية تصادر هذه الملكية ،وتبني بدلا منها نظاما دكتاتوريا شموليا تصادر فيه الملكيات الخاصة والحريات على السواء . إننا نعتقد ــ كما أشار السيد محمد باقر الصدر في رائعته فلسفتنا ــ إن أساس المشكلة يكمن في الفهم والتفسير المادي المحدود للحياة والذي أشاد عليه الغرب صرح الرأسمالية الجبار ، وعششت بين خرائبه الخلفية بيوض الشيوعية الشمولية كما أن حب الذات وتغلبها على الإيثار مع ما أشرنا إليه من التفسير المادي للحياة يؤدي إلى استنتاج إباحة عمل أي شيء من اجل الاستفادة الشخصية وجني الأرباح الطائلة تحت يافطة (المنافسة الاقتصادية) التي يجعلها الرأسماليون قيمة ومثل أعلى وهذا يدفع هؤلاء الرأسماليون إلى استغلال الآخرين لاجل المصلحة الشخصية والربح السريع ، وهكذا ظهر لنا خياران قاسيان هما النظام الرأسمالي الذي يسيطر عليه قلة من الرأسماليين والنظام الشيوعي الذي يحتكر السلطة والثروة فيه قادة الحزب الشيوعي . والأصل أن المفهوم الماركسي حول حب الذات كان خاطئا ، لانه يفترض أن حب الذات ناتج عن الملكية الخاصة ويمكن القضاء عليه بإلغاء المكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية جماعية وتنمية حب الجماعة وتربية أجيال جديدة على روح التعاون

والقيم الاشتراكية . بينما يرى الإسلام إن الحل الممكن للمشكلة هو تطوير ألفهم الإنساني للحياة ، لان المقياس الخلقي في الإسلام هو رضا الله تعالى {وجَعَلناكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا أنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم {فليس كل ما تفرضه المصلحة الشخصية جائز ولا كل ما يؤدي إلى خسارة شخصية محرم، لان الهدف الذي يرسمه الإسلام للإنسان هو رضا الله لارضا الأفراد ولا الجماعات كما يشير الإمام روح الله الخميني، كما إن صريح القران يشير إلى أن غاية الكدح الإنساني هو رضا الله} يا أيها الإنسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّـــكَ كَدحـــاً فَمُلاقِيه * {..والإسلام يوازن ويوحد بين المقاييس الفطرية للعمل والحياة ــ وهو حب الذات ــ المقاييـــــــس الواجب قيامه للحياة والعمل ليضمن الرفاه والسعادة للمجتمع ، أي بين حب الذات والمصلحة الشخصية ــ التي هي غريزة فطرية عند كل إنسان لانه لا يوجد إنسان عاقل يريد لنفسه الخسارة أو الإهانة مثلا ـــ وبين الإيثـــــــار والاشتراك مع مصالح المجتمع عموما . كما إن الإسلام يربي الإنسان أخلاقيا بحيث ينميه روحيا ويقوم بتنمـــــــية العواطف الإنسانية وعقلنتها. بينما نرى الشيوعية الماركسية تركز على ضرورة صنع المجتمع الذي ينصهر فيه الجميع ويجعلهم كتلة تتحرك وفقا لقرارات القيادات الشيوعية، ويحقق بعض الرغبات والحاجات المادية بينما يكتم أنفاس الأفراد ويصادر جميع الحريات والملكيات .كما إن الشيوعية تشترك رغم غايتها الجميلة ظاهرا مع ــ الرأسمالية ذات المنفعة الشخصية ــ في التفسير المادي للحياة ، بينما يفسر الإسلام الحياة تفسيرا واقعيا يسعى لتحقيق الفوز في الدنيا والآخرة من ناحية النفع المادي والروحي وتحقيق التوازن بين مصالح الفرد والمجتمع ، وهذا ممكن أن يتجلى بأوضح صورة في اليوم الموعود بتحقّق المجتمع الإسلامي المعصوم . أما وسيلة الشيوعية لتحقيق التغيير الاشتراكي المزعوم لبناء ذلك المجتمع الشيوعي فهي تعتمد على نظرية العنف الثوري وتغذية وصنع الصراعات الطبقية، الفكرية، الفلسفية، السياسية والعسكرية . كما أن للثورة الاشتراكية الممهدة لدكتاتورية البروليتاريا دورا أساسيا في صنع المجتمع الشيوعي ، كما أن الحزب الشيوعي يتحمل دورا طليعيا في تغيير الفكر والبناء الاجتماعي وإلغاء الخصوصيات القومية والدين والثقافة واللغة بين شعوب العالم .بالإضافة إلى نشر وترويج وزرع الأفكار المادية والإلحادية البعيدة عن الله تعالى ، حتى قال الإمام الخميني (ره) في رسالته الشهيرة التي وجهها إلى زعماء الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق في

٢٢ جمادى الأخرى ١٤٠٩ هجري : {إن مشكلة بلدكم الأساسية ــ الاتحاد السوفيتي ــ لا تكمن في قضايا الملكية والاقتصاد والحرية ، بل إن مشكلتكم تكمن في فقدان الإيمان الحقيقي بالله وهي نفس مشكلة العالم الغربي ، إن أزمتكم الحقيقية تكمن في محاربتكم الطويلة والعقيمة لله ولمبدأ الوجود والخلق }.

والإسلام يعتبر أن الإيمان بالله كاله خالق ومشرع لاشريك له وبان النبي محمد (ص) رسول نشير ونذير ومبلغ وهاد ومنقذ للبشرية وان الإيمان باليوم الآخر ــ يوم القيامة ــ وبالملائكة والرسل والأنبياء والأوصياء المعصومين يعتبرها أصولا يجب الاعتقاد بها وتصديقها ،كما يعتبر إن التشريع القانوني لكل جوانب الحياة يجب أن يرتكز على القران الكريم والسنة المطهرة والعقل والأدلة العقلية ــ ويسمي ذلك كله الشريعة الإسلامية ــ وهذه الشريعة يجب أن تشمل كل نواحي الحياة. حيث يقول الله تعالى {وَنَــزّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبياناً لِكُلّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحمَةً وَبــُشرى لِلمُؤمِنين} وكما جاء في الحديث الشريف {حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة}.

ولا تقبل العقيدة الإسلامية الطرح المادي في تفسير الوجود والخلق ، وتعتبر أن من صفات المؤمن الحقيقي الإيمان بالغيب والآخرة ، حيث يقول سبحانه {آلم. ذلــكَ الكتابُ لاريَبَ فيهِ هُدىً للمُتّقينَ الّذينَ يُؤمِنونَ بالغَيب وَيُقيمونَ الصّلاةَ وَممّا رَزَقناهُم يُنفِقُون ، وَالذينَ يُؤمِنُونَ بما أُنزلَ إليكَ وَما انزلَ مِن قَبلِكَ وَهُم بالآخِرَةِ هُم يُوقِنُون}، وهكذا فان الفهم الإسلامي للعقيدة الماركسية المعتمدة على المادية الجدلية والمادية التاريخية ــ التين وضّحناهما في فصول سابقة ــ يعتبرها عقيدة خاطئة ذات نظرية جزئية وتفسير خاطئ وتعريف مغلوط للعالم والكون



• حسقيل قوجمان



الماركسية هي اول نظرية علمية بحتة في تاريخ تطور الفكر الانساني. فقد جرى تطور العلوم عبر التاريخ تحت غطاء فلسفي بحيث ان هيغل نفسه، وهو الضليع في علوم زمانه، كان بحاجة الى فلسفته المثالية. اما الماركسية فلم تكن بحاجة الى فلسفة اذ ان ما يسمى بالفلسفة الماركسية، المادية الديالكتيكية، اصبحت علماً خالصاً من كل انواع الفلسفة بحيث ان انجلز اسماها نهاية الفلسفة. فالماركسية اذن علم بحت بل ان المادية الديالكتيكية باعتبارها علم الحركة هي علم العلوم كما اسماها لينين. فان العلوم كلها تعالج انواعاً مختلفة من حركة المادة الحية وغير الحية ولذا فان قوانين المادية الديالكتيكية تصح وتعمل على كل هذه العلوم وان العالم في كل العصور قبل اكتشاف قوانين المادية الديالكتيكية او بعدها مادي ديالكتيكي في بحوثه العلمية وفي مختبره بصرف النظر عن معتقداته الفلسفية والدينية. وهذا ما جعل انجلز يؤلف كتابه ديالكتيك الطبيعة للبرهنة على ان علم الديالكتيك يفعل وينطبق على كافة علوم زمانه.

وكون الماركسية علم بحت يعني انها لا تؤمن بأية قوة خارجة عن الطبيعة تسيطر على حركة الطبيعة او تسيرها وفقا لهواها بل تعتبر الطبيعة، الكون، مادة في حركة تسير وتتطور وفقا لقوانين معينة توصل الانسان الى اكتشاف بعضها وما زال يجهل الكثير منها

وان الانسان يكتشف خلال تطوره المزيد من القوانين التي تسير الطبيعة وتحدد شكلها في حركتها وتطورها وتغيرها. ولكن الماركسية لم يكن من الممكن التوصل الى اكتشافها او معرفتها الا في مرحلة معينة من مراحل التطور الفكري للمجتمع البشري. فلم تكتشف الماركسية بسبب ذكاء كارل ماركس فقط، ولم يكن بامكان ظهور كارل ماركس او أي شخص اخر يكتشف الماركسية قبل قرون، بل ظهر كارل ماركس لان تطور الفكر الانساني بلغ مرحلة معينة تجعل بالامكان ظهور من يكتشف الماركسية. فظهور الماركسية كان ضرورة تاريخية حتمية لو لم يكتشفها كارل ماركس لاكتشفها عالم اخر غيره.

والماركسية تعتبر الاديان كلها مرحلة من مراحل تطور الفكر الانساني. فقد جابه الانسان لدى خروجه عن نطاق الاحياء الاخرى طبيعة قاسية كان من الصعب عليه التغلب عليها فكان يطلب المساعدة من قوى تصور انها قادرة على مساعدته او انها سبب معاناته. فعبد كفه مثلا لأنّ كفه كانت وسيلته الكبرى للحصول على طعامه وعبد الحيوان الذي كان يعيش على اصطياده وفي مراحل اكثر تقدما عبد الشمس او القمر او النجوم وفقا لما اوحاه له تفكيره البدائي حول الطبيعة والقوى المسيرة لها. وكان التفكير بوجود الالهة باشكالها وانواعها مرحلة عالية من تطور الفكر البشري بلغت اقصاها في التفكير بوجود اله واحد هو الخالق للعالم والمسيطر عليه ومسيره وفقاً لهواه ورغباته. ففي مراحل تطور المجتمع البشري كانت فترات لم يكن بالامكان دفع الجماهير للعمل بدون الطابع الديني. ولكن الانبياء مثلا لم يكن بمستطاعهم ان يجتذبوا الجماهير لتأييد دينهم لو انهم اقتصروا في دعواتهم على الدعوة لدينهم الجديد لو لم يعالجوا في الوقت ذاته المشاكل الاجتماعية التي كان المجتمع يعاني منها. فاذا اخذنا النبي موسى كليم الله مثلا نرى انه استطاع ان يقود الجماهير لأنه وعدهم بالخلاص من العبودية الفرعونية. انه لم يفكر بالثورة على الفراعنة كما فعل سبارتاكوس مثلا وانما اتخذ طريقة الخروج من مصر للتخلص من العبودية. والمفروض حسب الاسطورة ان موسى كان يهودي المولد ولكن امه رمت به الى النيل لانقاذه من القتل فانقذته ابنة الفرعون ونشأ وتربى وتثقف في قصور الفراعنة كأي فرعوني اخر ولو بقي مواليا لهم لاصبح فرعوناً او اميراً. والمفروض انه انقذ اليهود من العبودية. واصل الاسطورة ان اولاد يعقوب سافروا الى مصر بسبب المجاعة والتقوا بأخيهم يوسف الذي أرادوا قتله فرموه في الجب وبقوا في مصر وتكاثروا وأصبحوا شعبا مستعبداً من قبل الفراعنة. ولكن هل كان الخارجون من مصر وراء موسى يهودا يعبدون الله فعلا؟ ان الاسطورة نفسها تفيد ان هؤلاء الخارجين استغلوا اول فرصة غاب موسى عنهم لدى اعتكافه في جبل سيناء فصنعوا عجلاً ذهبياً وأخذوا يمارسون عبادته و لم

يستطع اخو موسى هارون الكاهن الاعظم منعهم عن ذلك مما اغضب موسى بحيث انه رمى الحجرين اللذين نحت عليهما وصاياه العشر. فالناس، اذا صحت الاسطورة، قبلوا دعوة موسى الى الهروب من مصر لانهم شعروا ان في ذلك خلاصهم من عسف الفراعنة وعبوديتهم. ثم ان موسى في مستوى تطوره الفكري لم يكن يستطيع ان يتصور الناس احراراً من كل عبودية. فلم يكن بامكانه ان يتصور الله سوى بصورة فرعون كبير او مالك عبيد اكبر من الفرعون. وبذلك حول الناس من عبيد لفرعون الى عبيد لله. وما زال اليهود الى يومنا هذا يعتبرون انفسهم عبيداً لله يجب ان يصلوا له ثلاث مرات يوميا ويصوموا عيد الغفران لكي يغفر لهم الله آثامهم التي يقترفونها خلال السنة اضافة الى الكثير من القيود والشروط التي اضافها الى اليهودية على مر القرون كهنة الدين ولا علاقة لها بديانة موسى الاصلية.

نرى من هذا ان ديانة النبي موسى كانت حركة ملائمة لظروف مجتمع العبيد في مصر في فترة ظهورها. ونرى ان النبي موسى قدم للناس في أيامه حلولاً لمشاكلهم وخلاصا من عذابهم بالصورة التي استطاع التوصل اليها. ونفس الشيء يصح على كافة الديانات لانها كانت تقدم للناس حلولا لمشاكلهم وخلاصا من عذابهم في فترة ظهورها.

ولكن الديانات التي تبدأ كحركة تلبي بعض حاجات المجتمع في حينها سرعان ما تنسجم مع التكوين الطبقي للمجتمع. فكما ان المجتمع في كافة المراحل يتكون من طبقات مستغلة وطبقات مستغلة تصبح الديانات ايضا جزءاً من هذا التركيب الطبقي. فتتألف فئات دينية تشكل جزءا من الطبقات المستغلة وجزءا لا يتجزأ من دكتاتورية الدولة القائمة بينما تتحول الاغلبية الساحقة من اتباع تلك الديانات الى جزء من الطبقات المستغَلة. وبذلك تتحول الديانة الى ادوات استغلال لتابعيها ولأتباع الديانات الاخرى اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً على حد سواء. ويقوم رجال الدين وكلاء الالهة بتفسير الدين بالصورة التي تضمن مصالحهم الاقتصادية والسياسية. وتنشأ نتيجة لذلك فروع وفئات مختلفة حتى في الديانة الواحدة. والتاريخ كله سلسلة من هذه الانقسامات الدينية حتى في الدين الواحد والحروب الدينية لمختلف الديانات وحتى بين أتباع الديانة الواحدة. وأصبحت الدول طوال تاريخ القرون السابقة اما دولاً دينية او دولاً دنيوية تعتمد الدين وتستخدمه وسيلة لتحقيق سياساتها. واستمر هذا الوضع حتى يومنا هذا. فنرى الديانات المسيحية المتناقضة بالمئات وكذلك المدارس الاسلامية العديدة والمدارس اليهودية المختلفة والصراع بينها والمظالم والمجازر التي تجري بأسم هذه الديانة او تلك. بل حتى بوش ادعى انه ينفذ ارادة الله في حربه على افغانستان والعراق.

ظهرت الماركسية في نظام راسمالي تستغل فيه الطبقة الراسمالية الشعب الكادح كذلك ظهرت في مجتمعات تسودها شتى انواع الديانات السماوية وغير السماوية. والماركسية هي نظرية الطبقة العاملة التي توجهها وترشدها الى الطريق الصحيح لنضالها من اجل تحرير نفسها والشعوب الكادحة من كل انواع الاستغلال. وكان على الاحزاب التي تسترشد بالماركسية في مسرى نضالها ان تحدد موقفها من الديانات كما تحدد موقفها من كل الظواهر السياسية والاجتماعية الاخرى.

ولذلك بدأ البيان الشيوعي بعبارته الشهيرة "هناك شبح يجول في اوروبا — هو شبح الشيوعية. وقد اتحدت قوى اوروبا العجوز في حلف مقدس لملاحقته والتضييق عليه؛ من البابا والقيصر الى مترنيخ وغيزو، ومن الراديكاليين في فرنسا الى رجال الشرطة في المانيا."

هناك مرحلتان مختلفتان في نضال الاحزاب الماركسية وتحديد مواقفها من الدين تتحدد وفقا للمرحلتين في نضالها ضد الراسمالية. ففي المرحلة الاولى تجابه الاحزاب الماركسية السلطة الراسمالية وكذلك السيطرة الدينية وعليها ان تحدد مواقفها طبقا لذلك. وفي المرحلة الثانية، بعد الثورة الاشتراكية، عليها ان تحدد مواقفها بصفتها سلطة ودولة تجاه مختلف القضايا ومنها الديانات. وفي كلا المرحلتين تحدد الاحزاب الماركسية موقفها وفقا للطابع الطبقي للمجتمع اي انها تميز بين الديانات بصفتها سلطة ووسيلة استغلال للكادحين وبين الديانات كتقاليد راسخة في اذهان الناس البسطاء والكادحين عن ايمان واعتقاد. فهي تفضح بشدة سيطرة الدولة والمؤسسات الدينية على جماهير الشعب واستغلالها وتكافح ضد كل انواع التمييز الديني واضطهاد الديانة الرسمية للديانات الاخرى واستخدامها وسائل لخلق العنعنات والتصادمات التي تبعد الكادحين عن وحدتهم في النضال ضد الطبقات المستغلة دينية كانت ام دنيوية. ومن الناحية الثانية تستخدم التثقيف والاقناع بين الجماهير الكادحة لابعادها عن التعصب وعن التصادمات بين الديانات المختلفة والتيارات المختلفة في ديانة واحدة. وفي الوقت الذي تكافح ضد كل انواع الاستغلال الديني تراعي الناس البسطاء في معتقداتهم ولا تبدي عداء لهم بسبب تدينهم. واهم من كل ذلك يجب ان يكون موقفها مرناً تجاه اناس ما زالوا مؤمنين بدياناتهم رغم انهم مناضلون اشداء ومخلصون ضد الاستغلال ومستعدون حتى للانضمام الى الاحزاب الماركسية بدون أن يجبروا على التخلي عن معتقدهم كشرط لقبولهم في الحركة وجعل الاخلاص للحركة والنضال والتمسك ببرنامج الحزب اساسا والايمان الديني امرا فرعيا في تحديد الموقف من مثل هؤلاء المناضلين.

وهذا الامر يتخذ المزيد من الاهمية في عراق اليوم مثلا حين تكون مقاومة الاحتلال على رأس مهام الماركسيين وحين ينضم الى المقاومة كل انسان يشعر بظلم المحتلين الانجلواميركان وحلفائهم. واكثر من ذلك هو ان القيادات الدينية تستغل وطنية هؤلاء المتدينين لقيادتهم بطريقتها ووفقا لمصالحها الاقتصادية والسياسية بينما تدعو الضرورة الماركسيين الى اجتذاب الكثير من هؤلاء المتدينين المخدوعين للانضمام تحت لوائهم وقيادتهم في الصراع من اجل تحرير البلاد من المستعمرين واعوانهم.

اما دور الماركسية تجاه الدين بعد انتصار الثورة الاشتراكية وتولي البروليتاريا الحكم فيختلف كثيرا عن دور الماركسية بصدد الدين قبل الثورة. ففي جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية يصبح سلوك الماركسيين خاضعا لطبيعة دكتاتورية البروليتاريا. لذا يصبح السؤال هنا ما هو موقف دكتاتورية البروليتاريا من الدين؟ والجواب هو كما هو الامر في جميع الميادين يتحدد موقف دكتاتورية البروليتاريا من الدين حسب الطبيعة المزدوجة لدكتاتورية البروليتاريا اي الدكتاتورية والديمقراطية.

فالدكتاتورية تعامل كل انواع الاستغلال الديني القائمة في المجتمعات الراسمالية وغير الراسمالية كمعاملتها لشتى انواع الاستغلال الاخرى. معروف ان المؤسسات الدينية اصبحت في الدول الراسمالية مؤسسات راسمالية كبرى تستغل العمال والكادحين متدينين كانوا ام غير متدينين. ولذلك فعلى دكتاتورية البروليتاريا ان تمارس ضد المؤسسات الدينية الراسمالية نفس الاساليب الدكتاتورية التي تمارسها ضد المؤسسات الراسمالية الاخرى. فكما تؤمم دكتاتورية البروليتاريا البنوك والمصانع عليها ان تؤمم املاك واموال المؤسسات الدينية لمنعها من استغلال العمال وسائر الكادحين. ومعروف ان في الدول الراسمالية يوجد اتحاد وتضامن تام بين سلطات الدولة والسلطات الدينية. ولذلك على دكتاتورية البروليتاريا ان تقمع الترابط بين سلطات الدولة والسلطات الدينية. واول واجب من هذا النوع هو فصل الدين عن الدولة. فلا تبقى ثمة علاقة بين الدولة والسلطات الدينية. وهذا يعني انه لا تبقى ديانة رسمية للدولة ولا ديانة سائدة وديانات ثانوية. والدولة هي دولة علمانية تعامل الناس بصفتهم مواطنين بصرف النظر عن صفاتهم الدينية. وهذا من شأنه ان يزيل كافة العنعنات والنزاعات الدينية وما يرافقها من مجازر واضطهادات وتمييز الاشخاص وفقا لدياناتهم.

صفة اخرى من صفات الدكتاتورية تجاه الدين هي فصل الدين عن الثقافة العامة. فلا يسمح بالتثقيف الديني في المدارس بل يقتصر تثقيف الاجيال الجديدة على الثقافة العلمية

البحتة. وايقاف اية اعانات مالية لمؤسسات دينية ايا كان شكلها. والخلاصة هي ان على الدكتاتورية ان تمنع اية وسيلة من وسائل الاستغلال على اساس ديني.

ولكن هناك مهام ديمقراطية بصدد موقف الماركسية من الدين. فالصفات الديمقراطية لدكتاتورية البروليتاريا تجاه الدين هي اعلان حق كل انسان بان يعتنق دينا او ان لا يعتنق اي دين. فدولة دكاتورية البروليتاريا تمنح لكل شخص الحق في ان يعتنق الدين الذي يؤمن به ولا تضطهد او تميز شخصا في اي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية بسبب ممارسته تقاليده الدينية او بسبب عدم تدينه. فالاشخاص متساوون في حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بصرف النظر عن تدينهم او عدم تدينهم ولا توجد في بطاقات هوية اي شخص اشارة الى الدين الذي ينتمي اليه ولا يحق لاي مسؤول ان يسأل عن ديانة شخص اثناء توجهه للدولة من اجل اية قضية او اي استخدام.

ولكن على الماركسيين ان يحذروا اشد الحذر من الانزلاق وراء اتجاهات انتهازية تتظاهر بالايمان او الاعتقاد بديانة معينة رغبة في اجتذاب جماهير تلك الديانات. فالماركسية تعتبر ان الديانات كانت ضرورة في مراحل نشوئها ولكنها لم تعد تخدم المجتمع. فالماركسيون يجب ان يعربوا بصراحة عن عدم اعتقادهم باي من هذه الديانات صراحة بدون تورية او رياء. فكما ان الماركسيين لا يضطهدون شخصا بسبب معتقده الديني يطلبون من الاخرين الا يضطهدوهم بسبب عدم اعتقادهم باي دين. ويجب الا يؤدي الاضطهاد الديني والفتاوى ضد الشيوعية والماركسية بالماركسيين الى التظاهر بالتدين او الاعتقاد بدين معين للتخلص من الاضطهاد الديني بل يجب ان يفضحوا رجال الدين في ريائهم واضطهادهم للماركسية والشيوعية بالضبط كما يفضحون الدعايات السياسية الموجهة ضد الشيوعية من قبل القوى الراسمالية والقوى الموالية لها. فالماركسية تريد ان تتخلص من الدين بصفته مرحلة قديمة لم يعد لها دور ايجابي في تطور المجتمع ولكنها لا تستطيع ذلك بفرضه بالقوة على الجماهير المتدينة بل تتوصل اليه بالاقناع والتثقيف والبرهنة على ان القيادات الدينية لا تعمل لمصلحة الكادحين بل تعمل لمصالحها الخاصة التي تعني استغلال الكادحين شانها في ذلك شان القوى الراسمالية. على الماركسيين ان يميزوا كل التمييز بين معاداة الدين والمتدينين وهو لا علاقة له بالماركسية وبين الرياء والتملق للدين وهو الاخر لا يمت الى الماركسية بصلة. الماركسية لا تؤمن بدين ولكنها لا تضطهد المتدين بسبب تدينه. ولكنها تضطهد الاستغلال الديني بكل ما اوتيت من قوة.

هل الدين هو فعلا أفيون الشعوب . . أم أن هناك مفهوم أفيوني للدين

• عمرو اسماعيل

أن جملة «الدين أفيون الشعوب» و المشهورة عن كارل ماركس يأخذها خصوم الشيوعية و معظم مؤيديها علي أنها تعنى عداء ماركس للدين وبالتالي فأن أي يساري أو اشتراكي هو غير متدين بالتعبير المهذب أو كافر و زنديق يجب استتابته وقتله أن لم يرجع عن أفكاره الإلحادية أن كان مسلما بشهادة الميلاد كما هو رأي (بعض) جماعات الإسلام السياسي التي تنشر الرعب و القتل في العالم اليوم.

ولكني لست شيوعيا ولا حتى يساريا و أعتبر نفسي مسلماً مؤمناً و محباً لله و رسوله حتى لو اعترض البعض ولكني أؤيد ماركس أن الدين ممكن أن يكون فعلا أفيون للشعوب و أعتقد أن ماركس عندما كتب هذه الجملة لم يكن يعني أنه ضد الدين كدين ولكنه كان يصف مفهوم أو أيديولوجية الدين عند غالبية الشعوب ، ذلك المفهوم الذي يذهب بالعقل تماما كالأفيون ويجعل هذه الشعوب قابلة لوضعها المزري علي أنه أرادة ألهية أو أنه نوع من القضاء و القدر.

أو تقرأ الدين بمفهوم انتقائي عنصري يشبه هلوسات متعاطي الأفيون الذي يريد أن يهرب من الواقع الي حلم يصعب تحقيقه ويجعله يعتقد أنه أسعد أو أقوي إنسان في العالم و يكون وهو في حالة النشوي الناتجة عن الأفيون الحقيقى أو الديني قادرا علي تنفيذ

أعمال غير إنسانية لا يستطيع أن ينفذها وهو في حالته الطبيعية. ولعل الشعوب الإسلامية هي أفضل مثال لانتشار هذا المفهوم ألأفيوني للدين بجانبيه السلبي بجانبه العنيف المتسلط والغير واقعي.

فغالبية الشعوب الإسلامية يغلب عليها المفهوم ألأفيوني السلبي للدين والذي يجعلها تقبل الظلم الواقع عليها من حكامها وحالتها الأقتصادية المزرية الناتجة عن فشل الحكومات واستئثار السلطة و أذنابها من المنافقين بالثروة وسرقة كد و عرق هذه الشعوب .. تقبل هذه الشعوب هذا الظلم الدنيوي و الذي هو من عمل البشر علي أنه أرادة ألهية و قضاء و قدر و أنه كل ما عليها أن تفعله هو أن تكثر من التضرع الي الله بالصلاة و الدعاء أن يرفع عنها هذا البلاء أو أن يعوضها عنه بالجنة في الحياة الآخرة.. وهو مفهوم يعمقه لدي العامة منذ ظهور الأسلام وقبله في الأديان الأخري فقهاء السلطة من المنتفعين بجاه السلطان أو الراهبين سطوة سيفه، و الذين لا ينفكون يقنعون العامة أن طاعة ولي الأمر هو من طاعة الله وأن طاعة أمام جائر يقيم الصلاة و الحدود الشرعية و يحمي الثغور هي واجبة شرعا لأن الخروج عليه أو محاولة تغيير الواقع قد ينتج عنه فتنة تضر بالمسلمين أكثر مما تنفعهم.

ناسين أو متناسين أن الإسلام كان ثورة ضد الظلم والقبلية و الاستعباد و أن الله هو القائل في محكم كتابه أنه «لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم» وأن رسولنا الكريم (صلوات الله عليه) هو من قال «لا فضل لعربي علي أعجمي ألا بالتقوي». وفقهاء السلطه هؤلاء و منهم الكثيرين الذين يعيشون بيننا حتي الآن و يزينون للحكام ظلمهم هم المسئولين أن الاسلام لم يستطيع القضاء علي القبلية و الطائفية حتي الآن وانتصرت قريش في الماضي علي كل قيم العدل في الإسلام بفضلهم و تسلطت علي بقية خلق الله في العالم الإسلامي وكأنها نجحت في ثورتها المضادة على الإسلام بعد وفاة الرسول وهم مسئولين حتي الآن عن القبلية و الطائفية التي نراها الآن في أسوأ صورها في العراق.

أما الجانب الآخر من المفهوم الأفيوني للدين فهو الجانب الذي تستغله جماعات العنف من الأسلام السياسي في التحكم بأتباعها و استقطاب أعضاء جدد من المجموعة الأولي ..

فهذه الجماعات تغيب عقول أتباعها بأوهام عظمة المسلمين في العصور الأولي و كيف أنهم حكموا العالم واستمتعوا بخيراته وسبوا نساء الكفرة من أتباع الأديان الأخرى لأنهم قوم كانوا يحبون الشهادة وكانوا يطيعون الله في القتال في سبيله وينشرون العدل بين الأقوام التي استسلمت لسيف الإسلام البتار ولذا دخلت في دين الله أفواجا وأن واجبهم الآن هو اتباع السلف الصالح وأن يسعوا للجهاد في سبيل الله فيكسبون الآخرة أن لم يكسبوا الدنيا و يستمتعون بحور العين في الجنة.. فيتسابق الشباب المغيب في هذا الحلم الأفيوني الجميل الي قتل الأبرياء أو الذين لا قيمة لهم من الأعداء في عملية انتحار شجاعة لا يمكن أن يقوم بها عاقل في حالة وعي كامل فيفقدون حياتهم عبثا بينما يستمتع الشيوخ من القادة بحياتهم في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض علي السلطة .. ألم تلاحظوا أن معظم أن لم يكن كل من يقوم بالعمليات الأستشهادية هم من الشباب وصغار السن الذين يمكن التأثير علي عقولهم و التغرير بهم و أنا فعلا أعتبرهم شهداء لأنهم مغرر بهم و عقولهم مغيبة و يقدمون علي عملهم لأسباب يؤمنون بنبلها والمسئول الحقيقى هم قادتهم الذين يستخدمونهم كأسلحة بشرية لا قيمة لها لتحقيق مآربهم و تعطشهم للسلطة.

وهؤلاء القادة يتناسون عن عمد أن الأسلام أمرنا بالحكمة و الموعظة الحسنة و ان نجادل الآخرين بالتي هي أحسن وهم ينتقون آيات القتال و الجهاد و يخرجونها من سياقها و اسباب نزولها في قتال المعتدين فقط وينسون أن رسولنا الكريم و ضع شروطا لهذا القتال و هو الإنذار أولا وقتال المحاربين فقط دون النساء و الأطفال و العزل وعدم قطع الحرث والنسل وغيرها من الأمور التي تدل علي النخوة و الشهامة والأهم الخلق الرفيع في معاملة الأعداء فالرسول لم يبعث بأرهابيين و انتحاريين الي قريش أنما حاربهم خارج التجمعات المدنية و عندما فتح مكة عفي عن أعدائه السابقين ولكن للأسف هؤلاء الأعداء أنفسهم هم من أورثونا هذا المفهوم الخاطيء للدين .

أن الدين الحقيقي و خاصة الإسلام الذي يحض علي الأخلاق والعمل والعدل ونشر هذا العدل ويعطي للأنسان راحة نفسية أثناء عبادة الله و التضرع له و يجعله قادرا علي تقبل مصاعب الحياة من مرض او حتي سوء حظ و ليس تقبل الظلم و القهر الذي هو

عمل بشري يمكن دفعه، و هذا الدين الحقيقي في نفس الوقت يجعل الأنسان يقاوم الظلم و العدوان و يقاتله بنخوة وشهامة و عقل ..لا يهدر دماءا بريئة و لا يقهر الآخرين علي اتباع عقيدته .. هذا هو الدين الذي لا يمكن أن يكون أفيونا للشعوب بل حافزا لها للرقي و التقدم.

أما المفهوم الأفيوني للدين فهو ما جعل من لا دين لهم و لا خلق هم من يستمتعون بخيرات الحياة الدنيا ويقودون العالم الي العنف و القتل و ربما الي الفناء في نهاية الأمر .. لقد تخلص الغرب الي حد ما و ليس تماما من هذا المفهوم الأفيوني للدين عندما تخلص من فقهاء السلطة والمتاجرين بالدين .. ولكن من وقت لآخر يظهر فيه أمثال شارون و بوش من أتباع اليمين المتطرف .. ولكن هناك الأمور تصلح نفسها بفضل الديمقراطية .. أما نحن فما زال الطريق طويلا أمامنا للتخلص من هذا المفهوم و العودة الي الأسلام الحق أو أعادة اكتشافه.



الشاعر الجواهري : حظي بتأييد الشيوعيين ورعايتهم

ادبيات في تمجيد الشيوعية وأخرى ضدها

سلاما عيد النضال

محمد مهدي الجواهري

سلاماً: وفي يقظتي والمنام وفي كل ساع وفي كل عام

تهادى طيوف الهداة الضخام

تطايح هاماً على إثر هام

سلاماً: وما انفك ودق الضرام

من الدم يشخص حيا أمامي

سلاماً: وفي كل ما أستعيد من الذكريات وما أستفيد

من العبر الموحيات الدوامي

أحسُّ دبيبا لها في عظامي

سلاماً: ومنذ العصور الخوالي مذ اخضر حقل بسمر الغلال

ومذ حكمت سادة في الموالي

تنسمت الأرض ريح النضال

زهــــت بالشـــريد رؤوس الجبـــال

وتـــاه الثـــرى بالـــدماء الغـــوالي

ودقت مســامير خجلــى عطاشــى بكــف المسيح فطــارت رشاشــا

بقايـــا دم للعصـــور التـــوالي

تخضـــب بالمجـــد هـــام الرجـــال

سلاماً: وراحــت ركامــاً ركامــاً تمــد البطــولات هامــاً فهامــا

وتلقـــي علـــى كـــل درب إمامـــا

تحـــاذر منـــها الطغـــاة انتقامـــا

وترهـــب مـــن طيفـــه مـــا أقامـــا

نظامـــاً يبـــدل منـــه النظامـــا

ســلاماً: وراحــت تثــور العظــام ويعصــف بالعاصــفات الركــام

ويشـــمخ في كـــل جيـــل امـــام

يمـــد البطـــولات هامـــاً فهامـــا

ويـــنفخ في كـــل روح ضـــراما

سلاما: وراحــت شــعوب تثــوب ويزحــف غضــبان حــق ســليب

ســـلاما: وبالـــدم ضـــوّت دروب

بهـــا راح يتلـــو صـــليباً صـــليب

ســـلاما: ومـــا انفـــك نـــوء يصـــوب

مـــن الـــدم يخضـــب منـــه الجـــديب

سلاماً: ولم تأل تنمو زروع عليهن يتلو الصريع للصريع

سلاماً: ونعم الحصاد الوثوب

ونعم المثاب، ونعم المثيب

سلاماً: ودوى صراع عنيد به السادة استبسلت والعبيد

سلاماً: وراحت تصب القيود

ويحمر فرط الحياء الحديد

وتفرى لتغدو سياطاً جلود

ويطرق في الغاب خزيان عود

نحث المشانق منه اعتسافاً تدلى عليهن هيفا لطافا

من الصيد في كل صبح قدود

بهن من الفجر يخزى عمود

سلاماً: وألقى النضال الرحالا بأرض بها الدم يسقي الرمالا

بحيث تَجِدُّ الرياح انتقالا

تهز الجنوب وتذكي الشمالا

وحيث تحب الحياة الجدالا

يصارع فيها الحقيق الخيالا

سلاماً: وفي دجلة والفرات مخاض الصعاليك، مهوى الشراة

أناخ النضال يجر النضالا

يبدل ما استطاع بالحال حالا

سلاما: ومن دجلة والفرات ومن حفر لصق دور السراة

ومن رحم الأزم المعسرات

ومن حبك العقد الموغرات

تحدر في حقب خيرات

مغاوير في مشية مزدراة

كماة يخيفون موتا يخيف وراحت عليهم تلاقى الصفوف

وعادت تصبب كالنيرات

شموخاً جباه الحفاة العراة

حماة النضال: وجيل يفور على محور من شموس يدور

يسير ويعرف أين المصير

له ألف نجم بنجم بغور

سيملي إرادته إذ يثور

سيحرث أرضاً أباديد بورا ويطلع روضاً عليها نضيرا

على مثلها لن تعيش الشرور

ولكن يعيش القمين الجدير

سلاماً: وفي كل جيل وجيل ستلغى قداح بكف المجيل

سلاماً: وفيما تذيع العصور

ستنعش منها الشفاه العطور



في ذكرى تأسيس الحزب الشيوعي العراقي

• محمد صالح بحر العلوم

أنـــرت بأعوامـــك الأربعـــين ... طريـــق السـعادة للكـــادحين

وحصـــنت أســـوار دار الســـلام ... بـــأرواح قادتـــك الخالـــدين

* * *

أتيـــت وآذار ينـــوي الـــذهاب ... فأودعـــك الطيـــب مـــن ورده

وأبقـــى بلابلـــه في حمـــاك ... تصـــد الغـــرابين عـــن حـــده

وتشـــدو بـــذكر وليـــد بـــدا ... يغـــرد للشـــعب مـــن مهـــده

* * *

وقاســـيت عـــبر الســـنين ... كـــثيراً مـــن المحـــن القاســـية

وجبـــت الســـجون فحولتـــها ... معاهـــد نوعيـــة عاليـــة

ولم يبـــق لـــدى الظـــالمين ... ومالـــك فيـــه يـــد داميـــة

* * *

وأطلعـــت في كـــل ليـــل دجـــا ... كواكـــب ســـيرتك الســـاطعة

تشـــق الظـــلام بأنوارهـــا ... وفيهـــا حقيقتـــك الناصـــعة

تمثـــل شـــعباً يريـــع الطغـــاة بجبهـــة ثورتـــه الواســـعة

* * *

وكـــان صـــمودك في النائبـــات عظيمـــاً كأهـــدافك الســـامية
وذود الطلائـــع عـــن شـــعبها أشـــد مـــن القتـــل للطاغيـــة
ففـــي قتلـــه شخصـــه هالـــك ولكـــن دولتـــه باقيـــة

* * *

وجـــدت بـــأثمن مـــا في يـــديك لشـــعب وجـــودك مـــن أجلـــه
ومـــا قيمـــة الفـــرع إن لم يكـــن يجيـــد التعلـــق في أصـــله؟
فيـــا لـــك مـــن صـــانع مبـــدع جـــوى جـــوهر الخـــير في فعلـــه

* * *

لـــك المجـــد في عيـــدك الأربعـــين والشـــعب والجبهـــة الـــنيرة
والكـــادحين وهـــم معـــدن الـــ صـــيانة للثـــورة الخـــيرة
فكل الشـــعوب كشـــعب العـــراق بهـــدي كهـــديك مستبشـــرة

* * *

لـــك المجـــد والمجـــد في ذاتـــه حصـــيلة طـــول النضـــال المجيـــد
فيـــا ســـلم العقـــل في عـــالم على العدل يـــبني الســـلام الوطيـــد

* * *

ويا حـــزب (ليـــنين) أنى تكـــون فأنـــت الســـعيد بعمـــر مديـــد
أنـــرت بأعوامـــك الأربعـــين طريـــق الســـعادة للكـــادحين
وحصـــنت أســـوار دار الســـلام بـــأرواح قادتـــك الخالـــدين

ثورة اكتوبر

محمد صالح بحر العلوم

أنــت يــا (ثــورة اكتــو ... بــر) للعــالم عيــد
أشرقت مــن فجــرك الشمــ ... ــس فحياهــا الوجــود
وبــدت مــن غلبــك المــر ... صــود بــالموت أســود
تشــهد الشــعب علــى ... (قيصــر) والشــعب شــهيد
إن حكـــم الظلـــم في ... قيصـــر وَلّـــى لايعـــود

*   *   *

أنــت يــا ثــورة جيــل ... حفّــه الحيــف الشــديد
كــم بــك انــدكت حــدود ... ولــك انفكــت قيــود
وازيلــت مــن طريــق الــ ... عــثير الســاري ســدود
جئــت بــالحق فوافــا ... ك قريـــب وبعيـــد
واذا الـــزراع والصـــناع ... والجـــيش جنـــود
في لـــواء واحـــد يجـــ ... ـــمعها القصـــد الوحيـــد
فوجـــود الحـــق في التطـــ ... بيـــق مـــن يومـــك جـــود

*   *   *

لــك يــاثورة هــذا الــ ... ـــجيل تـــأريخ مجيـــد
كــل حــرف منــه للأحــ ... ـــرار انجيـــل جديـــد
زان جيـــد العـــدل مـــن ... أحكامـــه العقـــد الفريـــد

وتساوى الناس فالسيـ ـد يسعى والمسود

* * *

وأمَّحى الرق فلم تبق إماء وعبيد
أوقدوا بالأمس ناراً وهم اليوم وقود
وهوت من شرفه ألا قطاع اشراف وصيد
والجنايات بأهليها على النار تميد
والجماهير حيال النار للثار شهود
أدركت غايتها الكبـ ـرى ونالت ما تريد
فحقوق الشعب والدو لة تمليها الجهود
ينقص الأجر مع الجهـ ـد وبالجهد يزيد
عالم ما فيه نكرا ن ولا فيه جحود
كل انسان بحكم الـ ـوعي والسعي سعيد
طرباً بالعدل يشدو وعلى العدل يشيد
واذا بالأرض كالفر دوس والناس ورود
أمم خلدها المجد وفي المجد خلود
صعدت تجري مع الشمـ ـس فجاراها الصعيد

* * *

إيه يا انشودة الدنيا وللدنيا نشيد
صدحت فيك شعوب والصدى هذا الصمود
عذت بالذكرى وفي انفاسك الذكر الحميد

لـــو مـــلأت البيـــد شـــكراً لـــــك شـــعر لايبيــــد
لَتبقـــــى القصـــــد منقـــــو صـــــاً ومـــــا تم القصـــــيد

* * *

يــــا ســــتالين بفضــــل الــــ ــــعقل تــــبنى فتجيــــد
وبنــــاء العقــــل كالعقــــ ــــل قــــوي وعنيــــد
لـــك (بحـــران) مـــن الـــرأي (طويـــــل) و (مديـــــد)
وســـــديدان مـــــن الحلـــــم ســـــيح وشـــــديد
وطريقـــــان مـــــن المجـــــد طريـــــف وتليـــــد
ونقيضـــــان مـــــن النـــــا س محـــــب وحســـــود
وعـــــدوّان علـــــى الأرض طـــــريح وطريـــــد
ولكـــــل مـــــن عـــــدويك علـــــى المـــــوت ورود

* * *

لـــك يـــا صـــالح هـــذا الـــ مصـــر والقـــوم (ثمـــود)
(آيـــة) مصـــدرها الحكـــ ـــمة والـــرأى الســـديد
أشـــرقت في الرايـــة الحمـــ ـــراء والأحـــداث ســـود
وســـرت تلقـــف مـــا يبتـــدع (الهـــر) العنيـــد
وتكيـــل الصـــاع صـــاعين لأقـــــوام تكيـــــد

* * *

أيهـــا الليـــث وتشبيـــ ـــهك بالليـــث جحـــود
بيـــد ترمـــى الطواغيـــ ـــت فتطويهـــا اللحـــود

حاســـبت هتلـــــر يمنـــــا   ك وباليســـــــري الرصـــــيد
وفتحـــت الـــريخ والريـــــ   ـــــخ بأهليـــــه يجـــود
والـــــزعيم الهـــــر مـــــن   مصـــيدة الـــروس شـــريد
لا الـــدم المـــوروث يجـــــ   ـــديه ولا الـــدمع يفيـــد

* * *

لـــك في الثـــورة والحـــر   ب علـــى البغـــي شـــهود
إن روح الشـــعب في النقـــــ   ـــمة نـــار وحديـــد
قف علـى القفقـاس واصــــ   ــرخ بـدعاة الحـرب بيـدو
فوحـــوش الحـــرب مـــن زأ   رتـــك الأولى قـــرود
ألوجـــه العـــدل لـــولا   وجهـــك البـــاقي وجـــود
أم لهـــذا العلـــم لـــولا   نســـج كفيـــك بـــرود
أيـــن كانـــت ذرة الشيـــــ   ـــخ عـــن الشـــيخ تـــذود
هـــذه الرعـــدة بالـــذرة   يـــا شـــيخ وعيـــد
خفـــف الرعـــد ففـــى الافـــ   ـــق بـــروق ورعـــود

* * *

عصافير

● **بدر شاكر السياب**

عصافيـــر؟ أم صبية تمرحُ
أم الماء من زهرة ينضحُ
وأقدامها العارية
مصابيح ملء الدجى تلمحُ،
هتكنا بها مكمن الطاغية
وظلماء أوجاره البالية
علينا لها: أنها الباقية
وأن الدواليب في كل عيد
سترقى بها الريح .. جذلى تدور !
إلى عالم كل ما فيه نور

(من الأسلحة والأطفال)١٩٥٤



مم وزين

• عبد الله كوران

مم: —
زين .. يا زيني ..
يا حبيبتي العزيزة على القلب
مدي لي يدك،
فالقلب على وشك أن يطير..
انهضي لنذهب معاً،
لقد اخضرت الأرض..
وأرض كردستان،
بعد رحيل الشتاء
عروسة الدنيا..
جميلة .. كالجنة..
في موكب الرفاق والأصدقاء
والقلب عامر بالحقد على الطغاة..
ثُرنا كفوهات البراكين
وانتشرت أشعتنا في الظلام
حملنا المشاعل لتنير لنا الطريق...
نحن لا نخشى السجون والأغلال..
نحن الذين نضحي بأرواحنا في سبيل السلم
إننا متشوقون لمنازلة أعداء السلم
كفهود الغابة، المتربصة
لا نخنقهم ونمتص دمائهم..
نصرخ عالياً : المجد للنضال !
ها قد ولت العبودية، وحلت الحرية
أيتها الشعوب الباسلة التي لا تهاب
وسعي خطواتك نحو الأماني...

ومما كتب ضد الشيوعية

خطر الشيوعية

• للشاعر أحمد الشامي

بــــني قــــومي، إذا لم تســـــتقيموا فسوف ترون.. مـــا قـــد تكرهونـــا
" غراب الشوم" ينعـــق في حمـــاكم لكيمـــــا تصـــــبحوا متفرقينـــــا
وتغـــدوا أرضـــكم مـــنكم خـــواء ويملكهـــــا "الأجانـــــب" آمنينـــــا
وتعلـــــو رايـــــة طبعـــــت عليهـــــا علامـــة مـــن قـــد اتبعـــوا " لينينـــا

* * *

فهـــل تســـتبدلون بهـــدي " طـــه" "وعترتـــه" ضـــلال الجاحـــدينا؟
أبعـــد "محمـــد" وبـــني " علـــي" نبـــايع بالإمامـــة" كوســـجينا
لقـــد هزلـــت إذن، والمـــوت خـــير وأشفى .. فـــانظروا مـــا تأمرونـــا !
ولي أمـــل، وفـــيكم مـــن يرجـــى وفي الألـــواح مـــا لا تعلمونـــا !

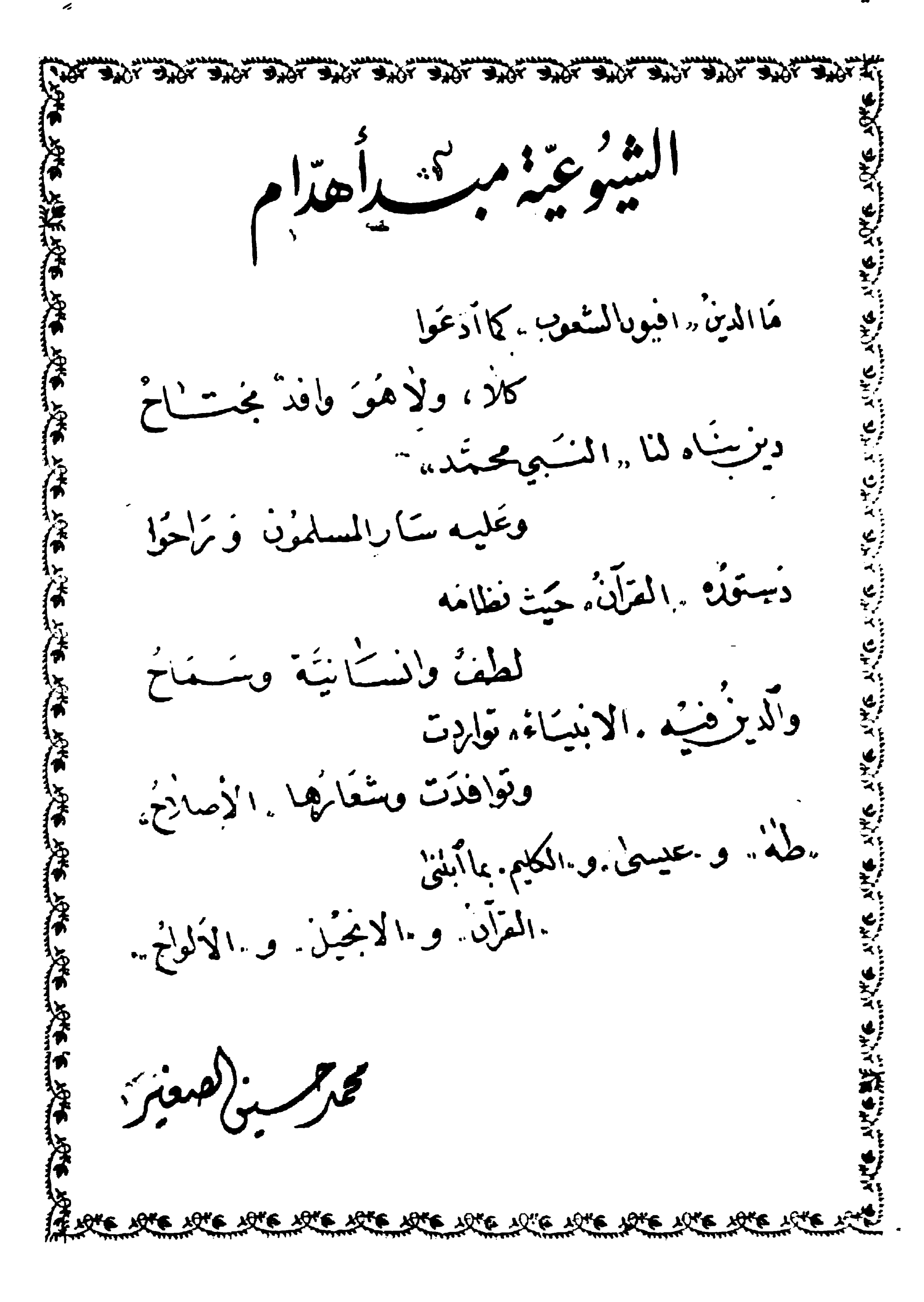
* * *

وللشيخ كاظم نوح مؤرخاً شنق أربعة رجال في بغداد وقد اتهموا بمبدأ لا يتفق ومبادئ الإسلام وذلك المبدأ من أضر المبادئ فلما سئلوا أجابوا معترفين بهذا المبدأ الهدام يحكم عليهم المجلس العسكري العربي بالشنق وكان هؤلاء الأربعة اثنان مسلمان أحدهما سني والثاني شيعي والثالث مسيحي والرابع يهودي وشنق الأربعة في ليلة واحدة.

بهـــذا العصـــر رام الـــبعض قلـــب الحكومـــة فيلـــق يتلـــو الفيـــالق
وقـــد ركبـــوا جنايـــات فكانـــت تـــزجهم المهالـــك والمزالـــق
إذا بعـــض الرعيـــة قـــد تحـــدث فارخـــه وترفـــع في المشـــانق

وقال آخر:

وانّ حزبـــاً دخـــيلاً في مبادئـــه	«لينين» فيـه أقـرَّ الـذل والهوانـا
يكادُ يُعرب عـن فحـوى مؤسسه	للزيـف زينـاً وبـالتلوين تلوينـا
الفوضـــويون داء لادواء لـــه	عيّا فيا ليت شعري مَـنْ يـداوينا؟
القتل والسحل والتخريـب دينـهم	والنهب والسـلب ألفـوه موازينـا
لابد نقضـي عليـه فـانتظر فرجـاً	أويرسـفون بـأغلالٍ مسـاجينا



الشيوعيّة مبدأ هدّام

ما الدين «افيون الشعوب» كما ادّعوا
كلا، ولا هوَ وافدٌ مجتاحْ
دين بناه لنا «النبي محمّد»
وعليه سار المسلمون وراحوا
دستوره «القرآنُ» حيث نظامه
لطفٌ وانسانيّة وسماحُ
والدين فيه «الانبياءُ» تواردت
وتوافدت وشعارها «الإصلاحُ»
«طه» و«عيسى» و«الكليم» بما أتى
«القرآن» و«الانجيل» و«الألواحُ»

محمد حسين الصغير

قصيدة للسياب عن السجناء الشيوعيين تثير ضجة في النجف

محمد حسين المحتصر[١]

كان ممن تعرفنا عليه أو تعرف هو علينا في ذلك الوقت الشاعر الكبير بدر شاكر السياب وكنا ننشر له بعضاً من قصائده (في مجلة العقيدة) فقد كان لنا مكتب اضافي في بغداد يقع في شارع المتنبي قرب المكتبة العصرية وكان يزورنا فيه احياناً ويتناول غداءه معنا ويقرأ لنا الجديد من شعره. واذكر انني نشرت له ثمانية قصائد في اعداد مختلفة من مجلتنا (العقيدة) وهي كما يلي:

١-قصيدة (رئة تتمزق) في العدد المزدوج ٨-٩ /السنة الأولى ص٢٠٨.
٢- قصيدة (الموعد الثالث) في العدد المزدوج ١٠-١١ /السنة الأولى ص٢٥٣.
٣- (اساطير) في العدد المزدوج ١٢-١٣ /السنة الأولى ص٣١٤.
٤- (اللقاء الأخير) في العدد المزدوج ١٤-١٥ السنة الأولى ص٣٤٣.
٥- (اتبعيني) في العدد ١٦/ السنة الأولى ص٤٠٥.
٦- (سراب) في العدد المزدوج ١٧-١٨ السنة الأولى ص٤٤٣.
٧- (لاتزيديه لوعة) في العدد المزدوج ١٩-٢٠ السنة الأولى ص٤٦٦.
٨- (في القرية الظلماء) في العدد الأول /السنة الثانية ص١٦.

وكان في ذلك الوقت مفصولاً من وظيفته وقد أغلقت مجلتنا (العقيدة)بعدئذ بسبب قصيدة جاءنا بها فنشرناها له، وكان عنوانها (أم السجين المضرب) حيث

---

(١) من كبار ادباء النجف المعاصرين، ادلى بهذه الذكريات لفقيد الادب الاستاذ محمد عباس الدراجي، والاستاذ المحتصر كان مديراً لمجلة (العقيدة) لصاحبها: فاضل الخاقاني والتي صدر عددها الأول في اكتوبر ١٩٤٨م.

كبس ذلك العدد في المطبعة من قبل الشرطة و لم يصدر إلى الاسواق والغي امتياز المجلة بسببها. كانت تلك القصيدة للسياب رغم أني لم أقرأها بعدئذ في أية مجموعة من مجاميعه الشعرية. وقد صودر العدد من المطبعة وهربنا بعد ذلك إلى النجف و لم يعد للمجلة وجود.

أما موضوع تلك القصيدة فهو كمايلي: لقد عَمَّت العراق يومئذ موجة من الاضرابات قام بها السجناء السياسيون المقيمون في سجون الكوت والعمارة ونقرة السلمان، وكانت أخبار تلك الاضطرابات تدور على صفحات بعض الجرائد والمجلات ممن كانت تستطيع ان تتناول مثل تلك الاخبار وكان همس الناس عنها في المقاهي والشوارع تتلاقفه العيون قبل أن تتحدث عنه الشفاه.

وكان السياب يومئذ من أشد المتحمسين لتبني مثل هذا الموضوع وكانت القصيدة تصور احدى الأمهات وقد سمعت بإضراب السجناء عن الطعام وكان لها ولد سجين في السلمان فشدت الرحال وذهبت إليه وطلبت مقابلته، فَمُنعت من ذلك فوقفت دامعة العين والهة القلب أمام جدار السجن وانشدت قائلة:

ولـــــدي الــــــذي ربيتـــــه بـــــدمي
وبـــــأدمعي وزهـــــا بـــــه العمـــــر
أيمـــوتُ مـــن أجـــل الطغـــاة كمـــا
يـــــذوي ليغـــــدو عوســـــجاً زهـــــرُ
عشـــرون عامـــاً لـــو زرعـــت بهـــا
شـــوكاً لأينـــع منـــه لي ثمـــرُ

* * *

أبمـــا يلفـــقُ مخـــبرٌ بصـــقتْ
فيـــه الـــدناءةُ كـــلَّ مـــا فيهـــا
وبمـــا تخـــطُ يـــدٌ يحركهـــا
وهـــجُ النضـــار ولـــؤم شـــاريها

أخذوك لا أخذهم بسوى
ما أحرموا شغلٌ سنذكيها
في قلعةٍ جُبلتْ حجارتُها
بدم القلوب وبارد العرق
ظلماء يلهثُ في مغاورها
داجي الهواء لُهاثَ مختنق
وتعفن الزمن الحبيس لدى
جدرانها طبقاً على طبق
روحٌ أعزُّ من الحياة على
قلبي يلوكُ بقية الرمق

* * *

ما كان يخطرُ أمس في بالي
اني سأشهدُ موت آمالي
أني أمدُّ يدي فيمنعني
من أن أضمّك حائطٌ عال
أأرى النجوم ولست تبصرها
الا خلال كوىً واغلال
وأعود أحلم ثُم ينبؤني
كيف انتهيت سريرك الخالي

هذا الذي بقي في ذاكرتي من تلك القصيدة وهي طويلة في حدود عشرة مقاطع أو أكثر وكنت احتفظ بها كاملة غير انها ذهبت مع ماذهب مني من أشياء.

محمد حسين الصغير

الشيوعية مبدأ هدام

وثائق تاريخية ومستمسكات خطيرة

قدم له

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

١٣٨٠ - ١٩٦٠

اخى المسلم

٤

الشيوعية

كفر والحاد

تصريحات شيوعية عن الدين

مع فتاوى علماء المسلمين

بقلم

كاظم الحلفي

وافقت وزارة الأرشاد على طبعه بكتابها المرقم ٩ والمؤرخ ٥/٦/١٩٦٠

مطبعة القضاء - النجف

مرجعية الإمام الحكيم وثورة (١٤) تموز

• باقر جبر صولاغ الزبيدي

لم يسارع الإمام الراحل المرجع آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره) إلى تأييد ثورة ١٤ تموز حال انبثاقها، واكتفى بمواجهة الطلب الذي تقدم به إليه ــ آنذاك ــ متصرف لواء كربلاء فؤاد عارف، بأن أرسل ــ رضوان الله عليه ــ برقية ذات طابع توجيهي، تضمنت التأكيد على ضرورة التمسك بالعدل ونبذ الظلم، وما إلى ذلك من أمور رآها المرجع الراحل، أساسية في تنظيم علاقة الدولة بالناس. ومع أن البرقية لم تكن تحوي كلمة تأييد للثورة، فإنها أيضاً لم تتضمن ما يشي بوجود موقف عداء لها، بل إن إسداء النصح والتوجيه، كما أراد به المرجع وكما نفهمه اليوم ــ حمل معنى التروي في التقييم وانتظار ما ستؤول إليه الثورة على صعيد إرساء دعائم النظام السياسي الجديد.

وبتصفح تاريخ تلك الحقبة نلحظ، أن موقف المرجع الحكيم من ثورة ١٤ تموز كان أقرب إلى الإيجاب منه إلى السلب، فقد مارس، وبحكم المساحة الكبيرة التي كان يتحرك خلالها سياسياً، ما ندعوه اليوم بالمعارضة الإيجابية، وذلك بنقده للسلبي من الظواهر، وتثمينه للإيجابي منها. على أن قراءة نموذجين من مراسلات المرجع الراحل الإمام الحكيم مع الحكومة في تلك الحقبة، تبين ما قصدناه بالمعارضة (الإيجابية). فهو في الوقت الذي يحذّر فيه رئيس مجلس السيادة محمد نجيب الربيعي لــ(قلق وعدم ارتياح الأمة إلى المصير

الذي يواجهه ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ورفاقهما)، يثمّن في رسالة إلى عبد الكريم قاسم ما دعاه بالخطوات السديدة، ممهداً للتثمين بذلك بآيات من القرآن الكريم تحذّر من الاستبداد في الحكم. ففي رسالة له، مؤرخة في ١٩٥٨/٩/٢٤ إلى عبد الكريم قاسم، يكتب (فإن العدل أساس الملك والعطف على الرعية أول النصر وشكر الله يستوجب المزيد، والظلم والاستئثار من أكبر عوامل الدمار).

من هذا نخلص إلى أن المرجعية الدينية لم تكن، ابتداءاً، ضد الثورة، بما هي فعل تغييري، خصوصاً وأنها ضد نظام بدا ــ آنذاك ــ أنه سائر في طريق الالتفاف على منجزات ثورتي الجهاد والعشرين اللتين تفجرتا بقيادة العلماء والعشائر بمواجهة الاستعمار البريطاني في عامي ١٩١٤ و١٩٢٠.

نعم لقد جنح النظام الملكي نتيجة للفساد الذي استشرى في مفاصل مؤسساته إلى تقويض استقلال الدولة عبر إعطاء المزيد من الصلاحيات للحكومة البريطانية، (ممثلة آنذاك بمندوبها السامي في بغداد). وقد بلغت تلك الصلاحيات حداً لم يترك للدولة من الاستقلال ما يتناسب وحرارة الدم الذي استرخصه العراقيون في ثورتي الجهاد والعشرين دفاعاً عن سيادة العراق واستقلاله. وقد عبر سماحة المرجع الراحل عن موقفه من الأوضاع السائدة في ظل الحكم الملكي من خلال برقيات الاحتجاج والمطالبة المستمرة بمعالجة الأوضاع السياسية والمشاكل الاجتماعية الناجمة عنها.

بل إن موقف المرجع الحكيم ذاك تجلى بوضوح في رفضه استقبال الملك فيصل الثاني خلال زيارة الأخير إلى مدينة النجف الأشرف عام ١٩٤٩ احتجاجاً على سوء الأوضاع وعدم استجابة الملك لإصلاحات كان قد طالب بها المرجع الحكيم عام ١٩٤٦.

إن تسليط الضوء على مقاطع من علاقة المرجعية ومواقفها من النظام الملكي، يوضح لنا بأن التغيير الذي أنجز عام ١٩٥٨ كان حصيلة جهد وجهاد تناميا بتواز مع تنامي الفساد واتساع مخاطر إعادة العراق إلى ما قبل إعلان الدولة. وليس بخاف تاريخياً حجم الدور الذي لعبته المرجعية الدينية من خلال نقدها للنظام الملكي، ونوعية الأمة في إذكاء وعي العراقيين وتأكيد حاجتهم إلى التغيير. بيد أن تلك وغيرها من القواسم المشتركة بين موقف المرجعية من النظام الملكي ونجاح الثورة بإزالته عام ١٩٥٨ لم تكن كافية لكي

تتخذ المرجعية موقف تأييد فوري فالثورة لا تكتمل بإزالة النظام القائم بل يبقى اكتمالها رهناً بالسعي لإرساء دعائم ما افتقر إليه ذلك النظام على صعد العدالة والحرية والتنمية والمشاركة السياسية.. الخ.

نحن اليوم وبعد ما يزيد على خمسة عقود من ذلك الحدث نتساءل: هل نجحت تلك الثورة في أن تكون ثورة مكتملة؟ لاشك سيختلف الجواب باختلاف زوايا النظر ومجال البحث فقد يجد المؤرخ السياسي المولع بتحري التفاصيل العديد من المبررات لتتريه الثورة مما رافق مسيرة تحولها إلى دولة غير أن ذلك لن يلغي حقيقة ما اكتنفها من سلبيات، ربما لا تتسع المناسبة لطرحها.

غير أنني أقول ــ معبراً عن اعتقاد شخصي ــ ربما لم يكن الفاعلون في أحداث عام ١٩٥٨ يدركون تمام الإدراك خطورة الدور الذي تصدوا له وطبيعة النتائج المترتبة على فشلهم وإلا لكانوا أشد حذراً في التعامل مع متغيرات الواقع السياسي والاجتماعي في العراق آنذاك. أقول هذا، وفي نفسي عتب كبير على تلك الحقبة برمتها. إذ كان يمكن للعراق أن يسير في غير الطريق التي أوصلته إلى ما هو فيه الآن، لو كان ذلك التحول قد حصن نفسه بما يضمن عدم انجراف العراق في دوامة الانقلابات والاستبداد والفردية. وحيث إن ثورة ١٩٥٨ بالمنظور التاريخي بمثابة حقبة فاصلة أو ربما مرحلة انتقالية من نظام سيئ اشتمل على بعض الحسنات، إلى نظام فائق السوء، فإليها أتوجه بالكثير من اللوم في هذه المناسبة التي تقتضي إبراز الحسنات والتغاضي عن السلبيات. فالحل التي يعيشها العراق اليوم تجعل من الكلام عن الحسنات ضرباً من ضروب الاجترار، بعد أن أتى النظام القائم، على كل محاسن تاريخنا، القريب منه والبعيد. فلم تعد ثمة جدوى لتقريظ ما تم وأده.. الجدوى هي في أن نعيد قراءة تاريخنا بجرأة وموضوعية بعيداً عن التعصب العقائدي والتحيز الفكري، فبهذا نستطيع أن نوفي وقائع تاريخنا وفاعلية حقهم في التكريم والاعتزاز.

فتوى الإمام الحكيم تؤجج الصراع بين القوميين والشيوعيين

في يوم ١٩٦٠/٢/٢٢ أي ٢٤ شعبان نشرت بعض الصحف العراقية فتوى المرجع الديني السيد محسن الحكيم ضد الشيوعية وبعدها نُشرت في معظم الصحف في البلاد العربية وكان هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم ولله الحمد. لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفرٍ وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم وبركاته.

السيد محسن الطباطبائي الحكيم
٢٢ شعبان ١٣٧٩

أخذت الصحف القومية وغيرها تشن حملات شديدة على أعمال الشيوعيين ومجازرهم في مدن العراق وتطالب بتطبيق أقصى العقوبات ضدهم كما شنت حملات شديدة على أحكام الإعدام الصادرة بحق الشباب البعثيين المتهمين بمحاولةٍ اغتيال قاسم وأخذت تدعو العراق إلى انتهاج سياسة عربية تحررية، وأخذت تنشر يومياً عشرات العرائض التي تطالب

بتخفيف الأحكام الأخيرة الصادرة من محكمة المهداوي ضد القوميين ودعاة الوحدة كما أنها أخذت تتناول بالنقد والتجريح المدعي العام ماجد أمين والمهداوي وغيرهم[١].

أخذ بعض أقارب من قتلهم الشيوعيون ولم يطالهم عقاب أو يحاسبهم قانون يثأرون لدماء ذويهم إما بأنفسهم أو بالواسطة وسلطات قاسم تتفرج على ما يحدث وهي لا تتعمق في التحقيق لمعرفة الفاعل بناء على توصية قاسم ولربما أغمضت هذه السلطات عينها كرد فعل لما ارتكبه الشيوعيون من تجاوزات. أخذ الشيوعيون يضايقون السيد الحكيم ونشرت جريدة الإنسانية الماركسية صورة كاريكاتيرية غمزته فيها[٢].

وبقدرة قادر أصبح الشيوعيون يطلبون حماية القانون ويهاجمون أعمال العنف والتجاوزات إذ كتبت جريدة الاستقلال (وهي إحدى الصحف التي تسير في ركاب الحزب الشيوعي آنذاك) تتهم سلطات قاسم بما يقع وتهدد بالانتقام ما يلي:

(نقولها وهي صرخة مدوية أوقفوا هذه الاعتداءات ضد أبناء الشعب. صار حديث المواطن كل مواطن في شمال هذه الجمهورية وفي جنوبها، وفي الشرق منها والغرب، صار حديث كل مواطن، هذه الاعتداءات الوحشية التي تقع ليل نهار وعلى مرأى ومسمع من جميع أجهزة الدولة، دون أن تبدر بادرة إلى إيقاف هذه الاعتداءات. أو على الأقل، وهذا أضعف الإيمان، الضرب على أيدي العابثين. قد يحتمل المواطن كل شيء، قد يحتمل صابراً كل خطب وكل نازلة أما أن تهان كرامته، أما أن يذل شرفه أما أن يعتدى عليه، ولا يرى من يصون كرامته، ويحافظ على شرفه، أو يدفع الاعتداء عنه.. قد يحتمل المواطن كل شيء، أما أن يحتمل هذا الذي ألمعنا إليه، فلا نظنه يحتمله أبداً.. وهو إن احتمله بضعة أيام، فليس معنى ذلك أنه سيحتمله دهراً أو زمناً طويلاً).

---

(١) هاجمت جريدة الأهالي الصادرة يوم ٣ نيسان ١٩٦٠ الناطقة باسم الحزب الوطني الديمقراطي فاضل المهداوي وحملت على الأساليب التي يتبعها في المحكمة وعلى التصاريح التي يطلقها وذكرت تصريحاً له حول ضرورة منع مهاجمة الحزب الشيوعي (داود الصايغ) باعتبارها حزباً مرخصاً ثم سألته إذا كان لا يجوز إبداء الرأي حزب حزب من الأحزاب السياسية في ظل النظام الديمقراطي؟.

شنت جريدة اتحاد الشعب حملة ضد كامل الجادرجي ووصفت ديمقراطيته بديمقراطية الصالونات وانبرت جريدة الأهالي ترد على الشيوعيين، وحمت المعركة وكان قاسم وراء الحملة ضد الجادرجي باعتباره قائد المعارضة في حزبه الوطني الديمقراطي ضد سياسة عبد الكريم قاسم ويطالب بانسحاب وزرائه من الحكم منذ إعدام الشهداء ناظم ورفعت وصحبهم بالإضافة لأنه يؤمن وجناحه المعارض في الحزب بما جاء في منهاج حزبه ولهذا فهو ينادي بالاتحاد الفيدرالي الذي تدعمه اتفاقات اقتصادية وثقافية وعسكرية. وهو يسلم بأن العراق جزء من الوطن العربي وهذا ما لا يقبل به الشيوعيون ولا عبد الكريم قاسم وأدت هذه المعارضة إلى الاستقالات المعروفة.

(٢) اضطرت تحرشات الشيوعيين بالسيد محسن الحكيم منذ بداية الثورة إلى تركه النجف والسكن في كربلاء وازدادت المضايقات والتحرشات بعد الفتوى المشار إليها. نشرت بعض الصحف اللبنانية يوم ١١/٥/١٩٦٠ ومنها الجريدة برقية عدد من علماء الدين في لبنان الموجهة إلى عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء يعربون فيها عن استنكارهم الشديد لتهجم الشيوعيين أصحاب المذاهب الهدامة على العلماء الأعلام وخاصة حجة الإسلام محسن الحكيم المقلد الأكبر (كما تذكر البرقية حرفيا).

الإمام الحكيم وعبد الكريم قاسم

• الشيخ عبد اللطيف الخفاجي

إن الإطاحة بالنظام الملكي بواسطة تنظيم عسكري واشتداد الصراع في الشارع العراقي بين الأحزاب بكافة تياراتها القومية والشيوعية والليبرالية، ورفع شعارات جديدة ظاهر بعضها معبر عن آمال وأماني جماهير الشعب العراقي مع ظهور التيار الإسلامي كقوة فاعلة ومؤثرة في الشارع. كل ذلك أوجد حالة جديدة وظرفاً مستحدثاً تفاعلت معه المرجعية. ولقد تميز العهد الجديد بما يلي:

- اقتسام الشارع العراقي بين التيارين القومي والشيوعي، ويمكن تلخيص هذا الاقتسام فيما يلي:

١ ـــ السعي الجدي المحموم من قبل التيار الشيوعي لاستلام مواقع التوجيه ومفاصل الحركة في الحكم الجديد.

٢ ـــ استصدار الأحكام والقوانين المتعارضة مع الطرح والنشاط الإسلاميين.

٣ ـــ افتعال الاتهامات لمن لا يؤيد هذا التيار، بمعاداة الجمهورية.

٤ ـــ اتساع رقعة المواجهات بين التيار الشيوعي والتيارات الأحرى.

وإزاء هذا الوضع كان موقف الإمام الحكيم يتلخص فيما يلي:

١ ـــ وجه رسالة إلى مجلس السيادة ورئيس الوزراء عبد الكريم قاسم ينصح السلطة ويحذرها وينبهها إلى ما يدور في البلد، ويطلب فيها:

أ ـــ السير على هدى الإسلام.

ب ــ إقامة الحق والعدل والدفاع عن الرعية والمظلومين.
ج ــ عدم الاستئثار بالحكم.
٢ ــ وجه رسالة أخرى يعلن فيها عن عدم ارتياحه لفقدان الطمأنينة في البلد وللموقف الذي يواجهه ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ورفقاؤهما.
٣ ــ إرسال الوفود التي تحث عبد الكريم قاسم على إلغاء قانون الأحوال الشرعية الذي يلغي الأحكام الإسلامية في بابٍ الزواج والإرث ويؤدي إلى التفكك الأسري.
وكلف من يرد على القانون رداً علمياً وبين رأيه في رسالة سماحته إلى جريدة الجهاد العراقية.
٤ ــ اشترط لاستقبال عبد الكريم قاسم تعديل موقف الحكومة من مجمل القضايا التي نبه إليها سماحته سابقاً.
وكان لموقف الإمام الحكيم عدة نتائج سياسية لعل أبرزها:
١ ــ وفّر الأجواء الصالحة لنمو التيار الإسلامي وظهوره كقوة أكثر فاعلية من ذي قبل أمام التيارات الأخرى.
٢ ــ أظهر المرجعية الدينية كقوة سياسية فاعلة ومؤثرة.
٤ ــ فتح الباب على مصراعيه أمام طلاب العلوم الدينية للاهتمام بشؤون الأمة والعمل السياسي.

الإمام الحكيم وعبد السلام عارف

وفي عام ١٩٦٣ قتل عبد الكريم قاسم في عملية انقلابية قادها عبد السلام عارف اشتركت فيها جميع الفئات المناوئة لحكمه، ولكن سرعان ما طغى ممثلو الحكم الجديد وشُكّل الحرس القومي ودخل العراق دور تصفيات دموية ومر في ظروف عصيبة. حاول الحكام الجدد الحصول على دعم المرجعية وتأييدها ووعدوا بإلغاء قانون الأحوال الشخصية وبإعلان محاربة الإلحاد إلا أنهم فشلوا في الحصول على ذلك وسرعان ما دب واستشرى النــزاع بين عبد السلام عارف ومن معه من الضباط والفئات القومية غير البعثية ورئيس وزرائه أحمد حسن البكر وممن معه في الحزب والحرس القومي. وفي تشرين الثاني ١٩٦٣م أي بعد مرور تسعة أشهر من انقلاب ١٤ رمضان ١٩٦٣م أنهى عبد السلام عارف النــزاع وانفرد بالحكم وركز السلطة لشخصه.«نداء الرافدين العدد ٢٢٠ الخميس ١٨/٥/٢٠٠٠م»

مع الإمام المرجع الديني الأول السيد محسن الحكيم في عهد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم

• محمد حسن الصوري

سيعلم أولئك الذين اعتدوا على الصوري وعلى جريدته «الحضارة» اعتداءً أثيماً مجرماً أنهم كانوا على باطل، وأنه بريء من كل ما اتهموه به.

كيْفَ وَقَعْتُ في الفَخّ؟

أثناء وقوفي أراقب طبع «الحضارة» إذ جاءني عامل من منضدي الحروف فقال: نحن بحاجة إلى سطور قليلة لتكملة العمود الأخير، فاستمهلته قليلاً، ثم تناولت «clieche كليشة كاريكاتير» فكتبت تحتها كلمات فكاهية بلسان الحمار عن طبيب بعثي ــ يوم لم يكن للبعث شأن ــ يتحدث كل يوم بنصائح في تنظيف الفواكه، والخضروات وأردت أن لا أقلّد الصحف المصرية التي تنشر صورة «حمار كاريكاتير» وتكتب تحته «حمار أفندي» فاستبدلت «حمار الحكيم» بـــ «حمار أفندي» وكانت فكاهة الحمار أنه يقدم شكره، وشكر إخوانه الحمير لسيادة الدكتور المذيع على نصائحه القيمة في تعقيم، وتنظيف علفنا، ولم يخطر بتصوري مطلقاً لقب حجة الإسلام السيد محسن الحكيم (قُدّس سرَه)، فأنا ــ يعلم الله ــ أحب هذا الرجل العظيم، وأقدس علمه وأخلاقه العالية، وعندي أصدقاء حميمون أوفياء ممن يمتّون برحم مع الإمام الحكيم ومنهم ابنه الفقيد السيد يوسف الحكيم (قدس الله روحه الطاهرة) ومن الأسرة الكريمة القريبة العلامة السيد محمد علي الحكيم، وهو من أقرب أصدقائي إلى نفسي وكنا نجتمع كل أيام الأسبوع الدراسية للمذاكرة بالأصول اللفظية في كتاب كفاية الآخوند، ثم نتسلى بأحاديث عامة، فأنا لي

صلة قوية بأسرة الحكيم، وأقدس مقامهم العلمي، والخلقي، وكان السيد محمد علي الحكيم يزورني في بيتي زيارات ودية متكررة.

الفكاهة المشؤومة

عندما صدرت جريدة «الحضارة» إلى الأسواق، وفيها تلك الفكاهة التي أصبحت جريدة كبرى، وفرصة سانحة أن تبث في النجف وكربلاء، وسائر المدن الجنوبية دعايات لئيمة ضد الصوري، وحضارته اشتعلت كالنارٍ في الهشيم، ثم قامت تظاهرات ضخمة، وأخذوا يتجولون في الشوارع ويصرخون عالياً بشتائم منظومة باللغة العامية، ويطالبون بتقطيع جسده إلى سبعة أقسام، وتوزيعها على المحافظات السبع كي يهدأ الهيجان، ووقف الجيش العراقي في الجنوب متأهباً للطوارئ بقيادة عبد الحميد حصونه(١)، وهذا القائد بعث برقية إلى الزعيم عبد الكريم قاسم يطلب فيها أن يصدر حكماً بعقاب الصوري سريعاً، وإلا فالشعب لا يهدأ أبداً بالإضافة إلى مئات البرقيات التي وصلت الزعيم من الجنوب.

مقابلة مع الزعيم

في بدء وقوعي في فخ محكم من حيث لا أدري لم أكن أعلم مطلقاً أن فكاهة «حمار الحكيم» قد تطورت إلى حد الحظر ليس على نفسي وحدي، بل كان من الممكن أن تحدث بين الجيش والشعب.

قبل أن أعرف أي شيء عن التظاهرات علمت أن عصابة من أفراد «الأمن» تفتش علي في كل مكان، فاختفيت في بيت تاجر صديق أكثر من أسبوعين ثم أخبرني أحد أبنائي أن ليس هناك ما يستوجب الاختفاء، وأن الزعيم يرغب أن تقابله فاطمأنت نفسي، وخرجت وكأني أنقذت من قبر مظلم... فوجئت بشاب يقرب مني، وصار يحدقٍ بي في دهشة، وسألته: لماذا تنظر إلي هكذا. قال: أمس كنت في كربلاء، ورأيت رجلاً يحمل مكبرة صوت ويصيح عالياً بين الجماهير المتجمعة: لقد شنقوا الصوري أمس، ولما سمع الجماهير صوت هذا المذيع تفرّقت، ولكني رأيتك الآن واقفاً بحرية تتحدث لم أصدق عيني فلا تعجب إذا حدقت بوجهك، ثم ودعنا ومضى.

وبرز مفوض شرطة، فصاح بي في لهجة اعتدائية، وبكبرياءٍ: أين أنت؟ فنحن منذ أسبوعين نفتش عليك. قلت: أولاً لا ترفع صوتك عالياً، وثانياً هل تحمل أمراً بالقبض علي؟ قال: لا ولكني سأذهب إلى مدير شرطة السراي سريعاً، وأعود، وكان متحمسا في

---

(١) بعد الانقلاب البعثي هرب القائد (الحصونه) إلى لندن، وإذ عرف أني أسكن في برلين بعث إلي صديقاً له يعتذر بحرارة وأنه يأسف لما سببه لي من أتعاب.

غضب وكأنه يفتخر أنه صادني، وبعد دقائق رجع، وخاطبني بأدب: «أستاذ مدير الشرطة يرغب أن يراك الآن. قلت سأذهب فوراً، ولكن يجب أن تكون بعيداً عني دون أن أرى شخصك أمامي، أو ورائي. ففارقني ومضى. واستأذنت ودخلت على مدير الشرطة، وحين جلست وتناولت كأس الشاي قال: إن الزعيم يريد أن تقابله فهل ترغب أن أخابره؟ قلت: نعم أرغب، وبعد انتهائه من المخابرة قال: يمكنك أن تذهب الآن لزيارة الزعيم، فودعته ومضيت إلى وزارة الدفاع وأخبرت الموظف المسؤول في باب وزارة الدفاع أن سيادة الزعيم طلب حضوري، وبعد لحظات من اتصاله بمكتب الزعيم قال: تفضل إلى غرفة الاستقبال، فجلست فيها أنتظر المقابلة، وبعد فترة غير قصيرة دخل الحاكم العسكري إلى غرفة الاستقبال، فسلّم مبتسماً ثم أشار إلي أن أدخل إلى الصالة الكبرى. فدخلت، وبعد أحاديث قصيرة دخل علينا الزعيم، فصافحني، وأول كلمة قالها لي: إني أعرف والدك المرحوم المرجع الديني في لواء الكوت، ثم أردف قائلاً: إن تعرضك للإمام الحكيم سبّب لنا مشكلة كبرى، فقد وصلتني من ألوية الجنوب مئات البرقيات، وبرقية طويلة من القائد عبد الحميد حصونه، وكلها شكاوى عليك، فما كان يجوز لك أن تفعل مثل هذا. قلت له: تأكد أيها الزعيم لم يخطر بفكري أبداً أني أقصد بالفكاهة التعرض بالإمام الحكيم، وحكيت له قصة الصورة والتعليق الفكاهي تحتها وعرضت عليه كتاباً حملته معي لتوفيق الحكيم وضع عليه اسم «حمار الحكيم» وهو كتاب مشهور، ومطبوع قبل سنين، واقتنع الزعيم بما عرضته، ثم تحول حديثي معه إلى قضايا عامة.

بعد الانتهاء من المحادثة قال للحاكم العسكري: الغ جميع الإجراءات التي قررنا اتخاذها ضد الصوري، ثم صافحنا ومضى.



* غلاف مجلة الحضارة التي نشر فيها المقال المثير ضد السيد الحكيم